



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه و آله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

كِتَاب

الْفِرَاحُ بِعَدْلِ السِّيَدَةِ

كِتَابِيك

المشاهير أئمة أهل البيت عليهم السلام

الكتاب سنة ١٣٨٩ هـ

تأليف

عبدور الشاهين

« ٣ »

طوار مطبوع

١٤٠٢ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفرج بعد الشده

كاتب:

محسن بن على التنوخى

نشرت فى الطباعة:

دار صادر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	الفرج بعد الشده المجلد ٣
١١	اشاره
١١	اشاره
١٥	تتمه الباب السابع
١٥	٢٥٤
٢٧	٢٥٥
٣٠	٢٥٦
٣٤	٢٥٧
٣٩	٢٥٨
٤٣	٢٥٩
٤٥	٢٦٠
٤٧	٢٦١
٤٩	٢٦٢
٥٤	٢٦٣
٥٤	اشاره
٥٧	الشطرنج
٥٩	٢٦٤
٦٢	٢٦٥
٦٤	٢٦٦
٦٧	٢٦٧
٦٩	٢٦٨
٧٢	٢٦٩
٧٨	٢٧٠

٨٠	٢٧١
٨٤	٢٧٢
٨٨	٢٧٣
٩٠	٢٧٤
٩٣	٢٧٥
٩٨	٢٧٦
١٠٠	٢٧٧
١٠٤	٢٧٨
١٠٥	٢٧٩
١٠٧	٢٨٠
١٠٩	٢٨١
١١٠	٢٨٢
١١١	٢٨٣
١١١	اشاره
١١٦	الحرم
١١٨	الحمار
١٣٠	٢٨٤
١٣٢	٢٨٥
١٣٧	٢٨٦
١٣٩	٢٨٧
١٤٢	٢٨٨
١٤٤	٢٨٩
١٤٦	٢٩٠
١٤٨	٢٩١
١٥٢	٢٩٢
١٥٦	٢٩٣

١٦٠	٢٩٤
١٦٣	٢٩٥
١٦٤	٢٩٦
١٦٨	٢٩٧
١٧١	٢٩٨
١٧٤	٢٩٩
١٧٩	٣٠٠
١٧٩	اشاره
١٨٦	البرامكه
١٩١	٣٠١
١٩٥	٣٠٢
١٩٦	٣٠٣
١٩٨	٣٠٤
١٩٨	اشاره
٢٠٢	المصافحه
٢٠٦	٣٠٥
٢١١	٣٠٦
٢١٢	٣٠٧
٢١٥	٣٠٨
٢١٩	٣٠٩
٢١٩	اشاره
٢٢٢	معاويه بن أبى سفيان
٢٢٤	٣١٠
٢٢٧	٣١١
٢٢٨	٣١٢
٢٢٩	٣١٣

۲۳۰	۳۱۴
۲۳۱	۳۱۵
۲۳۲	۳۱۶
۲۳۵	۳۱۷
۲۳۷	۳۱۸
۲۴۰	۳۱۹
۲۴۱	۳۲۰
۲۴۳	۳۲۱
۲۴۶	۳۲۲
۲۴۷	۳۲۳
۲۵۱	۳۲۴
۲۵۴	۳۲۵
۲۵۶	۳۲۶
۲۷۲	۳۲۷
۲۷۵	۳۲۸
۲۸۱	۳۲۹
۲۸۶	۳۳۰
۲۸۷	۳۳۱
۲۸۸	۳۳۲
۲۹۴	۳۳۳
۲۹۶	۳۳۴
۲۹۸	۳۳۵
۳۰۰	۳۳۶
۳۰۶	۳۳۷
۳۱۰	۳۳۸
۳۱۳	۳۳۹

٣١٥	٣٤٠
٣١٩	٣٤١
٣٢٧	٣٤٢
٣٣٥	٣٤٣
٣٣٧	٣٤٤
٣٣٨	٣٤٥
٣٤٠	الباب الثامن
٣٤٠	اشاره
٣٤٠	٣٤٦
٣٤٣	٣٤٧
٣٤٧	٣٤٨
٣٤٨	٣٤٩
٣٥٢	٣٥٠
٣٥٤	٣٥١
٣٥٦	٣٥٢
٣٦٠	٣٥٣
٣٦٢	٣٥٤
٣٦٦	٣٥٥
٣٦٦	اشاره
٣٦٨	صاحب الخبر
٣٧٠	٣٥٦
٣٧١	٣٥٧
٣٧٣	٣٥٨
٣٧٣	اشاره
٣٧٩	العذاب
٣٨٤	٣٥٩

٣٨٤	٣٦٠
٣٨٩	٣٦١
٣٩٣	٣٦٢
٤٠١	٣٦٣
٤٠٤	٣٦٤
٤٠٨	٣٦٥
٤١٤	٣٦٦
٤١٨	٣٦٧
٤٢١	٣٦٨
٤٢٤	محتويات الكتاب
٤٣١	تعريف مركز

عنوان و نام پدیدآور: الفرج بعد الشده/محسن بن علی التنوخی ؛ مصحح- شالجي، عبود

مشخصات نشر: بیروت- لبنان: دارصادر

مشخصات ظاهری: ۵ج.

کد کنگره: ۳۹۱۰ PJA / ف ۴

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های مذهبی -- اسلام

موضوع: تربیت اخلاقی -- جنبه های قرآنی

موضوع: نثر عربی - قرن ۴ق.

موضوع: داستانهای عربی - قرن ۴ق.

در کتاب به داستان هایی پرداخته شده که موضوعش فرج بعد از شدت است و دعاهایی نیز در این باب ذکر شده است.

ص: ۱

الفرج بعد الشده

محسن بن على التنوخى ؛ مصحح - شالجى، عبود

ص: ٣

ابن جامع المغنّي يأخذ صوتا بثلاثه دراهم

فيفيد منه ثلاثه آلاف دينار

حدّث محمّد بن صلصال، عن اسماعيل بن جامع (١)، أنّه قال:

ضامنى الدّهر ضيما شديدا بمكّه، فأقبلت منها بعيالى إلى المدينه، فأصبحت يوما، و ما معى إلاّ ثلاثه دراهم، لا أملك غيرها، و إذا يجاريه على رقبتهآ جرّه، تريد الركيّ (٢)، و هى تتغنّى بهذا الصوت:

شكونا إلى أحببنا طول ليلنا فقالوا لنا ما أقصر اللّيل عندنا

و ذاك لأنّ النوم يغشى عيونهم سريعا و لا يغشى لنا النوم أعينا

إذا ما دنا اللّيل المضرّ بذى الهوى قلقنا و هم يستبشرون إذا دنا

فلو أنّهم كانوا يلاقون مثلما نلاقى لكانوا فى المضاجع مثلنا

قال: فأخذ الغناء بقلبي، و لم يدر لى منه حرف.

فقلت: يا جاريه ما أدرى [١٥١ ظ] أوجهك أحسن، أم غناؤك [١٢٤ ر]، فلو شئت، لأعدت.

فقلت: حبا و كرامه، ثمّ أسندت ظهرها إلى جدار قريب منها، و رفعت إحدى رجليها، فوضعتها على الأخرى، و وضعت الجرّه على ساقها، ثمّ انبعثت، فغنّته، فوالله ما دار لى منه حرف.

فقلت: قد أحسنت، فلو تفضّلت، و أعدته مرّه اخرى.

ص: ٥

١- أبو القاسم اسماعيل بن جامع السهمى القرشىّ المغنّي: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٥٢ من الكتاب.

٢- الركيه: جمعها ركايا و ركيّ، البئر ذات الماء.

ففظنت، و كلحت (١).

و قالت: ما أعجب أمركم، لا يزال أحدكم يجيء إلى الجارية عليها الضريبه (٢)، فيحبسها.

فضربت يدي إلى الثلاثه دراهم، فدفعتها إليها، و قلت: أقيمي بهذه وجهك اليوم، إلى أن نلتقي.

فأخذتها كالكارهه، و قالت: أنت الآن تريد أن تأخذ مني صوتا، أحسبك ستأخذ به ألف دينار، و ألف دينار، و انبعثت تغنى.

فأعملت فكري في غنائها، حتى دار لي الصوت، و فهمته، فانصرفت مسرورا إلى منزلي، و أنا أردده، حتى خف على لساني.

ثم إنني خرجت إلى بغداد، فدخلتها، فطرحتني المكارى بباب محول (٣)، لا أدري أين أتوجه، فلم أزل أمشي مع الناس، حتى أتيت الجسر (٤)، فعبرته، ثم انتهيت إلى شارع الميدان (٥)، فرأيت مسجدا بالقرب من دار الفضل بن

ص: ٦

١- كلح: عبس و تكثر.

٢- الضريبه: مبلغ من المال يفرض السيد على مملوكه أن يؤديه إليه يوميا، إذا أذن له بالعمل في صناعه أو حرفه، على أن للمملوك ما زاد على الضريبه.

٣- باب محول: محله كبيره من محال بغداد، كانت متصّله بالكرخ، و هي الآن منعزله كالقريه ذات جامع و سوق مستغنيه بنفسها في غربى الكرخ، مشرفه على الصراه (مراصد الاطلاع ١٠/١٤٦)، [١] أقول: إن باب محول اندثرت منذ زمان بعيد، و لكن اتّسع العمران في بغداد، في النصف الثانى من القرن العشرين، أعاد العمران إلى الموضع الذى كانت فيه.

٤- هو الجسر الذى يصل محله الشرقيه فى الجانب الغربى من بغداد، بمحلّه باب الطاق فى الجانب الشرقى، و فى محلّه الآن جسر الصرافيه الحديد.

٥- شارع الميدان: شارع بالجانب الشرقى من بغداد خارج الرصافه، و كان يمتد من الشماسيّه إلى سوق الثلاثاء (معجم البلدان ٣/٢٣١ و ٢٣٢) [٢] أقول: هو الآن شارع الأعظميه، و هو الشارع العامّ الممتد من الأعظميه إلى أن يتصل بشارع الرّشيد ببغداد.

الربيع (١) مرتفعا، فقلت: هذا مسجد قوم سراه، فدخلته، و حضرت صلاة المغرب، فصليت، و أقمت بمكاني إلى أن صليت العشاء، و بي من الجوع و التعب أمر عظيم.

فانصرف أهل المسجد، و بقي رجل يصلي، و خلفه جماعه خدم و فحول (٢)، ينتظرون فراغه، فصلى مليا، ثم انصرف إلى بوجهه، و قال: أحسبك غريبا.

قلت: أجل.

قال: فمتى كنت في هذه المدينة؟

قلت: دخلتها آنفا، و ليس لي بها منزل و لا معرفه، و ليست صناعتى من الصنائع التى يمت بها إلى أهل الخير.

فقال: و ما صناعتك؟

قلت: أغنى.

فقام، و ركب مبادرا، و وكدل بي بعض من كان معه، فسألت الموكدل بي عنه، فقال لى: هذا سلام الأبرش (٣)، ثم عاد، فأخذ بيدي، فانتهى بي إلى قصر من قصور الخليفة، فأدخلنى مقصوره (٤) فى آخر الدهليز، و دعا بطعام من طعام الملوك على مائده، فأكلت، فإننى لكذلك، إذ سمعت ركضا فى الدهليز، و قائلا يقول: أين الرجل؟

فقليل: هو ذا.

ص: ٧

١- كانت دار الفضل بن الربيع على شارع الميدان، و له منظره تطل على الشارع (تاريخ بغداد لابن طيفور ١١).

٢- يريد بالخدم: الطواشي، و الطواشى إما خصى أو محبوب، و يريد بالفحول: الخدم غير الطواشيه.

٣- سلام الأبرش: خادم خصى، خدم المنصور (ابن الأثير ٢٣/٦) و حجب المهدي (العيون و الحدائق ٢٨١/٣) و خدم الرشيد أيضا (ابن الأثير ١٧٩/٦) و المأمون (ابن الأثير ٣٨٣/٦)، و كان إيتاخ القائد الخزرى من مماليكه، فاشتراه منه المعتصم و رفعه حتى ولّاه هو و الواثق أكبر الأعمال (تجارب الأمم ٥٤٢/٦ و ابن الأثير ٤٣/٧).

٤- المقصوره: حجره من حجر الدار.

فدعى لى بغسول (١)، و طيب، و خلعه، فلبست، و تطيبت، و حملت إلى دار الخليفة على دابته، فعرفتها بالحرس، و التكبير، و النيران (٢)، فجاوزت مقاصير عده، حتى صرت إلى دار قوراء (٣)، ووسطها أسره، قد أضيف بعضها إلى بعض، فأمرت بالصعود، فصعدت، فإذا رجل جالس، و عن يمينه ثلاث جوارى، و إذا حياله مجالس خاليه، قد كان فيها قوم قاموا عنها.

فلم ألبث أن خرج خادم من وراء الستر، فقال للرجل: تغنّ، فغنى صوتا لى و هو:

لم تمش ميلا، و لم تركب على جمل (٤) و لم تر الشمس إلا دونها الكلل

تمشى الهوينا (٥) كأن الشمس بهجتها مشى اليعافير (٦) فى جياتها الوهل (٧)

فغنى بغير إصابه، و أوتار مختلفه الدساتين (٨)، و عاد الخادم إلى الجارية التى تليه، فقال لها: غنى، فغنت أيضا، صوتا لى، كانت فيه أحسن حالا، و هو:

ص: ٨

١- الغسول، بفتح الغين: هو الأشنان الذى تغسل به الأيدي بعد الطعام، و كان يشتمل على أنواع من الطيب تخلط و تدقّ و تحفظ فى وعاء اسمه الاشناندان، له غطاء يحفظ رائحته، و يتناول منه بملعقه، لكى لا يتسخ الباقي بملامسه الأيدي، و كان الأشنان الذى يصنع للرشيد يتكون من ثلاثه عشر جزءا، راجع مطالع البدور ٦٦/٢.

٢- هذا يعنى أنّ وجود الحرس، و الإعلان بالتكبير، و إشعال النيران، لا تجتمع إلا على باب دار الخليفة.

٣- الدار القوراء: الواسعه.

٤- فى الأغانى ٣١٣/٦ و [١] لم تركب على قتب.

٥- الهوينا: التوءده و الرفق، و البغداديون يقولون: تمشى برهدنه، و هى فصيحه، و تعنى الاستداره فى المشى.

٦- اليعافير: الطباء.

٧- الوهل: الخوف و الفرع.

٨- الدساتين: و مفردها الدستان، الرباطات التى توضع عليها الأصابع فى العود، و أسامى دساتين العود تنسب إلى الأصابع التى توضع عليها، فأولها دستان السبابه، ثم دستان الوسطى، ثم دستان البصر، ثم دستان الخنصر، للتفصيل راجع مفاتيح العلوم للخوارزمى ١٣٧ و ١٣٨.

يا دار أمست (١) خلاء لا أنيس بها إلا الظباء و إلا الناشط الفرد (٢)

أين الذين إذا ما زرتهم جدلوا و طار عن قلبى التشواق و الكمد [١٢٥ ر]

قال: ثم عاد إلى الثانية، فغنت صوتا لحكم الوادى (٣)، و هو:

فو الله ما أدرى أ يغلبنى الهوى إذا جدَّ جدَّ البين (٤) أم أنا غالبه

فإن أستطع أغلب، و إن يغلب الهوى فمثل الذى لا قيت يغلب صاحبه

ثم عاد إلى الثالثة، فقال لها غنى، فغنت بصوت لحنين (٥)، و هو:

مررنا على قيسيه عامريه لها بشر صافى الأديم هجان (٦)

فقلت و ألفت جانب الستر دونها لأيه أرض أو لأى مكان (٧) [١٥٢ ظ]

فقلت لها إما تميم فأسرتى هديت، و إما صاحبى فيمانى

رفيقان ضمَّ السفر بينى و بينه و قد يلتقى الشتى فيأتلغان

ص: ٩

١- فى الأغانى ٣١٤/٦ [١] أوضحت.

٢- الناشط: الحمار الوحشى، و الفرد: المنفرد.

٣- حكم بن يحيى بن ميمون الملقب حكم الوادى: مغنّ من الطبقة الأولى، أدرك الوليد بن عبد الملك و غناه، و أدرك الرشيد و غناه، توفي سنة ١٨٠ (الأعلام ٢/٢٩٦).

٤- فى الأغانى ٣١٤/٦ [٣] إذا جدَّ وشك البين.

٥- حنين بن بلوع الحميرى: شاعر، موسيقى، من كبار المغنين، انفرد فى العراق بالغناء و الضرب على العود، و لم يزاحمه أحد، شخص إلى المدينه، و غنى فى مجلس ازدحم فيه الناس، فسقط السقف، و مات تحت الردم سنة ١١٠ (الأعلام ٢/٣٢٥ و ٣٢٦).

٦- البشر: جمع بشره، و هى ظاهر الجلد، و الهجان: الأبيض الخالص من كلّ شىء.

٧- فى الأغانى ٣١٤/٦: [٥] من أيه أرض، أو من الرجال.

ثم عاد إلى الرجل، فغنى صوتا لي، فشبته فيه (١)، من شعر عمر بن أبي ربيعة (٢):

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

كأن أحور من غزلان ذى رشأ (٣) أعارها سنه العينين و الجيدا

و مشرقا كشعاع الشمس بهجته و مسبطرا (٤) على لباته سودا

ثم عاد إلى الجارية الأولى، فغنت صوتا لحكم الوادى، و هو:

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

و ما ضرنا أنا قليل و جارنا عزيز و جار الأكثرين ذليل

و إنا أناس لا نرى القتل سبه إذا ما رأته عامر و سلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا و تكرهه آجالهم فتطول

ثم عاد إلى الثانية، فغنت صوتا، تقول فيه:

وددتك لما كان وذك خالصا و أعرضت لما صار نهبا مقسما

و لا يلبث الحوض الجديد بناؤه إذا كثر الوارد أن يتهدما

ثم عاد إلى الجارية الثالثة، فغنت بشعر الخنساء (٥) و هو:

ص: ١٠

١- يريد: خلط فيه و لم يحسن أداءه.

٢- أبو الخطّاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي القرشي (٢٣-٩٣): أرق شعراء عصره، و شعره فى الغزل لا يعلو عليه شعر، من طبقه جرير و الفرزدق (الأعلام ٢١١/٥).

٣- فى الأغاني ٣١٤/٦: [٢] من غزلان ذى بقر.

٤- الشعر السبط: المسترسل.

٥- تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الملقبة بالخنساء: أشهر شواعر العرب، و أشعرهنّ، أدركت الإسلام، و أسلمت، و فدت على رسول الله صلوات الله عليه، و كان يعجبه شعرها، و أكثر شعرها فى رثاء أخويها صخر و معاوية، و كان لها أولاد أربعة استشهدوا فى معركة القادسية، توفيت سنة ٢٤ (الأعلام ٦٩/٢).

و ما كَرَّ إِلَّا كان أَوَّل طاعن و ما أبصرتَه العين إِلَّا اقشعرت (١)

فيدرك ثارا و هو لم يخطه الغنى فمثل أخى يوما به العين قوت

فلست أرزى بعده برزیه فأذكره إِلَّا سلت و تجلّت

و غنى الرّجل فى الدور الثالث، بهذه الأبيات:

لحى الله صعلو كما مناه و همّه من الدّهر أن يلقى لبوسا و مطعما

ينام الضحى حتى إذا لبله بدا (٢) تتبه مسلوب الفؤاد متيما (٣)

و لكنّ صعلو كما يساور همّه و يمضى إلى الهيجاء ليثا مصمّا (٤)

فذلك إن يلق المتيه (٥) يلقها حميدا (٦) و إن يستغن يوما فربّما

[قال: و تغتت الجاربه:

إذا كنت ربّا للقلوص فلا يكن رفيقك يمشى خلفها غير راكب

أنخها فأردفه (٧) فإن حملتكما

فذاك و إن كان العقاب (٨) فعاقب (٩)

قال: و غنت الجاربه، بشعر عمرو بن معدى كرب، و هو:

ألم ترنى إذ ضمّنى البلد القفر سمعت نداء يصدع القلب يا عمرو

ص: ١١

١- فى الأغانى ٣١٥/٦ و [١] لا أبصرتَه الخيل إِلَّا اقشعرت.

٢- فى الأغانى ٣١٥/٦ [٢] حتى إذا لبله انتهى.

٣- فى الأغانى ٣١٥/٦ [٣] تتبه مثلوج الفؤاد مورّما.

٤- فى الأغانى ٣١٥/٦ [٤] ليثا مقدما.

٥- فى الأغانى ٣١٥/٦ [٥] الكريهه.

٦- فى الأغانى ٣١٥/٦ [٦] كريما.

٧- الردف: أن تركب أحدا معك على الدابّه، فيكون لك رديفا.

٨- العقاب: أن تركب الدابة مرّه، و يركبها صاحبك مرّه.

٩- الزيادة من الأغاني ٣١٦/٦.

أغثنا فإننا عصبه مذ حجّيه

نراد على وفر و ليس لنا وفر (١) [١٢٦ ر]

و أظنه أغفل الثانيه، فغنت الثالثه، بهذه الأبيات:

فلما وقفنا للحديث و أسفرت (٢) وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفننى و قلن امرؤ باغ أضلّ و أوضعا (٣)

فلما تواضعن الأحاديث قلن لى أخفت علينا أن نغرّ و نخدعا

قال: فتوقعت مجيء الخادم، فقلت للرجل: بأبى أنت، خذ العود، و شدّ و تركذا، و ارفع الطبقه، و حطّ دساتن كذا، ففعل ما أمرته.

و خرج الخادم، فقال لى: تغنّ عافاك الله.

فغنيت بصوت الرجل الأول، على غير ما غنى، فإذا جماعه من الخدم يحضرون (٤) حتى استندوا إلى الأسره، فقالوا: ويحك لمن هذا الغناء؟

فقلت: لى.

فانصرفوا و عاد إلى خادم، فقال: كذبت، هذا لابن جامع، فسكت.

و دار الدور الثانى، فلما انتهى إلى، قلت للجاريه التى تلى الرجل، خذى العود، فعلمت ما أريد، فأصلحته على غنائها، فغنيت به، فخرج الخدم، و قالوا: ويحك، لمن هذا الغناء؟

فقلت: لى.

فرجعوا، ثم عاد ذلك الخادم من بينهم، فقال: كذبت، هذا لابن جامع.

ص: ١٢

١- ورد البيتان ضمن أبيات أخرى فى القصه ١٩٨ من هذا الكتاب.

٢- فى الأغانى ٣١٦/٦ [١] فلما توافقنا و سلّمت أسفرت.

٣- فى الأغانى ٣١٦/٦ [٢] أ كلّ و أوضعا.

٤- الحضر: العدو الشديد.

و دار الدور، فلما انتهى إلى الغناء، قلت للجارية الأخرى، سوى العود على كذا، فعلمت ما أريد، و خرج الخادم فقال لي تغنّ، فغنّيت هذا الصوت، و هو لا يعرف إلاّ بي، و هو: [١٥٣ ظ]

عوجى علىّ فسلمى جبر فيم الوقوف و أنتم سفر

ما نلتقى إلاّ ثلاث منى (١) حتى يفرق بيننا النفر (٢)

فتزلزلت عليهم الدار، و خرج الخادم، فقال: ويحك، لمن هذا الغناء؟

فقلت: لى.

فمضى، ثمّ عاد، فقال: كذبت، هذا لابن جامع.

قلت: فأنا ابن جامع.

فما شعرت إلاّ و أمير المؤمنين، و جعفر بن يحيى، قد أقبلنا من وراء الستر الذى كان يخرج منه الخادم (٣).

فقال لى الفضل بن الربيع: هذا أمير المؤمنين، قد أقبل إليك، فلما صعد السرير، و ثبت قائما.

فقال: ابن جامع؟

فقلت: ابن جامع، جعلت فداك، يا أمير المؤمنين.

فقال: متى كنت فى هذه المدينة؟

فقلت: دخلتها فى الوقت الذى علم بى فيه أمير المؤمنين.

ص: ١٣

١- ثلاث منى: أيام عيد الأضحى الثلاثة التى يقضيها الحاج فى منى.

٢- يوم النفر: اليوم الذى ينفر فيه الحجاج من منى منصرفين إلى مكّة، و هو اليوم الثالث من عيد النحر، و يصادف ١٣ ذى الحجة.

٣- كان جعفر يدخل فى منادمه الرشيد. و كان أبوه ينهأه عن منادمته. و يأمره بترك الأنس به، فترك أمر أبيه و يدخل معه فيما يدعوه إليه، أما الفضل أخوه. فكان يمتنع عن منادمه الرشيد و الشرب معه، و كان يقول: لو علمت أنّ الماء ينقص من مروءتى ما شربته (الطبرى ٢٩٣/٨).

فقال: اجلس، و مضى هو و جعفر، فجلسا في تلك المجالس.

فقال: ابشر، و ابسط أملكك، فدعوت له.

فقال: غنّ يا ابن جامع، فخطر ببالي صوت الجاربه السوداء، فأمرت الرّجل بإصلاح العود على ما أردت من الطبقة، فعرف ما أريد، فوزنه وزنا.

فلما أخذت الأوتار و الدساتين مواضعها، و تعاهدها، ابتدأت أغنّي بصوت الجاربه، فنظر الرّشيد إلى جعفر، فقال: هل سمعت كذا قط؟

قال: لا و الله، و لا خرق مسامعي مثله قط.

فرفع الرّشيد رأسه إلى خادم كان بالقرب منه، فأتى بكيس فيه ألف دينار، فرمى به إليّ، فصيرته تحت فخذي، و دعوت له.

فقال: يا ابن جامع، ردّ عليّ هذا الصوت، فردّده عليه، و تزيدت في غنائي.

فقال له جعفر: أما ترى كيف تزيد في الغناء، و هذا خلاف الأوّل، و إن كان اللّحن واحدا.

فرفع الرّشيد رأسه إلى الخادم، فأتى بكيس فيه ألف دينار، فرمى به إليّ، فجعلته تحت فخذي الآخر.

ثمّ قال: تغنّ يا إسماعيل بما حضر ك.

فجعلت أقصد الصوت بعد الصوت، بما كان يبلغني أنه يشتري عليه الجوارى، فأغنيه، فلم أزل كذلك، إلى أن عسعس الليل.

فقال: أتعبناك يا إسماعيل هذه اللّيله، فأعد عليّ الصوت، يعنى صوت الجاربه، فغنيته به، فرفع رأسه إلى الخادم، فوافى بكيس ثالث فيه ألف دينار.

فذكرت [١٢٧ ر] قول الجاربه، فتبسمت، فلحظني، و قال: يا ابن الفاعله، فيم تبسمت؟

فجثيت على ركبتى، و قلت: يا أمير المؤمنين، الصدق منجاه.

قال: قل.

ص: ١٤

فقصصت عليه خبر الجارية، فلما استوفيته، قال: صدقت، قد يكون مثل هذا، و قام.

و نزلت من وراء الستر، لا- أدرى أين أمضى، فابتدرنى فزاشان، فصارا بى إلى دار قد أمر لى أمير المؤمنين بها، فيها من الفرش، و الآله، و الخدم، جميع ما أريد، فدخلت فقيرا، و أصبحت من المياسير.

ذكر الاصبهاني: أن صوت إسماعيل الذى غناه، لا يعرف إلا به، و هو:

فلو كان لى قلبان عشت بواحد و خلفت قلبا فى هواك يعذب

و لكننى أحيا بقلب معذب (١) فلا العيش يصفو لى و لا الموت يقرب

تعلمت أسباب الرضا خوف سخطها

و علمها حبى لها كيف تغضب

و لى ألف وجه قد عرفت مكانه و لكن بلا قلب إلى أين أذهب (٢)

ص: ١٥

١- فى الأغاني ٣١٩/٦: و [١] لكننا أحيا بقلب مروّع.

٢- لم ترد هذه القصه فى م و لا فى غ و لا فى ه، و وردت فى الأغاني ٣١١/٦-٣١٩.

ابن هرمة يتحدث عن أفضال

عبد الواحد بن سليمان عليه

قال: قال رجل لابن هرمة (١): بما استحق منك عبد الواحد بن سليمان (٢) أن تقول فيه؟:

أعبد الواحد المأمول إنني أغص حذار سخطك بالقراح

وجدنا غالباً كانت جناحا و كان أبوك قادمه الجناح

فقال: إن ذهبت أعدد صنائعه التي استحق بها مني هذا القول، طالت، و لكن أخبرك بأصغر صنيعه له عندي.

كنت منقطعاً إليه بالمدينة [١٥٤ ظ] أيام كان يتولأها، فأغنانى عن سواه، ثم عزل، فظننت أن الوالى سيحسن لى، فلم يبزنى بشىء، فأنفقت ما كان معى، حتى لم يبق لى شىء.

فقلت لأختى: ويحك، أما ترين ما أنا فيه من الشده، و تعذر القوت؟ قالت: بسوء اختيارك.

قلت: فيمن تشيرين؟

ص: ١٦

١- أبو إسحاق إبراهيم بن على بن سلمه بن عامر بن هرمة الكناني القرشي، المعروف بابن هرمة (٩٠-١٧٦): مدني، شاعر، من مخضرمى الدولتين الأموية و العباسية، مدح الوليد بن يزيد، و مدح المنصور العباسي، و كان مولعاً بالشراب، جلده الحد صاحب شرطه المدينة (الأعلام ١/٤٤) و [١] لما مدح المنصور، سأله أن يحميه من الحد إذا شرب الخمر، فقال: ويحك هذا حد من حدود الله، فألح عليه، فكتب إلى والى المدينة: من أتاك بابن هرمة سكران، فاجلده مائه، و اجلد ابن هرمة ثمانين، فكان الجلواز يمرّ بابن هرمة و هو سكران، فيقول من يشتري ثمانين بمائه (الأغانى، طبعه بولاق ١٠٥/٤).

٢- عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان: أمير مروان أموي، ولى إمره مكه و المدينة سنة ١٢٩ لمروان بن محمد، قتله العباسيون فى جملة من قتلوا من الأمويين (الأعلام ٤/٣٢٤).

فقلت: ما أعرف لك غير عبد الواحد بن سليمان.

فقلت: و من لي به، و هو بدمشق، و أنا بالمدينه؟

فقلت: أنا أعينك على قصدك إليه.

فقلت: افعلني.

فباعت حلياً كان لها، و اشتريت لي راحله، و زوّدتني، فوافيت دمشق بعد اثنتي عشره ليله، فأنخت عشاء على باب عبد الواحد، و عقلت راحلتي، و دخلت المسجد، فحططت فيه رحلي.

فلما صلي عبد الواحد، و جلس يسبح، حوّل وجهه إلى جلسائه، فنظر إلى رحلي، فقال: لمن هذا؟

فوثبت، و قبلت يده، و قلت: أنا يا سيدي، عبدك ابن هرمة.

فقال: ما خبرك يا أبا اسحاق؟

فقلت: شرّ خبر، بعدك - أيها الأمير - تلاعبت بي المحن، و جفاني الصديق، و نبا بي الوطن، فلم أجد معوّلاً إلا عليك.

فو الله، ما أجبني إلا بدموعه، ثم قال: ويحك، أبلغ بك الجهد إلى ما ذكرت؟

فقلت: إي و الله، و ما أخفيه عنك أكثر.

فقال: اسكن، و لا ترع.

ثم إنّه نظر إلى فتيه بين يديه، كأنّهم الصقور، فوثبوا، فاستدعى أحدهم، و همس إليه بشيء، فمضى مسرعاً، ثمّ أوماً إلى الثاني، فهمس إليه بشيء، و كذلك الثالث، فمضى.

ثمّ أقبل الأوّل، و معه خادم على رأسه كيس، فصبّه في حجري، فقال له أبوه: كم هذا؟

فقال: ألف دينار و سبعمائه دينار، و و الله ما في خزانتك غيرها.

ثم أقبل الثاني، و بين يديه عبد علي كتفه كاره، فصَبَّها بين يديه، فإذا فيها حلي مخْلَع من بناته و نسائه.

فقال: و الله، ما تركت لهنَّ شيئاً، إلا أخذته.

و أقبل الثالث [١٢٨ ر]، و معه غلامان، معهما كارتان عظيمتان من فاخر ثيابه، فوضع ذلك بين يديّ.

ثم قال: يا ابن هرمه، أنا أعتذر إليك من قلّه ما جوتك به، مع بعد العهد، و طول الشقّه، و سعه الأمل، و لكنك جئتنا في آخر السنه، و قد تقسّمت أموالنا الحقوق، و نهبتنا أيدي المؤمنين، فلم يبق عندنا غير هذه الصبابه (١)، آثرناك بها على أنفسنا، و سللناها لك من أفواهنا، و لو قدمت قبل هذا الإعسار، لأعطيناك ما يكفيك، و لو علمنا بك، لأتاك عفواً، و لم تتجشّم المشقّه، و لم نحوجك إلى سوانا، و ذلك منّا لك أبدأ، ما بقيت، فأقسم عليك، لما أصبحت إلا على ظهر راحتك، و تداركت أهلك، فخلّصتهم من هذه المحنه، فقامت إلى ناقتي، فإذا هي قد ضعفت.

فقال: ما أرى في ناقتك خيراً، يا غلام، أعطه ناقتي الفلانيه، فجئ بها برحله، فكانت - و الله - أحب إليّ من جميع ما أعطاني، ثقه ببلوغها، ثم دعا بناقتين أخريين، و أقرهما من المال، و الثياب، و زاداً يكفيني لطريقي، و وهب لي عبدان.

و قال: هذان يخدمانك في السقى و الرعى، فإن شئت بعتهما، و إن شئت أبقيتهما، أفتلومني أنّي أغصّ حذار سخطه بريقي؟

قال: لا و الله (٢).

ص: ١٨

١- الصبابه، بضم الصاد: البقيّه من كلّ شيء، قال البحترى في سيبته: بلغ من صبابه العيش عندى طففتها الأيام تطيف بخس

٢- لم ترد هذه القصّه في م و لا في غ و لا ه، و وردت في البصائر و الذخائر م ٣ ق ١ ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

القائد هرثمه بن أعين

يتحدّث عمّا أمره به الهادى فى ليله موته

حدّثنى على بن هشام، عن محمّد بن الفضل: أنّ هرثمه بن أعين (١)، قال:

كنت اختصمت بموسى الهادى، و كنت -مع ذلك- شديد الحذر منه، لإقدامه على سفك الدماء (٢).

فاستدعانى نصف نهار، فى يوم شديد الحرّ، قبل أكلى، فتداخلى منه رعب، و بادرت فدخلت عليه، و هو فى حجره من دور حرمه، فصرف جميع من كان بحضرته، و قال لى: اخرج و أغلق الباب، و عد إلى، فإزداد جزعى، ففعلت، و عدت إليه.

فقال لى: قد تأذيت بهذا الكلب الملحد، يحيى بن خالد، ليس له فكر غير تضريب الجيش (٣)، و اجتذابهم إلى صاحبه هارون، يريد أن يقتلنى، و يسوق [١٥٥ ظ] إليه الخلافه، و أريد أن تمضى الليله إلى هارون، و تقبض عليه، و تذبحه، و تجينى برأسه، إمّا فى داره، و إمّا أن تخرجه برسالتى تستدعيه إلى حضرتى، ثمّ تعدل به إلى دارك، فتقتله، و تجينى برأسه.

فورد علىّ أعظم وارد، فقلت: تأذن يا أمير المؤمنين فى الكلام؟

فقال: قل.

ص: ١٩

١- هرثمه بن أعين: أمير، قائد، شجاع، ولأه الرشيد مصر، ثم إفريقيه، ثم خراسان، و لما اختصم الأمين و المأمون، انحاز إلى جانب المأمون، ثم نقم عليه المأمون أمرا فحبسه و مات فى حبسه سنة ٢٠٠ (الأعلام ٧٥/٩).

٢- كان الهادى شكس الأخلاق، صعب المرام، قليل الإغضاء، سىء الظن (التاج ٣٥).

٣- التضريب: الإفساد.

فقلت: أخوك، و ابن أيبك، و له بعدك العهد، فكيف تكون صورتنا، أوّلا عند الله، ثمّ عند الجيش؟

فقال: إنّك إن فعلت هذا، و إلاّ ضربت عنقك الساعة.

فقلت: السمع و الطاعة.

فقال: و أريد إذا فرغت منه هذه الليله، أن تخرج من في الحبس من الطالبين، فتضرب رقاب أكثرهم، و تغرق الباقين.

فقلت: السمع و الطاعة.

قال: ثمّ ترحل إلى الكوفه، فتجمع من تقدر عليه من الجيش، فتخرج من بها من العباسيين، و شيعتهم، و عمّالنا، و المتصرفين، ثمّ تضرمها بالنار، حتّى لا يبقى فيها جدار.

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا أمر عظيم.

فقال: هؤلاء أعداؤنا، و شيعه آل أبى طالب، و كلّ آفه ترد علينا، فهي من جهتهم، و لا بدّ من هذا.

فقلت: السمع و الطاعة.

فقال: لا تبرح من مكانك إلى نصف الليل، لتمضى إلى هارون.

فقلت: السمع و الطاعة.

و نهض عن موضعه، و دخل إلى دور النساء، و جلست مكانى، لا- أشكّ أنّه قد قبض علىّ ليقتلنى، و يدبّر هذه الأمور على يد غيرى، لما أظهرت له من الجزع عند كلّ باب منها، و التخطئه لرأيه، و الامتناع عليه، ثمّ الإجابة، و قد علم الله تعالى، أنّى ما أحبته إلاّ- على أن أخرج من حضرته، فأركب فرسى من بابه، و ألحق بطرف من الأرض، و أفارق جميع نعمتى، فأكون بحيث لا يصل إلىّ، حتّى أموت، أو يموت.

فلمّا اعتقلنى، و دخل دار الحرم، لم أشكّ فى أنّه قد فطن لغرضى، و أنّه سيقتلنى، لثلا يفسو السرّ، فوردت علىّ شدّه شديده، و غلبت علىّ،

فطرحت نفسى فى الحرّ مغموما، جائعا[١٢٩ ر]، على عتبه المجلس، و نمت.

فما انتبهت إلا بخادم قد أيقظنى، و قال: أجب أمير المؤمنين، فنظرت الوقت، فإذا هو نصف الليل.

فقلت: إنّا لله، عزم و الله على قتلى، فمشيت معه، و أنا أتشاهد، إلى ممّرات سمعت منها كلام النساء.

فقلت: عزم على قتلى بحجّه، يقول: من أذن لك فى الدخول إلى حرمى، و يعتلّ علىّ بذلك، فوقف.

فقال لى الخادم: ادخل.

فقلت: لا أدخل.

فقال لى: ادخل، ويحك.

فقلت: هو ذا أسمع صوت الحرم، و لا يجوز لى أن أدخل.

فجذبنى، فصحت: و الله، لا دخلت، و لو ضربت عنقى، أو أسمع كلام أمير المؤمنين، بالإذن لى.

و إذا امرأه تصيح: ويلك يا هرثمه، أنا الخيزران (١)، و قد حدث أمر عظيم، استدعيتك له، فادخل.

فتحّيرت، و دخلت، و إذا ستاره ممدوده، فقيّل لى من ورائها: إنّ موسى قد مات، و أراحك الله منه، و جميع المسلمين، فانظر

إليه، فأتيته، فإذا هو

ص: ٢١

١- الخيزران: زوجه المهدي العباسى، و أمّ ولديه الهادى و الرشيد، ملكه، حازمه، عاقله، أديبه، شاعره، كانت ذات كلمه مسموعه فى عهد زوجها المهدي، فلما ولى ابنها الهادى، حرّم عليها أن تتدخّل فى أمور الدّوله، و منع الناس من الوقوف ببابها، فانكملت، و لمّا ولى الرشيد، عادت إلى ممارسه حريتها فى التدخّل فى شؤون المملكه، و كان الرشيد لا يخالف لها رأيا، و كانت حاميه البرامكه، و لما ماتت فى السنه ١٧٣ أخذ الرشيد بقائه سريرها حافيا يعدو فى الطين، و عليه جبّه سعديه، و طيلسانه خرق أزرق، حتى إذا خرج من قبرها، دعا الفضل بن الربيع، و حلف له، أنّه كان يهّم بأن يولّيه، فتمنعه أمّه، فيطبع أمرها، ثم أمر الفضل بأن يأخذ الخاتم من جعفر (الطبرى ٢٣٨/٨).

مسجى على فراشه، فمسست قلبه، و مجسه، و مناخره، فإذا هو ميت بلا شك.

فقلت: ما كان خبره؟

فقلت لى الخيزران: كنت بحيث أسمع خطابه لك فى أمر ابنى هارون، و أمر الطالبين، و أهل الكوفه، فلما دخل على، استعطفته، و سألته أن لا يفعل شيئاً من ذلك، فصاح على، فلم أزل أرفق به، إلى أن كشفت له ثدى، و شعرى، و بكيت، و تمرغت بين يديه، و ناشدته الله أن لا يفعل، فانتهرنى، و قال: و الله، لئن لم تمسكى، لأضربن عنقك الساعة، فخفته، و قمت، فصففت قدمى فى المحراب، أصلى، و أبكى، و أدعو عليه.

فلما كان منذ ساعه، طرح نفسه على فرشه لينا، فشرق (1)، فتدار كناه بكوز ماء، فازداد شرقه، إلى أن تلف، فامض إلى يحيى بن خالد، و عرفه [١٥٦ ظ] ما جرى، و امضيا إلى هارون، و جئنا به قبل انتشار الخبر، و جددا له البيعه على الناس.

فخرجت و جئت بالرشيد، فما أصبحنا إلا و قد فرغنا من بيعته، و استقام أمره، و توطأت الخلافه له، و كفانى الله تعالى، و الناس، ما كان أظننا من مكروه موسى، و كان ذلك سبب اختصاصى العظيم بالرشيد، و تضاعف نعمتى و محلى عنده (2).

ص: ٢٢

١- شرق بريقه: غص.

٢- لم ترد هذه القصه فى م و لا فى غ و لا ه.

دهاء عبدون أخى صاعد بن مخلد

حدّثني عليّ بن هشام قال (١):

كان في يد صاعد بن مخلد (٢) ضمانات كثيرة، و كانت معاملته مع أبي نوح عيسى بن إبراهيم (٣)، و كان صاعد من وجوه الناس.

فحضر صاعد بين يدي أبي نوح، يحاسبه في أموال وجبت عليه، فجرت بينهما مناظرات، فشتّم فيها أبو نوح صاعدا (٤)، فردّ عليه صاعد، مثل ما قاله له.

فاستعظم الحاضرون ذلك، و استخفّوا بصاعد، و قالوا له: يا مجنون، ما هذا الفعل؟ قتلت نفسك، ثمّ أقاموه، و خلّصوه من أبي نوح، و قالوا:

هذا مجنون، لم يدر ما خرج من رأسه.

فانصرف إلى منزله، متحيراً، لا يدرى ما يصنع فيما نزل به، فحدّث أخاه عبدون (٥) بما جرى.

ص: ٢٣

١- في نشوار المحاضرته ٣٤/٨: [١] حدّثني أبو الحسين (يعني عليّ بن هشام)، قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمد بن الفرات، و كان يخلف أبا نوح عيسى بن إبراهيم عليّ ديوان الضياع، حدّث أنّه... الخ.

٢- صاعد بن مخلد: وزير الموقّ، بغدادى، نصرانى، أسلم عليّ يد الموقّ، و كان حازماً، ضابطاً، كفؤاً، يتدبّه الموقّ في المهمات، و زر للموقّ سنة ٢٦٥ و فتح فارس سنة ٢٧٢ و اعتقله الموقّ في هذه السنة و مات في حبسه سنة ٢٧٥، و كانت غلّته في السنة ألف ألف و ثلثمائة ألف دينار، راجع القصّه ١/١ من كتاب نشوار المحاضرته للقاضى التنوخى، و الأعلام ٢٧٢/٣ و [٢] مروج الذهب ٤٨٠/٢.

٣- أبو نوح عيسى بن إبراهيم الكاتب: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

٤- في نشوار المحاضرته ٣٤/٨: [٣] فاغتاز أبو نوح، فأعصّه، أى قال له: يا عاصّ بظر أمّه.

٥- عبدون بن مخلد: أخو الوزى [٤] صاعد بن مخلد، أسلم أخوه، و ظلّ عبدون عليّ نصرانيّته، و كان وجهاً-

فقال له: إن لم تطعني، قبض عليك في غد، وطالبك من المصادره بما لا يفي به حالك، ولا حال جميع أهلک، وقتلك -بلا شك- تشفياً.

قال له صاعد: فما الرأي؟

قال: كم عندك من المال (١)، واصلدقني؟.

قال: خمسون ألف دينار.

قال: أظيب نفسك أن تتعزى عنها، وتحرس دمك، وما يبقى من حالك و ضياعك؟ أم لا تسمح بذلك، فتؤخذ منك تحت المقارع، وتذهب النفس و النعمه كلها؟

فقال له: قد تعزيت عنها، كى تبقى نفسى.

قال: فادفع إلى منها ثلاثين ألف درهم، ففعل.

فحملها عبدون، و أتى [١٣٠ ر] حاجب موسى بن بغا (٢)، فقال له:

خذ هذه العشره آلاف درهم، و أوصلنى إلى فلان الخادم، و كان هذا خادمه

ص: ٢٤

-
- ١- فى نشوار المحاضرہ ٣٤/٨: كم عندك من المال الصامت العتيد، و العتيد: الحاضر، و المال الصامت: النقد من ذهب و فضّه.
 - ٢- موسى بن بغا: أحد القاده الأتراک الكبار، و هو ابن خاله المتوكل، و كان دینا لا يشرب النبيذ، و كان فى عهد المتوكل يخلف والده على أعماله، و لما توفى بغا فى السنه ٢٤٨، عقد له المستعين على جميع -

الَّذِي يَتَعَشَّقُهُ مُوسَى، وَيَطِيعُهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ، وَمُوسَى إِذْ ذَاكَ هُوَ الْخَلِيفَةُ (١)، وَ كَتَبَتْهُ كَالْوَزَارَةِ، وَالْأُمُورَ فِي يَدِهِ، وَالْخَلِيفَةَ فِي حِجْرِهِ.

قال: فأخذ الحاجب ذلك، وأوصله إلى الخادم، فأحضره العشرين ألف درهم، وقال: خذ هذه، وأوصلني إلى الأمير السّاعة، وأعني عليه في حاجه أريد أن أسأله إياها، ومشوره أشير بها عليه، فأوصله الخادم إليه.

فلما مثل بين يديه، سعى إليه بكتّابه، وقال له: قد نهبتك، وأخذوا مالك، وأخربوا ضياعك، وأخى يجعل كتابتك أجلّ من الوزاره، ويغلب لك على الأمور، ويوفّر عليك كذا، ويحمل إليك اللّيله، من قبل أن ينتصف اللّيل، خمسين ألف دينار عينا، هديّه لك، لا يريد عنها مكافأه، ولا يرتجعها من مالك، وتستكتبه، وتخلع عليه.

فقال موسى: أفكر في هذا؟.

فقال: ليس في هذا فكر، وألّح عليه.

فقال الخادم: في الدنيا أحد جاءه مثل هذا المال، فردّه؟ وكاتب بكاتب، فأجابه موسى، وأنعم له.

فقال له عبدون: فتستدعي أخى السّاعة، وتشافهه بذلك، فأنفذ إليه، فأحضره، وقزّر عليه ذلك، وبات عبدون في الدّار لتصحيح المال، فوفّاه.

و بكر صاعد، فخلع عليه لكتابته، وأركب الجيش كلّه في خدمته، وانقلبت سامراء، بظهور الخبر.

ص: ٢٥

فبكر بعض المتصرفين إلى الحسن بن مخلد (١). وكان صديقا لأبي نوح، فقال له: قد خلع علي صاعد.

فقال: لأي شيء؟

فقال: تقلد كتابه موسى بن بغا، فاستعظم ذلك.

و ركب في الحال، إلى أبي نوح، وقال له: عرفت خبر صاعد؟

فقال: نعم، الكلب، قد بلغك ما عاملني به، والله لأفعلنّ به، ولأصنعنّ.

فقال له: أنت نائم؟ ليس هذا أردت، قد ولي الرجل كتابه [١٥٧ ظ] الأمير موسى بن بغا، و خلع عليه، و ركب معه الجيش بأسرهم إلى داره.

فقال أبو نوح: ليس هذا ما ظننته، بات خائفا منا، فأصبحنا خائفين منه، فما الرأى عندك؟

قال: أن أصلح بينكما الساعه.

فركب الحسن بن مخلد إلى صاعد، فهنأه، وأشار عليه أن يصلح أبا نوح، وقال له: أنت بلا زوج، وأنا أجعلك صهره، و تعتضد به، و إن كنت قد نصرت عليه، فهو من تعلم موضعه، و محلّه، و محلّ مصاهرته و مودّته، و لم يدعه، حتّى أجاب إلى الصلح و المصاهره.

فقال له: فتركب معي إليه، فإنه أبو البنت، و الزوج يقصد المرأه، و لو لا ذاك لجاءك.

فحملة من يومه إلى أبي نوح، و اصطلحا، و وقع العقد في الحال بينهما في ذلك المجلس، و زوج أبو نوح ابنته الأخرى بالعباس بن الحسن بن مخلد، فولدت له أبا عيسى المعروف بابن بنت أبي نوح (٢)، صاحب بيت مال الإعطاء (٣)،

ص: ٢٤

١- أبو محمّد الحسن بن مخلد بن الجراح (٢٠٩-٢٦٩): ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب.

٢- أبو عيسى ابن بنت أبي نوح: راجع القصّه ١٢١/١ من نشوار المحاضره.

٣- بيت مال الإعطاء: ديوان الجيش.

ثم تقلد زمام ديوان الجيش (١) لعمّه سليمان بن الحسن (٢)، فكانت كتابه صاعد لموسى، و مصاهرتة لأبى نوح، أول مرتبه عظيمه بلغها، و تقلبت به الأحوال، حتى بلغ الوزاره (٣).

ص: ٢٧

١- زمام ديوان الجيش: راجع حاشيه القصه ٧٣ من هذا الكتاب.

٢- أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلص بن الجراح: ترجمته فى حاشيه القصه ١١٧ من هذا الكتاب. و قد كان أصغر سنا من أخيه العباس (القصه ٣٤/٨ من نشوار المحاضره).

٣- وردت القصه فى كتاب نشوار المحاضره للتونخى برقم ٣٤/٨ و [٢] لم ترد فى م و لا فى غ و لا ه.

قال رجل من شيوخ الكتاب، يقال له عباد بن الحريش:

صحبت علي بن المرزبان (١)، وهو يتقلد شيراز (٢)، من قبل عمرو بن الليث الصفار (٣)، فصادر المتصرفين على أموال أزمهم إياها، فكنت ممن أخذ خطه عن العمل الذي توليته، بشمانين ألف درهم، فأدّيت منها أربعين ألفاً، ودرجت حالي (٤)، حتى لم يبق لي شيء في الدنيا غير داري التي أسكنها، ولا قدر لثمنها فيما بقي علي، فلم أدر ما أصنع.

وفكرت، فوجدت علي بن المرزبان، رجلاً حراً سليم الصّيد [١٣١ ر]، فرويت له رؤيا، أجمعت على أن ألقاه بها، وأجعلها سبباً لشكوى حالي إليه، والتوصل إلى الخلاص، وكنت قد حفظت الرؤيا.

فاتحلت خمسين درهماً، وبكرت إليه قبل طلوع الفجر، فدفقت بابه.

فقال حاجبه، من خلف الباب: من أنت؟

ص: ٢٨

١- علي بن المرزبان: في القصه ١٠٧/٨ من كتاب نشوار المحاضر، إنّ علي بن المرزبان هذا هو عمّ والد أبي الفضل محمد بن عبد الله بن المرزبان، الكاتب الشيرازي.

٢- شيراز: قصبه بلاد فارس، عذبه الماء، صحيحه الهواء، كثيره الخيرات، فتحها المسلمون في خلافه عثمان، اشتهرت بخمرها و سجادها (معجم البلدان ٣/٣٤٨ و المنجد) أقول: مررت بشيراز في السنه ١٩٦٨ وزرت بها قبرى الشاعرين سعدى و حافظ.

٣- عمرو بن الليث الصفار: ثانى أمراء الدوله الصفاريه، شجاع، داهيه، خلف أخاه يعقوب مؤسس الدوله سنه ٢٦٥، و كانت تحت حكمه، خراسان، و أصبهان، و سجستان، و السند، و كرمان، و استمر إلى سنه ٢٨٧ في حروب متصله، تاره مع السامانيين، و تاره مع جيوش الخلافه، حتى وقع في الأسر سنه ٢٨٧ و اعتقل ببغداد و مات في السنه ٢٨٩ (الأعلام ٥/٢٥٧) [١] راجع القصه ٦٦/٣ من كتاب نشوار المحاضر.

٤- درج هنا، بمعنى انقرض و باد.

فقلت: عباد بن الحرّيش.

فقال: فى هذا الوقت؟

قلت: مهمّ (١)، ففتح الباب.

فشكوت إليه حالى، وقلت: هذه خمسون درهما، لا أملك غيرها، خذها، و أدخلنى عليه، قبل أن يتكاثر الناس عليه.

فدخل، فاستأذن لى، و تطف، إلى أن أوصلنى إليه، و هو يستاك (٢).

فقال: ما جاء بك فى هذا الوقت؟

فدعوت له، و قلت: بشاره رأيتها البارحه.

فقال: ما هى؟

فقلت: رأيتك فى النوم، كأنك تجىء إلى شيراز، من حضره الأمير، و تحتك فرس أشهب عال، لم تر عيني قط أحسن منه، و عليك السواد، و قلنسوه الأمير، و فى يدك خاتمه، و حولك مائه ألف إنسان، ما بين فارس و راجل، و قد تلقوك، و أنا فيهم، إلى العقبه الفلانيه، و قد لقيك أمير البلد، فترجل لك و أنت تجوز، و طريقك كله أخضر، مزهر بالنور، و الناس يقولون: إن الأمير، قد استخلفك على جميع أمره.

فقال: خيرا رأيت، و خيرا يكون، فما تريد؟

فشكوت إليه حالى، و ذكرت له أمرى.

فقال: أنظر لك بعشرين ألف، و تؤدى عشرين ألف درهم.

فحلفت له بأيمان البيعه (٣)، أنه لم يبق لى إلا مسكنى، و ثمنه شىء يسير، و بكيت، و قبلت يده، و اضطربت بحضرته، فرحمنى، و كتب إلى الديوان

ص: ٢٩

١- يريد أنه جاء فى أمر مهم.

٢- الاستياك: التديك بالمسواك، و هو العود الذى تنظف به الأسنان.

٣- أيمان البيعه: هى الأيمان التى يحلف بها من يبايع بالخلافه، و هى فى العاده أشدّ ما يكون من الأيمان بالله، و بالطلاق، و عتق المماليك، و الحجّ ماشيا، إلى غير ذلك.

بإسقاط ما على، و انصرفت.

فلم تمض إلا شهور، حتى كتب عمرو بن الليث، إلى علي بن المرزبان، يستدعيه، و يأمره بحمل ما اجتمع له من المال صحبته.

و كان قد جمع من الأموال، ما لم يسمع أنه اجتمع قط لأحد من مال فارس، مبلغه ستون ألف ألف، فحملها معه إلى نيسابور (١)، و خرج عمرو، فتلقاه، و جميع قواده.

فأعظم الأموال، و استخلفه على فارس و أعمالها، حربا، و خراجا (٢)، و خلع عليه سوادا، و حمله على فرس أشهب عال، و دفع إليه خاتمه، و رده إلى فارس [١٥٨ ظ].

فوافى في وقت الربيع، و لم يحل الحول على رؤياى، و خرج أمير البلد، يستقبله على ثلاثين فرسخا، و خرجت فلقيته على العقبة التي ذكرتها في المنام الموضوع، و الدنيا على الحقيقة خضراء بأنوار الربيع، و حوله أكثر من مائة ألف فارس و راجل، و عليه قلنسوه عمرو بن الليث، و في يده خاتمه، و عليه السواد (٣)، فدعوت له.

فلما رأني تبسّم، و أخذ بيدي، و أحفى بي السؤال، ثم فرّق الجيش بيننا، فلحقته إلى داره، فلم أستطع القرب منه لكثرة الدواب، فانصرفت، و باكرته في السحر.

فقال لي الحاجب: من أنت؟.

ص: ٣٠

١- نيسابور: عاصمه خراسان، من أعظم المدن الإسلاميه في القرون الوسطى، مسقط رأس عمر الخيام و فريد الدين العطار (المنجد)، و كانت مرو مستقرّ و لاه خراسان، إلى أن تحوّل عنها عبد الله بن طاهر إلى نيسابور، فجعلها دار قراره (لطائف المعارف ٢٠١).

٢- تولّى الحرب و الخراج، يعنى أنه أصبح الأمير المطلق على البلد، إليه الإدارة و الجبايه.

٣- السواد: شعار العباسيين، اتّخذوه شعارا لهم ضدّ الأمويين الذين كان شعارهم البياض، و قوله هنا: عليه السواد، يعنى أنه وافى و عليه الخلع.

فقلت: عباد بن الحريش، فأدخلني عليه، و هو يستاك.

فضحك إليّ، و قال: قد صحّت رؤياك.

فقلت: الحمد لله.

فقال: لا تبرح من الدار حتّى أنظر في أمرك.

و كان بارًا بأهله، و رسمه إذا ولي عملاً- أن لا- ينظر في شيء من أمر نفسه، حتّى ينظر في أمر أهله، فيصرف من صلح منهم للتصرف، فإذا فرغ، عدل إلى الأخصّ، فالأخصّ من حاشيته، فإذا فرغ من ذلك، نظر في أمر نفسه.

فجلست في الدار إلى العصر، و هو ينظر في أمر أهله، و التوقيعات تخرج بالصلوات و الأرزاق، و كتب التقليدات، إلى أن صاح الحاجب: عباد بن الحريش، فقمتم إليه، فأدخلني عليه.

فقال: إني ما نظرت في أمر أحد غير أهلي، فلما فرغت منهم، بدأت [١٣٢ ر] بك قبل الناس كلهم، فاحتكم ما تريد؟.

فقلت: ترد عليّ ما أخذت منّي، و تولّيني العمل الذي كان بيدي.

فوقّع لي بذلك، و قال: امض، فقد أوغرت لك العمل، فخذ ارتفاعه كلّ (١).

فكان يستدعيني كلّ مده، و لا- يأخذ منّي شيئاً، و إنّما يكتب لي روزات (٢) من مال العمل، و يصلح لي حسابات يخلدها الديوان، فأرجع إلى العمل.

فكنت على ذلك إلى أن زالت أيامه، فرجعت إلى شيراز و قد اجتمع لي مال عظيم، صودرت على بعضه، و جلست في بيتي، و عقدت نعمه ضخمه، و لم أتصرف (٣) إلى الآن (٤).

ص: ٣١

١- أوغر له العمل، يعني أنّه أباح له أن يستولى على أصل الارتفاع.

٢- الروزات: الوصولات.

٣- التصريف: التولية، و هو ما نسميه الآن التعيين في الوظيفة، و الصرف: العزل.

٤- وردت القصّه في نشوار المحاضرته برقم ١٠٧/٨ و [١] لم ترد في م و لا في غ و لا ه.

شَرَّ السلطان يدفع بالساعات

حدّثني ابن أبي علان (١)، و قد جرى حديث السلطان، و أنّ شرّه يدفع بالساعات، قال:

ورد علينا أبو يوسف البريدي (٢)، كاتب السیده (٣)، يطالبنی، أنا و أبو يحيى الرامهرمزی (٤)، أن نضمن منه ضياع السیده، و شدّد علينا، و نحن ممتنعون.

ص: ٣٢

١- أبو القاسم عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن أبي علان الأهوازي (٣٢١-٤٠٩): ترجم له صاحب المنتظم ٢٩٠/٧ و [١] قال عنه إنه كان يؤدّي خراج ضياعه بالأهواز تسعين ألف دينار، راجع أخباره في القصص ١١٩/١ و ١٢٠/١ من نشوار المحاضر.

٢- آل البريدي: إخوه ثلاثة، أرهجوا الدنيا، و أخرجوا العراق و البلاد المجاورة له، و كانوا اشدّ على العراق من اللد أعدائه، عاشوا فيه عيشا شنيعا، و أخرجوا الأهواز، و واسط، و البصره، و بغداد، بظلمهم، و فساد جبايتهم، و تعذيبهم الناس في سبيل الحصول على المال، حتى إنهم كانوا يعلونهم بنعال الدواب، و قد كانوا أول أمرهم من صغار الكتاب، و كان كبيرهم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدي يضمن الضياع الخاصه، و يقيم أخاه أبو يوسف يعقوب بن محمد فيها، كما كان أبو يوسف يتولّى خراج رامهرمز، و لما ولي ابن مقله الوزاره، رشاه البريدي الكبير بعشرين ألف دينار، فولّاه الأهواز، و ولي أخويه أبو يوسف و أبو الحسين علي بن محمد مناصب جليله، و بقى البريديون بين نصب و عزل و مصادرات تتخلّلها حروب و مؤامرات، حتى وزر أولهم أبو عبد الله للمتقى سنة ٣٢٩ و شغب عليه الجند، ففرّ إلى واسط، و في السنه ٣٣٠ و زرّ ثانيه، و أصعد إلى بغداد، و استولى عليها، و صادر الخليفه على خمسمائه ألف دينار، و نهب أصحابه بغداد، و كبسوا الدور، و أخرجوا أهلها منها، و فرضوا على الناس فرائض فاحشه، و أخذوا القويّ بالضعيف، و كبسوا منازل الناس ليلا و نهارا، و عسفوا أهل العراق، و ظلموهم ظلما لم يسمع بمثله قط، و كانت إداره الأمور الماليه، إلى أبي يوسف يعقوب، فنقم عليه أبو عبد الله، و آتهمه باحتجان المال لنفسه، فقتله في السنه ٣٣٢، و مات بعده بأشهر (القصه ١٢٢/٧ من نشوار المحاضر، [٣] تجارب الأمم ١٥٢، ٥٨/١، ٢٤٧-١٥٨، ٣٥٨، ٢٥٠، ١٤/٢، و ٥١، ٥٣، ٥٨، ٧٨).

٣- السیده: لقب أم المقتدر، و اسمها شغب، ترجمتها في حاشيه القصه ١٦١ من الكتاب.

٤- أبو يحيى الرامهرمزی، زكريا بن محمد بن زكريا: نقل عنه القاضي التنوخي القصه ٨٢/٢ من كتاب نشوار المحاضر.

إلى أن أخلى لنا مجلسه يوم خميس، وناظرنا مناظره طويله، وشدّد علينا، حتّى كدنا أن نجيبه، و كان علينا فى ذلك ضرر كبير، و خسران ظاهر، لو أجبناه.

فقلت لأبى يحيى: اجتهد أن تدفع المجلس اليوم، لنفكر إذا انصرفنا، كيف نعمل.

و كان أبو يوسف محدّثاً طيب الحديث، فجرّه أبو يحيى إلى المحادثه، و سكت له يستمع.

و كانت عاده أبى يوسف فى كلامه، أن يقول فى كلّ قطعه من حديثه:

أ فهمت؟ فكان كلما قال ذلك لأبى يحيى، قال له: لا، فأعاد أبو يوسف الحديث، و يخرج منه إلى حديث آخر.

فلم يزل كذلك إلى أن حميت الشمس، و قربت من موضعنا، فرجع أبو يوسف إلى ذكر الضمان، و طالبنا بالعقد.

فقلت: إنّه قد حمى الوقت، و هذا لا يتقرّر فى ساعه، و لكن نعود غدا، و رفقنا به، فقال: انصرفا، فانصرفنا.

و استدعانا من غد، فكتبنا إليه: هذا يوم جمعه، يوم ضيق، و يحتاج فيه إلى دخول الحمام، و الصلاه، و قلّ أمر يتمّ قبل الصلاه، و لكننا نبكر يوم السبت.

فلما كان يوم السبت، صرنا إليه، و قد وضعنا فى أنفسنا الإجابه، فحين دخلنا عليه، ورد عليه كتاب فقرأه، و شغل قلبه، فقال: انصرفا اليوم.

فانصرفنا، و رحل من الغد عن الأهواز، لأنّ الكتاب، كان يتضمّن صرفه، فبادر قبل ورود الصارف، و كفيينا أمره (1).

ص: ٣٣

١- وردت القصّه فى نشوار المحاضره ١١٧/٨ و [١] لم ترد فى م و لا فى غ و لا ه.

كيفية إغراء العمال بأخذ المرافق

و قال (١): ورد علينا في وقت من الأوقات، بعض العمال [١٥٩ ظ] متقلّدا للأهواز، من قبل السلطان، فتتبع رسومنا (٢)، و رام نقض شىء منها.

فكنت أنا و جماعه من التّناء في المطالبه، و كان فيها ذهاب غلاتنا في تلك السنه، لو تمّ علينا، و ذهاب أكثر قيمه ضياعنا. فقال لى الجماعه: ليس لنا غيرك، تخلو به، و تبذل له مرفقا، و تكفيناه.

فجئته، و خلوت به، و بذلت له مرفقا جليلا، فلم يقبله، و دخلت عليه بالكلام من غير وجه، فما لان، و لا أجاب.

فلما يئست منه، و كدت أن أقوم، قلت له: يا هذا الرّجل، أنت مقيم من هذا الأمر، على خطأ شديد، لأنك تظلمنا، و تزيل رسومنا، من حيث لا يحمدك السلطان، و لا تنتفع أنت أيضا بذاك.

و مع هذا فأخبرنى، هل تأمن أن تكون قد صرفت، و كتاب صرفك في الطّريق، يرد عليك بعد يومين أو ثلاثه، فتكون قد أهلكتنا، و أثمت في أمورنا، و فاتك هذا المرفق الجليل، و لعلنا نحن نكفى، و يجىء غيرك، فلا يطالبنا، أو يطالبنا فنبذل له نحن هذا المرفق، فيقبله، و يكون الضرر يدخل عليك.

فحين سمع هذا وافق، كأنه قد علم من أمره ضعفا ببغداد، و تلوّنا،

ص: ٣٤

١- الراوى: أبو القاسم عبد الله بن محمّد بن مهرويه الأهوازي، المعروف بابن أبي علان، قال عنه القاضي التّوخى صاحب كتاب الفرج بعد الشّدّه: [١] إنّه خال والده، راجع القصّه ١١٩/١ من نشوار المحاضر.

٢- الرسوم، و مفردا رسم: كلّ تصرّف استمرّ، و أصبح في حكم المقرّر، كالتصرّف الحاصل في كيفية احتساب الضرائب، و في كيفية استيفائها.

وَأَنِّي قَدْ أَحْسَسْتُ بِانْحِلَالِ أَمْرِهِ، وَأَنَّ لِي بِبَغْدَادٍ مَنْ يَكَاتِبُنِي بِالْأَخْبَارِ.

فَأَخَذَ يَخَاطِبُنِي مَخَاطَبَهُ مِنْ [أَيْنَ] وَقَعَ إِلَيَّ هَذَا، فَقَوَّيْتَهُ فِي نَفْسِهِ، فَأَجَابَ إِلَيَّ أَخَذَ الْمَرْفِقَ، وَإِزَالَهُ الْمَطَالِبَةَ.

فَسَلَّمْتُ إِلَيْهِ رِقَاعًا إِلَى الصِّيَارِفِ بِالْمَالِ، وَأَخَذْتُ مِنْهُ حِجَّةً بِزَوَالِ الْمَطَالِبَةِ، فَانصرفت و قد بلغت ما أردت.

فلما كان بعد خمسة أيام، ورد عليه كتاب الصرف، فدخلت إليه، فأخذ يشكرني و يخبرني بما ورد عليه، فأوهمته أنني كنت قلت له ذلك عن أصل، وكفيناه (١).

ص: ٣٥

١- وردت القصة في نشوار المحاضرة ١١٨/٨ و [١] لم ترد في م و لا في غ و لا ه.

الصوفي المتوكل و جام فالوذج حار

حدّثني ابن سيار (١)، عن شيخ من الصوفيه، قال:

صحبت شيخا من الصوفيه، و جماعه منهم، في سفر، فجرى ذكر التوكل، و الأرزاق، و ضعف النفس.

فقال ذلك الشيخ: عليّ، و عليّ، و حلف بأيمان مغلّظه، لا ذقت شيئا، أو يبعث الله عزّ و جلّ، إليّ، جام فالوذج (٢) حار، و لا آكله إلاّ بعد أن يحلف عليّ، أو يجرى عليّ مكروه، و كئنا نمشي في الصحراء.

فقال الجماعه: أنت جاهل، و نحن نمشي، حتّى انتهينا إلى القرية، و قد مضى عليه يومان و ليلتان، و لم يطعم شيئا، ففارقته الجماعه، غيرى.

فطرح نفسه في مسجد في القرية، و قد ضعفت قوّته، و أشرف على الموت، فأقمت عنده.

فلما كان في ليله اليوم الثالث، و قد انتصف الليل، و كاد يتلف، دقّ علينا باب المسجد، ففتحته، فإذا بجاريه سوداء و معها طبق مغطّى، فلما رأتنا، قالت: أنتم من أهل القرية، أم غرباء؟.

ص: ٣٤

١- في القصّه ٥٤/٣ من نشوار المحاضره: [١] حدّثني محمد بن هلال بن عبد الله، قال: حدّثنا القاضي أحمد بن سيار، قال: حدّثني رجل من الصوفيه، قال... الخ.

٢- الفالوذج: حلوى تعمل من الدقيق و العسل و الماء، فارسيّه: بالوده (الألفاظ الفارسيّه المعرّبه ١٢٠) أقول: هذه الحلوى ما زالت تؤكل في بغداد و تسمّى (پالوته) بالباء المثلثه و كانت تؤكل حارّه، أمّا اليوم فتؤكل في بغداد حارّه و بارده، و ذكر أنّه قدّم فالوذج حار إلى مائده عليها أبو هفّان، و أبو العيّن، فقال أبو هفّان لأبي العيّن: هذه أحرّ من مكانك في جهنم، فقال أبو العيّن: إن كانت حارّه، فبرّدها بشعرك (مطالع البدور ٨٠/٢) و أتى أعرابي بفالوذج، فأكل منه، فقيل له: تعرف ما هذا؟ فقال: هذا- و أيبك- السراط المستقيم (مطالع البدور ٨٠/٢).

فقلنا:غرباء.

فكشفت عن جام (1)فالزوج حار.

فقلت:كلوا.

فقلت له:كل.

فقال:لا أفعل.

فقلت:و الله،لا أكلت أو تأكل،و و الله لتأكلن،لأبّر قسمه.

فقال:لا أفعل.

فشالت الجارية يدها،فصفعته صفعه عظيمه،و قالت:و الله،لئن لم تأكل،لأصفعنك هكذا،إلى[١٣٣ ر]أن تأكل.

فقال:كل معي،فأكلت معه،فنظفنا الجام.

فلما أخذته لتمضى،قلت لها:بالله،حدّثينا بخبر هذا الجام.

قالت:نعم،أنا جاريه رئيس هذه القرية،و هو رجل حديد،طلب منّا منذ ساعه،فالزوج حار،فقمنا لنصلحه،و هو شتاء و برد،فإلى أن نخرج الحوائج،و نعقد الفالودج،تأخّر عليه،فطلبه،فقلنا:نعم،فحلف بالطلاق،أنه لا يأكله،و لا أحد من أهل داره،و لا أحد من أهل القرية،إلا غريب.

فأخذته،و جعلت أدور فى المساجد،إلى أن وجدتكما،و لو لم يأكل هذا الشيخ،لقتلته صفعاً،و لا تطلق ستى.

فقال لى الشيخ:كيف ترى،إذا أراد أن يفرج (٢)؟.

ص:٣٧

١-الجام:فارسيه:الكأس،أو الصحن العميق من الزجاج.

٢-وردت القصّه فى كتاب نشوار المحاضره للتّوخي برقم ٥٤/٣ و [١]لم ترد فى م و لا فى غ و لا ه.

و حدّثني عبد الله بن معروف (١)، قال: [١٦٠ ظ]

دخلت حلب إلى أبي محمّد الصلحي (٢)، وأبي الحسن المغربي (٣)، أسلم عليهما، وكانا في صحبه سيف الدولة (٤)، [و هما في دار واحده نازلان لضيق الدّور] (٥).

و كان وكيل كلّ واحد منهما يبكر فيقيم لهما جميع ما يحتاجان إليه من المائدة (٦) و الوظائف (٧)، فإذا كان من الغد، بكر وكيل الآخر، فأقام لهما، و لغلمانهما، من المائدة و الوظائف ما يحتاجون إليه على هذا.

فلما دخلت إليهما، و جلست، دخل شيخ ضير، فسلم، و جلس، ثم قال: إنّ لى بالأمير سيف الدولة، حرمة و اختصاص، أيام مقامه بالموصل، و قد لحقتني محن و شدائد، أملته لكشفها، و قد قصدته، و هذه رقعتي إليه،

ص: ٣٨

١- أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن معروف: أخو القاضى أبو محمد عبيد الله بن أحمد بن معروف، كان أبو القاسم من ندماء سيف الدولة، و كان أثيرا لديه، نقل عنه القاضى التّوخى قصصا أودعها فى نشوار المحاضره ١٢٠/٣ و ١٢١/٣ و [١] فى هذا الكتاب.

٢- أبو محمد الحسن بن محمد الصلحيّ الكاتب: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٠٧ من هذا الكتاب.

٣- فى الأصل: أبى القاسم، و الصحيح ما أثبتناه، و هو أبو الحسن على بن الحسن المغربيّ الكاتب، كان من أصحاب الأمير سيف الدولة الحمدانيّ، و خواصّه، و استوزره سعد الدولة ولده، ثم رحل إلى مصر، و خدم الفاطميين، قتله الحاكم سنه ٤٠٠ (الأعلام ٨٨/٥).

٤- الأمير سيف الدولة أبو الحسن على بن عبد الله الحمداني: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٠٢ من هذا الكتاب.

٥- الزيادة من نشوار المحاضره [٣] رقم القصّه ١٢١/٣ ج ٣ ص ١٧٨.

٦- فى نشوار المحاضره ١٢١/٣: [٤] من الماده.

٧- الوظائف، مفردا وظيفه: ما يخصّص لكلّ شخص من الخبز و اللحم و الفاكهه فى كلّ يوم.

فإن رأيتما أن تتفضّلا بإيصالها إليه، فعلتما، وأخرج رقعه طويله جدّا.

فلما رأياها، قالوا له: هذه عظيمة، ولا ينشط الأمير لقراءتها، فغيّرها، واختصرها، ووعده في وقت آخر، فإننا نعرضها عليه.

فقال: الذي أحبّ، أن تتفضّلا بعرض هذه الرقعة.

فدافعا عن ذلك، فقام يجرّ رجله، منكسر القلب، فتداخلتني رحمه له، وركبت، ودخلت على سيف الدولة، وهو جالس.

وكان رسمه أن لا يصل إليه أحد، إلا برقعه يكتبها الحاجب، باسم من حضر، فإذا قرأ الرقعة، إن شاء أذن له، وإن شاء صرفه.

فلما استقررت عرض الحاجب عليه رقعه فيها: فلان بن فلان، الموصلى الضير.

فقال له: هذا في الدنيا؟ أين هو؟

فقال: بالباب.

فقال: يدخل، فما أظنه - مع ما أعرفه من زهده في الطلب، وقصد الملوك - قصدنا إلا من شدّه، فدخل الشيخ العذى رأته عند الصلحي والمغربي.

فلما رآه استدناه، وبشّ له، وقال له: يا هذا، أما سمعت بأننا في الدنيا؟ أما علمت مكاننا على وجه الأرض؟ أما حان لك أن تزورنا إلى الآن، مع ما لك بنا من الحرمه والسبب الوكيد؟ لقد أسأت إلى نفسك، وأسأت الظنّ بنا.

فجعل يدعو له، ويشكره، ويعتذر، فقربّه، وجلس ساعه، ثمّ سلّم إليه تلك الرقعة بعينها، فأخذها من يده، وقرأها.

ثمّ استدعى يونس بن بابا، وكان خازنه، فحضر، فأسرّ إليه شيئا.

ثمّ استدعى رئيس الفراشين، فخاطبه سرّا.

و استدعى خادما له، فخاطبه بشيء.

و استدعى صاحب الإصطبل، فأمره بشيء، فانصرفت الجماعه.

و عاد ابن بابا، فوضع بين يديه صرتين فيهما خمسمائة دينار، و ثيابا كثيره صحاحا، من ثياب الشتاء و الصيف، و طيبا كثيرا.

ثم جاء عريف الفزاشين ببسط و آله و فرش تساوى ألوف دراهم، فصار ذلك كالتل بين يديه.

و كان يعجبه إذا أمر لإنسان بشيء أن يكون بحضرتة مجتمعاً، فيراه بين يديه، ثم يهبه له.

فاجتمع ذلك، و الضرير لا يعلم، و عنده أنه قد تغافل عنه، فهو فى الرّيب.

ثم حضر [١٣٤ ر] صاحب الكراع، و معه بغله تساوى ثلاثة آلاف درهم، و مركب ثقيل.

و جاء غلام أسود عليه ثياب جدد، فسلمت إليه البغله، فأمسكها فى الميدان أسفل الدكه التى عليها الأمير.

فقال للغلام: كم جرايتك فى السنه؟

قال: عشرون ديناراً.

فقال: قد جعلتها ثلاثين، و خدمه هذا الشيخ خدمه لنا، فلا تقصّر فيها، و لا ينكسر قلبك بخروجك عنّا من دارنا، و أعطوه سلفاً لسنه، فدفع إليه ذلك فى الحال.

ثم قال: فرغوا الدار الفلانيه، له، و يحدر زورق من تل فافان (١) إلى الموصل، فيه كزان حنطه، و كز شعير، و فواكه الشام و ماكلها، فاعملوا بهذا ثبتاً (٢)، ففعل ذلك.

ص: ٤٠

١- فافان: موضع على دجله، تحت ميفارقين، يصب عنده فى دجله وادى الرزم (معجم البلدان ٨٤٥/٣ و مراصد الاطلاع ١٠١٥/٣).

٢- الثبت: القائمه التى تسجل فيها الأشياء.

ثم استدعى أبا إسحاق بن شهرام (١)، كاتبه، المعروف بابن ظلوم المغنّيه، وكان يكتب له، و يترسل إلى ملك الروم، و يبعثه في صغير أموره و كبيرها [٢] فسارّه بشيء، و كان صاحب سرّه.

فابتدأ ابن شهرام يعتذر إلى الضير، عن سيف الدوله، باعتذار طويل، و أنكك قصدتنا في آخر [١٦١ ظ] وقت، و قد نفذت غلاتنا [و تقسّمت أموالنا الحقوق، و الزوار، و الجيوش، و ببابنا خلق من الرؤساء، و نحتاج أن نواسيهم] ١١، و لو لا ذلك لأوفينا على أملك، و قد أمرنا لك بكذا و كذا، و جعل ابن شهرام يقرأ عليه ما في الثبت، و سيف الدوله يسمع.

فقلت له: لا تورّد على الشيخ هذه الجائزه جملة، عقيب اليأس الذي لحقه، فتنشق مرارته.

فلما استوفى، بكى الشيخ بكاء شديدا، و قال: أيها الأمير، لقد زدت -و الله- على أملى طبقات، و أوفيت على غناى بدرجات، و قضيت حقّى، و ما هو أعظم من حقّى، و ما أحسن أن أشكرك، و لكنّ الله تعالى، يتولّى مكافأتك، فمنّ علىّ بتقبيل يدك، فأذن له، فقبلها.

فجذبه سيف الدوله، و سارّه بشيء، فضحك، و قال: إى و الله، أيها الامير.

فاستدعى خادما للحرم، و سارّه بشيء، و قام الشيخ إلى داره التي أخلاها له، و قال له: أقم فيها إلى أن أنظر في أمرك، و تخرج إلى عيالك.

فسألت الخادم عمّا سارّه به، فقال: أمرنى أن أخرج إليه جاريه، من و صائف أخته، فى نهايه الحسن، فى ثياب و آله قيمتها عشره آلاف درهم، قال: فحملتها إليه.

ص: ٤١

١- أبو إسحاق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام: كاتب سيف الدوله، و سفيره إلى ملك الروم، نقل عنه صاحب تاريخ الحكماء فى الصحيفه ٣١ إنّه فى إحدى سفاراته إلى ملك الروم، أطلع فى موضع عندهم على كثير من الكتب و الآلات.

٢- الزيادة من القصة ١٢١/٣ من كتاب نشوار المحاضره للقاضى التنوخى.

قال ابن معروف: ففقت قائما، وقلت: أيها الأمير، ما سمع بهذا الفعل عن أحد من أهل الأرض قديما، ولا حديثا.

فقال: دعنى من هذا، ما معنى قولك لابن شهرام، لا تورّد عليه هذا كلّه مع اليأس، فتنشّق مرارته؟.

فقلت: نعم، كنت منذ ساعه عند أبى محمّد الصلحى و أبى الحسن المغربى، فجرى كذا و كذا، و قصصت عليه قصّه الضرير معهما، و أنّه انصرف أخزى منصرف، ثمّ جاء بعد اليأس، فعاملته بهذا الفعل العظيم.

فقال: أحضروا الصلحى و المغربى، فأحضرا.

فقال لهما: و يحكما، ألم أحسن إليكما؟ و أنّوه باسمكما؟، و أرفع منكما؟، و أصطنعكما؟ و عدّد أياديه عليهما.

فقالا: بلى، و أخذنا يشكرانه.

فقال: ما أريد هذا، أ فمن حقّى عليكما، أن تقطعا عني رجاء مؤملّى و قاصدىّ، و تنسباني عندهم إلى الضجر برقاعهم؟ ما كان عليكما لو أخذتما رقعه الضرير، فأوصلتماها اليّ؟ فإن جرى على يدى شىء، كنتما شريكاي فيه، و إن ضجرت، كان الضجر منسوبا إليّ دونكما، و كنتما بريئين منه، و قد قضيتما حقّ قصده، فلا حقّه قضيتما، و لا حقّ الله فيما أخذه على ذوى الجاه، و أسرف فى توبيخهما، كأنهما قد أذنا ذنبا.

فجعلنا يعتذران إليه، و يقولان: ما أردنا إلاّ التخفيف عنه من قراءة شىء طويل، لينقلها إلى أخفّ منها، و لو علمنا أنّه أيسر، لأخذنا رقعته و عرضناها.

فدعت الجماعة له، و حلفت أنّ هذا التأنيب فى الجود، أحسن من الجود، و رفقوا به حتّى انبسط فى الحديث (1).

ص: ٤٢

١- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ و لا ه.

المعني المأمون و ذكاؤه

قال: دعا المأمون يوما بأبي عباد (١)، فدفع إليه كتابا مختوما، وأمره أن يأتي عمرو بن مسعدة (٢)، فيناظره على ما فيه بابا، بابا، و يأخذ تحت كل باب خطه فيه، ويختمه بخاتمه، وخاتم عمرو، ويحتفظ به إلى أن يسأله عنه، ولا يذكره ابتداء، وأكد على ذلك.

قال: فعلمت أنها وقيعه (٣)، وقد كنت شاركت عمرا في أشياء، فصارت إلينا منها أموال، فخفت أن تكون مذكوره في الكتاب.

فقصدت عمرا، فوجدته في بستان أحمد بن يوسف (٤)، يلعب بالشطرنج (٥) مع بعض أصحابه، فعرفته أنني محتاج إلى الخلوه معه.

فقال: دعني الساعة، فقد استوى لي هذا الدست.

ص: ٤٣

١- أبو عباد ثابت بن يحيى بن يسار: وزير المأمون، كان كاتباً، حاسباً، و كان أهوج، شديد الحدة، سريع الغضب، أنظر أخباره في الفخرى ٢٢٦ و [١] في الهفوات النادرة ٢٤٦-٢٥٠ و في الملح و النوادر ٢٩٧ و كان إذا غضب رمى من يكون بين يديه بدواته، أو شتمه فأفحش، قال فيه دعبل: أولى الأمور بضيعه و فساد أمر يدبره، أبو عباد يسطو على كتابه بدواته فمضمخ بدم و نضح مداد و كأنه من دير هزقل مفلت حرد يجز سلاسل الأقياد

٢- أبو الفضل عمرو بن مسعدة الصولي: وزير المأمون، ترجمته في حاشية القصة ١١٣ من هذا الكتاب.

٣- الوقيعه: الغيبه و الوشايه.

٤- أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح العجلي الكاتب: كوفي، من كبار الكتاب، ولى ديوان الرسائل للمأمون، ثم استوزره بعد وفاه أحمد بن أبي خالد الأحول، و كان فصيحاً، شاعراً، حسن البديهة، توفي ببغداد سنة ٢١٣ (الأعلام ٢٥٧/١).

٥- الشطرنج: راجع البحث في آخر القصة.

فضاق صدرى، و قلبت الشطرنج، و قلت: قد سال السيل، و هلكننا و أنت غافل، [إقرأ] هذا الكتاب، فقرأه، فطالبته أن يكتب خطه، تحت كل فصل منه، بحجته.

فضحك، و قال: ويحك، أما تستحي، تخدم رجلا طول هذه المدّة، و لا تعرف أخلاقه، و لا مذهبه؟.

فقلت: يا هذا، أخبرنى عنك، إن أقدمت على جحد ما فى هذا الكتاب، لتعدّر حجّه ما شاركتك فيه، أمّا أنا فوالله ما [١٦٢ ظ] أجحد، و لكن أصبر لأمر الله تعالى.

قال: فتحبّ أن اطلعك على ما هو أشدّ عليك من هذا؟.

قلت: و ما هو؟.

فقال: كتاب دفعه إلى أمير المؤمنين منذ سنه، و أمرنى فيه بمثل ما أمرك فى هذا، فعرفت ضيق صدرك، فلم أذكره لك.

فكدت أموت إلى أن فرغ من كلامه، فقلت له: أرنى آياه، فأحضره، و قرأته، و أنا أنتفض، و عمرو يضحك.

فلما فرغت منه، قلت: عند الله أحسب نفسى و نعمتى.

فقال: أنت و الله مجنون.

فقلت: دعنا من هذا، و وقّع تحت كلّ فصل.

فنظر إلى جملة ما نسب إليه فى الكتاب، فوجده أربعين ألف ألف درهم، فوقّع فى آخره: لو قصرتم همّتنا فى هذا القدر و أضعافه، لو سعتنا منازلنا، و ما يفى هذا، بدلجه فى برد، أو روحه فى حرّ، و أرجو أن يطيل الله بقاء أمير المؤمنين، و يبلغنا فيه ما نؤمّله به، و على يده.

و كان جملة ما رفع علىّ، سبعة و عشرون ألف ألف درهم.

فقال: يا هذا، إنّ صاحبنا ليس ببخيل، و لكنّه رجل يكره أن يطوى

معروفه، وإنما أراد أن يعلمنا أنه قد علم بما صار إلينا، فأمسك عنه على علم.

ثم ختم الكتاب بخاتمه، وخاتمي، وانصرفت وأنا في الموت، فلم ألبث أن كتبت وصيتي، وأحكمت أمري، وكنت سنه مغموماً، وذاب جسمي.

فقال لي المأمون يوماً: يا أبا عباد، قد أنكرت حالك، أ تشكو عله؟

فقلت: لا، يا أمير المؤمنين، ولكنني منذ سنه، حتى كملت، لأجل الكتاب الذي دفعه إلي أمير المؤمنين، لأناظر عليه عمرو بن مسعده.

فقال: أمسك عني، حتى أعيد عليك جميع ما جرى بينكما، فحدثني بجميع ما دار بيننا، كأنه كان ثالثنا.

فقلت: لقد استقصى لك الذي وكلته بخبرنا، والله، ما خرم منه حرفاً (١).

فقال: والله، ما وكلت بكما أحداً، ولكن ظنيتك، وعلمت أنه لا يدور بينكما غيره، ولقد عجبت من غير عجب، لأن عقول الرجال يدرك بعضها بعضاً، وهذا عمرو بن مسعده، أعرف بنا منك، وأوسع صدراً، وأبعد همماً، وما أردت بما فعلت، إلا أن تعلم أنني قد عرفت ما صار إليكما، وتستكثرانه، فأحبت أن أزيل عنكما غم المساتره، و ثقل المراقبه، وأنني لمتدمم لكما، خجل من ضعف أثرى عليكما.

فسررت، وصرت كأنني أطلقت من عقال، فشكرته و دعوت له.

ثم قلت: ما أصنع بذلك الكتاب؟

قال: خرّقه إلى لعنه الله، وامض مصاحباً، آمناً، في ستر الله عزّ وجلّ (٢).

ص: ٤٥

١- ما خرم منه حرفاً: ما نقص منه حرفاً.

٢- لم ترد هذه القصه في م ولا في غ ولا ه.

الشطرنج: لعبه مشهوره، تشحذ اللب، و تدرّب على الفكر، و تعلّم شدّه البصيره، و هي معرّب: شطرنك، بالفارسيه، أى ستّه ألوان، لأنّ القطع فى اللّعب هي ستّ، و هي: الشاه، و الفرزان (و يسمى فى بغداد الوزير أو الفرز)، و الفيل، و الفرس، و الرخّ، و البيدق.

و قد اختلف المؤرّخون فيمن وضع الشطرنج، فالليونان ينسبونه إلى يونانى، و الهنود ينسبونه إلى هندى، و الفرس إلى فارسى، و يروى أنّ ملوك الهند كانوا إذا تنازعا على كوره أو مملكه، لعبوا الشطرنج، فأخذها الغالب من دون قتال.

و كانت لعبه الشطرنج فى العصور الوسطى، لعبه الأشراف، فى الشرق و الغرب، و قد جاء فى التاريخ، أنّ هارون الرشيد أهدى إلى شارلمان رقعه شطرنج، و كان المأمون يحبّ لعب الشطرنج حبّا شديدا، و يقول إنّه يشحذ الذهن (تاريخ الخلفاء ٣٢٤).

و من الذين اشتهروا بإتقان لعب الشطرنج أبو بكر الصولى، و قد أعجب به من الخلفاء المكتفى، و الراضى، و أصبح مضرب المثل فى الشطرنج، و كان لفرط إتقانه، يلاعب بالشطرنج، و هو مستدير الرقعه، راجع ما قاله فيه ابن الرومى فى الغيث المسجم ٥٠/٢ و ٥١. و كذلك كان سعيد بن جبير، أحد أعلام التابعين، يلعب الشطرنج إستدبارا (وفيات الأعيان ٣٧٤/٢).

و للعبه الشطرنج اليوم ببغداد سوق رائجه، و لها هواه كثيرون، و أحذق من شاهدت من البغداديين فيها، القاضى محمود خالص، الذى كان رئيسا لمحكمه التمييز فى العراق، و هو شخص نادر المثل فى الفضل و الخلق الكريم، جامع لجميع الصفات الحسنه، و قد تعدّت شهرته فى لعب الشطرنج حدود العراق، فكان زوّار العراق، من عليه القوم، يجتمعون به، و يلعبون معه الشطرنج.

و من لطيف الإشارات إلى لعب الشطرنج قول الخباز البلدى، فى فتيه أسكرتهم الخمر [الديارات ١٨٥، ١٨٤]:

مشوا إلى الراح مشى الرخ و انصرفوا و الراح تمشى بهم مشى الفرازين

و سئل أبو الطيب الصعلوكى (ت ٤٠٤) عن الشطرنج، فقال: إذا سلم المال من

الخسران، و الصلاة من النسيان، فذاك أنس بين الإخوان (شذرات الذهب ١٧٣/٣) و خالفه في ذلك ابن تيمية (ت ٧٢٨) فقال: اللعب بالنرد خير من اللعب بالشطرنج، لأنّ لاعب النرد يعترف بالقضاء و القدر، و الشطرنج لاعبه ينفي ذلك (الغيث المسجم ٥٢/٢).

و حكى أنّ بعضهم كان إذا لعب الشطرنج، تضارب مع خصمه، فوصف أمره لبعض الظرفاء، فقال: أنا التزم ألعب معه، و ما تحصل بيننا مضاربه، و لعبا، فقال له أثناء اللعب: شاه أستر، فقال له: أنت قوَاد، فتعجّب منه، و قال: يا أخي، ما الذى قلت لك حتى تغضب؟ فقال: قلت: أستر، و تصحيفها: أشرت، و هى بالفارسيه، تعنى الجمل، و تصحيف الجمل، حمل، و الحمل نجم فى السماء، يقارنه الجدى، و الجدى الكبش، و الكبش له قرون، و ذو القرون هو القوَاد، فقال له: يا أخي، ما رأيت أحدا قبلك يخاصم و يضارب بتصحيف و تفسير (تحفه المجالس ٣٤٥).

و جاء فى مطالع البدور ٧٧/١: سأل بعض الأكابر إنسانا: هل تعرف اللعب بالشطرنج؟ فقال: لا و الله يا مولانا، و لكن لى أخ اسمه عزّ الدوله، و هو أخى لأمى، أكبر منى بسنتين، أو أكثر بشىء يسير، و كان قد حصل بينى و بينه خصومه غاظته، فسافر من مدّه عشره أعوام، و سكن مدينه قوص، و بلغنى أنّه فتح دكان عطاره، و إلى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب، و هو أيضا مثلى ما يعرف يلعب بالشطرنج.

للتفصيل راجع دائره المعارف الإسلاميه ٢٩٤/١٣-٢٩٦ و مطالع البدور ٧٥/١-٨١ و وفيات الأعيان ٣٥٦/٤-٣٦١ و نشوار المحاضره القصّه ١٣٦/٢ و مروج الذهب ٥٦٢/٢-٥٦٤ و الغيث المسجم للصفدى ٥١/٢ و محاضرات الأدباء ٧٢٥/٢-٧٢٨.

الحسين بن الضحّاك يعيش ببقايا هبات الأمين

أخبرني الصولي، قال: حدّثني أبو أحمد (١)، قال:

كان أبي صديقا للحسين بن الضحّاك (٢)، و كان يعاشره، فحملني معه يوما، و جعل يحادثه، إلى أن قال: يا أبا علي [١٣٥ ر]، قد تأخّرت أرزاقك، و انقطعت مواذك، و نفقتك كبيره، فكيف تمشي أمورك؟.

فقال له: و الله يا أخي، ما قوام أمرى، إلا ببقايا هبات الأمين (٣)، و هبات جاريتيه، فإنّي حظيت منهما، بأمر طريف، على غير تعمد.

و ذلك أنّ الامين دعاني يوما، فقال لي: يا حسين، إنّ جليس الرجل،

ص: ٤٨

١- في الأغاني ٢٠٥/٧ [١] حدّثني أبو محمد بن النشار.

٢- أبو علي الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي (١٦٢-٢٥٠): شاعر من ندماء الخلفاء، ولد و نشأ بالبصره، و مات ببغداد، أتصل بالأمين العباسي، و مدحه، و نادمه، فلما قتل الأمين انصرف إلى البصره، و لما ولي المعتصم. عاد و مدحه، و مدح الواثق، و المتوكل (الأعلام ٢/٢٥٨).

٣- كان الحسين بن الضحّاك كثير التحقّق بالأمين، و الموالاه له، لكثرة افضاله عليه، فلما مات رثاه بمراث كثيره، و بلغ من جزعه عليه، أنّه خولط، فكان ينكر قتله، و يدفعه، و يقول: إنّه مستتر، و إنّه قد وقف على تفرّق دعائه في الأمصار، يدعون إلى مراجعه أمره و الوفاء ببيعته، و من جيّد مراثيه في الأمين (الأغاني ١٥١/٧): [٣] سألونا أن كيف نحن؟ فقلنا: من هوى نجمه فكيف يكون نحن قوم أصابنا حدث الدهر فظلنا لريبه نستكين نتمنى من الأمين إياها لهف نفسي و أين منّي الأمين و أحسن منه، قول أبي نؤاس: طوى الموت ما بيني و بين محمّد و ليس لما تطوى المنيه ناشر و كنت عليه أحذر الموت وحده فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

عشيرته، و ثقته، و موضع سرّه و أنسه، و إنّ جاريتي فلانه، أحسن الناس وجهها و غناء، و هي مني بمحلّ نفسي، و قد كدّرت عليّ صفو الحياه، و نغصتها عليّ، بعجبها بنفسها، و بتجنّيتها عليّ و إدلالها، لما تعلمه من حبي لها، و إني محضرها، و محضر صاحبه لها ليست منها في شيء، لتغني معها، فإذا غنّت، أو مات إليك، علي أنّ أمرها أبين من أن يخفى عليك، فلا تستحسن غناءها، و لا تشرب عليه، و إذا غنّت الأخرى، فاشرب، و اطرب، و استحسن، و شقّ ثيابك، و عليّ، بكلّ ثوب، مائه ثوب.

فقلت: السّمع و الطاعة، لأمير المؤمنين.

فجلس في حجره خلوته، و أحضرني، و سقاني أرطالا، فغنّت المحسنه [١٦٣ ظ]، و قد أخذ منّي الشراب، فما ملكت نفسي أن استحسن، و طربت، فأوماّ اليّ، و قطّب في وجهي.

ثمّ غنّت الأخرى، فجعلت أتكلّف القول، و أفعله.

ثمّ غنّت المحسنه ثانيه، فأتت بما لم أسمع مثله حسنا قط، فما ملكت نفسي أن صحت، و طربت، و شربت، و هو ينظر إليّ، و يعضّ شفّته غيظا عليّ، و قد زال عقلي، فما أفكّر فيه، حتّى فعلت ذلك مرارا، و كلّما زاد شربي، ذهب عقلي.

فأمر بجزّ رجلي، و صرفي، و أمر أن لا أدخل عليه، فجاءني الناس يتوجّعون لي، و يسألون عن قصّتي، فقلت: حمل عليّ التبيد، فأسأت أدبي، فمنعني من الدخول إليه.

و مضى لما أنا فيه شهر، و قد استمرّت عليّ المحنه.

فبينما أنا كذلك، إذ جاءني البشاره، بأنّه قد رضى عنيّ، و أمر باحضاري، فحضرت، و أنا خائف، فلما وصلت إليه، أعطاني يده فقبلتها، فضحك إليّ، ثمّ قام و قال: اتبعني.

فتبعته، فدخل تلك الحجره بعينها، و لم يحضر غيرى، و غيره، و غير المحسنه الّتى نالنى من أجلها ما نالنى، و أحضر الشراب، فغئت، فسكتّ.

فقال: قل ما شئت، و لا تخف، فلقد خار الله لك فى خلافى، و جرى القدر بما تحبّ.

إعلم أنّ هذه الجاريه، عادت إلى الحال الّتى أحبّها منها، و أرضتني فى أفعالها، و اصطلحنا، فأذكرتني بك، و سألتني الرضا عنك، و الإحسان إليك، و قد فعلت، و أمرت لك بعشره آلاف دينار، و وصلتك هى بدون ذلك، و لو كنت فعلت ما أمرتك، حتّى تعود إلى مثل هذه الحال، ثمّ تحقد عليك، فتسألني أن لا تصل إليّ قط، لأجبتها.

فدعوت له، و شكرته، و حمدت الله على توفيقه إياى، و زدت فى الاستحسان و السرور إلى أن انصرفت، و حمل معى المال.

فما كان يمضى أسبوع إلاّ أتتني أطفافها، و صلاتها، من الجوهر و الثياب، بغير علم الأمين. و ما جالسته يوماً، إلاّ سألته أن يصلني بشيء.

فجميع ما أنفقه إلى الساعه، من فضل ما وصلني منها (١).

ص: ٥٠

١- لم ترد هذه القصّه فى م و لا فى غ و لا ه، و وردت فى الأغاني ٢٠٥/٧-٢٠٧.

من مكارم البرامكة

ذكر سعيد بن سليمان الباهلي، قال: أضقت إضاقه شديده، وكثر على الغرماء، فاستترت مدّه، ثم صرت إلى عبد الله بن مالك (١)، فشكوت إليه حالي، و شاورته في أمري.

فقال: لست أعرف لك غير قصد البرامكة، و مسألتهم في إصلاح ما اختلّ من أمرك.

فقلت: و من يحتمل تيههم و صلفهم (٢)؟.

قال: تحتمله، في جنب ما تقدّر من صلاح حالك.

قال: فصرت إلى جعفر و الفضل ابني يحيى، فشكوت إليهما أمري.

فقالا: نكفيك، إن شاء الله.

فانصرفت إلى عبد الله بن مالك، فعرفته ما جرى [١٣٦ ر].

فقال: أقم عندي، و لا ترجع إلى منزلك، و تقاسي غرماءك، فأقمت عنده.

فصار إلى غلام لي، فقال: يا مولاي، رحبتنا (٣) مملوءه بالجمال عليها المال، و رجل مع الجمال، معه رقعه يزعم أنّها من الفضل و جعفر، و أنّه رسولهما.

فقال لي عبد الله: أرجو أن يكون قد فرّج الله عنك.

فصرت إلى منزلي، و إذا رسول جعفر و الفضل، و معه رقعه يذكران فيها:

ص: ٥١

١- عبد الله بن مالك الخزاعي القائد: ترجمته في حاشية القصّه ١٣٠ من هذا الكتاب.

٢- كان الفضل بن يحيى البرمكي شديد الكبر، عظيم التيه و العجب، فعوتب في ذلك، فقال: إنّ هذا شيء حمل عليه نفسه، فقد تعلم من عماره بن حمزه السخاء و الكبر معاً، و ذكر قصّه وقعت له مع عماره بن حمزه، جديره بالمطالعه، راجعها في معجم الأدباء ٧/٦ و ٨.

٣- الرحبه: الفضاء الكائن بين الأبنيه، و لزياده التفصيل راجع حاشية القصّه ٢٢١ من هذا الكتاب.

أنهما عرفا أمير المؤمنين خبري، و أن علي ثمانمائة ألف درهم، دينا، فأمر بحملها إلى.

ثم قال له: فإذا قضى دينه، يرجع إلى الدين؟ فأمر لي بثمانمائة ألف درهم أخرى، لنفقتي.

و أنهما أضافا إليها من أموالهما، ألفي ألف درهم، فحملها مع ذلك.

فاستوفيت من رسولهما، ثلاثة آلاف ألف، و ستمائة ألف درهم.

و قد ذكر أبو الحسين القاضي، هذا الخبر في كتابه، على قريب من هذا اللفظ و المعنى، بغير إسناد، و لم يذكر فيه مبلغ المال، و لا حال الاستتار (١).

ص: ٥٢

١- لم ترد هذه القصه في م و لا في غ و لا ه.

المأمون يهب أحد كتّابه اثني عشر ألف ألف درهم

[وجدت في كتاب عتيق] [١٦٤ ظ] فيه أخبار جمعها يعقوب بن بيان الكاتب: حدّثني أبو القاسم علي بن داود بن الجعد، قال: حدّثني يزيد بن دينار بن عبد الله (١)، قال: حدّثني أبي، عن يحيى بن خاقان (٢)، قال:

كنت كاتب الحسن بن سهل، فقدم المأمون مدينه السلام، فقال لي:

يا يحيى، خلوت بالسواد (٣)، ولعبت بالأموال التي لي، واحتجتها، واقتطعتها.

فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّما أنا كاتب الرّجل، والمناظره في الأموال، والأعمال، مع صاحبي، لا معي.

فقال: ما أطلب غيرك، ولا أعرف سواك، فصالحني على مائه ألف ألف درهم.

قال: فضحكت.

ص: ٥٣

١- في الأصل ظ: دينار بن يزيد، والصحيح ما أثبتناه.

٢- الزيادة من ظ، وفي ر: حدّث عن يحيى بن خاقان... الخ، ويحيى بن خاقان: أحد مشايخ الكتّاب في الدوله العبّاسيه، كان يكتب للحسن بن سهل في أيام المأمون، وولاه المتوكل ديوان الخراج (الديارات ١٥٥) وهو أخو الفتح بن خاقان وزير المتوكل (الملح و النوادر ٣٣٢) و [١] والد عبّيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل (الديارات ١٥٤ و ١٥٥) توفّي في السنه ٤٢٠ فكتب المتوكل إلى أخيه عبد الرحمن بن خاقان، وكان يلي البصره، يعزّيه به (البصائر و الذخائر م ١ ص ٣٥٩).

٣- السواد: قال ابن قتيبه في كتابه المعارف: [٣] السواد، سوادان: سواد البصره: الأهواز، و دستميسان، و فارس، و سواد الكوفه: كسكر إلى الزاب، و حلوان إلى القادسيه، و قال ياقوت في معجم البلدان ٣/١٧٤: [٤] يراد بالسواد، رستاق العراق، و حدّه من حدّيته الموصل طولاً، إلى عبادان، و من العذيب بالقادسيه، إلى حلوان عرضاً، و سمى السواد لسواده بالزرورع و الأشجار و النخيل، و العرب تسمى الخضره سواداً، و السواد خضره، قال الشاعر: و أنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلد من جنس العرب

فقال: يا يحيى، أجدّ و تهزل؟.

فقلت: لا، يا أمير المؤمنين، إنّما ضحكت تعجّبا، وباللّٰه، ما أملك إلاّ سبعمائه ألف درهم.

فقال: دع هذا عنك، و اعطني خمسين ألف ألف درهم.

قال: فما زلت أجادبه، و يجاذبني، إلى أن بلغ اثنا عشر ألف ألف درهم، فلمّا بلغ إليها، قال: نفيت من الرّشيد، إن نقصتك شيئا منها.

فقلت: السمع و الطاعة.

قال: أقم لي ضمينا، إن لم تف لي بها، طالبتة.

قلت: صاحبي يا أمير المؤمنين يضمّني.

فقال: أتراني إن دافعت الاداء، أطالب الحسن بن سهل عنك؟ هذا ما لا يكون.

فقلت: عبد الله بن طاهر.

فقال: عبد الله بن طاهر، سيّله سيّلك صاحبك.

قلت: فحميد.

قال: و هذه سيّله.

قلت: ففرج مولاك يا أمير المؤمنين.

قال: ملّىء - و الله - و ثقّه، ثمّ التفت إلى فرج، فقال: أ تضمّنه يا فرج؟.

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قد ضمّنته.

فقال: أنا و الله محرّجه بالإلحاح في المطالبة، حتّى يهرب، أو يستتر، ثمّ آخذك بالمال، فتؤدّيه، فإنّك ملّىء به.

فقال فرج: صاحبي ثقّه، و هو لا يخفرني، إن شاء الله.

قال يحيى: فكتبت إلى الحسن بن سهل، و عبد الله بن طاهر، و حميد (1)،

ص: ٥٤

و دينار بن عبد الله، و غسان (١)، و رجال المأمون، أسألهم إعانتى فى المال.

قال: فحملوا لى ذلك عن آخره، حمل كل إنسان منهم، على قدره، قال يحيى: فكتبت رقعته إلى المأمون، أعرّفه أنّ المال قد حضر، و أسأله أن يأمر من يقبضه.

قال: فأحضرنى، فلمّا وقعت عينه علىّ، قال لى: يا خائن، الحمد لله العدى بين لى خيانتك، و أظهر لى كذبتك، ألم تذكر أنّك لا تملك إلاّ سبعمائه ألف درهم؟ فكيف تهتياً لك أن حملت فى عشره أيام إثنى عشر ألف درهم؟

قال: فقلت: حملت، يا أمير المؤمنين من هذه الجريده، و دفعت إليه جريده بأسماء من حمل إلىّ المال، و مبلغ ما حمل كل واحد منهم.

قال: فقرأ الجريده، ثمّ أطرق ملياً، و رفع رأسه، فقال: لا يكون أصحابنا، أجود منّا، هذا المال قد وهبناه لك، و أبرأنا ضميناك.

قال يحيى: فانصرفت، فرددت المال إلى أصحابه، فأبوا أن يقبلوه، و قالوا: قد وهبناه لك، فاصنع [١٣٧] ربه ما أحببت.

قال: فحلفت، أن لا- أقبل منه درهما، و قلت لهم: أخذته فى وقت حاجتى، و رددته عند استغنائى عنه، و قبولى إياه فى هذا الوقت ضرب من التغمم.

فرددته عليهم (٢).

ص: ٥٥

١- غسان بن عباد بن أبى الفرج: ترجمته فى حاشيه القصّه ٣٧٢ من هذا الكتاب.

٢- هذه القصّه لم ترد فى م و لا فى غ و لا ه.

ما بقى له غير درهمين ثم جاءه الفرج

و وجدت فى هذا الكتاب، عن يعقوب بن بيان: حدثنى بعض أصحابنا، و هو عندى ثقه، و قد تجارينا لزوم المتعطلين، أبواب المتشاغلين، و تعذر الشغل عليهم، بعد أن قلنا جميعا: إن الارزاق مقسومه، و إن الله تعالى إذا أذن فيها سهّلها، قال: فحدثنى عمرو بن حفص، عن أبيه، قال:

كان أبى حفص، قد صحب بعض عمّال فارس، إلى فارس، فأقام على بابه ستّه أشهر، يلقاه كلّ يوم فيها، فلا يكلمه العامل فيها بشىء، و ينصرف أبى إلى منزله.

قال: فنفدت نفقته، و باع كلّ ما كان معه، حتّى قال له غلامه يوما:

ما بقى إلا الدابّه، [١٦٥ ظ] و البغل، و درهمان.

قال: فقال له: اشتر لنا بالدرهمين خوخا، فإنّه أرخص من الخبز، لتتقوّته، إلى أن يفرج الله -عزّ و جلّ- عنّا.

قال: ففعل الغلام ذلك، و أكل حفص من الخوخ شيئا و نام، فما استيقظ إلا -بدقّ الباب، و إذا رسول العامل يأمره بالحضور، فركب، فوجد العامل قاعدا فى داره على كرسى ينتظره.

فلما دخل، قال العامل: لا جزّاك الله خيرا عنّى، و لا عن نفسك.

قال: و لم ذاك، أصلحك الله؟.

قال: أتستقيم على بابى ستّه أشهر، لم تر على نفسك أن ترينى وجهك يوما واحدا؟.

فقال: أعزّك الله، أنا فى مجلسك كلّ يوم.

قال: و الله، ما وقعت لى عليك عين، و لا خطرت ببالى إلا السّاعه،

فإني ذكرتكم، فعلمت طول مقامكم في العطله و الغربه.

و دعا بكتابه، فكتب كتبي على فسا (1) و درابجرد (2)، و خرجت من يومي إلى العمل، فحصلت منه، في مديده قريبه، سوى نفقتي، ستمائه ألف درهم (3).

ص: ٥٧

١- فسا: من مدن فارس، و هي من أنزه المدن، بينها و بين شيراز أربع مراحل، و تقارب شيراز في السعه (معجم البلدان ٨٩١/٣ و ٨٩٢).

٢- درابجرد: كوره بفارس نفيسه، النسبه إليها: دراوردى، على خلاف القياس، و هي كثيره المعادن، جليله الخصائص (معجم البلدان ٥٦٠/٢).

٣- لم ترد هذه القصه في م و لا في غ و لا ه.

سبب توبته عن النبيذ

حدّثني علي بن محمّد الأنصاري، وعبيد الله بن محمّد العبقسي، واللفظ له، قالاً: حدّثنا أبو الفتح القطان: أنّ رجلاً من أولاد التّجار، زالت نعمته، و صار بواباً لأبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي العلوي، نقيب الطالبين، أيده الله (١)، ببغداد، قال: حدّثني خالي، و كان صيرفيّاً، قال:

كنت و جماعه من إخواني، عند بعضنا مجتمعين نشرب، و عندنا غلام أمرد، و نحن نأكل بطيخاً (٢)، و في يد كلّ واحد منا سكّينا.

ص: ٥٨

١- أبو أحمد الحسين بن موسى الحسيني العلوي الطالبي (٣٠٤-٤٠٠): نقيب العلويين ببغداد، والد الشريفين الرضي و المرتضى، ولى نقابه العلويين و إماره الحاجّ سنة ٣٥٤، اعتقله عضد الدّوله سنة ٣٦٩ و أطلقه شرف الدّوله بن عضد الدّوله في السنه ٣٧٢، عزل عن النقابه سنة ٣٨٤ و أعيد إليها سنة ٣٩٤ و أضيف إليه الحجّ و المضالم، توفّي سنة ٤٠٠ ضريراً، لاحظ أنّ التّوخي لما ذكر اسم أبي أحمد في القصّه قال: أيّده الله، ذلك لأنّه كان حياً لما دوّن القصّه، و قد مات التّوخي قبله في السنه ٣٨٤.

٢- البّطيخ: من الفواكه اللّذيذه الطعم، و هو على نوعين، فالأصفر منه، و قشرته صفراء أو خضراء أو داكنه اللون، يكون طعم لّبه لذيذاً جداً، و يقوم مقام الفاكهه و الغذاء و الشراب، و في بغداد مثل شائع: كل البّطيخ و قلبّ زندك، أي إنّّه يقوى العضلات، و البّطيخ الأحمر: قشره على ألوان مختلفه من أبيض مشوب بزرقه إلى الأسود، و فيه ما هو معلّم بالأبيض و الأخضر، و البّطيخ الأحمر يسمّى في كل صقع باسم، و اسمه في بغداد و المناطق المجاوره لها: الرقيّ نسبة إلى الرّقه، و هي كلّ لسان رملي ممتد في النهر، يغطيه الماء ثم ينحسر عنه، و إنّما سمي كذلك لأنّ البّطيخ الذي يزرع في الرّقه، يكون ريّانا حلواً من أحسن و أجود أنواع البّطيخ، و تسميه البّطيخ بالرقيّ، معروف لدى البغداديين منذ القديم فقد جاء في كتاب الطبخ لمحمّد بن الحسن البغدادى، من أوائل القرن السابع الهجرى، صفه عمل رطب في غير أوانه، فقال: تؤخذ بطيخه رقيّه خضراء... الخ، و روى الصفدى في الغيث المسجم ٢٦١/٢ أنّ أحد عوامّ بغداد مرض نسيب له، فوصف له بطيخ رقيّ، و أنّه اشترى واحده من أحد الفاكهانيين بالكرك، و البّطيخ الرقيّ، يسمّى في الموصل: شمزي، و في النجف: دبشى، و في مكّه: حبّجب، و في المغرب: الدلاع، و في الشّام كان يسمّى: الزربش (نهايه الأرب ٣٠/١١) و [١] البّطيخ الرقيّ، أكثر -

فأخذ الغلام يمزح مع واحد منّا في يده سكين ليأخذها منه، فرمى بالسكين، كالضجر من مجاذبته إيّاها، ف وقعت في قلب الغلام، فتلف في الحال، فقمنا لنهرب.

فقال صاحب البيت: ما هذه فتوّه (١)، إمّا أن نبتلى كلنا، أو نتخلص كلنا.

فأغلقتنا باب الدار، و شققنا بطن الغلام، فألقينا ما فيه في المستراح، و فضّينا أعضاءه، فأخذ كل منا عضواً، و خرجنا متفرّقين، لنلقى ذلك بحيث يخفى خبره.

فوقع معي الرأس، فلففته في فوطه (٢)، و جعلته في كمي (٣).

ص: ٥٩

١- الفتوّه: تعبير عن جميع [١] الصفات الحسنه، و الفتى: هو الذى يتمتع بالحسن من الصفات، من مروءه، و شهامه، و نجده، و شجاعه، و كرم، و لذلك قيل: لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا على.

٢- الفوطه: فى لسان العرب: ثوب قصير، غليظ، يكون مئزراً، يجلب من السند، و قيل: الفوطه ثوب من صوف، جمعها: فوط، و فى المنجد الفوطه: ما يأتزر به الخدم، و عند العامه: قطعه تشفّ بها الأيدي أو قطعه يمسح بها الأنف، و عند دوزى فى معجم الألبسه ٣٣٩-٣٤٣ إنّها قطعه من القماش تستعمل لأغراض مختلفه، و فى شفاء الغليل ١٤٦ الفوطه: إزار، و الكلمه ليست عربيه، و فى المعجم الذهبى، فوطه: فارسىه بمعنى منديل أو مئزر، أمّا فى بغداد الآن، فإنّ لفظ الفوطه، مقصور على قطعه سوداء رقيقه من الحرير أو الغزل، تلفّ بها المرأه رأسها، بحيث تغطّى شعرها و أذنيها و عنقها، و يبقى وجهها سافراً.

٣- الكمّ: راجع حاشيه القصّه ١٠١ من الكتاب.

فلما مشيت، استقبلني رجاله المحتسب (١)، فقبضوا على كمي، وقالوا:

قد أمرنا المحتسب بختم كل كيس نجده، حتى يفتح بحضرته، و يخرج ما فيه، و تؤخذ منه الزائفه (٢).

فرقت بهم، و بذلت لهم دراهم كثيره، فلم يجيبوا، و مشوا بي معهم، و أمسكوني يريدون المحتسب.

ف نظرت، فإذا أنا هالك، و فكرت في الحيله و الخلاص، فلم تتجه، حتى رأيت دربا (٣) ضيقا لطيف الباب (٤)، كأنه باب دار، و أنا أعرفه من هذا ٧.

فقلت لهم: أنتم تريدون ختم كيسي، فما معنى تشبثكم بيدي و كمي كأنني لص؟ أنا معكم إلى المحتسب، فخلّوا عن يدي، ففعلوا، و أطافوا بي.

فلما صرت على باب الدرب، سعيت، فدخلته، و أغلقت بابه، و استوثقت منه، و سعيت إلى آخره، فإذا بئر كنيف قد فتحت لتنقي، و تركت مفتوحه، فألقيت الفوطه بما فيها في البئر، و خرجت أسعى من طرف الدرب الآخر، حتى بلغت منزلي، و حمدت الله تعالى على الخلاص من الهلكه.

و تبت عن التبيذ (٥).

ص: ٦٠

١- المحتسب: مأمور من الحاكم، لملاحظه سير الأمور في البلد، و منها فحص النقود المتداوله لنفي الزائف منها، و ملاحظه صحه العيار، و ضبط الميزان، و أسعار البيع.

٢- الزائف من الدراهم: الرديء، المردود لغش فيه.

٣- الدرب: الطريق، فإن كان مفتوحا من طرفه، فهو نافذ أو منفذ، أي صالح لاجتيازه و العبور منه إلى غيره، و البغداديون يسمون الدرب الضيق: دربونه، مصغر درب بإضافه الألف و النون، كما يصغرون بس، و هي الهزه، فيقولون: بسون، و يلفظونها: بزّون، بالزاي المشدده، و كما يصغرون حسن، فيقولون: حسّون، و كما يصغرون: صغير، فيقولون: صغرون، و يلفظونها: زغرون، بالزاي.

٤- كانت جميع الدروب في بغداد، على أفواها أبواب تغلق في الليل، كما كانت أفواه الجسور كذلك تسدّ، و يمنع من المرور عليها إلا بأذن من صاحب الجسر، و قد أدركت في صباي دروبا كانت أبوابها مركبه عليها، و أبصرت دروبا قد قلعت أبوابها و لكن إطارات تلك الأبواب بقيت زما حتى زالت.

٥- لم ترد هذه القصه في م و لا في غ و لا ه.

حلف بالطلاق

لا يحضر دعوه، ولا يشيع جنازه

حدّثني عبيد الله بن محمّد (١)، قال: حدّثنا أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي العلوي النّقيب، قال:

حدّثني شيخ كان يخدمني، وقد تجارينا أحاديث النّاس، فقال: إنّه حلف بالطلاق، ألا يحضر دعوه، ولا يشيع جنازه، [و لا يودع وديعه] (٢)، فسألته عن ذلك (٣).

فقال: كنت انحدرت إلى البصره من بغداد، فصعدت إلى بعض مشارع البصره عشاء، فاستقبلني رجل، فكناني بغير كنييتي، و بشّ في وجهي، و أحفى، و جعل يسألني عن قوم لا أعرفهم، و يحلف [١٦٦ ظ] علىّ في التّزول عنده.

و كنت غريباً، لا أعرف مكاناً، فقلت: أبيت عنده اللّيله إلى غد، فأطلب موضعاً.

فمّوّهت عليه في القول، فجذبني إلى منزله، و كان معي رحل صالح (٤)، و في كمّي دراهم كثيره.

فدخلت إليه، فإذا عنده دعوه، و القوم على نبيذ، و قد خرج لحاجه،

ص: ٦١

١- أبو القاسم عبيد الله بن محمّد الصروي: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٤٦ من هذا الكتاب.

٢- الزيادة من م، لاحظ أنّ كلمه الإيداع، من الأضداد في اللّغه، فإنّ لفظه أودعت، تعنى تسليم الوديعه للغير للحفظ، كما تعنى قبول الوديعه من الغير، راجع كتاب الأضداد لأبي الطّيب الحلبي ج ٢ ص ٦٦٦، و هو في هذه القصّه يريد: قبول الوديعه.

٣- في م: فسألته عن سبب يمينه.

٤- الرحل: ما يستصعبه الانسان في سفره.

فشبهني بصدق له، و تموّه عليه أمرى لسكره.

و كان فيمن عنده، رجل له غلام أمرد، فلما أخذوا مضاجعهم للتوم، أرتت من بينهم.

فلما كان بعد ساعه، رأيت واحدا من الجماعة، قد قام إلى الغلام الأمرد، ففسق به، و رجع إلى موضعه، و كان قريبا من صاحب الغلام.

و استيقظ في الحال صاحب الغلام، فتقدم إلى غلامه ليفسق به.

فقال له: ما تريد؟ ألم تكن الساعه [١٣٨ ر] عندي، و فعلت بي كذا و كذا؟

فقال: لا.

فقال: قد جاءني الساعه من فعل بي، و ظننته إياك، فلم أتحرّك، و لم أظنّ أنّ أحدا يجسر عليك.

فنخر الرجل، و جرّد سكيننا من وسطه، و قام، و أنا أرعد، فلو كان دنا منّي، حتّى يجدني أرعد، لقتلني، و ظنّ أنّي صاحب القصّه.

فلما أراد الله عزّ و جلّ، من بقاء حياتي ما أراد، بدأ بصاحبه، فوضع يده على قلبه، فوجده يخفق، و قد تناوم عليه، يرجو بذلك السلامه، فوضع السكين في قلبه، و أمسك فاه، فاضطرب الرجل، و تلف.

فأخذ الرجل بيد غلامه، و فتح الباب، و انصرف.

فورد عليّ أمر عظيم.

و قلت: أنا غريب، و ينتبه صاحب البيت، فلا يعرفني، و لا يشكّ في أنّي صاحب الجنايه، فأقتل.

فتركت رحلي، و أخذت ردائي، و نعلي، و طلبت الباب، فلم أزل أمشي، لا- أدرى أين أقصد، و الليل منتصف، و خفت العسس (١)، فرأيت

ص: ٦٢

١- العسس: الذين يطوفون بالليل و يكشفون أهل الربيه.

أَتُون حَمَام (١) لم يوقد بعد.

فقلت: أختبىء فيه، إلى أن يفتح الحمام، فأدخله، فجلست في كسر الأتون.

فما لبثت حيناً، حتى سمعت وقع حافر، وإذا برجل يقول: قد رأيتك يا ابن الفاعله، ودخل الأتون، وأنا كالميت من الفرع، لا أتحرّك، فلما لم يجد حساً، أدخل رأسه، ويده، ويومئ بسيف معه في الأتون، وأنا بعيد عن أن ينالني الشيف، صابر، مستسلم.

فلما لم يحسّ أحداً، خرج إلى بابه، وإذا معه جاريه، فأدخلها الأتون، فذبحها، وتركها و مضى.

فرأيت بريق خلخالين (٢) في رجليها، فانترعتهما منها، و خرجت، و ما زلت أمشى في الطريق متحيراً، إلى أن صرت إلى باب حمام قد فتح، فدخلته، و خبأت ما معي في ثيابي [١٣٠ م]، عند الحمامي.

و خرجت و قد أصبحت، فضممت [الخلخالين إلى] (٣) ما معي، و طلبت الطريق، فعرفت أنني بالقرب من دار صديق لي، فطلبتها، فدققت بابه، ففتح لي، و سرّ بمقدمي، و أدخلني.

فدفعت إليه منديلي الذي كان فيه دراهمي و الخلخالين، ليخبئهما، فلما نظر إليهما تعيّر وجهه.

فقلت: مالك؟.

ص: ٦٣

١- الأتون، و جمعها أتن، و أتاتين: موقد نار الحمام، و في بغداد يسمونه: طمّه.

٢- الخلخال، و جمعه خلخال، و البغداديون يجمعونه على خلخال، حليه من الذهب أو الفضة، تلبس في الساق، كالسوار في المعصم، و إذا وضع في الخلخال جلاجل، سمّاه البغداديون: جناجل، بالنون، محرّفه عن جلاجل، جمع جلاجل، و هو الجرس الصغير.

٣- الزيادة من م.

فقال: من أين لك هذان الخللان؟

فأخبرته بخبري كله في ليلتي، فدخل مسرعا إلى دار حرمه، وخرج إليّ.

فقال: أتعرف الرجل الذي رأيته قتل الجارية؟

قلت: أما بوجهه فلا، لأنّ الليل و الظلمه كانت حائله بيننا، و لكن إن سمعت كلامه عرفته.

فأعدّ طعاما، و غدا في أمره، و عاد بعد ساعه، و معه رجل شابّ من الجند، فكلمه، و غمزني عليه.

فقلت: نعم، هذا هو الرجل.

ثمّ أكلنا، و حضر الشراب، فحمل عليه بالنيبذ (١)، فسكرو، و نام موضعه، فأغلق باب الدار، و ذبح الرجل.

و قال لي: إنّ المقتوله أختي، و كان هذا قد أفسدها، و نمت الخبر إليّ منذ أيام فلم أصدّق، إلاّ أنّي طردت أختي، و أبعدها عنّي، فمضت إليه، و لست أدري ما كان بينهما، حتّى قتلها، و إنّما عرفت الخللين [١٦٧ ظ] و دخلت فسألت عنها.

فقيل لي: هي عند فلان.

فقلت: قد رضيت عنها، فوجهوا، فردّوها، فلجلجوا في القول، فعلمت أنّ الرجل قد قتلها كما ذكرت، فقتلته، فقم حتّى ندفنه.

فخرجنا ليلا، أنا و الرجل، حتّى دفناه، و عدت إلى المشرعه، هاربا من البصره، حتّى دخلت بغداد.

و حلفت ألاّ أحضر دعوه أبدا، [و لا أودع وديعه أبدا] (٨).

و أمّا الجنازه، فإنّي خرجت ببغداد، نصف النهار، في يوم حار، [لحاجه] (٨) فاستقبلتني جنازه يحملها نفسان.

ص: ٦٤

١- حمل عليه بالنيبذ: أسكره.

فقلت: غريب، فقير، أحملها معهما فأثاب، فدخلت تحتها، بدلا من أحد الحمالين.

فحين استقرت على كتفى، افتقدت الحمال، فلم أجده، فصحت:

يا حمال، يا حمال.

فقال الآخر: إمش، و اسكت، قد انصرف الحمال.

فقلت [١٣٩ ر]: الساعه، و الله، أرمى بها.

فقال الحمال: و الله، لئن فعلت لأصيحن.

فاستحييت، و قلت: ثواب، فحملناها إلى مسجد الجنائز (١)، فلما حططنا الجنازه فى مسجد الجنائز، هرب الحمال الآخر.

فقلت: ما لهؤلاء الملاعين، و الله، لأتمن الثواب، فأخرجت من كمى دراهم، و صحت: يا حفار، أين قبر هذه الجنازه؟.

فقال: لا أدرى.

فقلت: أحفر، فأخذ منى درهمين، و حفر قبرا.

فلما صوّبت عليه الجنازه، ليأخذ الميت فيدفنه، و ثب الحفار من القبر فلطمنى، و جعل عمّامتى فى رقبتى، و صاح: يا قوم قتيل، فاجتمع

الناس، فسألوه.

فقال: هذا الرّجل، جاء بهذا الميت، بلا رأس، لأدفنه، و حلّ الكفن، فوجدوا الأمر على ما قاله الحفار.

فدهشت، و تحيرت، و جرى على من مكروه العامه، ما كادت نفسى تتلف معه.

ثمّ حملت إلى صاحب الشرطه، و أخبر الخبر، فلم يرد شاهدا علىّ، فجزدت للسياط، و أنا ساكت باهت.

ص: ٦٥

١- فى م: فحملناها إلى الشونيزيه، و الشونيزيه: مقبره بالجانب الغربى من بغداد (معجم البلدان ٣/٣٣٨)، أقول: اسمها الآن مقبره الشيخ جنيد.

و كان له كاتب عاقل، فحين رأني، و رأى حيرتي، قال له: أنظرني (١)، حتى أكشف حال هذا الرجل، فإنني أحسبه مظلوماً، فأمهله.
فقام، و خلا بي، و ساءلني، فأخبرته خبري، و لم أزد فيه و لم أنقص.

فنحى الميت عن جنازه، و فتشها، فوجد عليها مكتوباً: أنها للمسجد الفلاني، في الناحية الفلانية.

فأخذ معه رجاله و مضى، فدخل المسجد متنكراً، فوجد فيه خياطاً، فسأله عن جنازه هناك، كأنه يريد أن يحمل عليها ميتاً له.

فقال الخياط: للمسجد جنازه، إلا أنها قد أخذت منه الغداه، لحمل ميت، و لم ترد.

قال: من أخذها؟

قال: أهل تلك الدار، و أوماً إليها.

فكبسها الكاتب برجاله الشرطه، فوجد [١٣١ م] رجالاً عزاباً (٢)، فقبض عليهم، و حملهم إلى الشرطه، و أخبر صاحب الشرطه بالخبر.

و قرر القوم، فأقرّوا أنهم تغايروا على غلام أمرد كان معهم، فقتلوه، و طرحوا رأسه في بئر حفروها في الدار، و حملوه على تلك الصورة، و أنّ الحمالين كانا من جملة القوم، و على أصل (٣) هربا.

فضربت أعناق القوم، و خلّى سبيلي.

فهذا سبب يميني في ألا أحضر جنازه (٤).

ص: ٦٦

١- أنظرني: أمهلني.

٢- العزب، و جمعه: عزاب، و أعزاب: من لا أهل له من الرجال و النساء.

٣- على أصل: على اتفاق و تفاهم سابق.

٤- لم ترد هذه القصه في غ، و لا ه، و في م أعتبرت هذه القصه بدايه الباب السابع، و قد وردت في كتاب نشوار المحاضره للتوخي على هياه ثلاث قصص بالأرقام ٥٩/٥ و ٦١ و ٦٣.

ابن قمير الموصلی

وقع فی ورطه و تخلّص منها

و حدّثنی عبید الله بن محمّد الصرویّ، قال: حدّثنی ابن قمير (١)، مجلّد الکتب - کان - بالموصل، قال:

أعطانی أبو عبد الله بن أبي العلاء بن حمدان (٢)، دفترًا، أجلّده، و أكّد علیّ الوصیّ فی حفظه، فأخذته منه، و مضیت إلى دکانی.

و كان طریقى علی دجله، فنزلت إلى مشرعه أتوضّأ، فسقط الدفتر من كميّ في الماء، فتناولته عجلًا - قبل أن يغرق (٣)، و قد ابتلّ، فقامت قيامتى، و لم أشكّ أنّه سيجرى علیّ مكروه شديد من أبي عبد الله، من ضرب، و حبس، و أخذ مال، فعملت علی الهرب من الموصل.

ثمّ قلت: أجفّفه، و أجلّده، و أجتهد في أن أسلّمه إلى غلام له، و هو لا يعلم، و استتر، فإنّ ظهر الحديد، هربت، و إن كفى الله تعالى ذلك، و تمّت عليه الحيله [١٦٨ ظ] ظهرت.

ص: ٦٧

١- في م: ابن نمير.

٢- أبو عبد الله الحسين بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون التغلبيّ: أمير، شجاع، ممدوح، أخو أبي فراس الحمداني، و ابن عمّ ناصر الدّولة، و كان من قوّاد ناصر الدّولة، و لى له في السنه ٣٢٦ المعاون بأذربيجان، و في السنه ٣٣٠ كان في جيش ناصر الدّولة يحارب البريديّين على أبواب بغداد، و استمرّ في خدمه ناصر الدّولة، حتى و لاه في السنه ٣٣٢ طريق الفرات، و ديار مضر، و جند قنسرين، و العواصم، و حمص، فحارب أهل الرّقّه، و استقرّ بحلب، و هو أوّل من حكمها من بنى حمدان، و توفّي بالموصل في السنه ٣٣٨ (الكامل لابن الأثير ٤١٤، ٤٠٦، ٣٩٤، ٣٨٤، ٣٥١، ٣٥٠/٨، ٤١٧، و [١] وفيات الأعيان ٣/٤٠٥ و ٤٠٦ و [٢] معجم الأنساب و الأسرات الحاكمه لزمباور ٢٠٢ و ٢٠٣).

٣- في م: قبل أن يغوص.

فحللته، وجففته، وثقلته، حتى رجع واستوى، أكثر ما يمكن من مثله، وجلدته، وتأنقت في التجليد.

فلما فرغت منه، جئت إلى الحاجب لأسلمه إليه من باب الدار و أمضى، فصادفت الحاجب جالسا في الدهليز، فسلمت إليه الدفتر.

فقال: ادخل إليه، و ادفعه من يدك إلى يده، فلعله يتوقعك، و لعله يأمر لك بشيء.

فقلت: لا أريد، فأني مستعجل.

فقال: لا يجوز، و لم يدعني حتى دخلت إليه، فلم أشك أن ذلك من سوء الاتفاق عليّ، المؤدى إلى المكروه، و مشيت في الصحن و أنا في صورته عظيمه من الهم.

فوجدت أبا عبد الله جالسا على بركة ماء في صحن [١٤٠ ر] داره، و الغلمان قيام على رأسه، فأخرجت الدفتر من كمي.

فقال لأحد غلمانه: خذه من يده، و هاته.

فجاء الغلام من جانب البركة، و أنا من الجانب الآخر، و مدّ يده ليأخذه، فأعطيته إياه، فلم يتمكن في يده، حتى سقط الدفتر في البركة، و غاص إلى قعرها.

فجنّ أبو عبد الله، [و شتم الغلام] (١)، و قال: مقارع، مقارع.

فحمدت الله عزّ و جلّ، على استتار أمرى (٢) من حيث لا أحسب، و كفايتي ما كنت أخافه.

و خرجت، و الغلام يضرب (٣).

ص: ٦٨

١- الزيادة من م.

٢- في م: فحمدت الله تعالى على استتار جنائتي، و كشف محنتي.

٣- لم ترد هذه القصّة في غ و لا ه.

واسطى أتلف ماله و افتقر

ثم صلح حاله بعد أهوال

حدّثني عبيد الله بن محمد الصروي، قال: حدّثني أبي، قال:

كان في جوارنا بواسط، شاب أتلف ماله في اللّعب (١)، فافتقر فقرا شديدا، ثم رأته بعد ذلك بمدّه، و قد أثري، و صلحت حاله، و أقبل على شأنه.

فقلت له: ما سبب هذا؟، فدافعني.

ثم قال: أحدّثك، و تكتّم عليّ؟.

فقلت: نعم.

فقال: إنّ الفقر بلغ بي إلى حال تمنّيت معها الموت، و ولدت امرأتى ذات ليله، و كانت ليله العيد، فلم يكن معي ما أشتري لها ما يمسك رمقها، فخرجت على وجهي، أطلب من أتصدّق منه شيئا أعود به إلى امرأتى.

فافضيت إلى زقاق طويل لا أعرفه، فدخلت، فإذا هو لا ينفذ، و إذا فيه باب دار مفتوح، و مستراح.

فدخلت الدار بغير إذن، فإذا برجل يطبخ قدرا، فصاح عليّ، و قال:

من أنت، و بلك؟، فقصصت عليه خبري.

فقال: إمض إلى ذلك البيت، و اجلس إلى أن أفرغ من القدر، فأعطيك منها مع الخبز شيئا تحمله إلى امرأتك، و نفقه تكفيك أيّاما.

فدخلت البيت، فرمى إليّ كساء (٢)، و قال: تغطّ به، و نم ساعه.

ص: ٦٩

١- اللّعب: اللّهُو.

٢- الأصل في الكساء، أنّه الثوب بصوره عامه، أي كلّ ما يكسو الجسد، ثم صرف إلى ما يلبس فوق الثياب، فيكون بمشابه المعطف، راجع معجم دوزي ص ٣٨٣-٣٨٦.

و كانت ليله بارده، و كنت بقميص واحد، فتغطيت بالكساء، و انضجعت (١)، و لم يدخل عيني النوم، لما بي من الجوع و الغم.
فما لبثت أن جاء رجل عريان، فدخل و على رأسه شيء ثقيل، فقام [١٣٢ م] الذي يطبخ، فأغلق الباب، و أنزل ما كان على رأسه.
و قال له: ويلك، غبت، حتى أيست منك.

فقال: كنت يومى و ليلتى، مختبئا خلف حطب لهم، حتى تمكنت من أخذ هذه البدره (٢)، و ما أدري أدنانير هي أم دراهم؟، و أنا ميت جوعا، فأطمعتى شيئا.

قال: فأخذ الرجل يغرف من القدر، و مضى العريان فلبس شيئا، و جاء إلى الآخر، و قد غرف، فجعلنا يأكلان، و قد خرجت [١٤٢ ر] نفسى فزعا.

فلما أكلا، أخرجنا شرابا، و جعلنا يشربان، و أنا متحير لا أدري ما أصنع، و لست أجتريء أطلب من الرجل شيئا.

و أقبل العريان يشرب أكثر من الآخر المذى كان يطبخ، و جعل الذى كان يطبخ، يقول له: استكثر من الشرب لتدفا، إلى أن سكر العريان، و نام.

فقام الأول، فطاف فى الدار، ثم جاءنى، فكلمنى، فسكت، خوفا من أن يعلم أنى قد علمت بقصتهما، فيقتلنى، فظن أننى قد نمت.

فمضى إلى النائم، فدبحه، ثم أمسكه حتى مات، ثم لفه فى كساء، و حمله على عاتقه، و خرج من الدار.

فقلت لنفسى: لأى [١٦٩ ظ] شيء تعودى؟.

ص: ٧٠

١- فى م: و اضطجعت، و كلاهما فصيح، و الانضجاع، و الاضطجاع: وضع الجنب بالأرض.

٢- البدره: كيس يحتوى على عشره آلاف قطعه من النقد.

فقلت، فجئت إلى البدره، فجعلتها في الكساء الذي كان عليّ، وخرجت أسعى سعياً شديداً.

فلم أزل كذلك، حتى رأيت مسجداً قد فتحه إنسان، وخرج منه، وجلس يبول، فدخلته، وجاء الرجل العذى كان يبول، فدخله، وأغلق بابه.

وقال لي: أي شيء أنت؟.

فقلت: غريب، جئت الساعة من السواد (١)، ولم أجسر أن أتجاوز هذا الموضع، فأجرني، أجازك الله.

فقال: نم مكانك، فتركت البدره تحت جنبى (٢) واتكأت عليها.

فلم ألبث حتى سمعت في الطريق صوت رجل يسعى سعياً شديداً، وإذا كلام صاحبى بعينه، وهو يقول: عملها ابن الزانية، ويلي على دمه.

فأبصرته من شبّاك المسجد، وإذا في يده خنجر مجرّد، وهو يتردد ذاهباً و جائياً، وأعماء الله عن دخول المسجد، إلى أن مضى.

ولم أزل ساهراً لا يحملنى النوم (٣)، خوفاً منه، وإشفاقاً على ما معى، إلى أن أضاء الصّبح، وأذن في المسجد.

وخرجت كائنى أتوضّأ، وحملت ما معى، ومشيت، والنّاس قد كثروا في الطّريق، حتى انتهيت إلى بيتى، فأخفيت ما جئت به، وأصلحت حالى، وحال زوجتى.

ثم خرجت إلى ضيعه - كانت لأبى - خراب، فأقمت بها مدّه، حتى عمّرتها بأكثر ذلك المال، وعلمت أنّه لا يتفق مثل هذا الاتفاق أبداً، ولزمت شأنى، واصلحت حالى.

ص: ٧١

١- من السواد: أى من الريف، من خارج البلد، ويقال للريفى: سوادى.

٢- كذا في ظ و ر، وفي م: تحت رأسى.

٣- فى م: لا يقربنى النوم.

قال: فقال أباى: ما حدّثت بهذا الحديث حتّى مات الرّجل، ولا أسمّيه أبدا (١).

ص: ٧٢

١- هذه القصّه لم ترد في غ و لا ه.

اللجاج شؤم

حدّثني أبو الحسن محمّد بن محمّد بن جعفر الأنباري الشاهد ببغداد، أحد كتّاب قضاتها، و خلفائهم، و يعرف أيضا بصهر القاضي ابن سيّار (١)، الذي كان يخلف القاضي أبا القاسم التنوخي، رحمه الله، على أعمال نواحي واسط، و كور الأهواز، و خلف بعده عدّه قضاءه رؤساء، و كان من شيوخ غلمان أبي الحسن الكرخي، [و قد رأيت أنا أبا الحسن هذا كثيرا عند أبي رضى الله عنه، و لم اسمع هذا الحديث منه] (٢)، قال:

حدّثني شيخ من البصريين، أثق به، قال: عادت (٣) فلانا القاضي - ذكره ابن مرغول رحمه الله، و أنسيه محمّد بن محمّد - إلى الحجّ (٤).

قال: و تشاجر رجلان، في الرفقه التي كُنا فيها من القافله.

قال: و جذبهما ذلك القاضي إليه، و لم يزل يتوسّط بينهما و يترقّق بهما، و قد استعمل كلّ واحد منهما اللجاج و المشاحنه، و أقاما عليها، و هو يصبر عليهما، و يقول: اللجاج شؤم، فلا تستعملانه و يكرّر هذه اللفظه، إلى أن فصل بينهما.

فقال لي: أذكرني حديثا في اللجاج، جرى على يدي، لك فيه، و لكلّ من سمعه، أدب (٥).

قال: فأذكرته بعد وقت.

ص: ٧٣

-
- ١- في روظ: ابن بيان، و التصحيح من م.
 - ٢- الزيادة من م، و قوله في هذه الزيادة: و لم أسمع هذا الحديث منه، يناقض ما ورد في صدر القصّه في قوله: حدّثني، و الغالب على ظنّي، أن كلمه: حدّثني، أصلها: حدّث، و قد حرّفها النساخ.
 - ٣- المعادله: الركوب متقابلين في المحمل، و يسمّى الراكب: عديلا.
 - ٤- كذا في ظ و ر، و في م: عادت فلانا القاضي، و اسمه محمّد بن محمّد إلى الحجّ.
 - ٥- في م: و لكل من يسمعه فائده.

فقال: كنت أتولّى القضاء، فى البلد الفلانى، فتقدّم إلى [١٣٣ م] رجلا، فادّعى أحدهما على الآخر عشرين ديناراً.

فقلت للمدّعى عليه: ما تقول؟

فقال: له علىّ ذلك، إلاّ أنّى عبد لآل فلان، مكاتب (١)، مأذون لى فى التصرف، و أتجرت، فخسرت، و لىس معى ما أعطيه، و قد عاملنى هذا الرّجل سنين كثيره، و ربح علىّ أضعاف هذه الدنانير مرارا، فإن رأى القاضى أن يسأله الرّفق بى، فإنّى عبد، و ضعيف، و لا حيله لى.

فسألته أن يرفق به، و يؤخّره، فامتنع.

فقلت: قد سمعت.

فقال: ما لى حيله.

فقال الرّجل: احبسه لى.

فعاد العبد يسألنى، فسألته [١٤٣ ر] أن لا يفعل، و بكى العبد، فرققت له، و سألت خصمه أن لا يحبسه، و أن ينظره.

فقال: لا أفعل.

فقال العبد: إن حبسنى أهلكنى، و الله ما أرجع إلى شىء، و إنّه لىضايقنى، و يلجّ فى أمرى، و قد انتفع منى بأضعاف هذه الدنانير، و ورث منذ أيام من أخى ألوف دنانير، فأشير علىّ بمنازعتة إلى القاضى فى الميراث، فلم أفعل.

قال: فحين قال ذلك، توجّه لى وجه طمع فى خلاصه من لجاج ذلك الغريم، و قد كان غاظنى بلجاجة و محكه (٢).

فقلت: [١٧٠ ظ] كيف ورث أخاك، و أردت منازعتة؟

ص: ٧٤

١- المكاتب: الرقيق الذى يتفق مع سيده على أن يؤدّى إليه مبلغاً معيّناً، فإذا أذاه صار حرّاً، و يكتبان بذلك كتاباً.

٢- المحك: التمدادى فى اللجاجة و الخصومه.

فقال: إنَّ أخی كان عبد له، مَأذونَه فی التَّصَرُّفِ، و كان یَتَجَرُّ و یَتَصَرَّفُ، و یؤدِّی إلیه ضریبته، و جمع مالا و أمتعه، بأكثر من ثلاثه آلاف دینار، ثم مات، و لم یخلف أحدا غیری، و أنا رجل ضعیف، مملوك، و لی ابنان طفلان من أمرأه حرَّه، و هما حرَّان، فأنا أعلهما، و أعل نفسي، و زوجتی، و أؤدِّی إلی مولای ضریبته (١) فطمعت فی أن أنازعه فی المیراث، و أخذ شیئا أعود به علی نفسي، و أولادی، و عیالی، فقیل لی: إنَّك لا ترث، فلم أحبَّ منازعته، صیانه له، و هو الآن یضایقنی.

قال: فقلت للرجل: هو كما قال، إنَّ أخاه كان عبدك، و مات، و خلف عليك تركه قیمتها ثلاثه آلاف دینار؟

قال: نعم.

فقلت له: و لهذا العبد طفلان حرَّان؟

قال: نعم.

فقلت: قم، فأخره بالدنانیر و لا تطالبه بها.

فقال: ما أبرح إلا بالدنانیر، أو بحبسه.

فقلت: اقبل رأبی، و لا تلج.

فقال: لا أفعل.

فقلت: إنَّك متى لم تفعل، خرج من یدك مال جلیل.

فقال: لا أفعل.

قال: فقلت للعبد: قد أذنت لك أن تتكلَّم عن ابنيك الطفلین، و هما -على مذهب عبد الله بن مسعود، و هو مذهبي- أحقَّ بالمیراث من مولاه، و إن كنت أنت حیاً، فإنَّك بمنزله المیت للعبودیة، فطالبه عن ابنيك الحرَّین الطفلین بالترکه.

ص: ٧٥

قال: فطالبه بها.

فأحضرت الشهود، فأعاد الخصومه، والدعوى، ولم أزل بالمولى، حتى أسمعت الشهود إقراره بما كان أقرّ به عندي، ثم حكمت للإبنين الطفلين بالتركة، وانتزعت جميعها من يده، وسلمت إليه منها عشرين ديناراً، لما أقرّ له العبد به، وجعلت ذلك ديناً عليه لابنيه.

و سلمت مقدار ثمن العبد، من مال الطفلين، إلى أمين من أمنائي، و قلت:

اشتر أباهما من مولاه بهذه الدنانير، واعتقه عليهما، ففعل.

وجعلت باقى مال الطفلين فى يد أبيهما، و أمين جعلته عليه مشرفاً، و أمرت الأب أن يتجر لهما بالمال، و يأخذ ثلث الربح، بحق قيامه، و حكمت بالجميع، و أشهدت على إنفاذى الحكم له الشهود.

فقام العبد، و هو فرحان، و قد فرّج الله عنه، و آمنه أن يحبس، و عتقت رقبتة، و صار موسراً.

و قام اللجوج خاسراً حائراً، و قد أخذ عشرين ديناراً، و أعطى ثلاثة آلاف دينار (١).

ص: ٧٦

ابن الجصاص الجوهري

يلتقط جواهره المبعثره لم يفقد منها شيئا

حدّثني أبو علي بن عبد الله بن الجصاص، قال: سمعت أبي يقول:

إتفق أنّي كنت يوم قبض عليّ المقتدر جالسا في داري، وأنا ضيق الصدر، ضيقا شديدا، لا أعرف سببه.

و كان من عاداتي إذا لحقني مثل ذلك، أن أخرج جواهر عندي في درج معزوله لهذا، من ياقوت أحمر، و أزرق، و أصفر، و حبا كبارا و درّا فاخرا، يكون [١٣٤ م] قيمه الجميع خمسين ألف دينار (١)، و أكثر، و أستدعي صبيته (٢) ذهب لطيفه، فأجعله فيها، و ألعب به، و أقلبه، فيزول ضيق صدري.

فاستدعيت ذلك الدرج، فجاءوني به بلا صينيه، فأنكرت ذلك، و أمرت بإحضارها، و فتحت الدرج، و فرّغت ما فيه في حجرى، و رددته على الخادم، و أنفذته يجيئني بالصبيته، [١٤٤ ر]، و أنا جالس في بستان، في صحن داري، في يوم بارد، طيب الشمس، و هو مزهر بصنوف الشقائق (٣)، و المناثر (٤)، و أنا ألعب بتلك الجواهر، إذ دخل الناس إليّ بالصياح، و المكروه، و الكبس، فقبوا مني.

ص: ٧٧

- ١- في م: عشرين ألف دينار.
- ٢- الأصل في الصبيته، أنّها الآنيه المنسوبه إلى الصين، ثم صرفت إلى كلّ أنحاء يشبهه طبق يتخذ لتقديم الأشياء عليه، هذا إذا كان من المعدن، فإن لم يكن من المعدن، فهو طبق.
- ٣- الشقائق: زهور ربيعيه ذات لون أحمر جميل، سمّيت شقائق النعمان، لأنّ النعمان بن المنذر، نزل بأرض فيها هذه الزهره، فاستحسنها، و أمر أن تحمي، فنسبت إليه.
- ٤- المناثر، مفردها: المنثور: نبات ذو زهر، ذكيّ الرائحه، سمّي منثورا لأنّه كان ينثر و يفرش في -

فدهشت، و لم أحب أن يظهروا على ما فى حجرى، فنفضت جميعه فى ذلك الزهر فى البستان، و لم ينتبهوا له.

فأخذت، فحملت، و جرى على ما جرى من المصادره، و بقيت فى الحبس المدّه الطويله، و تقلبت الفصول على البستان، فجعف ما فيه، و لم يفكر أحد فى قلعه، أو زراعته، و إثارته، و أغلقت الدار، فما قربها أحد [١٧١ ظ] من أصحابى، و لا أعدائى، بعد الذى أخذ منها، و فرغت، و وقع اليأس من وجود شىء فيها.

ثم سهّل الله إطلاقى، فأطلقت، فحين جئت إلى دارى، و رأيت الموضع العذى كنت جالسا فيه ذلك اليوم، ذكرت حديث الجواهر الذى كان فى حجرى، و نفضى إياه فى البستان.

فقلت: ترى بقى منه شىء؟.

ثم قلت: هيهات، هيهات، و أمسكت.

فلما كان فى الغد، أخليت الدار، و قمت بنفسى و معى غلام يثير البستان بين يدى، و أنا أفتش شيئا، شيئا، ممّا يشيره، و أجد الواحده بعد الواحده، من ذلك الجواهر، و كلما وجدت شيئا، حرصت على الإثارة، و طلب الباقي، إلى أن أثرت جميع البستان، فوجدت جميع ذلك الجواهر، ما ضاع لى منه واحد.

فأخذته، و حمدت الله، و علمت أنه قد بقيت لى بقيه من الإقبال صالحه (١).

ص: ٧٨

١- وردت هذه القصّه فى نشوار المحاضرته برقم ١٣٤/٧ و لم ترد فى غ و لا ه.

الوزير ابن مقله ينكب رجلا ثم يحسن إليه

حدّثني أبو محمّد يحيى بن سليمان بن فهد رحمه الله، قال: حدّثنا أبو علي إسماعيل بن محمّد بن الخبّاز، قال:

كان أبو علي بن مقله (١)، نكبنى، وصادرنى، لشيء كان فى نفسه علىّ، فأفقرنى، حتّى لم يدع لى شيئا على وجه الأرض.

و أطلقنى من الحبس، فلزمت بيتى حزينا، فقيرا، يتعذّر علىّ القوت.

ثم لم أجد بدا من الاضطراب فى معاشى، فأشير علىّ أن ألزم ابن مقله، و أستعطفه، و قيل لى إنّه إذا نكب إنسانا فخدمه، رقى عليه.

قال: فلزمته مديده، لا أراه يرفع إلىّ رأسا، و لا يذكرنى (٢).

قال: و كان يعرفنى بحسن الثياب و نظافتها، و التفقّد فى أمر نفسى (٣)، أيام يسارى.

و اتّفق أنّى حضرت داره فى يوم جمعه، غدوه، و لم أكن دخلت الحمام قبل ذلك بأسبوع، و لا حلقت شعرى، و لا غيرت ثيابى، و أنا و سخ الجسد و الثياب، طويل الشعر، و إنّما أخرت ذلك لإضاقتى عن مقدار ما أحتاج إليه، و لشغل قلبى أيضا، و غمى بالفقر المدقع الذى دفعت إليه، و هوان نفسى علىّ.

فخرج ابن مقله ليركب، فقامت إليه فى جملة الناس، فدعوت له.

ص: ٧٩

١- الوزير أبو علىّ محمد بن على المعروف بابن مقله: ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٨ من هذا الكتاب.

٢- فى م: و لا يفكر فىّ.

٣- كذا فى م، و فى ظ: و التنقيه فى أمر نفسى.

فحين رآني، تأملني طويلاً، ثم أوماً إليّ خادماً له بكلام لا أفهمه، وركب.

فجاءني الخادم، فقال: الوزير يأمرك أن لا تبرح من الدار، إلى أن يعود، و أخذني إلى حجره، فأجلسني فيها.

فقامت قيامتي، و خفت أن يكون قدر أن تكون لي بقيه حال، و يريد الرجوع عليّ بالمطالبه، و ليس ورائي شيء، فأتلف.

فتدخلني من الجزع أمر عظيم، و حصلت في شدة كانت أشد عليّ ممّا مرّ بي، فلم يكن بأسرع من أن عاد.

فجاءني الخادم، فقال: قم إلى الوزير، فقد طلبك.

فجئت، حتّى دخلت عليه، و هو خال وحده، و ليس بين [١٣٥ م] يديه غير أبي الحسين، ابنه (١)، فرحّب بي، و أكرمني، و رأيت من برّه ما زال عنيّ معه الخوف.

ثمّ قال: يا أبا عليّ، أعرفك نظيف الثوب، حسن القيام على نفسك، فلم أنت بهذه الصورة؟.

قال: ففطنت أنّه لما رآني على صورتي تلك، رقّ لي.

فقلت: أيّها الوزير، لم يبق لي -و الله- حال، و إنّهُ ليتعدّر عليّ ما أغيّر به هذا المقدار من أمرى، و فتحت أبواب الشكاية، إلى أن بكيت.

فقال: إنّنا لله، إنّنا لله (٢)، ما ظننت أنّ حالك بلغت إلى هذا، و لقد أسأنا إليك.

ص: ٨٠

١- الوزير أبو الحسين علي بن محمد بن علي بن مقله: هو ابن الوزير أبي عليّ، لما قلّد الراضى ولديه، المشرق و المغرب، استكتب لهما أبا الحسين، ثمّ استخلفه أبوه على جميع الدواوين، ثمّ ولاّه الراضى الوزارة مع أبيه، و لها قبض على أبيه استتر، ثمّ وّرر للمتقى، و سافر معه إلى الموصل، و لما عاد معه إلى بغداد، قبض عليه توزون، و توفّي في السنه ٣٤٦ (تجارب الأمم ٣٠٩/١-٣٨٨ و ٤٣/٢-١٦٧).

٢- في م: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون.

قال: ثمّ مدّ يده إلى الدواه، فكتب لى على الجهبذ، بألف دينار صلّه، و وقّع توقيعا آخر، بأن أبايع ضيعه من المبيع بألفى دينار، بحيث أختار ذلك، ثمّ قال: خذ هذه الدنانير فاتّجر بها، وأصلح منها [١٤٥ ر] حالك، و ابتع بهذه الألفى دينار ضيعه من المبيع، تغلّ لك ألف دينار فى السنه، و اخترها، و شاور فيها، فإذا وقع اختيارك عليها، فأسمها لى، لأ- كتب بمبايعتك إياها، لتستكفى بغلّتها سنتك، إلى أن [١٧٢ ظ] أنظر لك بعد هذا، فأردّ جاهك، فشكرته و دعوت له، و نهضت.

فقال: قف، فوقفت.

فقال لابنه أبى الحسين: بحياتى عليك، عاون أبى علىّ حتّى يحصل له هذا كلّه فى أسبوع، و فى دفعه واحده، و لا ينمحق عليه.

قال: فوعدنى أبو الحسين بذلك، و أمرنى بالمصير إليه، فانصرفت.

و رحى إلى أبى الحسين، فأعانى، فحصل ذلك كلّه لى فى أيام قليله، و حصلت لى الضيعه، فاستغللتها فى تلك السنه ألف دينار.

و لزمى أبى علىّ، فعوّضنى بمكاسب جليله، عاد إلىّ منها أكثر ممّا خرج عن يدى بنكبه (١).

ص: ٨١

١- لم ترد هذه القصّه فى غ و لا ه.

إبن عبدون الأنبارى الكاتب

يكسب فى ليله واحده مائه ألف دينار

قال محمّد بن عبدوس فى كتاب الوزراء: حكى عن محمّد بن خلف، المعروف بابن عبدون الأنبارى الكاتب، إنّه قال:

بينما أنا يوماً أدرج فى بعض سكك المدينة (١)، وكانت حينئذ لا يدخلها راكباً إلاّ من له نباهه، إذ سمعت خلفى وقع حوافر، فنظرت فإذا يوسف (٢) بن الوليد الأنبارى، وكانت بينى وبينه مودّه وقرابه، فلم أسلم عليه.

فقال لى: من أين يا أبا عبد الله؟

فقلت: إنى كسرت (٣) هذه السنه ثلاثه آلاف فرسخ، وانصرفت و أنا سبروت (٤).

ص: ٨٢

١- المدينة: مدينه المنصور.

٢- فى م: يونس.

٣- كسر: هنا، بمعنى قطع مسافه.

٤- السبروت: كناية بغداديه عن المفلس، فصيح، والسبروت من الأرض: القفر الذى لا نبات فيه، و للبغداديين فى الإفلاس تعابير و أوصاف و كنايا [١] ات يضيق عنها هذا البحث، و من جمله كناياتهم عن المفلس: هلكان، مهلوس، پريشان، (فارسيه: سىء الحال)، نابديد (فارسيه: غير ظاهر، مختفى)، و ربما كان أصلها نابود: مفلس، فقير، معدوم، هتيان (أحسبها تركيه، أصلها هياتان) قال الشاعر البغدادى: إجتمع البعض من الشبان من مفلس حاف و من هتيان و يكون عن المفلس، بقولهم: ضربه جويريد، و جويريد هو الخريف الذى يجرّد الأشجار من أوراقها كما يكون عن المفلس، بقولهم: يقرأ بجيبه أبو الرباز، و هذه الكنايه لا بدّ لها من شرح، فإنّ أبا الرباز، أحد المغنين المشهورين ببغداد فى القرن التاسع عشر، و كان له صوت معروف به، يبرّ به المغنين كافه، -

فقال لى: ثلاثة آلاف فرسخ؟.

قلت: نعم، مضيت إلى مصر (١)، فأخفقت، ثم مضيت إلى فارس (٢)، ثم إلى كرمان ٧، ثم إلى خراسان ٨، و انقلبت إلى أذربيجان ٩، و انصرفت بغير شىء، و أنا أتمنى أن يهب الله تعالى قوتاً، فأتمونه فى بلدى.

فقال لى: كم يكفيك من الرزق؟.

ص: ٨٣

١- مصر: أرض مصر أربعون ليله فى مثلها، عرضها من برقه إلى أيله، و طولها من أسوان إلى الشجرتين اللتين بين رفح و العريش (معجم البلدان ٥٤٦/٤) فتح المسلمون مصر فى عهد الخليفه عمر بن الخطاب، و أنشأوا مدينه الفسطاط، راجع حاشيه القصه ٢٢٣ من هذا الكتاب.

٢- فارس: راجع حاشيه القصه ٧٨ من هذا الكتاب.

فقلت: إن كان في بلدي، فخمسة عشر ديناراً في كل شهر، أتقوت بها أنا و عيالي، و هو ما لا فضل فيه لشهوه و لا نائبه.

فقال: كن معي.

فأتبعته، فصار بي إلى ديوان فيه كتاب، و حجره لطيفه، فدخلتها، فإذا في صدرها الفضل بن مروان (١)، و هو يكتب حينئذ للمعتصم (٢)، و هو أمير، فوصفني للفضل، و رغبه في استخدامي، فرمى إليّ الفضل بكتاب.

و قال: أجب عنه بما يجب.

فاستعلمت منه الدعاء (٣)، و أجبته الرجل عن الكتاب، و عرضته عليه، فرضى خطي، و لفظي.

و قال لي: كم يكفيك في كل شهر من الرزق؟

فقال له يوسف: الذي ذكر إنّه يقنعه خمسة عشر ديناراً في كل شهر.

فقال: هذا قوت، و لا بدّ من استظهار لئائبه، و لكن قد جعلتها ثلاثين ديناراً في كل شهر، فقبلت يده.

فقال: الزمنى ليلك و نهارك، طلبتك أم لم أطلبك، فإنّ الملازمه رأس مال الكاتب.

قال: فلزمته كما رسم.

ص: ٨٤

١- الفضل بن مروان، وزير المعتصم: ترجمته في حاشية القصة ١٧ من الكتاب.

٢- أبو إسحاق محمد المعتصم بن أبي جعفر هارون الرشيد (١٧٩-٢٢٧): ترجمته في حاشية القصة ١٧ من الكتاب.

٣- يريد بالدعاء ما يورد في صدر الكتاب، بعد إسم المخاطب، فإنّ آيين الدواوين يفرض أن يكون لكل واحد من الأشخاص، دعاء خاص، و قد أفرد صاحب كتاب الوزراء، فصلاً خاصاً في هذا الموضوع، و أورد في ضمنه تبناً ذكر فيه كيفية الدعاء، بدأ فيه بالأمراء أولاد الخليفة، ثم السيده أم الخليفة، ثم خاله الخليفة، ثم الأمراء العباسيين، ثم كبار أصحاب الأطراف، ثم القواد، ثم أصحاب الدواوين، ثم العمّال، ثم القضاء، و هكذا... راجع كتاب الوزراء للصابي: ١٦٦-١٧٨ و كتاب رسوم دار الخلافة ١١٣-١٢١.

و كان صالح بن شيرزاد (١)، يخلفه في دار المعتصم، وقد استولى على المعتصم [١٣٦ م] بحيلته، و تَلَطَّفَه، على حماريّه كانت فيه (٢)، و كره ذلك الفضل بن مروان، و اجتهد في قلعه، فلم يتمكن.

فقال لي يوما، ما في نفسه من ذلك، و قال: أنا أحبُّ أن أجعلك مكانه، إلا أتى أتخوِّف أن تسلك مسلكه (٣)، فهل فيك خير؟
فقلت: قد عرفت أخلاقي و طبعي، فإن كنت عندك ممّن يصلح للخير، و إلا فلا تثق إليّ.

فكان في هذا التدبير، حتّى حدث أمر القبط بمصر، فندب المأمون أخاه أبا إسحاق، لمحاربتهم، في سنه اثنتي عشرة و مائتين (٤).
فخرج أبو إسحاق إلى مصر، و معه الفضل بن مروان، و استخلف صالح بن شيرزاد بحضرة المأمون، فيما لا يضُرّه أن يغلب عليه، و سلّه عن المعتصم، و جعلني مكانه، و شخصنا.

فكسبت مع المعتصم، في ليله واحده، مائه ألف دينار حلالا طيبا، و ذلك إنّ القتل كثر في أهل مصر، و جلا الباقون، و أشرف البلد على الخراب.

ص: ٨٥

١- صالح بن شيرزاد: كان يخلف الفضل بن مروان في دار المعتصم، ثم استخلفه المعتصم بحضرة المأمون، لما خرج المعتصم إلى مصر، و في السنه ٢١٣ ولى خراج مصر، فظلم الناس و زاد عليهم في خراجهم فانتقض أسفل الأرض بمصر (الولاه و القضاء للكندي ١٨٥) و [١] هو والد أحمد بن صالح بن شيرزاد وزير المعتمد (الفخرى ٢٥٤).

٢- كذا ورد في ر و ظ، و في م: على خيانه كانت فيه، و الصحيح ما أثبتناه، و يريد بالحماريّه، العناد و الجمود.

٣- في م: أن تسلك سبيله.

٤- في ابن الأثير ٤٠٩/٦: [٣] في السنه ٢١٣ خلع عبد السلام، و ابن جليس، المأمون، بمصر، في القيسيّه و اليمانيّه، و ظهرا بها، ثم وثبا بعامل المعتصم، و هو عمير بن الوليد الباذغيسي فقتلاه في السنه ٢١٤، فسار المعتصم إلى مصر، و قاتلها، فقتلها، و افتتح مصر، فاستقامت أمورها و استعمل عليها عمّاله، الطبري ٦٢٢/٨.

و شق ذلك على المأمون، و أنكره [على أبي إسحاق] (١)، إنكاراً شديداً، فكان [١٤٦ ر] فيما رآه، تسكين الناس، و ردّهم إلى مصر.

فوردت علىّ في يوم واحد، كتب جماعه [١٧٣ ظ] من رؤساء البلد، يسألون الأمان لهم.

فقلت للفضل في ذلك.

فقال: أجبهم إلى ما التمسوا، و أجب كلّ من سأل مثل ذلك.

فكتبت في ليله، لمائه رجل، أماناً، فظهروا، و بعث إليّ كلّ واحد منهم، من ثلاثة آلاف دينار، إلى ألف دينار، إلى خمسمائه دينار، و بعضهم لم يبعث إليّ شيئاً.

فحصيت ما اجتمع لي، فكان مائه ألف دينار، و أحيت مائه إنسان، و فرجت عنهم، [و عن أتباعهم، و من يلوذ بهم، و كشفت كربته عظيمه عن أبي إسحاق] (٢).

ص: ٨٤

١- الزيادة من م.

٢- الزيادة من م، لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه.

الفضل بن سهل و مسلم بن الوليد الأنصاري

أخبرني أبو الفرج المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني حبيب ابن نصر المهلبى، قال: حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، قال: حدّثني محمّد بن عبد الله بن سليمان (١)، عن أبي الخطاب الأزدي، قال:

كان مسلم بن الوليد (٢)، و الفضل بن سهل، متجاورين في قنطره البردان (٣)، و كانا صديقين.

قال مسلم: فأعسرت إيسارا شديدا، و لحقتني محنه، و ولي الفضل بن سهل الوزاره بمر و (٤)، فتحمّلت إليه على مشقه.

فلما رأني رحب بي و أدناني، و قال: أ لست القائل؟

فاجر مع الدهر إلى غايه ترفع فيها حالك الحال

فقلت: نعم.

قال: صرنا إلى هذه الحال، و صرت بنا إليها، و أمر لي بثلاثين ألف درهم،

ص: ٨٧

١- في م: محمد بن طهمان.

٢- أبو الوليد مسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريع الغواني: شاعر غزل، كوفي، نزل بغداد، و اتّصل بالفضل بن سهل، فولّاه بريد جرجان، فاستمر فيها إلى أن مات، لقّبه الرشيد بصريع الغواني، لأنّه أنشده قوله: (الأعلام ١٢٠/٨) و ما العيش إلا ألفا تروح مع

الصبا و تغدو صريع الكأس و الأعين النجل

٣- قنطره: البردان: محله ببغداد (معجم البلدان ١٨٧/٤).

٤- مرو: و اسمها مرو الشاهجان، قصبه خراسان، بينها و بين نيسابور سبعون فرسخا (مراصد الاطلاع ١٢٤٢/٣).

وولاني عملا اخترته (١).

فانصرفت عني المحنة التي كنت أعانيها، و حصلت لي نعمه طائله.

قرئ على أبي بكر الصولي و أنا أسمع، في كتابه، كتاب الوزراء، بالبصرة، في سنة خمس و ثلاثين و ثلثمائه، حدّثكم أحمد بن يزيد المهلبى، قال:

حدّثنا عبد الله بن أبي سعد، فذكر بإسناده نحوه، إلا أنه ذكر في الشعر زياده أربعة أبيات، لا تتعلّق بكتابتى هذا فأذكرها، و ذكر أنّ الفضل ولى مسلما برید جرجان.

ص: ٨٨

١- ذكروا أنّ الفضل بن سهل ضمّن مسلم بن الوليد ضياعا بجرجان، بخمسائه ألف درهم، و قد بذل له فيها ألف درهم (معجم البلدان ٥٠/٢).

كيف طهر عثمان بن حيان المرّي المدينة من الغناء

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني، قال: أخبرني الحرّمي بن أبي العلاء، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: حدّثني عمّي مصعب، عن عبد الرّحمن بن المغيرة الحرّامي (١) الأكبر، قال:

لما قدم عثمان بن حيان المرّي (٢) المدينة (٣) واليا عليها، قال له قوم من وجوه النّاس: قد وليت المدينة على كثره من الفساد، فإن كنت تريد أن تصلح، فطهرها من الغناء و الزناء.

ص: ٨٩

١- في م: الحرّاني، وفي الأغاني ٣٤١/٨ [١] الحرّامي.

٢- أبو المغراء عثمان بن حيان بن معبد المرّي: من الظلمه، ولآه الوليد بن عبد الملك، المدينة، خلفا لعمر بن عبد العزيز، والسبب في ذلك، أنّ عمر بن عبد العزيز، وكان يلي الحجاز، كتب إلى الوليد، يشكو إليه عسف الحجاج للناس بالعراق، واعتدائه عليهم، وظلمه لهم، فاغتاز الوليد، وعزل عمر، وولّى بدلا منه عثمان بن حيان، بإشاره من الحجاج (الطبري ٤٨٢، ٤٨١/٦ و [٢] ابن الأثير ٥٧٧/٤) و [٣] كانت أوّل خطبه خطبها عثمان بالمدينة، شتم فيها أهل العراق، ورماهم بكلّ نقيصه، وأمر فنودي في الأسواق: ببراءه الذمّه ممّن آوى عراقيا، وأمر بهم فشرّدوا في كلّ وجه، واعتقل قوما منهم بعث بهم إلى الحجاج في العراق (الطبري ٤٨٥/٦ و ٤٨٦) و [٤] يكفى للدلاله على ظلم عثمان، ما قاله عمر ابن عبد العزيز، وقد جرى ذكر المظالم: الحجاج بالعراق، والوليد بالشّام، وقرّه بمصر، و عثمان بالمدينة، و خالد بمكّه، أللهم إنّ الدنيا قد امتلأت ظلما و جورا (ابن الأثير ٥٨٤/٤).

٣- المدينة: يوجد ستة عشر موضعا يسمّى باسم المدينة، منها: يثرب، مدينة الرسول صلوات الله عليه (المفتقرق صقعا ٣٨٨-٣٩٢)، و بها قبره و مسجده، و بها نخل كثير على مياه الآبار و السواقي (مراصد الاطلاع ١٢٤٦/٣) [٦] أقول: زرت المدينة لما حججت في السنه ١٩٦٤ فوجدتها من أطيب البلدان هواء، و أعذبها ماء، و فيها أنواع كثيره من الفواكه و التمور، و الأسعار فيها رخيصة، و أهلها طيبوا الأخلاق، معاملتهم حسنه، و رأيت العمران فيها قائما على ساق، و قد استملكت الحكومه السعوديه مساحه عظيمه من العقار المحيط بقبر رسول الله و مسجده، و بنت بجوار القبر مسجدا، شاهق البنيان، بديع الصنعه، واسع الأكناف، و احاطته برحبه واسع.

فصاح في ذلك (١)، وأجل أهله ثلاثاً، يخرجون فيها من المدينة.

و كان ابن أبي عتيق (٢) غائباً، وكان من أهل الفضل و العفاف و الصلاح، فلمّا كان في آخر ليله من الأجل، قدم [١٣٧ م].

فقال: لا أدخل منزلي حتّى أدخل على سلامه القس (٣).

فقال لها، و قد دخل عليها: ما دخلت منزلي، حتّى جئتكم أسلم عليكم.

قالوا: ما أغفلك عن أمورنا، فأخبروه الخبر.

فقال: اصبروا لي الليله.

فقالوا: نخاف أن لا يمكنك شيء، و تؤذى (٤).

فقال: إن خفتن شيئاً، فأخرجوا في السحر.

ثمّ خرج، و استأذن على عثمان بن حيان، فأذن له، فسلم عليه، و ذكر غيبته، و أنّه جاء ليقضى حقّه، ثمّ جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغناء و الزناء.

و قال: أرجو أن لا تكون عملت عملاً، هو خير لك من ذلك.

ص: ٩٠

١- صاح في ذلك: أمر أن ينادى به في البلده.

٢- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، المعروف بابن أبي عتيق: كان من أجلّ أهل زمانه، من أهل الفضل، و العفاف، و الصلاح، كريماً، حليماً، يهتزّ للشعر الرائق، و يطرب للغناء الحسن، و كان محبوباً، محترماً من أهل الحجاز على اختلاف آرائهم، و هو الذي جمع بين لبنى و قيس بعد طلاقها منه، روى له الحصري في كتاب الملح و النوادر ملحتين مع عمته عائشه أمّ المؤمنين (الملح ٣ و ٤٥)، راجع أخباره في كتاب الأغاني، [١] في جميع أجزاءه، و في كتاب الملح ص ٢٥ و ٤٢-٤٥ و له قصّه من أطرف القصص مع عبد الله بن عمر، راجعها في التاج ص ١٣١ و قصص أخرى ظريفه في الأغاني ١٥٧/١٢ و ٣٣٥/١٥، و [٢] راجع كذلك حاشيه القصّه ٤٨٢ من هذا الكتاب.

٣- سلامه القس: مغنيّه، شاعره، نشأت بالمدينه، و مهرت في الغناء و ضرب العود، و شغف بها عبد الرحمن بن أبي عمير التابعي، الملقّب بالقس، لعبادته و زهده، فغلب لقبه عليها، و اشتراها يزيد بن عبد الملك بعشرين ألف دينار، ورثته لما مات (الأعلام ١٦٣/٣).

٤- في الأغاني ٣٤١/٨: و [٤] ننكظ، يقال: أنكظه، إذا أعجله عن حاجته.

قال عثمان: قد فعلت ما بلغك، وأشار عليّ به أصحابك.

قال: قد وفقت، ولكن ما تقول يرحمك الله في امرأه كانت هذه صناعتها، ثم تركتها، وأقبلت على الصيام والصدقة والخير، وإني رسولها إليك تقول:

أتوجه إليك، وأعوذ بك أن تخرجني من جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن مسجده.

فقال: إني أدعها لك ولكلامك.

فقال ابن أبي عتيق: لا يدعك الناس، ولكن تأتيك، وتسمع كلامها، وتنظر إليها، فإن رأيت أنّ مثلها يسع أن تترك، تتركها.

قال: نعم.

فجاءه بها، وقال لها: احملني معك سبحة (١)، وتخشعي، ففعلت.

فلما دخلت على عثمان، حدّثته، فإذا هي من أعلم الناس بأمر الناس، فأعجب بها، وحدّثته عن آباءه وأمرهم [١٧٤ ظ] ففكّه لذلك.

فقال لها ابن أبي عتيق: اقترئي للأمر (٢)، فقرأت.

ص: ٩١

١- راجع ما كتبه عن المسبحة في حاشية القصه ٢٢٨ من هذا الكتاب.

٢- القراءة: الدراسة والتفهيم (مفردات الراغب الأصبهاني ٤١٢) وقد ورد في القرآن الكريم: سنقرؤك فلا تنسى، (٦ ك الأعلى ٨٧)، والقارئ: الناسك المتعبد (أساس البلاغه للزمخشري ٢/٢٣٩). والقارئ: قارئ القرآن، والقراءات السبع: قراءه كل من أبي عمر زبان بن العلاء المازني، وأبي رويم نافع بن عبد الرحمن المدني، وأبي معبد عبد الله بن كثير المكي، وأبي بكر عاصم بن أبي النجود بهدله الكوفي، وأبي عمران عبد الله بن عامر اليحصبي، وأبي عماره حمزه بن حبيب الزيات، وأبي الحسن علي بن حمزه الكسائي (الفهرست ٢٨)، [١] فإذا قيل القراءات العشر: أضيفت إليها قراءه أبي جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي، وأبي محمد خلف بن هشام الأسدی البزاز، وأبي محمد يعقوب بن إسحاق البصري، وكان ابن عباد النجار، يقرأ بالسبعة، وكان فقيراً، يخرج بالنهار يتصدق، فيشد الرقائق والزهديات، فسئل لماذا لا يتصدق بقراءه القرآن، فقال: والله، لا أعرض القرآن للمسألة أبداً (القصيه ٤/٣ من نشوار المحاضره) و [٢] خالفه في ذلك سائل كان يتصدق بقراءه القرآن، فقيل له: أما تستحي -

فقال لها: احدى له (١)، ففعلت، فكثير عجبه بها.

فقال: كيف لو سمعتها فى صناعتها، فلم يزل ينزله شينا شينا، حتّى أمرها بالغناء، فقال لها ابن أبى عتيق، غنّى:

سددن خصاص البيت (٢) لما دخلنه بكلّ لبان (٣) واضح ١٣ و جبين

فغنّته، فقام عثمان بن حيان، ففعد بين يديها، ثمّ قال: لا والله، ما مثل هذه تخرج.

فقال ابن أبى عتيق: لا يدعك الناس، يقولون أقرّ سلامه، و أخرج غيرها.

فقال: دعوهم جميعا، فتركوهم.

و أصبح الناس يتحدّثون بذلك، يقولون: كلم ابن أبى عتيق الأمير فى سلامه القس، فتركوا جميعا ١٤.

ص: ٩٢

١- الحداء، بضم الحاء: غناء يغنّيه الحادى للإبل، فتسرع فى سيرها، و ما يزال هذا النوع من الغناء معروفا فى البلاد العربيه، و يسمّى: الركبانى.

٢- الخصاص، بكسر الخاء، و مفردها: الخصّ، بضم الخاء: حواجز البيت إذا كانت من قصب أو أغصان الأشجار.

٣- اللبان، بفتح اللام: الصدر، أو ما بين الثديين.

أضاع كيسه و استعاده بعد سنه

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر، الكاتب اللغوي، المعروف بالحاتمي (١)، قال: أخبرنا أبو عمر محمّد بن عبد الواحد، قال: أخبرنا ثعلب، قال:

أخبرنا عمر بن شُبّه، قال: حدّثني سعيد بن عامر، قال: حدّثنا هشام بن خالد الربعي، قال:

دخلت المسجد، و معي كيس فيه ألف درهم، لا أملك غيره، فوضعت على ركن ساريه (٢)، و صلّيت، ثم ذهبت و نسيت.

فكرتني أمره، و فدحت حالي لفقده، فما حدّث بذلك أحدا سنه، و جهدني الضّر.

قال: فصلّيت من بعد ذلك، إلى تلك الساريه، و دعوت الله، و سألته ردّه عليّ، و عجوز إلى جانبي تسمع قولي.

فقلت: يا عبد الله ما الذي أسمعك تذكر؟.

قلت: كيسا أنسيته على هذه الساريه عام أوّل.

قالت: هو ذا عندي، و أنا منذ سنه أراقبك، فجاءت به بخاتمه.

ص: ٩٣

١- أبو علي محمّد بن الحسن بن المظفر، المعروف بالحاتمي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٣ من الكتاب.

٢- في م: على ترييع الساريه، و الساريه: الأسطوانه، و البغداديون يسمونها: ذلك، بفتح الدال و اللام، و بالكاف الفارسيه.

عبد الله بن الزبير

يطالب بنى هاشم بالبيعه أو يضرب أعناقهم

أخبرني محمّد بن الحسن بن المظفر، المعروف بالحاتمي، قال: أخبرني عيسى بن عبد العزيز الطاهري (١)، قال: أخبرني
الدمشقي، عن الزبير بن بكار، قال:

جمع [عبد الله بن] الزبير بنى هاشم بمكة، وقال: لا تمضى الجمعة حتى تبايعوا، أو أمر بضرب أعناقكم.

فنهض إليهم قبل الجمعة يريد قتلهم، فناشده المسور بن مخرمه الزهري (٢) أن يدعهم إلى الوقت الذي وقت لهم، وهو يوم
الجمعة، ففعل.

فلما كان يوم الجمعة، دعا محمّد بن الحنفية رضى الله عنه خادما له بغسل (٣) و ثياب، وهو لا يشكّ في القتل.

وقد كان المختار بن أبي عبيد بعث أبا عبد الله (٤) وأصحابه إليهم، فجاءهم الخبر بحال محمّد بن الحنفية، وما دفع إليه من ابن
الزبير، وقد نزلوا ذات

ص: ٩٤

-
- ١- هو عيسى بن عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر، روى له المرزباني في الموشح ٤٩٩ [١] خبرا و أورد نسبه كما ذكرنا.
 - ٢- أبو عبد الرحمن المسور بن مخرمه بن نوفل بن أهيب القرشي الزهري (٢-٦٤): من فضلاء الصحابه و فقهاءهم، أدرك النبى صلوات الله عليه و هو صغير و سمع منه، و هو ابن أخت عبد الرحمن بن عوف، و انحاز إلى جانب ابن الزبير فى حربه مع بنى أمية، أصابه حجر من حجاره المنجنيق فى محاصره الكعبه فقتله (الأعلام ١٢٤/٨).
 - ٣- الغسل، بكسر الغين و سكون السين: ما يغتسل به من أشنان و ماء.
 - ٤- أبو عبد الله الجدلى: من كبار القواد الكوفيين، نسبته إلى جديله بطن من قيس عيلان، و جديله أمهم نسبوا إليها (اللباب ٢١٤/١).

عرق (١)، فتخلل منهم سبعون رجلا حتى وافوا مكة صبيحه يوم الجمعة، فشهروا السلاح، و نادوا يا محمد (٢).

فبلغ الخبر ابن الزبير، فراعته، و تخلص محمد رضى الله عنه، و من كان معه، و أرسل محمد، على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه، فنادى فى القوم الذين أنفذهم المختار: من كان يرى لله تعالى عليه حقًا، فليستأمر نفسه، فإنه لا حاجة لى بأمر الناس له كارهون، و أنا إن أعطيتها عفوا قبلتها، و إن كرهوا ذلك لم أختره.

فبعث ابن الزبير إلى محمد: إنى أصالحك على أن تتنحى عنى، فتلحق بأيله (٣)، فأجابه إلى ذلك، و لحق بأيله.

و كفّ الله تعالى ابن الزبير، و قبض يده عما حاوله من قتله، و قتل أهل بيته (٤).

ص: ٩٥

١- ذات عرق: مهلّ أهل العراق المتوجهين إلى الحجاز، و ذات عرق هى الحدّ بين نجد و تهامه (معجم البلدان ٣/٦٥١).

٢- فى الطبرى ٧٥/٦-٧٧: إنهم نادوا: يا لثارات الحسين.

٣- أيله: مدينه على ساحل البحر الأحمر مما يلى الشّام، كانت ملتقى القوافل بين مصر و أواسط بلاد العرب، و بين موانئ فنيقيا و جنوبى بلاد العرب (معجم البلدان ١/٤٢٣ و المنجد).

٤- انفردت بهان، و قد ورد الخبر فى الطبرى ٧٥/٦-٧٧ و فى الكامل لابن الأثير ٢٤٩/٤-٢٥٤، [٢] راجع القصه ٥٦ من هذا الكتاب.

عاقبه الظلم

وجدت في بعض الكتب: حدّث علي بن المعلّى، عن الزهري البصري، قال:

كنا جلوسا عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام، و ذكر حديثا فيه:

أنّ أبا عبد الله [١٤٧ ر] قال: إنّ قوم سدوم، هلكوا بمجوسيّ.

قيل: ما سبب ذلك؟.

قال: أما تعرفون بالبصره عندكم جسرا، يقال له: جسر الخشب؟.

قلنا: بلى.

قال: ذاك جسر سدوم، جاءه رجل مجوسى، و معه زوجته حاملا، راكبه حمارا، تريد العبور، فمنعوها إلاّ أن يأخذوا خمسه دراهم، فأبى أن يعطيا ذلك، فطلبوا منهما عشره دراهم، فأبى أن يعطيا ذلك، فشمصوا الحمار (١)، و قطعوا ذنبه، فاضطربت المرأه، فأسقطت جنينها، فاشتدّت بالمجوسى محنته.

و قال: إلى من نتظلم فيما فعل بنا؟.

فقيل: إلى صاحب هذا القصر.

فدخل إليه، و قال: فعل بى كيت و كيت.

قال: لا بأس، ادفع إليهم حمارك، يعملوا عليه إلى أن ينبت ذنبه، و ادفع إليهم زوجتك، حتّى يطؤوها إلى أن تحمل.

فرفع المجوسى رأسه الى السماء، و قال: اللهم، إن كان هذا حكم من عندك، و أنت به راض، فأنا به أرضى، و أرضى.

ص: ٩٤

١- شمص الدابّه: أعجلها، و طردها طردا عنيفا.

فبعث الله إليه ملكا من الملائكة، فأخذ بعضده، وعضد زوجته، فغير بهما الجسر.

فقال له: يا عبد الله من أنت؟ فلقد مننت عليّ.

قال: أنا ملك من الملائكة، لما أن قلت: أَللّهم إن كان هذا حكم من عندك، و أنت به راض، فأنا أرضى و أرضى، بعثنى الله لأخلصك، فالتفت إلى القوم، و انظر ما أصابهم.

فالتفت المجوسى، فإذا القوم قد خسف بهم (١).

ص: ٩٧

١- لم ترد هذه القصة فى غ و لا ه.

دواء عجيب وضعه الطبيب للكاتب زنجي

أخبرني علي بن نصر بن فنن (١)، الكاتب النصراني: أنّ أبا عبد الله زنجي الكاتب (٢)، سرق منه مال جليل، و كان شديد البخل، فناله غم شديد، حتّى أنحل جسمه، و اجتهد في صرف الهمّ و الغمّ عنه، فلم يجد إلى ذلك سبيلا.

فشاور الأطباء في ذلك، و عملوا له أشياء و صفوها له، فما نجعت، إلى أن استشار علي [١٣٩ م] ابن نصر، الطبيب النصراني (٣)، جدّه، و كان يطبّ زنجي و يلزمه، فأشار عليه أن يصوغ إهليلجه من ذهب (٤)، و يمسكها في فيه.

ففعل ذلك، فلم تمض إلا أيام، حتّى زال غمّه، و عاد إلى صحّته جسمه (٥).

ص: ٩٨

١- كذا في ظ و ر، و أحسب أنّه أبا الحسن علي بن نصر النصراني الكاتب المعروف بابن الطبيب، ترجمته في حاشيه القصّه ٥٠ من هذا الكتاب.

٢- أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الكاتب، الملقّب زنجي: ترجمته في حاشيه القصّه ١١٧ من هذا الكتاب.

٣- في م: علي بن بشر النصراني.

٤- الإهليلجه: نوع من الحلّي، إهليلجيّ الشكل، كالبيضاويّ، و هو ما يسمّى بالانكليزيه Elliptical ، و قد أخبرنا أحد البرامكه، أنّه كان معه ثلاثون ألف دينار، صاغها عشره آلاف إهليلجه ذهبا (وفيات الأعيان ٣/٤٧٣).

٥- لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه.

يا غياث المستغيثين أغثنى

وجدت فى بعض الكتب:

حكى أنّ رجلا خرج فى وجه شتاء، فابتاع بأربعمائه درهم، كان لا يملك غيرها، فراخ الزرياب (١) للتجاره.

فلما ورد دكانه ببغداد، هبت ريح بارده، فأماتها كلها إلا فرخا واحدا، كان أضعفها و أصغرها، فأيقن بالفقر.

فلم يزل يبتهل إلى الله تعالى ليلته أجمع بالدعاء و الاستغاثة، و يسأله الفرخ ممّا لحقه، و كان قوله: يا غياث المستغيثين، أغثنى.

فلما انجلى الصبح، زال البرد، و جعل ذلك الفرخ الباقي ينفش ريشه، و يقول: يا غياث المستغيثين، أغثنى.

فاجتمع الناس على دكان الرّجل، يرون الفرخ، و يسمعون الصوت.

فاجتازت جاريه راكبه، من جواري أمّ المقتدر، فسمعت صوت الطائر، و رأته، و استامته، و تقاعد الرّجل، فاشترته بألفى درهم، و أعطته الدراهم، و أخذت الطائر (٢).

ص: ٩٩

١- الزرياب: طائر على قدر الحمامه، أصدأ اللون، أسود الذنب، مخطّط الجناحين، و هو أوف يقبل التعليم، سريع الإدراك لما يعلم، و ربما زاد عن البيغاء، راجع التفصيل فى معجم الحيوان لمعلوف ١١٢ و ١٣٥.

٢- لم ترد هذه القصّه فى غ و لا ه.

قصة سلمه الأنباري النصراني

وجدت في بعض الكتب:

كان بسرّ من رأى، ثلاثه إخوه نصاري أنباريون، أحدهم موسر، و لم يسمّ، والثاني متجمّل، يقال له عون، والثالث، يقال له سلمه، فقير، قال أمر سلمه فيما يكابده من شدّه الفقر، إلى أن تعدّر عليه قوت يومه.

فمضى إلى أخيه عون، و سأله أن يتلطف إلى أخيه الموسر، في أن يشغله فيما يعود عليه نفعه، و يخدمه فيه، بدلا من الغريب.

فامتنع [١٧٦ ظ] الأخ الموسر من ذلك، و عاوده دفعات، و استعطفه، و ضرّه يتزايد.

فقال الموسر، على سبيل الولع (١): إن شاء أن أصيره مكان الشاكريّ، و صبر على العدو، فعلت.

فعرض عون على سلمه ذلك، فقال سلمه: ما عرض أخونا عليّ هذا إلا لأمتنع، و يجعله حجّه، و أنا أستجيب إليه و أصبر، و أرجع إلى الله تعالى، في كشف الحال التي أكون فيها معه، و أرجو الفرج ببغيه عليّ، و لا أضع نفسي بمسأله الناس، ففعل ذلك [١٤٨ ر].

فكان أخوه يركب، و هو يمشى في أثره بطليسان و نعل، حتّى لا يظهر أنّه غلامه، و إذا نزل في موضع، لحقه، و أخذ ركابه، و تسلّم المركوب، و حفظه إلى أن يخرج.

ص: ١٠٠

فلم يزل على هذا، إلى أن طلب وصيف الكبير (١)، رفيق بغا (٢)، من يجلسه بباب داره، فيكتب ما يدخل إلى المطبخ، من الحيوان، و الحوائج، ليقايس به ما يحتسب عليه.

فوصف عون، أخاه سلمه، لذلك، و وجه إليه فأحضره، فامتنع، و ذكر أنه لا دربه له به، و لا فيه آله له.

فضمن له عون معاونته، و إجمال الحساب في كلّ عشيه، و أجرى عليه رزق يسير.

و جلس بالباب، و صار يدعو بالحمالين، فيثبت ما يحضرونه، و يرفع في كلّ يوم مدرجا (٣) بتفصيل ذلك.

فلما انقضى الشهر جمع وصيف المدرج، و أحضر كاتباً غريباً، و تقدّم إليه أن يؤرّجها (٤) على أصنافها.

و عمل كاتب ديوانه عملاً بما رفعه الوكلاء في ذلك الشهر، فظهرت فيه زيادة عظيمة، فحطت و توفّر مالها.

و حسن موقع ذلك من وصيف، و أحضر سلمه، و ما كان رآه قبل ذلك، و صرف المتصرّفين في المطبخ به، و أسنى جائزته.

فتوفّر على يده في الشهر الثاني، ممّا كان حطّ من الأسعار، ما حسن موقعه.

ص: ١٠١

١- وصيف: القائد التركي، من موالى المعتصم، و أحد قواده الكبار، كان يحجب المعتصم، و عند وفاه الواثق، اشترك في استخلاف المتوكل، و تولّى حجابته، ثم اشترك في قتله، و سيطر على الدوله مشاركا للقائد بغا، و قتل سنه ٢٥٣ (العيون و الحدائق ٣/٤٠٩ و تجارب الأمم ٦/٤٨٥-٥٧٨، و الطبري ٩/٣٧٤).

٢- أبو موسى بغا الملقّب بالكبير: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩٠ من الكتاب.

٣- المدرج: بضم الميم: الرقع الملقوفه، يريد بها القائمه التي دوّن فيها ما أحضره الحمالون إلى المطبخ.

٤- التأريخ: تنظيم فقرات الحساب و صفّها تحت عدّه أبواب يحتاج إلى علم جملها، ليسهل عقد الحساب (مفاتيح العلوم ٣٧).

فردّ إليه قهرمه (١) داره، فتتبع التوفيرات، و اتصلت جوائزها إياه، و زيادته في جاريه (٢).

و طالت مدّه خدمته لوصيف، و غلب على حاله، و اتفق له خلوه المتوكل، و حضور وصيف.

فقال لوصيف: قد كثر ولدي، و أريد لهم شيخا، عفيفا، ثقه، ليس فيه بأو (٣)، و لا مخرقه (٤)، لأفرد لهم على يده إقطاعات أجعلها [١٤٠ م] لهم، فلست أحب أن أوسط كتابي أمره.

فوقع في نفس وصيف، أن يصف سلمه، و بخل به، فلم يزل يتردد ذلك في قلبه.

ثم قال: أعلم يا مولاي، إن الله قد رزقني هذه الصفه التي تريدها مني، و الرجل عندي، فإذا فكرت في حقوقك، و أنّ نعمتي منك، لم أستحسن أن أكتمك، و إذا فكرت فيما أفقده منه، توقفت، و الآن، فقد أنطقني إقبالك بذكره، و هو سلمه بن سعيد النصراني.

فقال: أحضرني الساعه.

فأحضره في الوقت، فحين عاينه المتوكل وقع في نفسه صحه ما وصفه، فوقع لكل ابن ياقطاع ثلثمائه ألف درهم، و لكل ابنه بمائه و خمسين ألف درهم، و قيل أنّ المتوكل مات عن خمسين ابنا، و خمس و خمسين ابنه، و دفع إليه التوقيع.

ص: ١٠٢

١- القهرمه: مهمه القهرمان، قال صاحب الألفاظ الفارسيه ١٣٠: إنّ القهرمان فارسيه، و معناها: الوكيل، و صاحب الحكم، و قال صاحب تفسير الألفاظ الدخيله ٥٩: إنّ أصلها يوناني، و معناها: مدبر البيت، و يراد به أمين الدخل و الخرج، لزياده التفصيل راجع حاشيه القصه ٤٧٨ من هذا الكتاب.

٢- الجارى: الراتب.

٣- البأو: الزهو.

٤- المخرقه: التمويه و الكذب، و البغداديون يكونون عن المخرقه، بأنّها حنقبازيات أو بهلوانيات، و عن -

و قال له:نجز هذا،و اختر من الضياع ما ترى،و انصب لها ديوانا، و وصله،و جعل له منزله كبيره،بكتابه الولد.

فلَمَّا فرغ من ذلك،و قام به،جری أمر آخر،أوجب أن ردّ إليه أيضا أمر سائر الحرم،و جعل له قبض جراياتهنّ،و أرزاقهنّ،و إنفاق ذلك عليهنّ، و صرف و كلاءهنّ،و أسبابهنّ عنهنّ،و زادت منزلته بذلك لكثرة الحرم (١).

فبينما سلمه يتردّد في دار المتوكّل،إلى مقاصير الولد و الحرم،وقعت عين المتوكّل عليه،فاستدعاه.

و قال له:يا سلمه،ما أكثر ما يذهب على الملوک،حفظت بك ولدى، و حرمى،و أضعت نفسى،و ليس لى منك عوض،قد رددت إليك بيت المال، و خزائن الفرش،و الكسوه،و الطيب،و سائر أمر الدار،فتسلّم ذلك،و استخلف عليه من تثق به.

و كان قد أنكر عليه،فى بعض خدمته،شيئا[١٧٧ ظ]فأمر باعتقاله، ففرشت له حجره،و ترك خلفاؤه يعملون.

ثمّ ذكره فى اللیل،و هو يشرب،فقال لخدام:امض إلى الحجره الّتی فيها سلمه،فاطلع عليه،و عرفنى الصوره الّتی تجده عليها.

فعاد و ذکر أنّه وجده يسود (٢)،ثمّ أعاده بعد وقت آخر،فوجده على ذلك،و أعاده الثالثه،فكانت الصوره واحده.

فاستحضره،و قال:أنت شيخ كبير،تسود ليجود خطّك فى الآخره، أو لتصل به فى الدنيا إلى أكثر ممّا وصلت إليه؟.

قال:لا هذا و لا هذا،و لكنّك لما اعتقلتنى[١٤٩ ر]،و أقررت أصحابى،

ص:١٠٣

١- الحرم:أنظر البحث فى آخر القصّه.

٢- يسود:يكتب بالحبر على الورق مسودات،و الذى يكتب لتمرين يده على تجويد الخط،يقال عنه: يسود.

وثقت بحسن رأيك، فلم أقطع التأهب لخدمتك، لأنني أكاتبك كثيرا، فيما أستأمرك به، فأنا أحب أن لا تقع عينك على ما تستقيحه من الخط.

فحسن موقع هذا القول من المتوكل، وأمر بإحضار حقه (١)، فيها خاتم الخاصه، فدفعه إليه.

وقال: هذا خاتمي، وقد رددت إليك ختم ما كنت أختمه بيدي، من غير أن تستأمرني فيه، ليعلم الخاص والعام، أنني رفعت منك، وزدت في محلّك، ولا يخلقك عندهم الاعتقال،

ثم رآه المتوكل بعد ذلك، في وقت من الأوقات، ماشيا في الدار، فقال: سلمه شيخ كبير، هو ذا يهرم و يتلف بهذا المشي، لأنه يريد أن يطوف في كل يوم، على الحرم والولد، وقد رأيت أن أجره مجرى نفسي، في إطلاق الركوب له في داري.

و كان المتوكل يركب حمارا (٢) يتخطى به في الممرات، و يركب سلمه حمارا أيضا، و لم يكن في الدار من يركب غيرهما (٣).

ص: ١٠٤

١- الحقه: الوعاء الصغير.

٢- الحمار: أنظر البحث في آخر القصة.

٣- لم ترد هذه القصة في غ و لا ه.

الحرم:النساء لرجل واحد،و حريم الرجل:ما يدافع عنه و يحميه،و لذلك سميت نساء الرجل:الحريم.

و كان حريم المتوكل يشتمل على أربعة آلاف سرّيه (تاريخ الخلفاء ٣٥٠)منهنّ خمسمائه لفراشه (شذرات الذهب ١١٤/٢)و قد أهدى إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، أربعمائه جاريه،مرّه واحده،(المستطرف من أخبار الجوارى للسيوطى ٦٣).

أما المعتصم،والد المتوكل،فإنّه لما توفّى سنة ٢٢٧ كان من جملة ما ترك ثمانيه آلاف جاريه(شذرات الذهب ٦٣/٢).

و أمّا المأمون،حكيم بنى العباس،فقد كان حريمه يشتمل على مائتى جاريه فقط (المستطرف من أخبار الجوارى ٦٩).

أمّا الرشيد،فقد كان حريمه يشتمل على أكثر من ألفى جاريه،سوى ما كان لزوجه زييده من الجوارى و يزيد عددهن عن ألفى جاريه أيضا(الأغانى ١٧٢/١٠ و نهايه الأرب ٢١٤/٤ و ٢١٥ و نشوار المحاضره رقم القصّه ٤٤/٥).

و كان فى دار المقتدر،أربعة آلاف امرأه،بين حرّه و مملوكه(رسوم دار الخلافه ٨).

و لم يكن الإكثار من الجوارى مقصورا على الخلفاء و حدهم،و إنّما تعدّى ذلك إلى أتباعهم،و المترفين من الأمراء،و الرعيه.

و على سبيل المثال،لا الحصر،نورد أنّ عتّابه،أم جعفر البرمكى،كانت تخدمها أربعمائه و صيفه(وفيات الأعيان ٣٤١/١).

و أنّ عمر بن فرج الرخجى،أحد العمال الأشرار،كانت لديه مائه جاريه(الطبرى ١٦١/٩).

و أنّ زوجه يعقوب بن اللّيث الصّفّار،كانت لديها ألف و سبعمائه جاريه(وفيات الأعيان ٤٢٩/٦).

و أنّ بلّكين الصنهاجى،خليفه المعزّ الفاطمى على أفريقيه(ت ٣٧٣)كانت لديه أربعمائه حظيه(وفيات الأعيان ٢٨٧/١).

و أنّ العزيز الفاطمى توفى سنة ٣٨٦ عن عشره آلاف جاريه(إتعاظ الحنفا ٢٩٥).

و أنّ ستّ النصر، أخت الحاكم الفاطميّ (ت ٤١٥)، تركت أربعة آلاف جاريه بين بيضاء و سوداء و مولّده (بدائع الزهور ٥٨/١).

و أنّ نصر الدوله الحميدى، صاحب ميفارقين (ت ٤٥٣)، كانت لديه ثلاثمائة و ستون جاريه، بعدد أيام السنه (وفيات الأعيان ١٧٧/١ و الوافى بالوفيات ١٧٦/٨).

و كان للمعتمد بن عباد اللّخمى، صاحب أشبيلية (ت ٤٨٨) ثمانمائة سريّه (شذرات الذهب ٣٨٦/٣ و مرآه الجنان ١٤٧/٣).

و كان لأبى زنبور، الوزير بمصر (ت ٣١٤) سبعمائه جاريه (شذرات الذهب ١٧٣/٦).

و كان عند الوزير يعقوب بن كلس، وزير العزيز الفاطمى (ت ٣٨٠) ثمانمائة حظيه، سوى جوارى الخدمه (خطط المقرئى ٨/٢).

و كان فى دار ابن نجيّه الواعظ (ت ٥٩٩) عشرون جاريه للفراش، تساوى كل جاريه ألف دينار (الذيل على الروضتين ٣٥) فأعجب لواعظ يرتبط لفراشه عشرين جاريه.

و مات السلطان الناصر محمّد بن قلاوون (ت ٧٤١)، عن ألف و مائتى وصيفه مولّده، سوى من عداهنّ من بقيه الأجناس (خطط المقرئى ٢١٢/٢) و ماتت زوجته الخونده طغاي سنه ٧٤٩ عن ألف جاريه (خطط المقرئى ٤٢٦/٢)، أما الخونده أردوتكين، زوجته الملك الأشرف خليل، و زوجته الملك الناصر محمد بن قلاوون من بعده، (ت ٧٢٤)، فقد كان لها من المماليك أكثر من ألف، ما بين جاريه و خادم (خطط المقرئى ٦٣/٢).

و كان مقبول خان وزير فيروز شاه ملك الهند (٧٥٢-٧٩٠) يملك ألفى جاريه، من بينهنّ الروميّه، و الصيبيّه، و الفارسيّه (الاسلام و الدول الاسلاميه فى الهند ص ٢٢).

و فى مقابل من ذكرنا، نورد أن الخليفه الصالح عمر بن عبد العزيز لما استخلف، خيّر جواريه، و أعتق من رغبت فى العتق، و اقتصر على زوجته ابنه عمّه، فاطمه بنت عبد الملك (تاريخ الخلفاء ٢٣٥).

أما أبو العباس السفّاح، أوّل الخلفاء العباسيين، فانه تزوّج أم سلمه المخزوميّه، قبل الخلافه، فلم يتزوّج عليها، و لم يتسرّ، و لما استخلف ظلّ على وفائه لها، فلم يبدن إلى امرأه غيرها، حرّه و لا أمّه، إلى أن مات (راجع التفصيل فى مروج الذهب للمسعودى ٢٠٦/٢-٢٠٨).

و كذلك كان المتقى، ابراهيم بن المقتدر (ت ٣٥٧)، فانه لما استخلف لم يتسرّ على جاريته التى كانت له (تاريخ الخلفاء ٣٩٤).

و تابعهم فى ذلك ملك العرب سيف الدوله، صدقه بن منصور بن ديبس الأسدى (ت ٥٠١)، فإنه اكتفى بزوجه واحده، لم يتزوج عليها، و لم يتسرّ (المنتظم ١٥٩/٩).

و كذلك كان المستعصم، آخر الخلفاء العبّاسيين ببغداد (ت ٦٥٦) فقد كانت له - و هو أمير- جاريتان، فلما استخلف لم يتغير عليهما (خلاصه الذهب المسبوك ٢٩١).

الحمار

قسم صاحب معجم الحيوان، الحمير، إلى أربعة أنواع، حمار البيت، و حمار قبان، و حمار الزرد، و الحمار العتّابى (معجم الحيوان، ٢١، ٢٧٠، ٢٦٥، ١٧٥، ٩٨) و فى دائره المعارف الاسلاميه ٦٥/٨ قسم الحمار إلى أهلى و وحشى، و الأهلى إلى دابه ركوب، و دابه حمل، و وصف حمار الركوب، بأنه سريع العدو، يهتدى إلى الطريق، و لو سلكه مرّه واحده، و أنه حادّ السمع، قليل المرض، و ذكر أنّ العرب لا يركبون الحمير استنكافاً.

أقول: إنّ العرب فى صدر الاسلام، لم يكونوا يستنكفون من ركوب الحمار، فإنّ النبى صلوات الله عليه كان يركب الحمار (المخلاه للبهائى ٢٩٢) و الخليفه عمر بن الخطاب، و هو قدوه، ركب حماراً أرسنه بحبل أسود (العقد الفريد ٢٧١/٤) و لما قدم الشام، قدمها على حمار (العقد الفريد ٣٦٥/٤ و ١٤/١ و البصائر و الذخائر ٣٠/٤).

ثمّ تغير الحال، فأصبحت الخيل مركب الخلفاء، و الأمراء، و الأميرات، و الوزراء، و القواد، و قد روى ياقوت فى معجم الأدباء ٤٨٥/٥ و ٤٨٦ قصّه عن جمال الدين بن القفطى ذكر فيها أنّ والده قدم مصر، لم تكن دوابّه معه، فأبى أن يركب حماراً.

و استمرّ على ركوب الحمار، التجّار البغداديون (القصّه ٥٤/٢ و ٥٦/٣ من نشوار المحاضره) و الشعراء و متوسطو الحال (نهايه الأرب ٧١/٤ و ٩٩/١٠ و ١٠٠ و فوات الوفيات ١٤٠/٣) و الفقهاء و القضاء (القصّه ٤٠/٣ من نشوار المحاضره، و شذرات الذهب ٢٢٠/٢) و كذلك عقيلات النساء (القصّه ٣١٧ من هذا الكتاب).

و ممّن عرف بركوب الحمار خالد بن صفوان (البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٥٨٨ و ٥٨٩)، و أبو عبيده معمر بن المثنى (مرآه الجنان ٤٥/٢)، و ابن جامع القرشى المغنى (الأغانى ٢٩١/٦ و نهايه الأرب ٣٠٦/٤)، و عيسى بن مسكين فقيه المغرب و قاضى القيروان (مرآه الجنان ٢٢٤/٢)، و أبو يزيد النكارى، الخارج بالمغرب على الفاطميين (اتعاظ الحنفا

ص ٧٠). و أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلّاد (الملح و النوادر للحصري ص ٢٣٠).

و من الطريف أن نذكر أن أبا القاسم الضحّاك بن مزاحم البلخي المفسّر (ت ١٠٥) كان مؤدّباً، و كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي، و كان يطوف عليهم على حمار (ميزان الاعتدال ٣٢٥/٢).

و كان الخلفاء، يركبون الحمير، في أوقات التخفّف، و في بيوتهم، و في بساتينهم، و خرج الوليد بن يزيد مرّه على المغنّين، و هو راكب على حمار (الأغاني ٢٧٨/١٣)، و كان الهادي يركب حماراً فارهاً (تاريخ الخلفاء ٢٧٩)، و خرج مرّه ليعزّي أحد أفراد حاشيته و هو على حمار أشهب (الطبري ٢٩١/٨)، و زار عبد الله بن مالك، و هو على حمار (الطبري ٢١٦/٨)، و كان الرشيد يركب حماراً مصرياً أسود اللون، قريباً من الأرض، يطوف به على جواريه (المحاسن و الأضداد ١٧٤ و مطالع البدور ٢٣٨/١) و يخرج به لعياده من يريد عيادته (الأغاني ٢٥٣/٥ و نهايه الأرب ٣٤١/٤) و زيّاره من يزوره (الأغاني ١٧٥/١٠)، و انتبه مرّه في نصف الليل، فقال: هاتوا حماري، و ركبته، و خرج (الأغاني ١٧٦/١٠)، و عاد المعتصم ولده الواثق، ثم رجع راكباً حماراً (الأغاني ٢٥١/٨ و ٢٥٢ و نهايه الأرب ٢٣٢/٤) و كان يركب الحمار عند خروجه من داره متخففاً (القصّه ١٢٥/٧ من نشوار المحاضر)، و كان العزيز الفاطمي يركب الحمار (إتعاظ الحنفا ٢٩٤)، و كان الحاكم الفاطمي، يركب الحمار، و يدور في الأسواق (شذرات الذهب ١٩٣/٣) و خطط المقرئزي (٢٨٨/٢) و مات الحطيئه الشاعر، و هو على حمار (فوات الوفيات ٢٧٩/١).

و مما يجدر ذكره أنّ الرشيد، لما أمر بقتل جعفر البرمكي، دخل عليه مسروراً، و أخرجه إخراجاً عنيفاً، و قيده بقيد حمار، ثم ضرب عنقه (الطبري ٢٩٥/٨).

و كان الحمار مركب المتحابين إذا خرجوا لموعده (الأغاني ٣٩٥/١) و مركب القهرمانات إذا بارحن القصور من أجل أشغال الساده (القصّه ٤٧٨ من هذا الكتاب)، و مركب المغنّين و المغنّيات و الجوارى (القصّه ٤٧٩ من هذا الكتاب، و نهايه الأرب ٣١/٥ و ١١٠) و مركب رجال الدوله إذا خرجوا متنكّرين (القصّه ٤٧١ من هذا الكتاب، و القصّه ٢/٢ من نشوار المحاضر).

و كان المتوكّل يركب الحمار في داره (كما في هذه القصّه)، و كان يصعد إلى أعلى مناره سامراء، و هو على حمار مريسي (لطائف المعارف ١٦١)، أقول: هذه المناره، ما زالت شامخه في الجوّ، يسميها الناس: الملوّيه، و الطريق إلى أعلاها، يتلوّى حولها، من خارجها.

و لما بنى المكتفى قصر التاج، بنى قبه على أساطين رخام، عرفت بقية الحمار، لأنه كان يصعد إليها، فى مدرج حولها، كمناره جامع سامراء، على حمار صغير الجرم، و كانت عاليه مثل نصف دائره (كتاب دليل خارطه بغداد ص ١٢٦).

أقول: لما زرت بلاد الأندلس فى السنه ١٩٦٠، أبصرت فى أشبيلية، من آثار المسلمين الباقية، مأذنه، يسمونها: الجيرالدا، ذات علو شاهق، يصعد إليها من باطنها، فى طريق يتسع لسته أشخاص، يسرون جنبا إلى جنب، و ذكروا لنا أن المؤذن كان يصعد إلى أعلى هذه المأذنه، راكبا حمارا، و وجدت أهالى أشبيلية، يفتخرون بهذه المأذنه، و يقولون:

إن من صعد إلى أعلى برج إيفل بباريس، أبصر بباريس كلها، أما من صعد إلى أعلى الجيرالدا، فإنه يرى الدنيا كلها.

و كان الناس يغالون فى حمير مصر، و هى موصوفه بحسن المنظر، و كرم المخبر (لطائف المعارف ١٦١ و نهايه الأرب ٩٣/١٠)، و أهل مصر يعنون بتريه الحمير، و القيام عليها، لما يجدونه فيها من الفراهه، و سرعه الحضر، و النجابه، و يبالغون فى أثمانها، حتى بيع فى بعض السنين، حمار، بمائه دينار و عشره دنانير، و كان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهره، فيركب، و يسوقه، فيلحقها بمصر، و بينهما ثلاثه أميال (مطالع البدور ١٨٢/٢).

و ذكر ابن سعيد: أن المغاربه كانوا يأنفون من ركوب الحمار، خلافا لأهالى مصر، فإن أعيان مصر، و الفقهاء، و الساده، يركبون الحمير (خطط المقرئى ٣٤١/١ و نفع الطيب ٣٣٩/٢) حتى إن ابنه الإخشيد محمّد بن طغج، كانت تقطع الأزقه فى القاهره و هى على ظهر حمار (خطط المقرئى ٣٥٣/١).

أقول: لم تقتصر الأنفه من ركوب الحمار على المغاربه المسلمين، و إنما تعدّتهم إلى إفرنج أسبانيا، فإن الملك الفونس، لما انكسر فى السنه ٥٩١ فى المعركه بينه و بين السلطان أبى يوسف الموحّدى، حلق ألفونس رأسه، و ركب حمارا، و أقسم لا يركب فرسا حتى ينتصر (ابن الأثير ١١٥/١٢)، و كذلك صنع علاء الدين الغورى، فى السنه ٦٠٢، فإن أهالى غزنه نهبوا جميع ما كان لديه، فلما وصل إلى باميان، لبس ثياب سوادى، و ركب حمارا، و قال: أريد أن يرانى الناس و ما صنع بى أهل غزنه، حتى إذا عدت إليها و أخربتها لا يلومنى أحد (ابن الأثير ٢٢٠/١٢).

و ذكر القزوينى، فى آثار البلاد ٢٦٢: أن الحمر المريسّيه، نسبه إلى المريسّه فى ناحيه

الصعيد بمصر، من أجود حمر مصر، و أمشاها، و أحسنها صورته، و أكبرها، تحمل إلى سائر البلاد للتحف، و ليس في شيء من البلاد مثلها، و البلاد الباردة لا توافقها، فتموت فيها سريعاً.

و خرج توقيع عبد الله بن طاهر: إذا وجدت البرذون الطخاري، و البغل البرذعي، و الحمار المصري، و الرقيق السمرقندي، فاشتروها، و لا تستطلعوا رأينا فيها، (لطائف المعارف ٢١٩).

و روى صاحب مطالع البدور ١٨٣/٢ طريفتين عن الحمار، الأولى: ذكر إنّه ركب حماراً، من مصر إلى القاهرة، فلما كان في أثناء الطريق، حاد به عن السكّه، و جهد أن يردّه، فلم يطق، حتى انتهى إلى جدار بستان، فوقف، و بال، و عاد إلى الطريق، و كذلك جرى له مع حمارين آخرين، و الطريفه الثانيه: إنّ حماراً كان بمصر، يجتمع عليه الناس، و يجمعون له مناديل، تلقى على ظهره، ثم يأمره صاحبه بإعادة كلّ منديل إلى صاحبه، فيدور في الحلقة، و لا يقف إلاّ على من له في ظهره منديل، فإن أخذه، ذهب عنه، و إن أخذ غيره، لا يذهب، و لو ضرب مائه ضربه، و يأخذ الخاتم من إصبع الرجل، و يسأله عن وزنه، فيقول: كم وزن الخاتم؟ فإن كان وزنه درهماً، مشى خطوه واحده، و إن كان درهماً و نصفاً، مشى خطوه و نصفاً، و هكذا، و بينما هو واقف، يقول له شخص: الوالى يسخر الحمير، فما يتمّ كلامه، إلاّ- و يلقي الحمار نفسه على الأرض، و ينفخ بطنه، و يقطع نفسه، كأنه ميت من زمان، فإذا قيل له، بعد ذلك، ما بقيت سخره، ينهض قائماً.

و كان القاضى، أو الوالى، إذا أمر بإشهار شخص، داروا به على حمار (المنتظم ٢٩٤/٨ و ٢٣٧/١٠ و مهدّب رحله ابن بطوطه ١٤٧/٢)، و من طريف ما يذكر أنّ شخصاً حجّره القاضى للسفّه، و أمر بإشهاره فى البلد، ليمتنع الناس من التعامل معه، فحمل على حمار، و داروا به فى الأسواق، فلما انتهى النهار، طالبه المكارى بالأجر، فالتفت إليه، و قال له: فى أىّ شيء كُنّا منذ الصباح؟.

و كان الشماخ الشاعر، أوصف الناس للحمير، أنشد الوليد بن عبد الملك، شيئاً من شعره فى وصف الحمير، فقال: ما أوصفه لها، إئى لأحسب أنّ أحد أبويه كان حماراً (الأغانى ١٦١/٩).

راجع فى الملح للحصرى ص ٢٨٣ قصّه العاشق الذى حلّ محلّ الحمار فى الطاحون.

وقيل لمزيد، وقد اشترى حماراً: ما في حمارك عيب، إلا أنه ناقص الجسم، يحتاج إلى عصا، فقال: إنني كنت أعتّم، لو كان يحتاج إلى بزماورد، فأنا العصا، فأمرها هين (البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٨٩).

وقيل لمختّ عليل، كان يشرب لبن الأتان: كيف أصبحت؟ قال: لا تسل عمن أصبح أخوا الحمار (البصائر و الذخائر م ٢ ق ١ ص ٢٩).

و من مشهورى الحمير: يعفور، حمار النبى صلوات الله عليه، أهده له المقوقس، صاحب مصر، و نفق منصرف النبى صلوات الله عليه من حجّه الوداع (الطبرى ١٧٤/٣).

و من مشهورى الحمير: حمار بشار بن برد، و قد زعم بشار أنّ حماره هنا كان شاعراً غزلاً، و روى أبياتا من شعره، راجع القصة فى الأغاني ٢٣١/٣ و ٢٣٢.

و من مشهورى الحمير، الحمار الذى كان يركبه الحاكم الفاطمى، و كان يسميه:

القمر (النجوم الزاهرة ٥٤٩).

و من مشهورى الحمير: حمار الحكيم توما، الذى قال فيه الشاعر:

قال حمار الحكيم توما لو أنصفونى لكنت أركب

لأننى جاهل بسيط و صاحبى جاهل مرّكب

و من مشهورى الحمير، حمار أبى الحسين الجزار، جمال الدين يحيى بن عبد العظيم، و هو من عائلة جزّارين، تكسّب بالشعر مدّه، ثم عاد إلى الجزاره، و احتج لعدوله عن الشعر إلى الجزاره، بقوله:

لا تلمنى يا سيّدى شرف الدى ن إذا ما رأيتنى قصاباً

كيف لا أشكر الجزاره ما عشت حفاظاً و أترك الآدابا

و بها صارت الكلاب ترجى نى و بالشعر كنت أرجو الكلابا

و كان الجزّار، كثير الشكوى من حماره، قال فيه:

هذا حمارى فى الحمير حمار فى كلّ خطو كبوه و عثار

قنطار تبين فى حشاه شعيره و شعيره فى ظهره قنطار

و لما مات حمار هذا الشاعر، داعبه شعراء عصره، بمراث و هزليات، فقال بعضهم:

قولوا ليحيى لا تكن جازعا لا يرجع الذاهب بالليت

ص: ١١١

طامن أحشاءك فقدانه و كنت فيه عالي الصوت
و كنت لا تنزل عن ظهره و لو من الحشّ إلى البيت
ما مات من داء و لكنّه مات من الشوق إلى الموت
و قال آخر:

مات حمار الأديب، قلت قضى وفات من أمره الذى فاتا
مات و قد خلف الأديب و من خلف مثل الأديب ما ماتا
فأجابه أبو الحسين قائلا:

كم من جهول رآنى أمشى لأطلب رزقا
و قال لى: صرت تمشى و كلّ ماش ملقى
فقلت: مات حمارى تعيش أنت و تبقى

و مات لابن عنين الدمشقى (٥٤٩-٦٣٠) حمارا، بالموصل، فرثاه بقصيده مثبته فى ديوانه (١٤٠-١٤٢)، منها؛

لا تبعدن تربه ضمت شمائله و لا عدا جانبيها العارض الهطل
قد كان إن سابقته الريح غادرها كأنّ أخمصها بالشوك يتتعل

لا عاجزا عند حمل المثقلات و لا يمشى الهوينا كما يمشى الوجى الوجل

و إنّ لى بنظام الدين تعزیه عنه و فى النجب من أبنائه بدل

و قرأت فى كتاب من تأليف أديب مغربى، أنّ مغربيا باع حماره من آخر، و شرط عليه المشتري، أن يسلمه الحمار فى حلته، و
خرجا إليها معا، و لما دخلا- بين البيوت، أبصر البائع حمارا أدبر، قد أهمله أصحابه، فالتفت إلى صاحبه، و قال: أ هكذا يعامل
الحيوان الأعجم؟ أنتم قوم سوء، و أعاد إلى المشتري ماله، و كرّ عائدا بالحمار.

و عرض محمّد بن واسع الأنزدى، بسوق مرو، حمارا، فقال له رجل: يا عبد الله، أ ترضاه لى؟ فقال: لو رضيته لما بعته (نشوار
المحاضر، القصّه ٦١/٤).

و لزياده التفصيل فى هذا الموضوع راجع نهايه الأرب ٩٣/١٠-١٠٢ و الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ١٣٧/٢ و ١٣٨، و

كتاب الحيوان للجاحظ.

أقول: أدركت الناس ببغداد، قبل انتشار استعمال السيارات، يركب الوجهاء منهم،

ص: ١١٢

الحمير، و يختارونها بيضاء، عاليه، و يسمونها: الحساويّه، لأنّها تجلب من الأحساء، و كانوا يتأثّقون في اختيار الجلّ، و يسمونه: المعرقه (تلفظ القاف كافا فارسيه).

و قد وصف حمير بغداد البيض، سائح أمريكي اسمه بيرى فوك، مرّ ببغداد في السنه ١٨٧٢، في عهد الوالي محمد رديف باشا، الذي خلف مدحت باشا، فقال:

إنّ الحمير البيض في بغداد مشهوره في أنحاء الشرق، و أثمانها عاليه، و قسم منها كبير الحجم، و تزين بصبغها بالحنا، فتبدو آذانها و أذناها حمراء اللون، و أبدانها منقّطه بالحنا، و هي ما زالت - كما كانت في قديم الزمان - مركب رجال الدين و كبار الحكّام، كما أنّ السيدات يفضّلنها على بقيه الدواب، و هم يشرحون منخر الحمار، و يشقّونه شقّا مستطيلا، و يقولون إنّ هذا الشقّ يجعل الحمار أطول نفسا، و لكنّي كلّما سمعت حمارا ينهق، أيقنت أنّه لا ضروره لهذا التصرف، و لا محلّ له (كتاب عربستان أو بلاد ألف ليله و ليله).

و البغداديون يسمون الحمار: زمال، من الزمل (بكسر الزاي و ميم ساكنه) أي الحمل، و يقال: زمل (بفتح)، أي حمل، و الزامله، مؤنث الزامل: الدابّه من الإبل و غيرها يحمل عليها (المنجد)، قالت السیده أسماء بنت أبي بكر: كانت زماله رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و زماله أبي بكر، واحده، أي مركوبهما (لسان العرب)، راجع ما كتبه الدكتور سليم النعيمي في مجلّه المجمع العلمى العراقى م ٢٥ ص ٢٥ و ٢٦.

و كانت «زماله الزهاوى» الشاعر جميل صدقى الزهاوى (ت ١٩٣٦) مضرب المثل في جمال الهيئه و النظافه، و كانت بيضاء، عاليه الظهر، حساويه، و كان الزهاوى يعنى عنايه فائقه، بعلفها، و نظافتها، و كان - رحمه الله - مصابا بارتخاء في عضلات ساقه لا يمكنه من المشى إلا بمعونه، فكان يركبها في روحاته و غدواته.

و للبغداديين أمثال تتعلّق بالحمار، أذكر منها ثلاثه:

أولها: مثل يضرب لمن يكّد ليله و نهاره، من دون راحه، فيقولون: مثل زمال الطّمه، يروح محمّلا، و يعود محمّلا، و الطّمه: فصيحته، ما طمّ من الجمر في الرماد، و يطلق البغداديون هذه الكلمه على موقد الحمايم، و كان يوقد فيه النفايات و القمامه، و كلّ ما يحترق، فكان «زمال الطّمه» يروح إليها حاملا الوقود، و يعود منها حاملا الرماد المتخلف.

و ثانيها: مثل يضرب لمن ورّط نفسه في ورطه يصعب التخلّص منها، فيقولون: تعال طلّع هذا الزمال من هذى الوحله.

و ثالثها: مثل يضرب لمن يتحايل بحيله مكشوفه، فيقولون: إحننا دافنيه سوا، و أصل المثل: إنَّ بغداديين تعطلوا، و حاولا أن يجدا عملا، فلم يوفقا، ثم وجدا حمارا نافقا، فأخذه، و دفناه، و وضعنا على قبره شاهدا، و أدعيا إنَّه قبر ولى من أولياء الله، و أصبح أحدهما سادنا للقبر، و الثانى واعظا و إماما للجماعه فيه، و ظلّا على ذلك حيناً، ثم أحسّ أحدهما أنّ صاحبه يغتال قسما من الواردات، و يستأثر بها، فخاصمه، فبادر صاحبه و ضرب بيده على القبر، يحلف على براءته من التهمه، فصاح به صاحبه: ويحك، إحننا دافنيه سوا.

و للبغداديين نوادر، فيها ذكر للحمار، يتندرون بها، أذكر منها نادرتين:

الأولى: نادره يتندّر بها البغداديون على أهل الموصل، و المعروف عن أهل الموصل تعصّبهم لبعضهم، بحيث لا يتسنّى للغريب أن يجد فيها رزقا، و خلاصتها: أنّ سقّاء بغداديا هاجر إلى الموصل، و استقرّ فيها، و أراد أن يمارس فيها مهته، فاشترى حمارا و قربه، و باشر بحمل الماء من النهر إلى المدينه، و فى اليوم الأول لم يتعامل معه أحد، و كذلك فى اليوم الثانى، و جاع السقّاء، و جاع حماره، فأخذه فى اليوم الثالث، و ذهب إلى سوق المدينه، و قال: يا جماعه، إنّ حرمانكم إتيانى من الرزق أمر مفهوم، لأننى بغدادى، و لكنّ هذا الحمار موصلى، و هو يكاد يموت جوعا، فإن لم ترفقوا بى، فارفقوا به.

و الثانيه: نادره يتندّر بها البغداديون على أحد القضاة، و خلاصتها: أنّ اثنين اختصما على حمار، كلّ واحد منهما يدعى ملكيته، و تداعيا عند القاضى، و قدّم المدعى للقاضى عشره مجيديّات رشوه، و بلغ المدعى عليه ما صنعه خصمه، فذهب إلى القاضى و أعطاه عشره مجيديّات أيضا، و نظر القاضى فى الدعوى، و أراد أن يرضى الطرفين، فحكم بأن يباع الحمار و يقسم ثمنه بين المتداعيين، و بيع الحمار بعشرين مجيديّا، و تسلّم كل واحد من المتداعيين عشره مجيديّات، فتوجّها إلى القاضى، و قال له: يا أفندينا، تبيّن أنّ الحمار لا يعود لواحد منّا، و إنّما يعود لك، لأنك استوفيت ثمنه كاملا.

و دخل أحمد بن محمّد القزوينى إلى سوق النخّاسين فى الكوفه، و طلب حمارا، لا- بالصغير المحتقر، و لا بالكبير المشتهر، إن أقللت علفه صبر، و إن أكثرت علفه شكر، لا- يدخل تحت البوارى، و لا- يزاحم براكبه السوارى، إذا خلا الطريق تدفق، و إذا أكثر الزحام ترفق، فقال النخّاس: أصبر حتى يمسخ القاضى حمارا، و اشتريه لك، (أخبار الحمقى و المغفلين ص ١٢٦).

و نهيق الحمير، يسمّى: الزرّ (البصائر و الذخائر ٢٩٧/٤، راجع أخلاق الوزيرين ١٤٩) و فى بغداد، يلفظونها: زعرّ، و إذا صيغ بها أمام الحمار، نهق.

و ذكر الجبرتى فى تاريخه ٥٣٩/٢ و ١٥٥/٣ أنّ العسكر العثمانى، بالقاهره، باشرؤا فى السنه ١٢١٧ بخطف حمير الناس من أولاد البلد، فأخفى الناس حميرهم، فكان الجماعه من العسكر ينصتون بآذانهم على أبواب الدور، و يقف بعضهم على الدار، و يقول (زرّ)، و يكرّرها، فينهق الحمار، فيؤخذ.

و كان إبراهيم بن الخصيب المدينى، أحمق، و كان له حمار أعجف، و كان إذا علّق الناس المخالى بالعشبيّ، أخذ مخلاه حماره، و قرأ عليها «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، و علّقها عليه فارغه، و قال: لعن الله من يرى كيلجه شعير، أنفع من «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»، فما زال هكذا حتى نفق الحمار، فقال: إنّ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، تقتل الحمير، فهى للناس أقتل، لا قرأتها ما عشت (البصائر و الذخائر م ١١٨/٤ و ١١٩، و راجع كتاب أدب الغرباء للاصبهانى ٤٦).

و مما يروى عن السيد عبد الحسين الغريفى، من علماء البحرين، و كان فقيها من العلماء الأتقياء، أنّه هجم عليه يوما، و هو فى حلقة درسه، معيدى، أو سعه إزعاجا، و ألح عليه أن يستخير له، فإنّه بصد عمل يريد أن يقوم به، فعمد السيد إلى كتاب الله، و فتحه، ثم التفت إليه و قال: أنت تريد أن تشتري حمارا، فقال له: إي و الله يا سيدنا، فقال له: امض فاشتره، و لما بارح المعيدى المكان، سأله تلامذته: كيف عرف مراد المعيدى؟ فقال له: استفتحت له، فظهرت الآية: سنشدّ عضدك بأخيك.

أقول: أنا فى شكّ من صحّه هذه الحكايه، لأنّ السيد عبد الحسين، و هو من الفقهاء الزهاد، أتقى لله من أن يتخذ من آيات القرآن موردا للتملح.

و قال عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١) [شذرات الذهب ٣٤١/٣]:

تكبر على العقل لا ترضه و مل إلى الجهل ميل هائم

و عش حمارا تعش سعيدا فالسعد فى طالع البهائم

و صديقنا المصوّر أرشاك ببغداد، يخالف الناس فى وصف الحمار بالبلاده، و هو يقول: إنّ الحمار عاقل حكيم، و إنّ نظره التى نراها فى عينه و نحسب أنها نظره بلاده، إنّما هى نظره استهانه بنا و لا مبالاه، و كأنه يقول لنا: أنتم تقولون عنى أنّى حمار، و فى الحقيقه، إنكم أنتم الحمير.

للتوسيع في البحث، راجع الطبري ٥٢٢/٥ و ٤٢-٤٠/٦ و ٥٢/٧ و ٢٤٠ و ٥٥٥ و ١٢٢/٨ و ١٩٤ و ٣٠٢-٣٠٠/٨ و ٨/١٠ و الولاه
للكندي ٤٦٩ و ٤٧١، والأغاني ١٥٧/١٢ و ٣٠٣/١٨ و ٣٤٧ و ٦٩/٢٠ و ١٨٢/٢٢، والعقد الفريد ٤٤٢/٦، والأغاني ط بولاق ٣١/٢٠.

ص: ١١٦

ابن الطبري الكاتب النصراني

تجلب له التوفيق رفسه حصان

وجدت في بعض الكتب: أنّ عبد الله المعروف بابن الطبري النصراني الكاتب، قدم سرّاً من رأى يلتمس التصرف، فلزم الدواوين مدّه، إلى أن نفذت نفقته، وانقطعت حيلته، ولم يبق إلا ما عليه من كسوته، [فعدم القوت ثلاثه أيام بلياليها، وهو صابر خوفاً من أن يبيع ما عليه، فيتعطل عن الحركة، فلمّا كان في اليوم السابع] (١) عمل على بيع ما عليه ليأكل [١٤١ م] ببعضه، و ليشتري بالبعض الآخر تاسومه (٢)، و مرقعه (٣)، و ركوه (٤)، و يخرج في زى فيج (٥) إلى بلد آخر، لأنّه بقى ثلاثه أيام لم يأكل شيئاً.

ثمّ شرهت نفسه إلى الرجوع إلى الديوان، مؤملاً فرجا يستغنى به عن هذا، من تصرف أو غيره.

فمشى يريد الديوان، و هو مغموم مفكر، إذ سمع صوت حافر من ورائه، و قوم يصيحون: الطريق، الطريق.

فلشده ما به، غفل عن التنحي عن الطريق، فكبسه شهرى (٦) كان راكبه

ص: ١١٧

- ١- الزيادة من م.
- ٢- التاسومه: ضرب من الأحذية (الألغاز الفارسيه المعربه ٣٣).
- ٣- المرقعه: كساء من الصوف لبسه الصوفيه أولاً، و كانوا يخطون فيه رقاعاً عدّه إظهاراً للزهده، و لبسه غيرهم من الناس، و أصبح اسمه مرقعه حتى لو خلا من الرقاع.
- ٤- الركوه: إناء صغير من الجلد يشرب فيه الماء.
- ٥- راجع حاشيه القصه ٢٢١ من هذا الكتاب.
- ٦- الشهرى: بردون بين الرمكه و الفرس العتيق (أساس البلاغه للزمخشري ٥١١/١).

المؤيد بالله (١) بن المتوكل على الله، وهو إذ ذاك أحد أولياء العهود (٢)، فداسه، و سقط على وجهه.

فصعب ذلك على المؤيد، ولم يكن يعرفه، فاغتم أن يجرى منه على إنسان مثل ذلك، فأمر أن يحمل إلى داره، ففعل ذلك، وأفردت له حجره، ومن يخدمه، وعولج بالدواء، والطعام، والشراب، والطيب، والفرش، حتى برئ بعد أيام، فأنفذ إليه ألفي درهم، وسأله إحلاله مما جرى عليه.

فقال: لا أقبلها، أو تقع عيني على المؤيد، فأشافه بالدعاء.

فأوصل إليه، فشكره، ودعا له، وقص عليه قصته، وسأله استخدامه.

فخف على قلب المؤيد، واستكتبه، وأمر أن يصرف في داره، وفي دار والدته إسحاق، جاريه المتوكل، فتصرف فيها مدته، و صلحت حاله.

و كان الموفق، أخو المؤيد من أمه (٣)، قد رأى ابن الطبري، فاجتذبه إلى خدمته، ونفق عليه، وانتهى أمره معه إلى أن جعل إليه تربيته المعتضد (٤)، وأكسبه الأموال الجليله (٥).

ص: ١١٨

١- المؤيد: إبراهيم بن جعفر المتوكل، كان أحد أولاد المتوكل الثلاثة الذين عقد لهم العهد في السنة ٢٣٥، ولما قتل المتوكل، خلع المنتصر أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد، ولما ولي المستعين جرد المعتز والمؤيد من كل ما لديهما من أموال وعقار، وترك للمعتز ما قيمته عشرين ألف دينار، وللمؤيد ما قيمته خمسة آلاف دينار، وحبسهما، ثم اختلف الأتراك مع المستعين، فأخرجوا المعتز والمؤيد من حبسهما، وبايعوا المعتز بالخلافه، ولما قوى المعتز، بادر في السنة ٢٥٢ إلى خلع أخيه المؤيد، وحبسه، ثم قتله في حبسه، والمؤيد والموفق أبو أحمد طلحه من أم واحده وهى إسحاق الأندلسيه، راجع تجارب الأمم ٥٤٥/٦، ٥٥٨، ٥٧٩، وابن الأثير ١٧١/٧ و ١٧٢ و [١] المستظرف من أخبار الجوارى ص ١٠.

٢- يعنى أن ذلك فى حياه المتوكل، أى قبل السنه ٢٤٧، إذ أن المؤيد عزل من ولايه العهد بعد قتل أبيه.

٣- المستظرف من أخبار الجوارى ص ١٠.

٤- راجع القصة ٥٦/٧ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى.

٥- لم ترد هذه القصة فى غ و لا ه.

أبو بكر محمد بن طغج

ينتقل من ضعف الحال إلى ملك مصر

وجدت في بعض الكتب: حدّث أبو الطّيب بن الجنيد، الذي كان صاحباً لأبي جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد (١)، و كان قبل ذلك جاراً لأبيه أبي القاسم، قال:

كان أبو بكر محمد بن طغج بن جف (٢) ينزل قديماً بالقرب من منازلنا ببغداد، بقصر فرج (٣)، و كان رقيق الحال، ضعيفاً جداً.

و كان له على باب دويرته (٤) دكان (٥) يجلس عليها دائماً، و دابّته مشدوده

ص: ١١٩

١- أبو جعفر محمد بن يحيى بن زكريا بن شيرزاد: ترجمته في حاشية القصّه ٣٧٨ من هذا الكتاب.

٢- أبو بكر محمد بن طغج بن جف، الملقّب بالإخشيدي (٢٦٨-٣٣٤): مؤسس الدّولة الإخشيديّة بالشّام و مصر، فرغانى الأصل، من أبناء المماليك، ولد و نشأ في بغداد، و تقلّب في الأعمال، إلى أن ولّاه الرّاضى إمرة الديار المصريّة، و استقرّ بها سنة ٣٢٣ بعد حروف و فتن، و لقبه الرّاضى بالإخشيدي لأنّه لقب ملوك فرغانه، توفّي بدمشق، و دفن بيت المقدس بباب الأسباط (الأعلام ٤٤/٧).
٣- قصر فرج: و تسمّى دار فرج أيضاً، محلّه كانت ببغداد فوق سوق يحيى، نسبت إلى فرج بن زياد الرّخجى، مملوك حمدونه بنت الرّشيد إذ كان قصره فيها على دجله، و لم يكن على شاطئ دجله أحكم بناء منه، أبصره أعرابى فأعجبه، و سأل عن صاحبه، فلمّا أخبر به، قال: لعمرك ما طول البناء بنافع إذا كان فرع الوالدين قصير معجم البلدان ٥٢٢/٢ و مراصد الاطلاع ٥٠٧/٢ و [٢] الهفوات النادره ٧٧.

٤- الدويره: مصغّر داره، و كلّ ما يدور عليه سور فهو داره، يريد بذلك الدار الصغيره.

٥- الدكان: فارسيه، دكّه كالمصطبه، يقعد عليها، ثم استعملت للحانوت الصغير، لأنّ صاحبه يجلس في صدره على دكّه، و البغداديون يسمّون الحانوت الصغير: دكاناً، فإن كبر، سمّوه: مغازه، و الكلمه محرّفه عن الإفرنجيه magazine المنقوله عن الكلمه العربيّه: مخزن.

إلى جانبها، وهو يراعيها] ١٧٨ ظ [بالعلف و الماء بنفسه (١).

و كان له رزق سلطاني يسير، يتأخر عنه أبدا، فلا يقبضه إلا في الأحيان.

و كان شديد الاختلال، ظاهر الفقر، و كان له عدّة بنات لا ذكر فيهنّ.

و كان يجتاز به أبو القاسم يحيى بن زكريا بن شيرزاد، أو أحد ابنيه، أبو الحسن، و أبو جعفر، فيقوم قائما، و يظهر التعيّد لهما، و لا يزال واقفا إلى أن يبعده عنه.

و كنت ربّما جلست إليه، فيأنس بي و يحدّثني، و يشكو بته، و ما يقاسيه من كثرة العائله، و ضيق الحال.

و يقول: ليت كان لي فيما رزقته من الولد، ذكر واحد، فكنت أتعزّي به قليلا [١٥٠ ر]، و يخفّ بالرجاء له، و السرور به، بعض كربى و همى بهؤلاء البنات.

قال أبو الطيب: و ضرب الدّهر من ضربه، و تقلّب من تقلّبه، و طال العهد بابت طغج، و خرج في جملة تجريد (٢) جرّد إلى الشّام، و أنسيناه، و ترجمت به الظنون، و ترامت به الأحوال، حتّى بلغ أن يقلّد مصر و أعمالها (٣)، و كان من علوّ شأنه، و ارتفاع ملكه، و حصول الأمر له، و لولده من بعده، ما كان، ممّا هو مشهور.

و كان قد طرأ إلى تلك النّاحية أحد التجّار الواسعي الأحوال، من جوارنا، ممّن كان يعرف ابن طغج على تلك الأحوال الأولى، فلما كان بعد سنين،

ص: ١٢٠

١- يعنى إنّه لم يكن لديه سائس أو شاكرى أو خادم يعنى بدابته، و هذا أقصى ما يصل إليه الجنديّ من الاختلال في ذلك الحين.

٢- الجريدة: جماعة الخيل لا رجاله فيها، و التجريده: جماعة مقتطعه من الجند، و التجريد: تهيأه التجريده و إرسالها.

٣- فى السنه ٣٢١ ولى القاهر أبا بكر بن طغج، مصر، و هو مقيم بدمشق، فلم يرحل إليها، و فى السنه ٣٢٣ ولاه الراضى مصر، فرحل إليها و استقرّ بها (الولاه و القضاء للكندى ٢٨١ و ٢٨٦).

عاد الرّجل إلى الحضرة، فحدّثنا بعظم أمر ابن طغج، و اتّسع ملكه.

و قال: رأيت غير الرّجل الّذى كُنّا نعرفه، مكانه، و رجاحه، و حين رآنى، قرّبنى، و أكرمنى، و ما زال مستبشرا بى، يحادثنى، و أحادثه، و يسألنى عن واحد واحد، من بنى شيرزاد، و غيرهم من الجيران، و أنا أخبره.

حتّى قال فى بعض قوله: الحمد لله الّذى بيده الأمور، ما شاء فعل، يا فلان، أ لست ذاكرا ما كنت فيه ببغداد، من تلك الأحوال الخسيسه [م ١٤٢] و ما كنت ألاقى من الشدّه، و الفقر، و الفاقه، و الغرض بالعيش (١)، و الهمّ باولئك البنات؟.

قلت: نعم يا سيّدى.

قال: و الله لقد كنت أتمنى و أسأل الله أن يرزقنى ابنا، فكلّما اجتهدت فى ذلك جاءتنى ابنه، حتّى تكاملن فى بيتى عشرا.

و كنت أتمنى منذ سنّ الحدائى أن أرزق دابّه أبلق (٢)، و استشعر أنّى اذا ركبت ذلك، فقد حصلت لى كلّ فائده و نعمه، لشدّه شهوتى لها، فما سهّل الله لى ما طلبته من هذا الباب أيضا شيئا.

و تكهّلت، و علت سنّى، و أنا على تلك الأحوال.

و ضرب الدّهر ضربه، و خرجت من بغداد، فابتدأ الإقبال يأتى، و الإدبار ينصرف.

و كان الله تعالى يرزقنى فى كلّ سنه ابنا، و يقبض عنّى ابنه، حتّى مات البنات كلّهنّ، و نشأ لى هؤلاء البنون، و أوما إلى أحداث بين يديه كأنهم الطواويس حسنا و جمالا.

ص: ١٢١

١- الغرض: الضجر و الملل. و فى م: و تنغيص العيش.

٢- الدابّه: يجوز فيها التذكير و التأنيث، و الأبلق: الّذى فى لونه سواد و بياض.

ثم قال: وملك من الخيل العتاق (١)، والبراذين (٢)، والبغال (٣)، والحمير البلق (٤)، ما لم يملك أحد مثله، ولا اجتمع لأحد ما يقاربه، وأكثر من أن يحصى، وصار لغلمان غلماني، الكراع الكثير، فقم بنا حتى ندخل الاصطبلات، فتشاهدها، وتعجب.

فأخذ بيدي، ومشينا حتى دخلنا إلى اصطبل البلق، فما أشك، أننا عددنا من صنوف الدواب البلق أكثر من خمسمائه رأس، ثم ضجرنا، وما زلنا نجتاز في الاصطبل، سنة، سنة.

فيقول: هذا اصطبل الفلانيات، وهو يسأل صاحب كراعه، كم في هذا؟.

فيقول: في هذا خمسمائه، وفي هذا أربعمائه، ونحو ذلك.

ص: ١٢٢

١- العتيق: الكريم، والخيار من كل شيء، والفرس العتيق: الكريم الرائع.

٢- البرذون: راجع حاشية القصة ٢٣٧.

٣- البغل: حيوان متولد من الحمار والرمكة (الحيوان للجاحظ ١٦٢/٣ و [١] معجم الحيوان ١٦٤) و [٢] هو موصوف بالصبر والعناد، ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان ٢٠٧/٥، و [٣] قال: ليس في الحيوان أطول عمرا منه، و روى عنه قصصا ٢٠٣/٣ و ٢٠٤ و ١١٨/٧ و كتب عنه كتابا مفردا، سماه: القول في البغال، وبالنظر لاختلاف جنس أبويه، سموه بغلا، وقالوا: البغل نغل، وهو لذلك أهل، (أساس البلاغة للزمخشري ٥٦/١)، و [٤] اشتق من اسمه: التبغيل، وهو: التهجين، يقال: بغل أولادهم، إذا هجنهم (أساس البلاغة ٥٦/١ و [٥] المنجد)، وتزوج الحجاج بن يوسف الثقفي، هند بنت أسماء، فسمعتها تقول: و ما هند إلا مهره عربيته سليله أفراس تزوجها بغل فإن ولدت مهرا كريما فبالحري و إن ولدت بغلا- فما أنجب الفحل فطلقها، و بعث إليها رسولا يحمل مائه ألف درهم، فقال لها: يقول الأمير، كنت، فبنت، وهذا المال صداقك، فقالت للرسول: ما سررنا به إذ كان، ولا جزعنا عليه إذ بان، وهذا المال لك، بشاره لما جئنا به، فكان هذا القول على الحجاج، أشد عليه من فراقها (المحاسن والأضداد للجاحظ ١٢٠ و ١٢١)، [٦] لزياده التفصيل راجع نهايه الأرب ٧٩/١٠-٩٢.

٤- الحمار: راجع حاشية القصة ٢٨٣.

ثمَّ عدنا إلى المجلس، وقد أبهجنى ما رأيت، وهو يحمد الله على تفضُّله وإحسانه، ولازمته، وما فارقت داره حتَّى قضيت حوائجى، ونفعنى، وأحسن الئى، وما قصر، و عدت إلى الشام مكرِّما (١).

ص: ١٢٣

١- لم ترد هذه القصه فى غ و لا ه.

غريب الدار ليس له صديق

ذكر عن رجل كان بالبصرة، أنه كان ذا يسار، و تعيّرت حاله، فخرج عن البصرة، ثم عاد إليها و قد أثرى، فجعل [١٧٩ ظ] يحدث بألوان لقيها إلى أن قال:

تغيّرت حالى، إلى أن دخلت بغداد، غريبا، سلبيا (١)، لا أهدى إلى مذهب و لا حيله.

قال: فجعلت أسأل: أين السوق، أين الطريق، إلى أن ضجرت، فقلت و أنا مكروب:

غريب الدار ليس له صديق جميع سؤاله أين الطريق

تعلق بالسؤال بكلّ صقع كما يتعلق الرجل الغريق

و جعلت أردّد ذلك و أمشى، و إذا برجل مشرف من منظر (٢)، فقال لى:

[١٥١ ر] ترفق يا غريب فكلّ عبد تطيف بحاله سعه و ضيق

و كلّ مصيبه تأتي ستمضى و إنّ الصبر مسلكه و ثيق

فخفّ ما بى، و رفعت رأسى إليه، و سألته عن خبره.

فقال: اصعد إلىّ أحدّك، فصعدت إليه.

فقال: وردت هذا البلد، و أنا غريب، فتحيرت - و الله - كتحيّر ك،

ص: ١٢٤

١- السليب، و جمعه: سلبى: المستلب العقل أو المال.

٢- المنظر، و المنظره: ما ارتفع من الأرض أو البناء و نظرت منه.

إلى أن مررت بهذه الغرفة (١)، فأشرف عليّ رجل كان فيها، لا أعرفه، فقال لي: اصعد.

فصعدت، فأسكننيها، ثمّ تقلّبت بي الأحوال، فابتعت الدار، و أثريت، و أنا أتبرّك بها، و أجلس فيها كثيرا، فلعلّها أن تكون مباركة عليك أيضا، فإنّ لي فيما سواها من الدّور، مساكن تجذبني.

ففعلت، و أقبلت احوالي، و احتجت إلى الاتّساع، فانتقلت عنها (٢)،

ص: ١٢٥

١- الغرفة: المخدع، أو العليّة: أي الغرفة العاليه من الأرض.

٢- لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه.

عبد الله بن مالك الخزاعي

يتسلم كتابا من الرّشيد يخبره بمقتل جعفر البرمكي

وجدت في بعض الكتب:

أنّ البرامكة (١)، قصدت عبد الله بن مالك الخزاعي (٢)، بالعداوة، و كان الرّشيد [١٤٣ م] حسن الرأى فيه، فكانوا يغرونه به، حتّى قالوا له: لا بدّ من نكته.

فقال: ما كنت لأفعل هذا، ولكن أبعده عنكم.

فقالوا: ينفى.

فقال: لا، ولكن أوليه ولايه دون قدره، و أخرجّه إليها.

فرضوا بذلك، فكتبوا له على حرّان (٣) و الرّها (٤) فقط، و أمروه بالخروج، عن الخليفة.

قال عبد الله: فودّعتهم واحدا، واحدا، حتّى صرت إلى جعفر لأودّعه.

فقال لى: ما على الأرض عربى أنبل منك يا أبا العباس، يغضب عليك الخليفة، فيولّيك حران و الرّها؟.

ص: ١٢٤

١- البرامكة: يريد بالبرامكة يحيى بن خالد و ولديه الفضل و جعفر.

٢- أبو العباس عبد الله بن مالك الخزاعي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٣٠ من الكتاب.

٣- حرّان: قصبه ديار مضر، على طريق الموصل و الشام و الروم، فيها حبس مروان بن محمّد إبراهيم الامام حتى مات فى حبسه (معجم البلدان ٢/٢٣٠). [١] أقول: ذكر سديف حرّان فى قوله: أذكروا مصرع الحسين و زيادا و قتيلا- بجانب المهراس و

الامام الذى بحرّان أضحى ثاويا بين غربه و تناسى

٤- الرها، و فى المنجد إنّها تسمّى أورفا أيضا: مدينه بالجزيره بين الموصل و الشام (معجم البلدان ٢/٨٧٦).

فقلت: فما ذنبي حتى غضب عليّ، و أى شيء جرى مني حتى أوجب الذي أن يفعل بي هذا؟.

قال [جزاؤك أن]: يضرب وسطك، و تصلب نصفًا في جانب، و نصفًا في جانب.

فقلت: العجب مني حيث صرت إليك، و نهضت، و خرجت.

و قصعت طريقى بالهمّ، و الغمّ، ممّا دفعت إليه، و أنى لا آمنهم، مع غيبتى، على السعاهيه (١) عليّ.

فبينما أنا فى عشيه يوم، على باب الدار التى نزلتها، جالسا على كرسى، إذ أقبل إلىّ مولى لى، فقال لى سرًا: قد قتل جعفر بن يحيى البرمكى.

فتوهّمت أنه هو أمره بذلك ليجد علىّ حجه ينكبنى بها، فبطحته، و ضربته ثلاثمائه مفرعه، و حبسته، و بتّ بلبله طويله على السطح فى دارى.

فلما كان فى السحر، إذا صوت حلق البريد (٢)، فارتعت، و نزلت عن السطح.

و قلت فى نفسى: إن هجم علىّ صاحب البريد فهى بليته، و إن ترجل لى ففرج.

فلما بصر بى صاحب البريد ترجل لى، فطابت نفسى، و دفع إلىّ كتابا من الرّشيد، يخبرنى فيه بقتله جعفر، و قبضه على البرامكه، و يأمرنى بالشخص إلىّ حضرته.

فشخصت، فلما وصلت إليه، عاملنى من الإكرام و الإنعام بما زاد على أمنيته.

ص: ١٢٧

١- السعاهيه: النميمه، و الوشايه.

٢- فى م: خلق البريد، و فى ر، و ظ: على البريد، و أحسب أنّ الصحيح ما أثبتته، و حلق البريد تتخذ من النحاس، و إذا ضربت الواحده الأخرى، سمع لها و تين خاص به يعرف البريد، فلا يعطل سيره و لا يؤخر استقباله.

و خرجت، فأتيت الجسر، فوجدت جعفرا، قد ضرب وسطه، و صلب نصفه في جانب، و نصفه في الجانب الآخر (١).

ص: ١٢٨

١- لم ترد هذه القصة في غ و لا ه.

نجاح بن سلمه ينصح سليمان بن وهب

برغم ما بينهما من عداوه

حكى أنّ الواثق سحق على سليمان بن وهب (١)، فردّه إلى محمّد بن أبي اسحاق (٢)، وأمره أن يأخذ خطّه بثلاثة آلاف ألف درهم، يؤدّيها بعد خمسه عشر يوماً، فإن أذعن لذلك، وإلاّ ضربه خمسمائه سوط.

فطالبه محمّد بكتب الخطّ، فامتنع، فدعا له بالسياط، وجرّد لضربه.

و دخل [١٨٠ ظ] نجاح بن سلمه (٣)، فلمّا رآه سليمان أيقن بالموت، واستغاث به سليمان.

فقال نجاح لمحمّد: خلّه، وأخلى و إياه، ففعل.

فقال نجاح لسليمان: أتعلم أنّ في الدنيا أحدا أعدى لك منّي؟

قال: لا.

قال: فهوذا أحامى عنك اليوم لأجل الصنائه، أيما أحبّ إليك و آثر

ص: ١٢٩

١- أبو أيوب سليمان بن وهب الحارثي: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٦ من الكتاب.

٢- أبو صالح محمّد بن إبراهيم بن مصعب: أخو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، أمير بغداد (العيون و الحدائق ٣/٤٠٠ و الطبرى ١٢٢/٩) و [١] كان من قوّد المعتصم (العيون و الحدائق ٣/٤٠٠، و الطبرى ٩/٥٧)، و [٢] كان يثنى عليه (الطبرى ٩/١٢٢) و [٣] هو الذى أحضر مازيار إلى سامراء، لما استسلم (العيون و الحدائق ٣/٤٠٢ و ٤٠٣، و تجارب الأمم ٦/٥١١)، و كان يخلف أخاه إسحاق بن إبراهيم، على إماره بغداد، إذا غاب (تجارب الأمم ٦/٥٣٠، و الطبرى ٩/١٣٦)، و [٤] لما تحرّك أحمد بن نصر الخزاعى ببغداد، على الواثق، كان محمّد، أمير بغداد، بالوكاله عن أخيه، فحمل نصر إلى سامراء، فى السنه ٢٣١، حيث قتله الواثق بيده (تجارب الأمم ٦/٥٢٩ و الطبرى ٩/١٣٧)، و [٥] فى السنه ٢٣٢ ولآه الواثق فارس (الطبرى ٩/١٥٠)، و [٦] توفى بها فى السنه ٢٣٦ (الطبرى ٩/١٨٣).

٣- أبو الفضل نجاح بن سلمه الكاتب: ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.

فى نفسك، أن تموت الساعه بلا شك، أو يكون ذلك إلى خمسه عشر يوما، قد يفرّج الله فيها عنك؟ [١٥٢ ر]

قال: بل أكون إلى خمسه عشر يوما بين الأمرين.

قال: فاكتب خطك بما طولبت به، فكتب خطه (١).

قال سليمان: فما مضت سنّه أيام، حتّى مات الخليفه، و بطل ذلك المال.

[و صار نجاح بن سلمه بمشورته تلك على سليمان، أحبّ إليه من أخيه و ولده، و زالت العداوه من بينهما] (٢).

قال مؤلّف الكتاب: هذا الخبر عندي أنّه مضطرب، لأشياء كثيره، و لكنّى كتبتّه، كما وجدته، و قد مضى فيما تقدّم من هذا الكتاب خبر نكبه الواثق لسليمان بن وهب، بما هو أصحّ من هذه الحكايه (٣).

ص: ١٣٠

١- فى م: فكتب سليمان، بمشورته تلك، بخطه.

٢- الزيادة من م.

٣- لم ترد هذه القصّه فى غ و لا ه.

المعتمد يأمر بقطع يد غلام من غلمانته ثم يعفو عنه

بلغنى أنّ أبا محمّد بن حمدون (١)، قال:

إشتهى المعتمد (٢) أن يتخذ له فرش ديباج، بستوره، وجميع آلاته (٣)، على صورته صورها، وألوان اقترحها.

فعمل ذلك بتيس (٤)، وحمل إليه، فسرّ به غايه السرور، وتقدّم، فنجد، ونضد، ونصب، وأحضرنى والندماء، وهو يأكل فيه، فما منّا إلا من وصفه واستحسنه، ثم قام لينام وينتبه، فيشرب فيه، و صرفنا (٥).

فما شعرنا إلا وقد امتلأت الدار ضججه وصياحا، ودعا بنا، فوجدناه يزأر كالأسد.

و إذا نصف ستر [١٤٤ م] من تلك الستور قد قطع، وهو يقول: ليس بى قطعه، ولا قيمته، لأنه يمكننى أن أستعمل مكانه، وإنما بى أنه نغص على السرور به أول يوم، واجترأ على بمثل هذا الفعل، وأصعب من هذا أنه

ص: ١٣١

١- أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الملقّب حمدون: ترجمته فى حاشيه القصّه ٦٥ من الكتاب.

٢- أبو العباس أحمد بن أبى الفضل جعفر المتوكّل: ترجمته فى حاشيه القصّه ٦٥ من الكتاب.

٣- الفرش، فى اللغة: المفروش من متاع البيت، ثم صرف التعبير إلى ما يفرش فى البيت من السجاد، وما يزال هذا التعبير مستعملا ببغداد، وقد فصّلنا ذلك فى حاشيه القصّه ١٦٥ من هذا الكتاب، والظاهر أنّ الفرش الذى أوصى عليه المعتمد، لا يخرج عمّا ذكرنا، ويريد بالآله، ما يتبع الفرش، من ستائر، ومساور، ودسوت، ومصليات، ومما يجدر ذكره أنّه لا يوجد الآن فرش من الديباج، والفرش الآن مقصور على الصوف وهو الغالب، والحريز، وهو الأقل، ومن القطن، وهو أقل من القليل.

٤- تيس: جزيره فى بحر مصر، قريه من البحر، ما بين الفرما و دمياط، تعمل بها الثياب الملونه والفرش الأبو قلمون، وهو الذى إذا قوبل به عين الشمس تلون بألوان شتى (معجم البلدان ٨٨٢/١ و ١٦٦/٤).

٥- فى م: و تفرقنا.

قطعه و أنا أراه، و غاص الذي قطعه عن عيني فلم أثبته.

ثم دعا بنحريير الخادم و حلف له بأيمان مغلظه، أنه إن لم يبحث إلى أن يحضر الجاني، ليضربن عنقه، و جلس على حاله مغضبا.

و مضى نحريير، فما أبعد حتى أحضر صبيًا من الفرّاشين، كأنه البدر حسنا، و القطعه الديقاج معه، و قد أقرّ بقطعها، و اعتذر، و بذل التوبه، و هو يبكي، و يسأل الإقاله.

فلم يسمع المعتمد منه ذلك، و أمر نحريير أن يخرج، فيقطع يده، فأخرج، و ما منّا إلا من آلمه قلبه عليه، لملاحه وجهه، و صغر سنّه، و ليس منّا من يجسر على مسأله المعتمد فيه و نحن قيام سكوت.

حتى صرخ المعتمد على الله من يده صراخا عظيما، و تأوّه، و قال: قد دخل شيء في أصبعي الساعه، و زاد الألم عليه، و جىء بمن رآها، فأحضر مناقشا، فأخرجت من إصبعه شظييه من قصب كالشعره، فما ندرى ممّ يتعجب، من صغرها؟ أو من دخولها في لحمه مع ضعفها؟، أو من شدّه إيلاهما إياه؟ و من كونها فوق الديقاج ساعه طرح و نفض.

فلما استراح، قال: يا قوم، إن كان هذا القدر اليسير قد آلمني هذا الألم الكثير، فما حال هذا الصبي الذي أمرنا بقطع يده؟.

قلنا: أسوأ حال و أشدّها، فيجب أن تجعل العفو عنه شكرا لما كفيته.

فقال: ابعثوا إلى نحريير من يلحقه، فإن كان لم يقطعه، منع من قطعه.

فتسابق الغلمان، فلحقوه، و الزيت يغلى (١)، و قد مدّت يده لتقطع، فخلّوه، و سلم (٢).

ص: ١٣٢

١- إذا كانت العقوبه مقصوره على قطع اليد، أعلى الزيت، و غمس المعصم بعد قطع الكفّ، في الزيت المغلي لقطع النزيف، و إن كان قطع اليد مقدّمه للقتل، ترك المعصم ينزف، راجع القصّه ٧٤/١ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتوخى.

٢- لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه.

مروءه عدى بن الرقاع العاملى

أخبرنى أبو الفرج الأصبهاني، قال: أخبرنى محمّد بن خلف بن المرزبان (١)، قال: حدّثنا أحمد بن جرير (٢)، عن محمّد بن سلام (٣)، قال:

عزل الوليد بن عبد الملك عبيده بن عبد الله بن عبد الرحمن (٤) عن الأردن، و ضربه، و حلّقه (٥)، و أقامه للناس.
و قال للموكلين به: من أتاه متوجّعا، و أثنى عليه، فأتوني به.

فأتاه عدى بن الرقاع العاملى (٦)، و كان عبيده محسنا إليه، فوقف عليه، و أنشأ يقول: [١٨١ ظ].

و ما عزلوك مسبوقا و لكن إلى الغايات سباقا جوادا

و كنت أخى و ما ولدتك أمى وصولا باذلا لا مسترادا

ص: ١٣٣

- ١- أبو بكر محمّد بن خلف بن المرزبان بن بسّام المعروف بالمحوّلى: نسبته إلى بلده المحوّل، و هى قرية قريبه من بغداد، فى غربيّها، كان مترجما ينقل الكتب الفارسيّه إلى العربيّه، و ترجم أكثر من خمسين كتابا، و له تصانيف عدّه (الأعلام ٣٤٨/٦).
- ٢- أحمد بن جرير الكشى: ذكره صاحب ميزان الاعتدال ٨٧/١.
- ٣- أبو عبد الله محمّد بن سلام بن عبيد الله بن سالم: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٣٢٧/٥ و قال: إنّه توفى سنة ٢٣٢.
- ٤- عبيده بن عبد الرحمن بن أبى الأغرّ السلمى: من عمّال الأمويين، و لآه الوليد، ثم و لآه هشام فى السنه ١٠٩ إفريقيه، و كانت الأندلس و جزر البحر المتوسط تابعه لولايته، و استعفى فى السنه ١١٣، فأعفاه، (الكامل لابن الأثير ١٤٦/٥ و ١٧٤ و ١٧٥).
- ٥- حلّقه: يعنى حلق لحيته، و كان ذلك من مظاهر الإهانه، و يدخل فى باب العقوبه.
- ٦- أبو داود عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى: شاعر دمشقى، كان مقدّما عند بنى أميه، مدّاحا لهم، و اختصّ بالوليد بن عبد الملك، مات بدمشق سنة ٩٥ (الأعلام ١٠/٥).

فقد هيضت بنكبتك القدامى كذاك الله يفعل ما أرادا

فوثب الموكلون به، فأدخلوه إلى الوليد، وأخبروه بما جرى.

فتعظ عليه الوليد، وقال له: أتمدح رجلا قد فعلت به ما فعلت؟.

قال: يا أمير المؤمنين، إنه كان إليّ محسنا، ولى مؤثرا، ففى أى وقت كنت أكافئه بعد هذا اليوم؟.

قال: صدقت، وكرمت، وقد عفوت عنك، وعنه لك، فخذه وانصرف.

فانصرف به إلى منزله (١).

ص: ١٣٤

١- لم ترد هذه القصة فى غ و لا ه.

غده كغده البعير و موت فى بيت سلوليه؟

أخبرنى محمد بن الحسن (١)، قال: حدّثنا ابن أبى غسان البصرى (٢)، قال:

حدّثنا أبو خليفه (٣)، قال: أخبرنا محمد بن سلام (٤).

قال محمد بن الحسن، وأخبرنى على بن الحسين الأصبهاني، قال:

أخبرنى عبد العزيز بن أحمد، عمّ أبى (٥)، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال: [١٥٣ ر] حدّثتنى كلما بنت عبد العزيز بن موله، قالت:

كان عامر بن الطفيل (٦)، فارس قيس، و كان عقيما، و كان أعور.

و كان النبى صلّى الله عليه و سلّم، قد رمى منه، و من أربد، أخى لييد بن ربيعه، بما أهّمه [١٤٥ م] عليه السّلام.

ص: ١٣٥

١- أبو على محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٣ من الكتاب.

٢- أبو الحسن محمد بن غسان بن عبد الجبار بن أحمد الدارى، الطيب الصيدلانى، البصرى: طيب من أهل البصره، خدم بصناعته ملوك بنى بويه، و كان شاعرا، أديبا، ترجم له القفطى، و روى أبياتا من شعره (تاريخ الحكماء ٤٠٢) و جاء فى حكايه أبى القاسم البغدادي أنّه انتحر غرقا فى كرداب كلواذى، أنظر سبب ذلك فى الصفحه ٨٣، و نقل عنه التوخى فى نشوار المحاضره قصصا منها ١٤٠/٣ و ٢٧/٨ و ١٠١ و ١٠٢.

٣- أبو خليفه الفضل بن الحباب بن محمد الجمحى القاضى: ترجمته فى حاشيه القصّه ٣٩.

٤- أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٩٠ من هذا الكتاب.

٥- عبد العزيز بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مهران بن عبد الله بن مروان الحمار، و عبد العزيز هذا عم أبى الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني.

٦- أبو على عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامرى: فارس قومه، و كان شاعرا، سيّدا، فاتكا، ولد و نشأ بنجد، و أدرك الإسلام شيخا و لم يسلم، و كان أعور عقيما، و هو ابن عمّ لييد الشاعر و أخيه أربد، توفّى سنة ١١ هجرية (الأعلام ٢٠/٤).

[و ذلك إنهما أتياه] (١)، فلقيهما، فوسد عامرا و سادة، و قال: اسلم يا عامر.

قال: على أن تجعل لي الوبر، و لك المدر، فأبى رسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال: فعلى أن تجعلني الخليفة بعدك، إن أنا أسلمت.

قال: لا.

قال: فما الذي تجعل لي؟

قال: أعنه الخيل، تقاتل عليها في سبيل الله.

قال: أو ليست أعنه الخيل بيدى اليوم؟، و ولى عامر مغضبا و هو يقول:

لأملأنها عليك خيلا جردا، و رجالا مردا، و لأربطن على كل نخله فرسا.

و قال عامر لأربد: إما أن تقتله، و أكفيكه، و إما أن أقتله، و أكفينه.

قال أربد: أكفينه، و أنا أقتله.

فانصرفا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال عامر: إن لي إليك حاجة.

قال: اقترب.

فاقترب، حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سلّ أربد سيفه، و أبصر رسول الله بريقه، فتعوذ منه بآيه من كتاب الله تعالى، فأعاده الله منه، و يبست يده على السيف، فلم يقدر على شيء.

فلما رأى عامر أربد لا يصنع شيئا، انصرف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و قال لأربد: ما منعك منه؟.

قال: إنني لما سللت بعض سيفي، يبست يدي، فو الله ما قدرت على سلّه.

ص: ١٣٦

قال ابن سلام: و ذكر بعضهم أنه قال: لما أردت سلّ سيفي، نظرت فإذا فحل من الإبل، قطم (١)، فاغر فاه، بين يديه، يهوى إليّ، فوالله، لو سللته، لخفت أن يتلع رأسي.

ثم دعا رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم، و قال: اللهم أرحني منهما، و اكفنيهما.

فأما أربد، فأرسل الله تعالى عليه صاعقه، فأحرقته.

و أما عامر فطعن في عنقه، فأخذته غده كغده الجمل، فلجأ إلى بيت امرأه من سلول.

فلما غشيه الموت، جعل يقول: غده كغده البعير، و موت في بيت سلوليه؟ ثم مات (٢).

و في أربد، نزل قوله تعالى: و يرسل الصواعق، فيصيب بها من يشاء، و هم يجادلون في الله، و هو شديد المحال.

و في أربد يقول لبيد أخوه:

ص: ١٣٧

١- وردت هذه الكلمه في م فقط، و جاءت بالفاء: فطم، و هو خطأ، و الصواب: قطم، بالقاف، أي غضبان.

٢- الذي أرويه، أنه قال: غده كغده البعير، و موت على الفراش، و في بيت سلوليه، و كان العربي لا يرضى لنفسه أن يموت على فراشه، و يعدّ الموت في المعركة أكرم، و لما قتل مصعب بن الزبير بمسكن في السنه ٧١ في المعركة بينه و بين عبد الملك بن مروان، قال أخوه عبد الله يفخر بموت أخيه في المعركة، و يعير بني مروان بأنهم يموتون على فراشهم: إنا و الله ما نموت على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص، ما قتل منهم رجل في زحف، في جاهليته و لا إسلام، و إنما نموت قصعا بالرماح، و موتا تحت ظلال السيوف (الطبري ١٦٧/٦).

أخشى على أربد الحتوف و لا أهرب نوء السماء و الأسل

أفجعنى الرعد و الصواعق بال فارس يوم الكريهه النجل (1)

ص: ١٣٨

١- لم ترد هذه القصه فى غ و لا- فى ه، و وردت فى نهايه الأرب ٤٢/٣ و [١] فى الوافى بالوفيات ٣٣٣/٨ و ٣٣٤ و [٢] ورد فيهما الشعر [٣] كما يلى: أخشى على أربد الحتوف و لا أهرب نوء السماك و الأسد فجعنى الرعد و الصواعق بال فارس يوم الكريهه النجد

خرج ليغير فوقع على زيد الخيل

أخبرني محمد بن الحسن، قال: أخبرني عبد الله بن أحمد، قال:

حدّثنا ابن دريد، بإسناد ذكره عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، قال:

أخبرني شيخ من بني شيبان، قال:

أصابني بني شيبان سنة ذهبت بالأموال [١٨٢ ظ] فخرج رجل منهم بعياله حتّى أنزلهم الحيره.

و قال لهم: كونوا قريبا من الملك يصيبكم من خيره، إلى أن أرجع إليكم.

و خرج على وجهه لما قد حلّ به، يؤمّل أن يكسب ما يعود به على عياله، و قد جهده الفقر، و بلغ به الطوى.

فحدّث، قال: مشيت يوما و ليله، بحيث لا أدري إلى أين أتوجه، غير أنّي أجوب في البلاد.

فلما كان من الغد عشاء، إذا بمهر مقيد حول خباء، فقلت: هذا أوّل الغنيمه.

فحللته، فلم أذهب إلا قليلا، حتّى نوديت: خلّ عن المهر، و إلا اختلجت مهجتك.

قال: فنزلت عنه، و تركته، و مضيت و قد تحيرت في أمرى، و اغتممت غما شديدا.

فسرت سبعة أيام، حتّى انتهيت إلى موضع عطن (١) أباعر، مع تطفيل (٢) الشمس، فإذا خباء عظيم، و قبه من آدم.

ص: ١٣٩

١- العطن: مبرك الإبل، و مريض الغنم حول الماء.

٢- طفول الشمس: دنوّها للغروب.

فقلت: ما لهذا الخباء بدّ من أهل، و ما لهذه القبّه بدّ من ربّ، و ما لهذا العطن بدّ من إبل [١٥٤ ر].

فنظرت فى الخباء فإذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه، و كأنّه نسر (١).

قال: فجلست خلفه، فلمّا وجبت الشمس، إذا أنا بفارس قد أقبل، لم أرقطّ فارسا [١٤٦ م] أجمل منه، و لا أجسم، على فرس عظيم، و معه أسودان يمشيان إلى جنبه، و إذا مائه من الإبل مع فحلها، فبرك الفحل، و بركن حوله.

و نزل الفارس، و قال لأحد عبديه: احلب فلانه، ثمّ اسق الشيخ.

قال: فحلب فى عسّ (٢) حتّى ملأه، ثمّ جاء به فوضعه بين يدي الشيخ، و تنحى.

فكرع منه مرّه، أو مرّتين، ثمّ نزع (٣)، ففثرت، فشربته.

فرجع العبد، فأخذ العسّ، فقال: يا مولاي، قد أتى على آخره.

قال: ففرح بذلك، و قال: احلب فلانه، فحلبها، ثمّ جاء بالعسّ، فوضعه بين يدي الشيخ.

فكرع منه كرع واحد، ثمّ نزع ففثرت إليه، فشربت نصفه، و كرهت أن أتهم، إن أتيت على آخره.

ثمّ جاء العبد، و أخذ العسّ، و قال: يا مولاي، قد شرب.

قال: دعه، ثمّ أمر بشاه، فذبحت، و شوى للشيخ منها، و أكل هو و عباده.

فأمهلت حتّى ناموا، و سمعت الغيط، ففثرت إلى الفحل، فحللت عقاله،

ص: ١٤٠

١- فى م: كأنّه شنّ بال، و الشنّ: القربه الخلقه الصغيره.

٢- العسّ، و جمعه عساس: القدح العظيم.

٣- نزع: كفّ.

ثم ركبته، فاندفع بي، و أتبعته الابل، فسלلتها ليلتي كلها حتى أصبحت.

فلما أسفر الصبح، نظرت فلم أر أحدا، فسللتها سلا عنيفا (١)، حتى تعالي النهار، فالتفت التفاته، فإذا بشيء كأنه طائر، فما زال يدنو حتى تبيته، فإذا هو فارس على فرس، وإذا هو صاحبي البارحه.

فعلقت الفحل، و نثلت كنانتي (٢)، و وقفت بينه و بين الإبل.

فدنا مني، و قال: حلّ عقاله.

فقلت: كلاً- والله- لقد أضرب بي الجهد، و خلّفت نسيات، و صبيه بالحيره، و آليت أن لا أرجع إليهنّ إلا بعد أن أفيدهنّ خيرا، أو أموت.

قال: فإنك ميت، حلّ عقاله.

قلت: هو ذاك.

قال: إنك لمغرور، أنصب لي خطامه (٣)، و في خطامه خمس عجر (٤)، فنصبتة.

قال: أين تريد أن أضع سهمي؟.

قلت: في هذا الموضع.

قال: فكأنما وضعه بيده، حتى والى بين خمسه أسهم.

قال: فرددت نبلي، و دنا هو، فأخذ القوس و السيف.

و قال: ارتد ف خلفي، ففعلت.

فقال لي، و قد عرف أنني أنا الذي شربت اللبن عند الشيخ: ما ظنك بي؟ قلت: أحسن الظنّ، مع ما لقيت منّي من تعب ليلتك، و قد أظفرك الله بي.

ص: ١٤١

١- يقال: فرس سريع السلّه، إذا كان مندفعاً في سباقه، و يريد بالسلّ، هنا، السير السريع.

٢- نثل الكنانة: استخراج سهامها و نثرها.

٣- الخطام: جبل يجعل في عنق البعير و يثنى في خطمه.

٤- العجره: العقده.

فقال: أ ترى كُنَّا يلحقك منَّا سوء، و قد بتّ تنادم مهلهلا (١) ليلتك.

قلت: زيد الخيل أنت؟

قال: نعم، أنا زيد الخيل (٢).

قلت: كن خير آخذ.

قال: ليس عليك بأس.

فمضى إلى موضعه العدى كان به، ثم قال: أما لو كانت هذه الإبل لى لسلمتها إليك، و لكنّها لابنه مهلهل، فأقم عندى، فإننى على شرف غاره.

فأقمت أياماً، ثم أغار على بنى نمير بالملح ١٢، فأصاب مائه بعير.

فقال: هذه أحبّ إليك، أم تلك؟

فقلت: هذه، فأعطانيها.

قال: فقلت: ابعث [١٨٣ ظ] معى خفراء، ففعل.

و عدت إلى وطنى، و فرّج الله بكرمه عنى، و أصلح حالى ١٣.

ص: ١٤٢

١- المهلهل بن منهب بن عبد رضا، والد زيد الخيل، و فى م: أ ترى إنّنا كُنَّا نهيجك بسوء و قد بتّ تنادم مهلهلا.

٢- أبو مكنف زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضا، المعروف بزید الخيل: من طىء، كان بطلاب طويلا، جسيما، جميلا، شاعرا، خطيبا، كريما، أدرك الإسلام، و وفد على النبي صلوات الله عليه، فأسلم، و قفل إلى نجد فمات فى الطريق سنة ٩ (الأعلام ١٠٢/٣).

منع الله سؤارا من الطعام و الشراب

و جاء به حتى أقعده بين يديك

ذكر محمد بن إسحاق بن أبي العشير، عن إسحاق بن يحيى بن معاذ (١)، و قال: حدّثني سؤار، صاحب رجه سؤار (٢)، قال:

انصرفت من دار المهدي، فلما دخلت منزلي، دعوت بالغداء، فحاشت نفسي (٣)، فأمرت به فردّ.

ثم دعوت بالترد (٤)، و دعوت جاريه لي لأعبها، فلم تطب نفسي بذلك، و دخلت القائله، فلم يأخذني التوم.

فنهضت، و أمرت ببغله لي شهباء، فأسرجت، فركبتها، فلما خرجت استقبلني وكيل لي و معه ألفا درهم.

فقلت له: ما هذا؟.

فقال: ألفا درهم، جيبتها من مستغلك الجديد.

قال: قلت: أمسكها معك، و اتبعني.

قال: و مضيت، و خلّيت رأس البغله، حتى عبرت الجسر، ثم مضت بي في شارع دار الرقيق ٥، حتى انتهيت إلى الصحراء، ثم رجعت

إلى [١٥٥ ر]

ص: ١٤٣

١- لم أعر على ترجمه لإسحاق بن يحيى بن معاذ، أما أبوه يحيى، فهو أبو زكريا يحيى بن معاذ الواعظ الرازي، ترجم له الخطيب في تاريخه ٢٠٨/١٤-٢١٢.

٢- راجع بحثنا عن الرجه في حاشيه القصّه ٢٢١ من هذا الكتاب.

٣- في م: فجاشت، و في ه: فخاشت، و الصحيح ما أثبتناه: فخاشت: أي نفرت، و الحوش: النفار.

٤- النرد: راجع حاشيه القصّه ٤٠٨ من هذا الكتاب.

[باب الأنبار ٦، فطوّفت، فلما صرت في شارع باب الأنبار ٧، انتهيت إلى] ٨ باب دار لطيف، عنده شجره، و على الباب خادم، فوقفت، و قد عطشت.

فقلت للخادم: أ عندك ما تسقيني؟.

قال: نعم فأخرج قلّه ٩ نظيفه [١٤٧ م] طيبه الرّيح، عليها منديل، فناولنيها، فشربت.

و حضر وقت العصر، فدخلت مسجدا، فصلّيت فيه، فلما قضيت صلاتي، إذا أنا بأعمى يتلمّس.

قلت: ما تريد يا هذا؟.

قال: إني أريد.

قلت: و ما حاجتك؟.

فجاء، حتّى قعد إلىّ، فقال: شممت منك رائحة الطيب فتخيلت أنّك من أهل النّعمه، فأردت أن ألقى إليك شيئا.

ص: ١٤٤

قلت: قل.

قال: أ ترى هذا القصر؟.

قلت: نعم.

قال: هذا قصر كان لأبى، فباعه، و خرج إلى خراسان، و خرجت معه، فزالت عَنَّا النَّعْمه الَّتى كُنَّا فيها، فَأَتَيْت صاحب الدَّار، لِأَسْأله شَيْئاً يصلنى به فَإِنِّى فى ضنك شديد، و ضغطه عظيمه، [و رزوح حال قبيح] (٨)، و أصير إلى سوار، فَإِنَّه كان صديقاً لأبى.

قلت: و من أبوك؟.

قال: فلان بن فلان، فإذا أصدق النَّاس - كان - لى.

قلت: يا هذا، إِنَّ الله قد أتاك بسوار، منعه الطعام و الشراب و النَّوم، حتَّى جاء به فأقعده بين يديك.

ثم دعوت الوكيل، و أخذت منه الألفى درهم، فدفعتها إليه، و قلت له:

إذا كان غداً، فصر إلى، إلى المنزل.

ثم مضيت، فقلت: ما أحدث المهدي، بشىء أطرف من هذا، فَأَتَيْتَه، فاستأذنت عليه، فأذن لى، فحدَّثته بالحديث، فأعجب به، و أمر لى بألفى دينار، فأحضرت.

فقال لى: ادفعها إليه.

[قال: فنهضت، فقال لى: اجلس، أ عليك دين؟.

قلت: نعم.

قال: كم مبلغه؟.

قلت: خمسون ألف دينار.

فقال: تحمل إليك، فاقض بها دينك، فقبضتها.

فلما كان من الغد، أبطأ على المكفوف، و أتانى رسول المهدي، يدعونى، فجئته.

فقال:فكرت في أمرك،فقلت:يقضى دينه،ثم يحتاج إلى الحيله و القرض،وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى.

قال:فقبضتها،وانصرفت،[٨]

فجاءني المكفوف،[فدفعت إليه الألفى دينار][٨]،وقلت له:قد رزق الله خيرا كثيرا،[وأعطيته من مالى ألفى دينار أخرى،فقبض أربعة آلاف دينار،و دعا لي][٨]،وقال:والله،ما ظننت أنني أصل منك،ولا من أحد من أهل هذه البلاد،إلى عشر هذا المال،فجزاك الله خيرا (١).

ص:١٤٤

١- لم ترد هذه القصة في غ و لا ه.

عروه بن أذينة يقد علي هشام بن عبد الملك

أخبرني أبو الفرج الأصبهاني، قال: حدثنا محمد بن جرير الطبري، عن يحيى بن عروه بن أذينة، قال:

أضاق أبي (١)، إضاقه شديده، وتعدرت عليه الأمور، فعمل شعرا امتدح به هشام بن عبد الملك.

و دخل عليه في جملة الشعراء، فلما دخلوا عليه، نسبهم، فعرفهم جميعا [٢] و قال لأبي: أنشدني قولك: لقد علمت...، فأنشده:

ص: ١٤٧

١- أبو عامر عروه بن يحيى (أذينة) بن مالك بن الحارث الليثي: من الفقهاء المحدثين، و من شعراء الغزل المقدمين، شعره كله غرر، و هو في الحديث ثقة ثبت، سمع ابن عمر، و روى عنه مالك بن أنس، و كان من أعيان العلماء و كبار الصالحين (وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ و [١] الشعر و الشعراء ٣٦٧ و ٣٦٨ و [٢] وفات الوفيات ٧٤/٢ و الأغاني ٣٢٢/١٨)، و [٣] كان يصوغ الألحان و الغناء على شعره في حديثه و ينحلها المغنين (العقد الفريد ١٦/٦)، [٤] مرّت به سكينه بنت الحسين، تحفّها جواريتها، و هو في مجلسه يفتي، فمالت نحوه، و قالت: أ لست الذي تقول: قالت و أبثتها سرّي و بحت به قد كنت عندي تحبّ الستر فاستتر أ لست تبصر من حولي؟ فقلت لها: غطّي هواك، و ما ألقى، على بصرى كلّ من ترى حولي من الجوارى أحرار، إن كان هذا الكلام خرج من قلب سليم قطّ (الأغاني ٣٢٨/١٨ و [٥] ديوان الصبا ٩٧/١) و هو القائل [العقد الفريد ٢٨٩/٥ و [٦] الأغاني ٣٢٩/١٨ و ٣٣٠]: [٧] إذا وجدت أوار الحبّ في كبدى عمدت نحو سقاء القوم أبرد هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الأحشاء تتقد و أنا أرتفع بجيّد غزله إلى جيّد غزل عمر بن أبي ربيعه، على أن جيّد غزل عمر فيه رقّه و أنوثه، و جيّد غزل عروه فيه رقّه و رجوله، راجع أخبار عروه في الأغاني ٣٣٥-٣٢٢/١٨ و [٨] في العقد الفريد ٢٨٩/٥ و ١٦/٦ و ٤٨ و [٩] في وفيات الأعيان ٣٩٤/٢ و [١٠] في الأعلام ١٨/٥.

٢- الزيادة من م.

لقد علمت و ما الإشراف (١) من خلقى

أَنَّ الذى هو رزقى سوف يأتينى

أسعى له فيعنينى تطلبه (٢) و لو جلست أتانى لا يعنينى

و أى حظّ امرىء لا بدّ يبلغه يوما و لا بدّ أن يحتازه دونى

لا خير فى طمع يهدى إلى طبع (٣) و علقه من قليل العيش تكفينى

لا أركب الأمر تبرى بى عواقبه و لا يعاب به عرضى و لا دينى

أقوم بالأمر إمّا كان من أربى و أكثر الصمت فيما ليس يعينى

كم من فقير غنى النفس تعرفه و من غنى فقير النفس مسكين

و كم عدوّ رمانى لو قصدت له

لم يأخذ البعض منى (٤) حين يرمينى [١٤٨ م]

لا أبتغى وصل من يبغى مفارقتى و لا ألين لمن لا يبتغى (٥) لىنى

فقال هشام: أ لا جلست فى بيتك، حتى يأتىك رزقك؟.

قال: و غفل عنه هشام، فخرج من وقته، و ركب راحلته، و مضى منصرفا.

فافتقده هشام، فسأل عنه، فعرف خبره، فأتبعه بجائزه.

ص: ١٤٨

١- فى الأصل: الاسراف، و التصحيح من محمد كرد على، قال: الإشراف: الحرص و التهالك، راجع المستجد للتوخى ص ٩٨.

٢- فى م: أسعى إليه فيعنينى تطلبه.

٣- الطبع: التدنس بعيب، و فى المستجد: لا خير فى طمع يدنى لمنقصه و غبر من كفاف العيش يكفينى

٤- فى المستجد، و فى م: لم يأخذ النصف منى.

٥- فى المستجد: لمن لا يشتهى.

فمضى الرسول، فلحقه على ثلاثه [١٥٦ ر] فراسخ، و قد نزل على ماء يتغدى عليه.

فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: أردت أن تكذبنا، و تصدق نفسك؟ هذه جائزتك.

فقال: قل له: قد صدقني الله، و أتاني برزقي بحمده.

قال يحيى: و فرض له فريضتين (١)، كنت في إحداهما (٢).

ص: ١٤٩

١- الفريضة هنا، ما يتقرر أداؤه من بيت المال، و في حديث عدى: أتيت عمر بن الخطاب في أناس من قومي، فجعل يفرض للرجل من طيء في ألفين ألفين و يعرض عني، أي يقطع و يوجب لكل رجل منهم في العطاء ألفين من المال، و فيما يتعلق بالمعاني الأخرى للفريضة، راجع لسان العرب، [١] مده: فرض.

٢- لا توجد هذه القصه في غ و لا ه، و وردت في المستجد للتنوخي ٩٨-١٠٠.

أبو أيوب المورياتي

يجيز ابن شبرمه بخمسين ألف درهم

قرئ على أبي بكر الصولي، و أنا أسمع، في المسجد الجامع بالبصره، حدّثكم الغلابي، قال: حدّثنا عمر بن شَبّه، قال: حدّثنا علي بن ميثم، و قد كان جاز المائه سنه، قال: سمعت ابن شبرمه (١)، يقول:

زوّجت ابني علي ألفي درهم، و ما هي عندي، فطولبت بها، فصرت إلى أبي أيوب المورياتي (٢)، فقلت له: إنني اخترتك لحاجتي، و عرّفته خبري، فأمر لي بألفي درهم، فشكرته و قمت.

فقال: اجلس، أ لا تريد خادما؟.

قال: فقلت: إن رزق الله.

قال: و هذه ألفتان لخادمك، أ لا تريد نفقه؟ أ لا تريد كذا؟، و جعل يعدّد و يعطيني.

حتّى قمت على خمسين ألف درهم، و صلني بها (٣).

ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، هذا الخبر، بلا إسناد، على قريب من هذا.

ص: ١٥٠

١- أبو شبرمه عبد الله بن شبرمه الضبّي القاضي: كان عاقلا، ناسكا، عفيفا، صارما، جوادا، شاعرا، ولى قضاء الكوفه في السنه ١٢٠ و ١٢١ و توفّي في السنه ١٤٤ (شذرات الذهب ٢١٥/١ و [١] الكامل لابن الأثير ٢٢٨ و ٢٤٢).

٢- أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياتي الخوزي: كان من مماليك المنصور، و أخذه منه أبو العباس السفّاح، فأعتقه، و قدّمه، و بعد وفاه السفّاح استوزره المنصور، ثم قتله سنه ١٥٤، و موريات: قريه من قرى الأهواز (الأعلام ١٩٨/٣).

٣- لا توجد هذه القصّه في غ، و لا ه.

الواثق يطرد أحمد بن الخصيب من حضرته

ثم يعفو عنه

حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك الكاتب، و كان يعرف بالديناري (١)، لما بين أبيه الحسن بن رجاء (٢)، و بين دينار بن عبد الله (٣)، من القرابه، فإنّهما كانا ابني خاله، على ما أخبرني، قال: حدّثني أبو عيسى محمّد بن سعيد الديناري الكاتب، جدّ أبي الحسن على بن محمّد بن علي بن مقله لأمه (٤)، قال:

لما تخلّص أبو أيّوب سليمان بن وهب (٥)، من نكبه المعتمد، و كنت أكتب له، و جلس في منزله، أمرني أن أكتب إلى العمّال الذين ضياعه في أعمالهم، كتبوا أعرفهم فيها رجوع الخليفه له، و تبينه باطل ما أنهى إليه، و حمل به عليه،

ص: ١٥١

-
- ١- أبو إسحاق إبراهيم بن الحسن بن رجاء بن أبي الضحّاك، المعروف بالديناري: نقل عنه التنوخي القصّه ١٦١/٣ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، و أثبت في القصّه ١٦١/٣ شيئا من شعره، و هو شعر متوسّط.
 - ٢- الحسن بن رجاء الكاتب: من كتّاب السدّوله العبّاسيه، كان ذكيا، سريع الجواب، أديبا، و كان من أصحاب الحسين الخليع (الديارات ٦٠ و ٦١)، [١] دخل المأمون الديوان، فرأى الحسن، و كان غلاما، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الناشئ في دولتك، المتقلّب في نعمتك، المؤمّل لخدمتك، الحسن بن رجاء، فقال المأمون: بالإحسان في البديهة تتفاضل العقول، يرفع عن مرتبه الديوان، إلى مراتب الخاصّه، و يعطى مائه ألف درهم تقويه له (المحاسن و الأضداد ٧) [٢] راجع أخباره في الأغاني ٢٠٠/٧ و ٢٠١ و [٣] قطب السرور ٦٠، ٥٠، و ٦١ و ٧١.
 - ٣- دينار بن عبد الله، القائد العبّاسي: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٣٨ من الكتاب.
 - ٤- راجع القصّه ٦١/٢ و ١٦١/٣ من كتاب نشوار المحاضره للقاضي التنوخي.
 - ٥- أبو أيّوب سليمان بن وهب الحارثي، وزير المهدي و المعتمد: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٦ من الكتاب.

و أخاطبهم عنه في أمر ضياعه و أسبابه.

فكُتبت نسخه، قلت فيها: إنَّ أمير المؤمنين -أعزّه الله- لما وقف على تمويه من مؤه عليه في أمرنا، فعل و صنع.

فلما وقف على هذا الفصل، خطَّ على هذا الحرف، و أبدله بغيره، و لم يغيّر في النسخه سواه.

و قال لي: إذا فرغت من تحرير الكتب، فأذكري بالتمويه، أحدثك بما كرهته له.

قال: فحرّرت الكتب، فلما خلا، سألته: لم ضرب على التمويه؟، فقال:

نعم لما غضب عليّ الواثق، و على أحمد بن الخصب (١)، بسبب إيتاخ (٢)، و أشناس (٣)، كانت موجدته علينا بسبب واحد، و حبسه لنا في معنى واحد، فمكثنا في الحبس و القيد، إلى أن كُلم فينا، فأمر بإحضارنا.

فقلت لأحمد بن الخصب: قد دعانا، و أظنّ أنّه سيوبّخنا، و يعدّد علينا ما قرفنا به عنده، ليخرج ما في نفسه، فيعظم منته علينا، بما يأتيه من إطلاقنا، و أعرف عجلتك، و تسرّعك إلى ما يضرّك، و كأتى بك حين يبتدئ

ص: ١٥٢

١- أبو العباس أحمد بن الخصب، وزير المستعين: ترجمته في حاشيه القصّه ٨٢ من الكتاب.

٢- أبو منصور إيتاخ القائد الخزري: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.

٣- أبو جعفر أشناس: القائد التركي، من مماليك المعتصم، حامى عنه في إحدى المعارك لما كان المعتصم من قواد إبراهيم بن المهديّ، فقدّمه، و قوّده، و توجّه، و وشّحه، و ولّاه حجابته و كذلك فعل الواثق معه لما استخلف، و اشترك أشناس في صوائف المأمون، و قام في فتح عموريه مقاما محمودا، و مزّق المؤامره التي قام بها بعض القواد لقتل المعتصم و مبايعه العباس بن المأمون، و كان أثيرا عنده لدرجه أنّ ابنته أترنجه لما تزوّجت الحسن بن الإفشين، أمر المعتصم بأن يكون العرس في قصره، و كان يباشر تفقّد الحاضرين بنفسه، و لما حجّ في السنه ٢٢٦ ولّاه المعتصم كلّ بلده يدخلها، فدعى له على جميع المنابر في البلدان التي دخلها من سامراء إلى مكّه، و توفّي أشناس في السنه ٣٣٠ (الطبري ٤٢٣، ٥٥٨/٨، ٧٣، ٥٧، ١٠/٩-١٣١، ١٢٤، ١١٥، ١١٤، ١٠١، ٧٨، و [١] تجارب الأمم ٤٨٥، ٤٣٨/٦، ٥٠٢ و ٥١٦ و ٥١٨، و القصّه ٣١٦ من هذا الكتاب).

بتقريعنا، قد قطعت كلامه، و أنحيت عليه بلسانك و يديك، فأنشأت لنا استئناف غضب و موجدته، و أكسبتنا شرًا مما قد أملنا الخلاص منه.

فقال لي: فما أعمل؟.

قلت: لست أحسبك تتهمني على نفسى و لا عليك، و لا تشكُّ أننا حبسنا لقضيه واحده، فولّنى جوابه، و أعرنى سكوتك (١)، و دعنى أرفق به، و أخدعه بما تخدع به الملوّك، فلعلنا نتخلص من المكروه الذى نحن فيه.

قال: أفعال.

فاستحلفته على ذلك، فحلف لى.

فلما دخلنا الصّرح، وجدنا الخليفه يستاك (٢)، و بين يديه طست ذهب، و إبريق ذهب، بيد فراش قائم، [١٤٩ م]، و بيد الخليفه مسواك طوله ذراعان.

فلما رأنا، قال: أحسنت اليكما، و اصطنعتكما، فختمانى، و كفرتما نعمتى، و فعلتما، و صنعتما.

فكأننى -و الله- إنّما أوصيت أحمد بن الخصيب، ألا يدعه ينطق.

فقال له، و قد رفع يديه فى وجهه: لا و الله يا أمير المؤمنين، ما بلغك عنّا الحقّ، و لا فعلنا شيئًا مما سعى بنا، و لقد مؤه عليك فى أمرنا.

فقال: إنّما يمؤه على غبى مثلك، فأومأت إليه بعينى، فأمسك [١٨٥ ظ] بعض الإمساك.

و عاد الواثق يتمم كلامه، و يعدد علينا نعمه و مننه، فما ملك أحمد نفسه، أن رفع يده، و قال: و الله يا أمير المؤمنين، ما كفرنا نعمتك، و لا فعلنا، و لا صنعنا، إنّما مؤه على أمير المؤمنين فى أمرنا.

ص: ١٥٣

١- التعبير البغداديّ الآن: أكرمنا سكوتك.

٢- يستاك: ينظف أسنانه بالسواك، و هو عود تنظف به الأسنان.

فقال: يا جاهل، قد عدت لها، إنّما يجوز التمويه على أحق مثلك، و أومات إليه بعيني، فأمسك.

و عاد الواثق في كلامه، فما انضبط أحمد أن ردّ قوله، وجاء بالتمويه.

فحين سمعها الواثق، انقلبت عيناه في أمّ رأسه، واستشاط غضبا، و أغلظ له في الشتم، و حذفه بالمسواك، فلولا أنّه زاغ عنه، لهشم وجهه، و أعمى عينه.

ثمّ قال: يا غلمان، أخرجوه إلى لعنه الله، فأخرج أخزى خلق الله.

و نالني من الجزع، و الغمّ، و الحيره في أمره، أمر عظيم، و لم أدر، أقف، أم أمضي، و خفت إن وقفت، أن يقول: ما وقوفك بين يديّ، و قضيتكما واحده، و إن مضيت أن نردّ جميعا إلى الحبس، فرجعت أتقهقر عن موضعي قليلا، كأني أريد الخروج.

فقال لي: مكانك أنت يا سليمان، هب هذا على ما هو عليه، أنت أيضا، تنكر أنك فعلت كذا، و صنعت كذا؟.

فوجدت السبيل إلى ما أردت، فلم أزل أعترف، و ألزم نفسي الجنايه، و أديم الخضوع و الاستعطاف [١٥٧ ر]، و أسأل الصفح و الإقاله، إلى أن قال: قد عفوت عنك، فقبلت الارض، و بكيت.

فقال: إخلعوا عليه، و أصرفوه إلى منزله، و ليلزم الدار على عادته و رسمه.

فلما وليت، قال: و ذلك الكلب، قد كنت أردت العفو عنه، فأخرجني عن حلمي سوء أدبه، فاخلعوا عليه أيضا.

فخرجت، و إذا بأحمد في بعض الممرّات، فعرفته الخبر، ثمّ قلت له:

يا هذا كدت أن تأتي علينا، رأيت أحدا يكرّر على الخليفه لفظه قد كرهها، و أنكرها، ثلاث مرّات؟ أو ما علمت أنّ التمويه في الحقيقه ضرب من السخريه؟ قال: فلم يخرج من قلبي فرع التمويه، من ذلك الوقت، إلى الآن (١).

ص: ١٥٤

١- لم ترد هذه القصّه في غ و لا ه.

غضب الرّشيد على مروان بن أبي حفصه لمدحه

معن بن زائده و ضربه مائه سوط

حدّثني عبد اللّٰه بن عمر بن الحارث الواسطي [السّراج، المكفوف] (١) المعروف بأبي أحمد الحارثي (٢)، قال: حدّثنا ابن دريد، قال: حدّثنا عبد الرّحمن بن أخي الاصمعي، عن عمّه، قال:

بعث إليّ الرّشيد في وقت لم تكن عادته أن يستدعيني في مثله، وجاءني الرّسول بوجه منكر، فأحضرنى إحضارا عنيفا منكرا مستعجلا، فوجلت وجلا شديدا، وخفت، وجزعت.

فدخلت، فإذا الرّشيد على بساط عظيم، وإلى جانبه كرسي خيزران، عليه جويريّه خماسيه (٣)، فسلمت، فلم يردّ عليّ، ولا رفع رأسه إليّ، وجعل ينكت الأرض بإصبعه.

فقلت: سعي بي عنده بباطل، يهلكني قبل كشفه، وأيست من الحياه.

فرفع رأسه، وقال: يا أصمعيّ، ألا ترى الدعيّ بن الدعيّ، اليهودي، عبد بني حنيفه، مروان بن أبي حفصه، يقول لمعن بن زائده، وإنما هو عبد من عبيدنا:

ص: ١٥٥

١- الزيادة من م.

٢- أبو أحمد عبد الله عمر بن الحارث السّراج الواسطي المعروف بالحارثي: نقل عنه القاضي الشوخي كثيرا من القصص في كتابه نشوار المحاضره و أخبار المذاكره، و في هذا الكتاب، و يتّضح من القصّه ١٧١/٢ من النشوار [١] أنّ أبا الحارثي كان يعمل في خزانه السلاح للمعتمد، و من القصّه ٢٢/٣ من النشوار، [٢] أنّ أبا الحارثي استمرّ يخدم في دار الموفق و المعتمد من بعده، كما يتّضح من هذه القصّه أنّه قد كفّ بصره.

٣- الخماسيه: بنت خمس سنوات.

أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لا نريد به زيالا (١)

و قلنا أين نذهب بعد معن و قد ذهب النوال فلا نوالا

و كان الناس كلهم لمعن إلى أن زار حفرة عيالا

فقال: إنَّ النوال قد ذهب، مع بقائنا، فما يصنع بنا إذن؟، و لم يرض [١٥٠ م] حتّى جعلنى و خاصّتى، عيالا- لمعن، و الله، لأفعلنّ به و لأصنعنّ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، عبد من عبيدك، أنت أولى بأدبه، أو العفو عنه.

فقال: علىّ بمروان، فدخل عليه.

فقال: السياط، فأخذ الخدم يضربونه بها، و هو يصيح: يا أمير المؤمنين، ما ذنبى؟ يا أمير المؤمنين، استبقنى، إلى أن ضرب أكثر من مائه سوط (٢).

فقال: يا أمير المؤمنين، اعف عنيّ، و اذكر قولى فيك، و فى آبائك.

فقال: يا غلام، كفّ عنه، ثمّ قال: ما قلت، يا كلب؟.

فأنشده قصيدته التي يقول فيها: [١٨٦ ظ]

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أم تسترون هلالها

ص: ١٥٦

١- الذى أرويه: أقمنا باليمامة بعد معن مقاما لا نريد له زوالا

٢- السوط: ما يضرب به من جلد مضافور أو نحوه، سمى بذلك لأنّه يسوط اللحم بالدم، أى يخلطهما، و كلّ ما يقرع به، فهو مقرعه، سوطا كان أو عصا، و إنّما سميت عصا، و إنّما سميت عصا، لأنّ اليد و الأصابع، تعصو عليها، أى تجتمع، و الضرب بالسياط، هو الجلد، و الذى يضرب بها، هو الجلاّد، على وزن فعّال، ثمّ صرف الاسم إلى السيّاف الذى يقطع العنق، ثمّ شمل كلّ من يقوم بالإعدام، بجميع أنواعه، و الحكم الشرعىّ فى الجلد، أنّه لا- يجوز إلّا- بسوط معتدل، بين القضيب و العصا، لا- رطب و لا يابس، و تفرّق السياط على الأعضاء، و يتقى الوجه و الرأس و المقاتل، و لا يلقى المضروب على وجهه، و لا يمدّ، و لا يجرد عن ثيابه. بل عن مقدار ما يدفع وصول الألم، و يترك عليه قميص، أو قميصان، و لا يقام حدّ الخمر فى السكر، بل يؤخّر حتى يفيق، فإن أقامه فى السكر، أخطأ، و لم يعده إذا أفاق (معيد النعم و مييد النقم للسبكي ٣٣).

أم تدفعون مقاله عن ربّه جبريل بلّغها النّبىّ فقالها
شهدت من الأنفال آخر آيه بترائهم فأردتم إبطالها
فدعوا الأسود خوادرا فى غيلها لا تولغنّ دماءكم أشبالها
قال: فأمر بإطلاقه، و أن يدفع إليه ثلاثون ألف درهم.
فلما خرج، قال: يا أصمعى تدرى من هذه الصبيّه؟.
قلت: لا أدرى.

قال: هذه مؤنسه بنت أمير المؤمنين، فدعوت له و لها، و تأملتّه، فإذا هو شارب ثمل.
قال: قم فقبّل رأسها.

فقلت: أفلتّ من واحده، و دفعت إلى أخرى أشدّ منها، إن أطعته أدركته غيره فقتلنى، و إن عصيته قتلنى بمعصيتى له، فلما أحبّ
الله عزّ و جلّ من تأخير أجلى، ألهمنى أن وضعت كمى على رأسها، و قبّلت كمى.
فقال: و الله يا أصمعى، لو أخطأتها لقتلتك، أعطوه عشره آلاف درهم، و الحق بدارك.

[فخرجت و أنا ما أصدّق بالسّلامه، فكيف بالحباء و الكرامه]. [\(1\)](#)

ص: ١٥٧

١- لم ترد هذه القصّه فى غ و لا ه، و الزيادة من م.

أمدح بيت قالته العرب

قال المفضل بن محمد الضبي (١):

أصبحت يوماً ببغداد، في خلافة المهدي، [١٥٨ ر] وأنا من أشدّ الناس إضاقه وضرّاً، لا أدري ما أعمل، حيره و فكراً.

فخرجت، فجلست على باب منزلي بالصرّاه (٢)، أفكر فيما أصنع، فإذا أنا برسول المهدي، قد وقف عليّ.

فقال: أجب أمير المؤمنين، فراعني، و ساء ظنيّ.

فقلت: أدخل، فألبس ثيابي.

فقال: ما إلى ذلك سبيل.

فاشتدّ جزعي، وخشيت أن يأخذني بما كان بيني وبين إبراهيم بن عبد الله ابن حسن بن حسن رضي الله عنهم.

فاستدعيت ثيابي، وجدّدت وضوءاً على الباب، ولم أخبر أهلي بقصّتي،

ص: ١٥٨

١- أبو العباس المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر الضبي [١] الكوفي: رواه، علامه بالشعر و الأدب و أيام العرب، قيل أنّه توفى سنة ١٦٨ (الأعلام ٢٠٤/٨).

٢- نهر الصرّاه: نهر يأخذ من نهر عيسى، من عند بلده يقال لها: المحوّل، بينها و بين بغداد فرسخ، و يسقى ضياع بادوريا، و تتفرّع منه أنهار، إلى أن يصل إلى بغداد، و يصب في دجله (معجم البلدان ٣/٣٧٨)، [٣] قالوا: ما كان في شرقي الصرّاه، فهو بادوريا، و ما كان في غربيّها، فهو قطريّيل (معجم البلدان ١/٤٦٠)، [٤] أقول: يتّضح من هذا الوصف أنّ مصبّ الصرّاه في دجله، في منطقته أعلى الجعيفر، و بين مصبّ الصرّاه، و جسر باب الطاق (جسر الصرافيه الحديد)، كان قصر الخلد الذي حلّ محلّه المارستان العضدي و أسفل منه قصر أمّ جعفر المعروف بقصر القرار الذي هو في قرن الصرّاه (الطبري ٨/٤٧٦ و ٥١٠) و [٥] استولى على هذه الرقعه من بعدهم الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي، صهر الوزير المهلبيّ، و عمّر عليها داره المشهوره المطلّه على دجله و الصرّاه، و أولم فيها لمعزّ الدوله و عسكره الوليمه التي سار بذكرها الركبان، راجع تفصيل ذلك في الملح و النوادر للحصري ٢٧٦-٢٧٩.

و لا بما هجم من الغمّ علىّ.

و قلت: إن كان خيرا أو شرا، فسيبلغهم، فما معنى تعجيل الهمّ لهم.

و مضيت مع الرسول، حتّى دخلت على المهدي، و أنا فى نهايه الجزع، فسلمت، فردّ علىّ السلام.

فقلت فى نفسى: ليس إلاّ خيرا.

فقال: اجلس يا مفضل، فجلست.

فقال: أخبرنى عن أمدح بيت قالته العرب.

فتبلدت (١) ساعه، لا أذكر شيئا، ثم أجرى الله على لسانى، أن قلت:

قول الخنساء (٢).

فأشرق وجهه، و قال: حيث تقول ما ذا؟.

فقلت: حيث تقول:

و إنّ صخرا (٣) لو الينا و سيّدنا و إنّ صخرا إذا نشتو لنخار

و إنّ صخرا لتأتّم الهداه به كأنه علم فى رأسه نار

فاستبشر به، و قال: قد أخبرت هؤلاء بهذا، و أوما إلى جماعه بين يديه، فلم يقبلوا منّى.

قلت: كان أمير المؤمنين، أحقّ بالصواب منهم.

قال: يا مفضل، حدّثنى الآن.

قلت: أىّ الأحاديث؟.

ص: ١٥٩

١- كذا فى جميع النسخ، و أحسب أنّ الصحيح: تلدّدت، أى تحيرت و تلفتّ، و التبدّد و التلدد بمعنى واحد.

٢- تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، المعروفه بالخنساء: ترجمتها فى حاشيه القصّه ٢٥٤ من الكتاب الكتاب.

٣- صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحى السلمى: أخو الخنساء الشاعره، كان من فرسان بنى سليم، جرح فى غزوه له، و مرض سنه، ثم مات، سنه ١٠ قبل الهجره (الأعلام ٣/٢٨٨).

قال: أحاديث الأعراب.

فلم أزل أحدثه، بأحسن ما احفظ منها، إلى أن كاد المنادى بالظهر أن ينادى.

ثم قال لي: كيف حالك يا مفضل؟.

قلت: ما يكون حال رجل عليه عشرون ألف درهم دينا حالاً، وليس في رزقه فضل لقضائها، و قصصت عليه قصه حالي و يومى فى الإضافة.

فقال: يا عمر بن بزيع، ادفع إليه الساعه، عشرين ألف درهم يقضى بها دينه، [١٥١ م]، و عشرين ألف درهم يصلح بها حاله، و عشرين ألف درهم يجهز بها بناته، و يوسع بها على عياله.

ثم قال: يا مفضل، ما أحس ما قال ابن مطير، فى مثل حالك:

و قد تغدر الدنيا فيضحى غنيها فقيرا و يغنى بعد بؤس فقيرها

و كم قد رأينا من تكدر عيشه و أخرى صفا بعد اكدرار غدیرها

فأخذت المال، و انصرفت إلى بيتى بستين ألف درهم، بعد الإياس، و توطين النفس على ضرب الرقبه (١)

ص: ١٦٠

١- لم ترد هذه القصه فى غ و لا ه.

بين الأصمعي و البقال الذي على باب الزقاق

وجدت في بعض الكتب عن الأصمعي، قال:

كنت بالبصرة، أطلب العلم، و أنا مقلّ، و كان على باب زقاقنا (١) بقّال، إذا خرجت باكرا [١٨٧ ظ] يقول لي: إلى أين؟ فأقول: إلى فلان المحدث، و إذا عدت مساء، يقول لي: من أين؟ فأقول: من عند فلان الأخباري، أو اللّغوي.

فيقول: يا هذا، اقبل وصيتي، أنت شابّ، فلا- تضيع نفسك، و اطلب معاشا يعود عليك نفعه، و أعطني جميع ما عندك من الكتب، حتّى أطرحتها في الدنّ، و أصبّ عليها من الماء للعشره أربعه، و أتبيّذه، و أنظر ما يكون منه، و الله، لو طلبت منّي، بجميع كتبك، جزره بقل (٢)، ما أعطيتك.

فيضيق صدري بمداومته هذا الكلام، حتّى كنت أخرج من بيتي ليلا، و أدخله ليلا، و حالي- في خلال ذلك- تزداد ضيقا، حتّى أفضيت إلى بيع آجرّ أساسات داري، و بقيت لا أهتدي إلى نفقه يومي، و طال شعري، و أخلق ثوبي، و أتسخ بدني.

فأنا كذلك، متحيرا في أمري، إذ جاءني [١٥٩ ر] خادم للأمير محمّد بن سليمان الهاشمي (٣)، فقال: أجب الأمير.

ص: ١٤١

١- الزقاق: الطريق الضيق، و لذلك سمي مجاز البحر الذي بين طنجه و الجزيره الخضراء، بالزقاق، لضيقه: إذ أنّ عرضه لا يتجاوز اثني عشر ميلا (معجم البلدان ٣/٩٣٦) أقول: اسمه الآن مضيق جبل طارق، ما بين المغرب العربي و اسبانيا.

٢- الجزره: الحزمه.

٣- أبو عبد الله محمد بن سليمان بن علي العباسي (١٢٢-١٧٣): أمير البصرة، و ليها في أيام المهدي، ثم عزله، و أعاده الرشيد، و زوجه أخته العباسه، و استمرّ على ولايته البصرة، إلى أن توفّي [الأعلام ١٩/٧]

فقلت: ما يصنع الأمير برجل بلغ به الفقر إلى ما ترى؟.

فلَمَّا رأى سوء حالى، وقبح منظرى، رجع فأخبر محمّد بن سليمان بخبرى، و عاد إلى، و معه تخوت ثياب (١)، و درج فيه بخور (٢)، و كيس فيه ألف دينار.

و قال: قد أمرنى الأمير، أن أدخلك الحمام، و ألبسك من هذه الثياب، و أدع باقيها عندك، و أطعمك من هذا الطعام، و إذا بخوان كبير فيه صنوف الاطعمه، و أبخرك، لترجع إليك نفسك، ثم أحملك إليه.

فسررت سرورا شديدا، و دعوت له، و عملت ما قال، و مضيت معه، حتّى دخلت على محمّد بن سليمان، فسلمت عليه، فقربنى، و رفعنى.

ثم قال: يا عبد الملك، قد اخترتك لتأديب ابن أمير المؤمنين، فاعمل على الخروج إلى بابه، و انظر كيف تكون؟.

فشكرته، و دعوت له، و قلت: سمعا و طاعة، سأخرج شيئا من كتبى و أتوجه.

فقال: ودّعنى، و كن على الطريق غدا.

فقبلت يده، و قمت، فأخذت ما احتجت إليه من كتبى، و جعلت باقيها

ص: ١٦٢

١- التخت: وعاء من خشب أو نسيج تصان فيه الثياب، قاله كورغيس عواد فى الديارات ٢٨٠.

٢- البخور: مادّه صمغيه، إذا أحرقت فاحت منها رائحه طيبه (المنجد)، و كان البخور فى العصور الوسطى، من الضروريات، لا يكاد يخلو منه بيت، و كيفيه استعماله: أن يوضع فى المبخره. و يؤرث، حتى يتصاعد دخانه، ثم يوضع تحت ذيل المتبخّر، لتعقب ثيابه بالرائحه، و كانوا يغالون فى أثمان البخور، و يتأنقون فيه، و يخلطون أنواعا منه، ليكون ريحها أعيق، و كانوا يركّبون من ثلاثه أصناف منه بخورا طيب الرائحه جدا، يسمّونه المثلثه، أقرأ فى الأغانى ١٨٩/١٠ و [١] فى الهفوات النادره ٣٨٠ خبر المثلثه التى اعدت ليعقوب بن المهدي العباسى، و راجع بعض و صفات البخور المخلوط فى مطالع البدور ٦٣/١ و ٦٤، و كان للظرفاء بخور خاص، و هو العود المعنبر بماء القرنفل المخمّر، و النّد السلطانى (الموشى فى الظرف و الظرفاء ١٨٢)، [٢] أمّا الآن، فإنّ البخور يكاد أن ينقرض، و لا يرى إلا فى المعابد، و فى الاحتفالات الدينيه، و فى المآتم.

فى بيت، و سددت بابه، و أقعدت فى الدار عجوزا من أهلنا، تحفظها.

و باكرنى رسول الأمير محمد بن سليمان، و أخذنى، و جاء بى إلى زلال قد اتخذ لى، و فىه جميع ما أحتاج إليه، و جلس معى، ينفق علىّ، حتّى وصلت إلى بغداد.

و دخلت على أمير المؤمنين الرّشيد، فسلمت عليه، فردّ علىّ السلام.

و قال: أنت عبد الملك بن قريب الأصمعى.

قلت: نعم، أنا عبد أمير المؤمنين بن قريب الاصمعى.

قال: إعلم، أنّ ولد الرجل مهجه قلبه، و ثمره فؤاده، و هو ذا أسلم إليك ابنى محمدًا بأمانه الله، فلا تعلمه ما يفسد عليه دينه، فلعله أن يكون للمسلمين إمامًا.

قلت: السمع و الطاعة.

فأخرجه إلىّ، و حوّلت معه إلى دار، قد أخليت لتأديبه، و أخذم فيها من أصناف الخدم، و الفرش (١)، و أجرى علىّ (٢) فى كلّ شهر عشرة آلاف درهم، و أمر أن تخرج إلىّ فى كلّ يوم مائده، فلزمته.

و كنت مع ذلك، أفضى [١٥٢ م] حوائج الناس، و أخذ عليها الرغائب، و أنفذ جميع ما يجتمع لى، أوّلاً، فأوّلاً، إلى البصره، فأبنى دارى، و اشتري عقارا، و ضياعا.

فأقمت معه، حتّى قرأ القرآن، و تفقه فى الدين، و روى الشعر و اللّغه، و علم أيام الناس و أخبارهم.

ص: ١٦٣

١- من تقاليد الخلفاء العباسيين، أنّهم اذا استخدموا مؤدّبًا لأولادهم، أفردوا له دارا مجهّزه بجميع ما يحتاج إليه من فرش و خدم، فإذا جلس أوّل مجلس، أمروا-بعد قيامه- بحمل كلّ ما فى المجلس إلى منزله، مع ما يوصل به، و يوهب له (معجم الأدباء ١١٠/٥).

٢- فى م: و أجرى له.

و استعرضه الرّشيد، فأعجب به، و قال: يا عبد الملك، أريد أن يصلى بالنّاس، فى يوم الجمعة، فاختر له خطبه، فحفظه إياها.

فحفظته عشرا، و خرج، فصلّى بالنّاس، و أنا معه، فأعجب الرّشيد به، و أخذته نثار الدنانير و الدراهم من الخاصّه و العامّه، و أتتني الجوائز و الصّلات من كلّ ناحيه، فجمعت مالا عظيما.

ثمّ استدعانى الرّشيد، فقال: يا عبد الملك، قد أحسنت [١٨٨ ظ] الخدمه، فتمنّ.

قلت: ما عسى أن أتمنّى، و قد حزت أمانىّ.

فأمر لى بمال عظيم، و كسوه كثيره، و طيب فاخر، و عبيد، و إماء، و ظهر، و فرش، و آله.

فقلت: إن رأى أمير المؤمنين، أن يأذن لى فى الإلمام بالبصره، و الكتاب إلى عامله بها، أن يطالب الخاصّه و العامّه، بالسّلام علىّ ثلاثه أيّام، و إكرامى بعد ذلك (١).

فكتب إليه بما أردت، و انحدرت إلى البصره، و دارى قد عمرت، و ضياعى قد كثرت، و نعمتى قد فشت، فما تأخر عنّى أحد.

فلما كان فى اليوم الثالث، تأملت أصاغر من جئانى، فإذا البقال، و عليه عمامه و سخه، و رداء لطيف، و جنبه قصيره، و قميص طويل، و فى رجله جرموقان (٢)، و هو بلا سراويل.

فقال: كيف أنت يا عبد الملك؟

فاستضحكت من حماقته، و خطابه لى بما كان يخاطبنى به الرّشيد.

و قلت: بخير، و قد قبلت وصيتك، و جمعت ما عندى من الكتب،

ص: ١٦٤

١- فى م: و إعادتى بعد ذلك.

٢- الجرموق: ما يلبس فوق الخفّ لوقايته من الطين، و تسميه العامّه ببغداد: كالوش.

و طرحتها في الدنّ، كما أمرت، و صببت عليها من الماء للعشره [١٦٠ ر] أربعه، فخرج ما ترى.

ثمّ أحسنت إليه بعد ذلك، و جعلته و كيلى (١).

ص: ١٦٥

١- هذه القصه لم ترد في غ.

المنذر بن المغيرة الدمشقي أحد صنائع البرامكة

قال مسرور الكبير (١): استدعاني المأمون، فقال لي: قد أكثر علي أصحاب أخبار السر (٢)، أن شيخا يأتي خرائب البرامكة، فيبكي و ينتحب طويلا، ثم ينشد شعرا يرثيهم به، و ينصرف، فاركب أنت [و أيوب الخادم، و الأصمعي]، (٣) و دينار بن عبد الله، و استترا بالجدران، فإذا جاء الشيخ، فأمهلاه، حتى تشاهدان ما يفعل، و تسمعان ما يقول، فإذا أراد الانصراف، فاقبضا عليه، و أتياني به.

قال مسرور: فركبت أنا و دينار [و أيوب الخادم] ٣ مغلسين، فأتينا الموضوع، فاختمينا فيه، و أبعدنا الدواب.

فلما كان آخر الليل، إذا بخادم أسود قد أقبل، و معه كرسي حديد، فطرحه، و جاء على أثره كهل، فجلس على الكرسي، و تلفت يمينا و شمالا، فلم ير أحدا، فبكي و انتحب، حتى قلت: قد فارق الدنيا، و أنشأ يقول:

[أما و الله لو لا خوف واش و عين للخليفة لا تنام

لطفنا حول جذعك و استلمنا كما للناس بالحجر استلام (٤)

ثم بكى طويلا، و أنشأ يقول: [٣

ص: ١٦٦

١- أبو هاشم مسرور الخادم المعروف بمسرور الكبير: ترجمته في حاشية القصة ١٨٨.

٢- يريد بهم أصحاب الخبر، راجع حاشية القصة ٣٥٥ من هذا الكتاب.

٣- الزيادة من م.

٤- للبيتين تتمه، و هي: فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما حنفة السيف الحسام على اللذات و الدنيا جميعا و دوله آل برمك

و لما رأيت السيف جَلَل جعفرًا و نادى مناد للخليفة في يحيى

بكيت على الدنيا و زاد تأسفى عليها و قلت الآن لا تنفع الدنيا (١)

و ذكر أبياتا طويله، لا تدخل فى كتابى هذا، فأرويهها.

قال: فلما فرغ من إنشاده و قام، قبضنا عليه، فقال: ما تريدون؟.

قلت: هذا دينار بن عبد الله، [و هذا أيوب الخادم بالحرم، و هذا عبد الملك بن قريب الاصمعى] (٢)، و أنا مسرور خادم أمير المؤمنين، و هو يستدعيك.

فأبلس (٣)، ثم قال: إننى لا آمنه على نفسى [١٥٣ م] فأمهلانى حتى أوصى (٤).

فقلت: شأنك و ما تريد، فقام، و سار، و نحن معه، حتى أتى بعض دكاكين العلافين (٥)، بفرضه الفيل (٦).

ص: ١٦٧

١- هذا البيت لا- يوجد فى ظ، و قد أضفناه من ه، و ورد فى م كما يلى: بكيت عسلى الدنيا و أيقنت إنما قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا

٢- الزيادة من م.

٣- أبلس: انكسر و حزن.

٤- فى م: فالتبس على ساعه، ثم قال: السمع و الطاعه لأمير المؤمنين، إننى لا آمنه على نفسى، و أعلم أنه آخر أيامى، فأمهلنى حتى أوصى.

٥- العلاف: فى الأصل بائع العلف، ثم شملت التسميه بائعى الحبوب عامه، و ما يزال هذا التعبير ساريا فى شمالى العراق، على بائعى الحبوب، أما فى بغداد، فإن راعه الحبوب يسمون: العلوجيه، و المفرد: علوجى، نسبته إلى العلوه، أى الموضع العالى من الأرض، لأن الحبوب كانت توضع فى العالى من الأرض لئلا تفسدها الرطوبه، و أصبح موضع بيع الحبوب يسمى: العلوه، حتى و إن لم تكن فى الموضع العالى.

٦- الفرضه: موضع وقوف السفن و الزوارق فى النهر، و منها فرضه الفيل المذكوره فى هذه القصه، حيث دكاكين العلافين، و قد ذكر صاحب النشوار فى القصه ١١٤/٤ فرضه جعفر على دجله، و هى منسوبه-

فاستدعى دواه و بياضا، و كتب فيها وصيته، و دفعها إلى الخادم الذي كان معه، و أنفذه إلى منزله، و سرنا به، حتى أدخلناه على المأمون، فلما مثل بين يديه، زبره، و انتهره.

ثم قال له: من أنت؟ و بم استحق منك البرامكة ما تصنع [في دورهم و خراباتهم؟] (٤).

فقال: غير هائب، و لا محتشم: يا أمير المؤمنين، إن للبرامكة عندي أياد، فإن أمر أمير المؤمنين حدثته بإحداها. فقال: هات.

قال: أنا المنذر بن المغيرة الدمشقي، من ذوى الحسب، نشأت في ظل نعم قديمه، فزال عني، كما تزول النعم عن الناس، حتى أفضيت إلى بيع مسقط رأسي و روس آبائي، و أملت حتى لا غايه، فأشير علي بقصد البرامكة.

فخرجت من الشام إلى بغداد، و معي نيف و عشرون امرأة و صبيا و صبية، فدخلت بهم مدينة السلام، فأنزلتهم في مسجد.

ثم عمدت إلى ثوبيات كنت قد أعددتها للقاء الناس، و التذرع بها للبرامكة، فلبستها، و سلكت الطريق، لا أدري أين أقصد، [و كنت كما قيل:

و أصبح لا يدري و إن كان حازما أقدامه خير له أم وراءه

فلما قال ذلك، بكى المأمون، فقال له مسرور: أقصر يا رجل، فقد أتعبت أمير المؤمنين بوصفك.

فقال له المأمون: دعه يتحدث بما يريد.

قال: نعم [٦]، و تركت عيالي جياعا لا نفقه لهم، و لا معهم ما يباع، فأفضيت إلى مسجد مزخرف، فيه جمع شيوخ، بأحسن زى، و أجمل هيا، فطمعت فى مخاطبتهم، فصعدت إلى المسجد، فجلست معهم، لم أزد على السلام، و جعلت أردد فى صدرى كلاما أخطبهم به، فيحصرنى التشوّر (١)، و يخجلنى ذلّ المسأله، و يحبسنى عن الكلام، [و أتصيّب عرقا، حياء و خوفا من أن يقال لى: من أنت، و ما تريد؟ و ما يمكننى الجواب، و لا أدرى ما أخطبهم به] [٦]، إذ لم تكن لى عادة بالخوض فى مثله.

فأنا كذلك، إذ جاء خادم فاستدعى القوم، فقاموا، و قمت معهم، و مضينا، فأدخلوا [١٨٩ ظ] دارا ذات دهليز طويل، فدخلت معهم، و أفضينا إلى صحن واسع، و إذا شيخ بهي، فإذا هو يحيى بن خالد، على دكّه [أبنوس فى صحن الدار] [٦]، فى وسط البستان، و له ميدان عنده بركه، و قد نصب عليها كراسى أبنوس.

و أقبل القوم، فجلسوا، و جلست معهم، و تأمل الخدم القوم و عددهم، فإذا نحن مائه رجل و رجل، فدخل الخدم و غابوا، ثم خرج مائه خادم و خادم، فى يد كل واحد منهم مجمره من ذهب، فيها قطعه كالفهر (٢) من عنبر، و الخدم بأفخر الثياب، عليهم مناطق الذهب المرصّعه بالجواهر، و هم يطيفون بغلام، حين اخضرّ شاربه، حسن الوجه، فسجروا العنبر.

و أقبل يحيى على الزريقى القاضى (٣)، و قال: زوّج ابن أخى هذا، بابنتى عائشه على صداق قدره مائه ألف درهم.

فخطب، و عقد النكاح، و أخذنا الثار من فتات المسك، و بنادق العنبر،

ص: ١٦٩

١- التشوّر: الخجل.

٢- الفهر، بكسر أوّله و سكون ثانيه: الحجر ملء الكفّ (لسان العرب).

٣- الزريقى: نسبه إلى زريق بطن من الأنصار، من الخزرج (اللباب ١/٤٩٩).

و تماثيل الندّ الصغار، و الثقط النَّاس، و التقطت.

ثمّ جاء مائه خادم و خادم، [١٦١ ر] فى يد كلّ واحد منهم صيَّته فضّه فيها ألف دينار، مخلوطه بالمسك، فوضع بين يدي كلّ رجل مئنا صيَّته.

فأقبلت الجماعه تكوّر الدنانير فى أكمامها، و تأخذ الصوانى تحت آباطها، و تنصرف، الأوّل، فالأوّل، حتّى بقيت وحدى، لا أجسر على أخذ الصيَّته و ما فيها، و الأسف، و الحاجه، يمنعانى أن أقوم و أدعها، و أنا مطرق، مفكّر.

حتّى ضاق صدرى [١٥٤ م]، فرفعت رأسى، فغمزنى بعض الخدم على أخذها و القيام، فأخذتها و قمت، و أنا لا أصدّق، و جعلت أمشى و أتلفّت، خوفا من أن يتبعنى من يأخذها، و يحيى يلاحظنى من حيث لا أعلم.

فلما قاربت الستر، رددت، فأيست من الصيَّته، فجئت - و هى معى - حتّى قربت منه، فأمرنى بالجلوس، فجلست.

فسألنى عن حالى، و قصّتى، و من أنا، فصدّقته، حتّى إذا بلغت إلى تركى عيالى فى المسجد، بكى.

ثمّ قال: علىّ بموسى، فجاء.

فقال: يا بنى، هذا رجل من أبناء النعم، قد رمته الأيام بصروفها، و النوائب بحتوفها، فخذه، و اخلطه بنفسك، و اصطنعه.

فأخذنى موسى إلى داره، فخلع علىّ من أفخر ثيابه، و أمر بحفظ الصيَّته لى، و قضيت على ذلك يومى و ليلتى.

ثمّ استدعى أخاه العباس من الغد، و قال له: إنّ الوزير سلّم إلىّ هذا الفتى، و أمرنى فيه بكذا و كذا، و أريد أن أركب اليوم إلى دار أمير المؤمنين، فليكن عندك اليوم حتّى أرتجعه غدا، فكان يومى عنده مثل أمسى.

و أقبلوا يتداولونى كلّ يوم، واحدا بعد واحد، و أنا قلق بأمر عيالى، إلا أنّنى لا أذكرهم إجلالا لهم.

فلما كان في اليوم العاشر، أدخلت إلى الفضل بن يحيى، فأقمت في داره يومى و ليلتى.

فلما أصبحت، جاءنى خادم من خدمه، فقال: يا هذا قم إلى عيالك و صبيانك.

فقلت: إنّا لله، لم أحصل لهؤلاء الصبيان على الأكل و الشرب، و الصيئيه و ما فيها، و ما حصّيلته من النثار، ذهب (١)، فليت هذا كان من أوّل يوم، و كيف أتوصل الآن إلى يحيى، و أىّ طريق لى إليه.

و تلاعبت بى الأفكار مخافه اليأس، و أظلمت الدنيا فى عينى، و قمت أجزّ رجلى، و الخادم يمشى بين يديّ، [حتى أخرجنى من الدار، فازداد إياسى، و ما زال يمشى بين يديّ] (٦) حتى أدخلنى الى دار كأنّ الشّمس تطلع من جوانبها، و فيها من صنوف الفرش و الأثاث و الآلات، ما يكون فى مثلها.

فلما توسّطتها، رأيت عيالى أجمعين فيها، يرتعون فى الديباج و الشفوف (٢)، و قد حمل إليهم مائه ألف درهم، و عشره آلاف دينار، و الصيئيه و النثار، و سلّم إلى الخادم، صكّ ضيعتين جليتين.

و قال: هذه الدار، و ما فيها، و الضياع بغلاتها، لك.

فأقمت مع البرامكه فى أخفض عيش، و أجلّ حال، حتى نزلت بهم النازله.

ثمّ قصدنى عمرو بن مسعده فى الضيعتين، فألزمنى فى خراجهما، ما لا يفى به دخلهما.

ص: ١٧١

١- فى ظ: حسب.

٢- الشف، و جمعه شفوف: الثوب الرقيق، قالت الفتاه البدويه الشاعره: و لبس عباءه و تقرّ عينى أحبّ إلىّ من لبس الشفوف و أكل كسيره فى كسر بيتى أحبّ إلىّ من أكل الصنوف و بيت تخفق الأرواح فيه أحبّ إلىّ من قصر منيف

فلحقتنى شدّه عظيمه، فكلّمنا لحقتنى نائبه [١٩٠ ظ] أو اشتدّت بى بليّه، قصدت دورهم و منازلهم، فبكيّتهم، و رثيتهم، و شكرتهم، و دعوت لهم، على ما كان منهم إليّ، و شكوت ما حلّ بى بعدهم، فأجد لذلك راحه.

قال: فاستدعى المأمون عمرو بن مسعده، فلمّا أتى به، قال له: أتعرف هذا الرّجل؟.

قال: يا أمير المؤمنين، هو بعض صنائع البرامكه.

فأمّره أن يردّ على الرّجل، كلّمنا استخرج منه، و أن يقرّر خواجه على ما كان عليه أيّام البرامكه [و أن يجعل له ضيعة أخرى من جملة الإيغارات يكون دخلها له و يتخذ به سجلاً] (٦) و أن يقضى حقّه و يكرمه، فبكى الشيخ بكاء شديداً.

فقال له المأمون: ألم أستأنف إليك جميلاً فما بكاؤك؟.

فقال: بلى و اللّهم يا أمير المؤمنين، و زدت على كلّ فضل و إحسان، و لكن هذا من بركة الله، و بركة البرامكه (١) عليّ، و بقيّه إحسانهم إليّ، فلو لم [١٥٥ م] آت خراباتهم، فأبكيهم، و أندبهم، حتّى اتّصل خبرى بأمر المؤمنين، ففعل بى ما فعل، من أين كنت أصل إلى أمير المؤمنين.

فقال له المأمون: إمض مصاحباً، فإنّ الوفاء مبارك، و حسن العهد من الايمان (٢).

ص: ١٧٢

١- البرامكه: راجع البحث فى آخر القصّه.

٢- هذه القصّه لم ترد فى غ.

جاء فى الفخرى ١٩٧: إنَّ دوله آل برمك، كانت غره فى جبهه الدهر، و تاجا على مفرق العصر، فإنَّ يحيى و بنوه، كالنجوم زاهره، و البحار زاخره، و السيول دافقه، و الغيوث ماطره، أسواق الأدب عندهم نافقه، و مراتب ذوى الحرمت عندهم عاليه، و الدنيا فى أيامهم عامره، و أبهه المملكه ظاهره، و هم ملجأ الضعيف، و معتصم الطريد، و فيهم يقول أبو نؤاس:

سلام على الدنيا إذا ما فقدتم بنى برمك من راثين و غاد

و قال الجاحظ: البرامكه محض الأنام، و لباب الكرام، و ملح الأيام، عتق منظر، و جوده مخبر، و جزاله منطوق، و سهوله لفظ، و نراهه نفس، و اكتمال خصال، (العقد الفريد ٢٨/٥)، و قال عنهم أيضا: إنَّ أيامهم كانت رياض الأزمنه (وفيات الأعيان ٣/٤٧٤).

و قال محمد بن جميل الكاتب: كان البرامكه شفاء سقام دهرهم، و غياث جذب عصرهم، و ما زالوا كهفاً للاجئين، و مفزعا للملهوفين (قطب السور ٦٣).

و قال القاضى التنوخى، فى امتداح مجلس من مجالس الوزير المهلبى: كأنه من مجالس البرامكه (نشوار المحاضر القصة رقم ٢٨/١).

و قال سليمان بن وهب، لشخص أحسن إليه: إنَّك قد فعلت ما لم تفعله البرامكه (القصة ١٦٥ من هذا الكتاب).

و قال صالح، صاحب المصلّى: إنَّ الدهر لا يخلف مثل يحيى أبداً (القصة ٣٧١ من هذا الكتاب).

و قال إسحاق الموصلى، فى الفضل بن يحيى البرمكى: سبحان الذى خلق هذا الرجل، و جبله على كرم بدّ به من مضى و من غبر (المحاسن و المساوىء ٢٢/٢).

و حلف إسحاق الموصلى، بالله الذى لا إله إلا هو: ما رأيت أذكى من جعفر بن يحيى قط، و لا أفطن، و لا أعلم بكلّ شىء، و لا أفصح لسانا، و لا أبلغ فى المكاتبه (الأغانى ٣٢٥/٤).

و قال ثمامه بن أشرس: ما رأيت رجلا أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكى و المأمون (تاريخ الخلفاء ٣٢٦).

و قال إبراهيم بن المهدي: ما رأيت أكمل من جعفر قط (الأوراق للصولي، أشعار أولاد الخلفاء ٣٤).

و أبو حيان التوحيدى، الذى كان كثير الغرام، بثلب الكرام (معجم الأدباء ٢٨٢/٢) إذ لم يترك أحدا من رؤساء زمانه، إلا و شتمه، أثنى على البرامكه فى كتابه أخلاق الوزيرين، فذكر أنّ معروفهم كان يسع الصغير و الكبير، و يعمّ الغنى و الفقير (أخلاق الوزيرين ٤٨٩)، و نقل فى كتابه كذلك ما أورده محمّد بن داود الجراح، فى كتابه أخبار الوزراء، فى الثناء عليهم، فقال: كان آل برمك أئدى من السحاب (أخلاق الوزيرين ٣٨٠).

و فى محاضرات الأدباء ١٩٨/٣: إنّ امرأه مرّت بجعفر بن يحيى، و قد صلب، فقالت: لئن صرت اليوم رايه، لقد كنت بالأمس غايه.

و فى تحفه المجالس ١٧٩: إنّ البرامكه كانوا يقصدون من آفاق الأرض، و قال أعرابى قصدهم من اليمن: قصدت هؤلاء الأمجاد، الذين انتشر صيتهم فى البلاد.

و كان للبرامكه من السخاء و الكرم، ما لم يكن لأحد من الناس، و كانوا يخرجون بالليل سرّاء، و معهم الأموال يتصدّقون بها، و ربما دقّوا على الناس أبوابهم، فيدفعون إليهم الصرّه، بين الثلاثه آلاف إلى الخمسه آلاف، أو الأكثر من ذلك، و الأقل، و ربما طرحوا ما معهم فى عتب الأبواب، فكان الناس -لاعتيادهم ذلك- يعدون إلى العتب، إذا أصبحوا، يطلبون ما القى فيها (المحاسن و المساوىء ١٥٠/١).

و قال فيهم الشاعر: [وفيات الأعيان ٣٥/٤] عند الملوك مضرّه و منافع و أرى البرامك لا تضرّ و تنفع

إن كان شرّ كان غيرهم له و الخير منسوب إليهم أجمع

و قال أبو نؤاس: [وفيات الأعيان ٥٩/٥] إنّ البرامكه الكرام تعلّموا فعل الجميل فعلموه الناسا

كانوا إذا غرسوا سقوا و إذا بنوا لم يهدموا مما بنوه أساسا

و إذا هم صنعوا الصنائع فى الورى جعلوا لها طول البقاء لباسا

و قال أشجع السلمى، يذكر أيامهم: [وفيات الأعيان ٣٣٦/١]

كَأَنَّ أَيَّامَهُمْ مِنْ حَسَنِ بَهْجَتِهَا مَوَاسِمَ الْحَجِّ وَالْأَعْيَادِ وَالْجَمْعِ

وَأَصْبَحَ جُودَ الْبِرَامِكَةِ، عَلَى تِمَادَى الْأَيَّامِ، مُضْرَبَ الْمَثَلِ، قَالَ الْجَمَّازُ: جَاءَنَا فُلَانٌ، بِمَائِدَةٍ، كَأَنَّهَا زَمَنَ الْبِرَامِكَةَ عَلَى الْعَفَاةِ (زَهْرُ الْأَدَابِ ٣/٢ وَالْمَلْحُ وَالنُّوَادِرُ ٢٣٦).

وَالْبَغْدَادِيُّونَ، إِلَى وَقْتِنَا هَذَا، يَذْكُرُونَ الْبِرَامِكَةَ، وَيَصِفُونَ الرَّجُلَ الْكَرِيمَ النَّفْسِ، السَّخِيَّ الْيَدِ، بِأَنَّهُ: بِرْمَكِي.

وَعَمَّيتُ شَهْرَهُ الْبِرَامِكَةَ بِالْجُودِ، جَمِيعَ أَنْحَاءِ الدُّنْيَا، بِحَيْثُ أَنَّ الْمَقْرِيَّ فِي نَفْحِ الطَّيِّبِ ١٠٩/٣ أَمْتَدَحَ أَحَدَ أَمْرَاءِ الْمُؤَخِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ، فَوَصَفَهُ بِأَنَّ «لَهُ حِكَايَاتٍ فِي الْجُودِ بِرْمَكِيَّةً».

وَقَدْ أَنْكَرَ صَاعِدٌ، وَوَزِيرٌ الْمُؤَقَّقُ، مَا يَذْكُرُ عَنِ الْبِرَامِكَةِ، وَقَالَ: هَذِهِ أَقَاصِيصٌ مِنْ صِنْعِ الْوَرَّاقِينَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَيْنَاءِ: لِمَ لَا يَكْذِبُ عَلَى الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - مِثْلَ هَذَا الْكُذْبِ، وَهُوَ حَيٌّ، يَرْجِي وَيَخَافُ، وَأَوْلَيْكَ مَوْتِي، مَا يُوسِ مِنْ خَيْرِهِمْ وَشَرِّهِمْ، (الْقَصَّةُ ١/١ مِنْ نَشْوَارِ الْمُحَاضِرَةِ).

وَبِالنَّظَرِ لِعَدَمِ وَجُودِ سَبَبٍ وَاضِحٍ عَنِ نَكْبَتِهِمْ، فَقَدْ خَبَطَ الْمُؤَرِّخُونَ خَبْطًا فِي الْإِسْتِنْتَاجِ، وَذَكَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ سَبَبًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ سَبَبٍ، فَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ السَّبَبَ سِيَاسِيٌّ، وَأَنَّهُمْ أَرَادُوا قَلْبَ الدَّوْلَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ ثَمَّةَ سَبَبًا يَتَعَلَّقُ بِزَوْاجِ جَعْفَرِ، زَوْاجًا لَمْ يَرْضَهُ الْخَلِيفَةُ، وَهَذَا كُلُّهُ لَا - أَصْلَ لَهُ، فَإِنَّ الْبِرَامِكَةَ، لَوْ أَرَادُوا قَلْبَ الدَّوْلَةِ، لِحَاوَلُوا ذَلِكَ عِنْدَ مَا كَانَتْ خِرَاسَانَ فِي قَبْضَتِهِمْ، وَأَمَّا قَضِيَةُ الزَّوْاجِ، فَهِيَ أَقْصَوْصَةٌ لَا - تَعْلُقُ بِقَبُولِ، وَلَا - تَدْخُلُ فِي مَعْقُولِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ لِلْمَتَأَمَّلِ، أَنَّ اسْتِنْتَاجَ الْبِرَامِكَةَ بِالْحُكْمِ، وَانْقِيَادَ النَّاسِ لَهُمْ، وَلَهْجَتَهُمْ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّعَلُّقِ بِهِمْ، أَثَارَ غَيْرِهِ الرَّشِيدِ، وَأَشْعَلَ نَارَ هَوَاجِسِهِ، وَصَادَفَ وَجُودَ دَسَّاسِينَ، مِنْ رِجَالِ الْحَاشِيَةِ، مِمَّنْ يَرْغَبُ فِي انْتِقَالِ السُّلْطَانَةِ مِنَ الْبِرَامِكَةِ إِلَيْهِمْ، مِثْلَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَعَلِيِّ بْنِ عَيْسَى بْنِ مَاهَانَ، وَأَحْمَدَ بْنِ صَبِيحٍ، فَتَطَافَرُوا، وَأَغْرَوْا الرَّشِيدَ بِهِمْ، فَوَجَدُوا مِنْهُ أذْنَا سَامِعَهُ، وَكَانَتْ الْخَيْرَانُ، أُمُّ الرَّشِيدِ، حَامِيَةَ الْبِرَامِكَةَ، قَدْ تُوَفِّيتُ فِي السَّنَةِ ١٧٣، فَلَمْ يَكِدِ الرَّشِيدُ يُوَدِّعُهَا قَبْرَهَا، حَتَّى دَعَى الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَأَمْرَهُ بِأَخْذِ الْخَاتَمِ مِنْ جَعْفَرِ، وَحَلْفَ لَهُ إِنَّهُ كَانَ يَهْمُ بِأَنْ يُوَلِّيَهُ، فَتَمَنَعَهُ أُمَّهُ، فَيَطِيعُ أَمْرَهَا (الطَّبْرِيُّ ٢٣٨/٨).

وَلَعَلَّ أَصَحَّ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَابِ، مَا ذَكَرَهُ ابْنُ خَلِّكَانَ فِي كِتَابِ وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٣٣٥/١، قَالَ: سَأَلَ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ عَنِ جَنَابِ الْبِرَامِكَةَ الْمَوْجِبَةَ لِعُضْبِ الرَّشِيدِ، فَقَالَ:

وَاللَّهِ، مَا كَانَ مِنْهُمْ مَا يُوجِبُ بَعْضَ مَا عَمِلَ الرَّشِيدُ بِهِمْ، وَلَكِنْ طَالَتْ أَيَّامُهُمْ، وَكُلَّ

طويل مملول، و والله، لقد استطال الناس، الذين هم خير الناس، أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه، و ما رأوا مثلها عدلا، و أمنا، وسعه أموال، و فتوح، و أيام عثمان رضى الله عنه، حتى قتلوهما، و رأى الرشيد-مع ذلك-أنس النعمة بهم، و كثره حمد الناس لهم، و رميهم بآمالهم دونه، و الملوك تتنافس بأقل من هذا، فتعنت عليهم، و تجنى، و طلب مساويهم، و وقع منهم بعض الإدلال، خاصه جعفر و الفضل، دون يحيى، فإنه كان أحكم خبره، و أكثر ممارسه للأمر، و لاذ من إعدائهم قوم بالرشيد، كالفضل بن الربيع، و غيره، فستروا المحاسن، و أظهروا القبائح، حتى كان ما كان.

و يؤيد هذا الرأى، ما روى عن هرون الرشيد أنه قال: إن الدالّه تفسد الحرمة، و تنقص الذمه، و منها أتى البرامكه (كتاب الآداب لمجد الملك جعفر بن شمس الخلافة ص ٢٠).

و قد ذهب المؤرخ ابن خلدون، إلى هذا الرأى، قال: إنما نكب البرامكه ما كان من استبدادهم على الدوله، و احتجانهم أموال الجبايه، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره، و شاركوه فى سلطانه، و لم يكن له معهم تصرف فى أمور ملكه، فعظمت آثارهم، و بعد صيتهم، و عمروا مراتب الدوله و خططها، بالرؤساء من ولدهم و صنائعهم، و احتازوها عمّن سواهم، من وزاره، و كتابه، و قياده، و حجابيه، و سيف، و قلم، و يقال إنه كان بدار الرشيد، من ولد يحيى بن خالد، خمس و عشرون رئيسا، من بين صاحب سيف و صاحب قلم، زاحموا فيها أهل الدوله بالمناكب، و دفعوهم عنها بالراح، لمكان أبيهم يحيى من كفال هارون، و لى عهد، و خليفه، حتى شبّ فى حجره، و درج من عشه، و غلب على أمره، و كان يدعوه: يا أبت، فتوجه الإيثار من السلطان إليهم، و عظمت الدالّه منهم، و انبسط الجاه عندهم، و انصرف نحوهم الوجوه، و خضعت لهم الرقاب، و تخطت إليهم من أقصى التخوم، هدايا الملوك، و تحف الأمراء، و سيرت إلى خزائهم، فى سبيل الترفّ و الإستماله، أموال الجبايه، و أفاضوا فى رجال الشيعه (يريد شيعه بنى العباس) و عظماء القرابه، العطاء، و طوقوهم المنن، و كسبوا من بيوتات الأشراف، المعدم، و فكّوا العانى، و مدحوا بما لم يمدح به خليفتهم، و أسنوا لعفاتهم الجوائز و الصلات، و استولوا على القرى و الضياع، حتى آسفوا البطانه، و أحقدوا الخاصه، و أغصّوا أهل الولايه (تاريخ ابن خلدون ١٣/١ و ١٤).

و ذكر صاحب الأغاني ٣٠٣/١٨: أن الرشيد ندم على قتله البرامكه، و ربما بكى عليهم فى بعض المجالس.

و ذكر ابن خلكان فى وفیات الأعیان ۶/۲۲۸ و ۲۲۹ نقلا عن الجهشياری: أنّ الرشید ندم على ما كان منه فى أمر البرامكه، و تحسّر على ما فرط منه فى أمرهم، و خاطب جماعه من إخوانه، بأنّه لو وثق منهم بصفاء التّيه، لأعادهم إلى حالهم، و كان الرشید كثيرا ما يقول: حملونا على نصحائنا و كفاتنا، و أوهمونا أنّهم يقومون مقامهم، فلما صرنا إلى ما أرادوا، لم يغنوا عنّا، و أنشد:

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيكم من اللّوم أو سدّوا المكان الذى سدّوا

راجع بعض أخبار البرامكه فى المحاسن و المساوىء ۱/۱۴۰ و ۱۴۱ و ۱۵۱-۱۶۲ و راجع فى العقد الفريد ۵/۶۲-۶۵ الحوار الذى جرى بين هارون الرشید و بين فاطمه بنت محمّد بن الحسن بن قحطبه، أمّ جعفر البرمكى. و هى أمّ الرشید بالرضاعه، و راجع بشأن الثناء على البرامكه، القصّه ۱/۲ و ۱/۳ من كتاب نشوار المحاضره للتتوخى، و راجع كذلك فى كتاب الأوراق للصولى أشعار أولاد الخلفاء ص ۴۷ الحوار الذى جرى بين الرشید و بين أخته عليه حول مقتل جعفر البرمكى، و راجع فى كتاب جواهر الأدب من خزائن العرب ص ۴۱۸ قصّه عن الفضل و جعفر، رواها محمّد بن عبد الرحمن الهاشمى، صاحب صلاه الكوفه، و راجع الطبرى ۸/۳۰۰-۳۰۲ و الأغانى (ط بولاق) ۲۰/۳۱.

ص: ۱۷۷

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

بلغنى أنه كان بالكوفه رجل من أهل الأدب و الظرف، يعاشر الناس، و تأتيه أطفاهم، فيعيش بها.

ثم انقلب الدهر عليه، فأمسك الناس عنه، و جفوه حتى قعد فى بيته، و التجأ إلى عياله، فشاركه فى فضل مغازلهن، و استمر ذلك عليه، حتى نسيه الناس، و لزمه الفقر.

قال: فبينما أنا ذات ليله فى منزلى، على أسوء حال، إذا وقع حافر دابته، و رجل يدق بابى، فكلمته من وراء الباب.

فقلت: ما حاجتك؟.

فقال: إن أخاك لا - أسميه، يقرأ عليك السلام، و يقول لك: إننى رجل مستتر، و لست آنس بكل أحد، فإن رأيت أن تصير إلى، لتحدث ليلتنا.

فقلت فى نفسى: لعل جدى أن يكون قد تحرك؟ ثم لم أجد لى ما ألبسه، فاشتملت بأزار امرأتى (١)، و خرجت، فقدم إلى فرسا مجنوبا كان معه، فركبته.

إلى أن أدخلنى إلى فتى من أجل الناس و أجملهم وجهها، فقام إلى، و عانقنى، و دعا بطعام فأكلنا، و بشراب فشربنا، و أخذنا فى الحديث، فما خضت فى شىء إلا سبقنى إليه.

حتى إذا صار وقت السحر، قال: إن رأيت أن لا تسألنى عن شىء من أمرى، و تجعل هذه الزياره بينى و بينك، إذا أرسلت إليك فعلت، و ها هنا

ص: ١٧٨

١- اشتمل بالثوب: تلفف به و أداره على بدنه، و الشمال: شىء كالمخلاه يغطى به زرع الشاه، و الشمال عند البغداديين الآن: خرقة تشد بين الساقين لستر العوره.

دراهم تقبلها، ولا تردّها، ولا يضيق بعدها عنك شيء، فنهضت، فأخرج إليّ جراباً مملوءاً دراهم.

فدخلتني أريحه الشراب، فقلت: اخترتني على الناس للمنادمه، ولسرّك، و أخذ على ذلك أجراً؟ لا حاجة لي في المال.

فجهد بي، فلم آخذه، وقدّم إليّ الفرس، فركبته، و عدت إلى منزلي، و عيالي متطلّعون لما أجيء به، فأخبرتهم بخبري.

و أصبحت نادماً على فعلي، و قد ورد عليّ و على عيالي، ما لم يكن في حسابنا.

فمكثت حيناً، لا- يأتي إليّ رسول الرّجل، إلى أن جاءني بعد مدّه، فصرت إليه، فعاودني بمثل ذلك الفعل، فعاودته بالامتناع، و انصرفت مخففاً، فأقبلت امرأتى عليّ باللوم و التوبيخ.

فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً إن عاودني و لم آخذ ما يعطيني.

فمكثت مدّه أطول من الأوّله (1)، ثمّ جاءني رسوله، فلمّا أردت الركوب، قالت لي امرأتى: يا ميشوم اذكر يمينك، و بكاء بناتك، و سوء حالك.

فصرت إلى الرّجل، فلمّا أفضينا إلى الشراب، قلت له: إنّي أجد علّه تمنعني منه، و إنّما أردت أن يكون رأيي معي.

فأقبل الرّجل يشرب، و أنا أحادثه، إلى أن انبلج الفجر، فأخرج الجراب، و عاودني، فأخذته، فقبّل رأسي، و شكرني على قبول برّه، و قدّم إليّ الفرس، فانصرفت عليه، حتّى انتهيت إلى منزلي، فألقيت الجراب.

فلما رآه عيالي، سجدن لله شكراً، و فتحناه، فإذا هو مملوء دنانير.

فأصلحت منه حالى، و اشتريت مركوبا، و ثياباً حسنه، و أثاثاً، و ضيعه قدّرت أنّ غلّتها تفي بي، و بعيالي بعدى، و استظهرت على زمانى ببقية الدنانير.

و انثال الناس عليّ، يظهرن السرور بما تجدد لي، و ظلّوا أنّى كنت غائباً

ص: ١٧٩

١- الأوّله: لغه بغداديّة، بمعنى الأولى، و البغداديون الآن يقولون الأوّليه: و الأوّلاتيه.

فى انتجاع ملك (١)، فقدمت [١٩١ ظ] مثيريا، و انقطع رسل الرّجل عنى.

فبينما أنا أسير يوما بالقرب من منزلى، فإذا ضوضاء عظيمه (٢)، و جماعه مجتمعه.

فقلت: ما هذا؟.

قالوا: رجل من بنى فلان، كان يقطع الطريق [١٤١ ر]، فطلبه السلطان، إلى أن عرف خبره هاهنا، فهجم عليه، [١٥٦ م] أو قد خرج على الناس بالسيف، يمنع نفسه.

فقربت من الجمع، و تأملت الرّجل، فإذا هو صاحبى بعينه، و هو يقاتل العامه، و الشرط، و يكشف الناس، فيبعدون عنه، ثم يتكاثرون عليه و يضايقونه.

فنزلت عن فرسى، و أقبلت أقوده، حتى دنوت منه، و قد انكشف الناس عنه.

فقلت: بأبى أنت و أمى، شأنك و الفرس، و النجاه، فاستوى على ظهره، فلم يلحق.

فقبض على الشرط، و أقبلوا على، يلهزونى (٣)، و يشتمونى، حتى جاءوا بى إلى عيسى بن موسى، و هو والى الكوفه، و كان بى عارفا.

فقالوا: أيها الأمير، كدنا أن نأخذ الرّجل، فجاء هذا، فأعطاه فرسا نجا عليه.

فاشتد غضب عيسى بن موسى، و كاد أن يوقع بى، و أنا منكر لذلك.

ص: ١٨٠

١- فى م: فى انتجاع ذلك.

٢- الضوضاء، و الضوضى، و الضوضاه: أصوات الناس إذا اختلطت، قال الحارث بن حلّزه اليشكرى: أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء من مناد، و من مجيب، و من تص خيل خلال ذاك رغاء

٣- اللهز: الضرب بجمع الكفّ فى اللهزمه و الرقبه.

فلما رأيت المصدوقه، قلت: أيتها الأمير، أدنني إليك، أصدقك.

فاستدانني، فشرحت له ما كان أفضت بي الحال إليه، وما عاملني به الرجل، و أنني كافأته بجميل فعله.

فقال لي سراً: أحسنت، لا بأس عليك.

ثم التفت إلى الناس فقال: يا حمقى، هذا يتهم؟ إنما لفظ حافر فرسه حصاه، فقاده ليريجه، فغشيه رجل مستقتل، بسيف ماض، قد نكلتم عنه بأجمعكم، فكيف كان هو يدفعه عن فرسه؟ انصرفوا، ثم خلى سبيلي.

فانصرفت إلى منزلي، وقد قضيت ذمام الفتى، وحصلت النعمه بعد الشده، و أمنت عواقب الحال، و كان آخر عهدي به (١).

ص: ١٨١

١- لم ترد هذه القصه في غ.

جعفر بن سليمان أمير البصره

يصفح عمّن سرق منه جوهرا

سرق لجعفر بن سليمان الهاشمي (١) جوهرا فاخر بالبصره، و هو أميرها، فجهد أن يعرف له خيرا، فحفي عليه، فأقلقه ذلك، و غاظه، و جدّ بالشرط [١٦٢ ر] و ضربهم، و ألزمهم إظهاره، فجدّوا في الطلب.

فلما كان بعد شهر، أتاه بعضهم برجل وجده في سباط اللؤلؤ، يبيع درّه فاخره من ذلك الجوهرا، قد قبض عليه، و ضربه ضربا عظيما إلى أن أقرّ، فأخبر جعفر بخبره، فأذن بدخوله.

فلما رأى الرجل جعفرا، استغاث به، و بكى، و رقّقه، فرحمه جعفر، و قال: ألم تكن طلبت منّي هذه الدرّه في وقت كذا، فوهبتها لك؟.

فقال: بلى.

فقال للشرط: خلّوا عنه، و اطلبوا اللصّ (٢).

ص: ١٨٢

١- جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، العباسي، الهاشمي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٥٦ من الكتاب.

٢- لم ترد هذه القصّه في غ.

أخذ الصينيه من لا يردها و رآه من لا ينم عليه

و روت الفرس قريبا من هذا، فذكروا أنّ بعض ملوكهم، سخط على حاجب له سخطا شديدا، و ألزمه بيته، و كان فيه كالمحبوس، و قطع عنه أرزاقه و جراياته، فأقام على ذلك سنين، حتّى تهتك، و لم تبق له حال.

ثمّ بلغه أنّ الملك قد اتّخذ سماطا عظيما، يحضره الناس فى غد يومه ذلك، فراسل أصدقاءه، و أعلمهم أنّ له حقا (١) يحضره لبعض ولده، و استعار منهم دابّه بسرجه و لجامه، و غلاما يسعى بين يديه، و خلعه يلبسها، و سيفا، و منطقه، فأعير ذلك، فلبسه، و ركب الدابّه، و خرج من منزله، إلى أن جاء إلى دار الملك.

فلما رآه البوابون لم يشكّوا فى أنّه ما أقدم على ذلك إلاّ بأمر الملك، و تدمّموا لتقديم رئاسته عليهم، فأشفقوا من عودها أن يحجبوه إلى أن يستتبتوا.

و دخل هو مظهرا القوّه بأمر نفسه، و لم تزل تلك حاله، مع طائفه، حتّى وصل إلى الملك، و قد أكل، و هو جالس يشرف.

فلما رآه الملك قطّب، و أنكر حضوره، و همّ بأن يأمر به، و بالحجاب، و البوّابين، فكره أن ينغصّ يوما قد أفرده بالسرور على نفسه.

و أقبل الرّجل يخدم، فيما كان يخدم فيه قديما، فازدادت الحال تمويها على الحجاب و الحاشيه، إلى أن كاد المجلس ينصرم، و غفل أكثر من كان [١٩٢ ظ] حاضرا عنه.

فتقدّم إلى صبيته ذهب زنتها ألف مثقال، مملؤه مسكا، فأخذها بخفّه،

ص: ١٨٣

١- الحقّ: موضع الاجتماع من أجل تشييع جنازه المتوفّى، راجع القصّه ١/١٣٨ و ٩/٤ من كتاب نشوار المحاضره للقاضى التنوخى.

و جعل المسك فى كمّه، و الصيٲته [١٥٧ م] فى خفّه، و الملك يراه.

و خرج، و عاد إلى منزله، و ردّ العوارى إلى أهلها، و باع المسك، و كسر الصينيه، و جعلها دنانير، و اتّسع بها حاله.

و أفاق الملك-من غد-من سكره، و سمع من يخدم فى الشراب يطلب الصيٲته، و قهرمان الدار يضرب قوما فى طلبها، فذكر حديث الحاجب، و علم أنّه ما حمل نفسه على الغرر الشديد فى ذلك، إلاّ من وراء شدّه و ضرّ.

فقال لقهرمانه: لا تطلب الصيٲته، فما لأحد فى ضياعها ذنب، فقد أخذها من لا يردها، و رآه من لا ينمّ عليه.

فلما كان بعد سنه، عاد ذلك الحاجب، إلى شدّه الإضاقه، بنفاد الدنانير، و بلغه خبر سماط يكون عند الملك، فى غد يومه، فاحتال بحيله أخرى، حتى دخل إلى حضره الملك، و هو يشرب.

فلما رآه الملك، قال: يا فلان، نفذت تلك الدنانير؟

فقبّل الارض بين يديه، و بكى، و مرّغ خديّه، و قال: أيها الملك، قد احتلت مرّتين، على أن تقتلنى فأستريح ممّا أنا فيه، من عظم الضرّ الذى أعانيه، أو تعفو عنيّ كما يليق بك، و تذكر خدمتى (١)، فأعيش فى ظلك، و ليست لى بعد هذا اليوم حيله.

فرّق له الملك، و عفا عنه، و أمر برد أرزاقه عليه و نعمته، و رده إلى حالته الأولى فى خدمته (٢).

ص: ١٨٤

١- فى م: و تذكر حرمتى.

٢- لم ترد هذه القصّه فى غ، و وردت باختصار فى البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٧٠٨.

سفتجه بثلاث صفحات

يفتديها المحال عليه بخمسائه و خمسين ديناراً

بلغني عن رجل من أهل ديار ربيعه، كانت له حال صالحه (١)، فزالت، قال: فلزمتني المحنة و الإضافه، مدّه طويله، فتحيّرت، و لم أدر ما أعمل.

و كان أمير الناحيه إذ ذاك، العباس بن عمرو الغنوي (٢)، و كانت بيني و بين كاتبه معرفه قديمه، فأشير عليّ بأن ألقاه، و أخذ كتاباً عن العباس إلى بعض [١٦٣ ر] أصدقائه من أمراء النواحي و أخرج إليه، فلعلّي أتصرّف معه، و أعود من جهته بفائده أ جعلها أصل معيشه.

فلقيت الكاتب، فقال لي: صر في غد إلى دار الأمير، حتّى أكتب لك.

فمضيت إليه، فكتب لي عنه كتاباً مؤكّداً إلى بعض أمراء الأطراف من أصدقاء العباس، فخرجت أريد منزلي.

ص: ١٨٥

١- في م: كانت له نعمه سنّيه.

٢- العباس بن عمر الغنوي: من كبار القوّاد و العمال العباسيين كان يلي ديار ربيعه، و أشخصه المعتضد في السنه ٢٨٦ إلى الأنبار لمحاربه أعراب أغاروا على القرى (الطبرى ٧٢/١٠) [١] ثم ولّاه فارس (ابن الأثير ٤٩٩/٧) و [٢] احتاج المعتضد إلى من يحارب القرامطه، فولّاه في السنه ٢٨٧ اليمامه و البحرين، و أناط به حرب القرامطه (الطبرى ٧٥/١٠) و [٣] حاربهم، فظهر عليه أبو سعيد، و أسره، و أبقاه حيّاً، و قتل جميع عساكره و أحرقهم (الطبرى ٧٧/١٠) [٤] ثم أطلقه و بعثه برسالة إلى المعتضد (القصّه ٦٢/٤ من نشوار المحاضره و ابن الأثير ٥٠٠/٧)، [٥] ثم التحق ببدر مولى المعتضد، و كان بفارس، و لما بويع المكتفى، و اختلف بدر معه، انفصل عن بدر و انصرف عنه إلى مدينه السلام (الطبرى ٨٩/١٠ و ٩٠) [٦] فولّاه المكتفى قم و قاشان، ثم عزله عنها في السنه ٢٩٦ (ابن الأثير ٥٤/٨) و [٧] قلّده أعمال الحرب بديار مضر، و مات فيها سنه ٣٠٥ (ابن الأثير ١٠٧/٨).

فلَمَّا صرت في بعض الممرّات و أنا رجل طويل مبدّن (١)، و كنت قد حلقت رأسي، و عليه منديل خفيف، قد أطارته الرّيح، فأنكشف، و لعله انشغال قلبي بأمرى لم أردّ المنديل.

و إذا بصفعه قد جاءت، كادت تكبني على وجهي، و توالى بعدها اثنتان.

فالتفت، فإذا العباس بن عمرو، و قد خرج إلى موضع من مواضع الدّار، و كان مشتتاً بالمصافعه (٢)، مكاشفاً بها، هو، و جماعه من قوّد المعتضد، أصدقاء، أخلاء، يستعملون ذلك، و يكاشفون به.

فقبضت على يده، و قلت: ما هذا أيّها الأمير؟ ما أفارقك، أو تعطيني شيئاً أنتفع به عوضاً عن هذا الفعل.

فدافعني، و أنا متشبّث به، و سقط الكتاب من كمي، فقال: ما هذا الكتاب.

قلت: كتاب، كتب لي عنك إلى فلان، لأخرج إليه، فلعلّي أتصرف معه، أو يبرّني بشيء.

فقال: هو ذا، أكتب لك عليه سفتجه بالصفع، فإنّه يفتديها منك بما تنتفع به.

و استدعى دواه، و كتب لي إلى الرجل سفتجه (٣)، كما يكتب التّجار، بثلاث مکتوبات، كناية عن ثلاث صفحات.

فأخذت الكتاب، و انصرفت متعجباً ممّا جرى عليّ، و من حرفتي في

ص: ١٨٦

١- المبدّن: بتشديد الدال: السمين الجسم، و البغداديون الآن يقولون: مبدن، بلا شدّه.

٢- المصافعه: انظر التفصيل في آخر القصّه.

٣- السفتجه: الحوالة التجاريه، و هي أن تعطى مالاً - لرجل، فيعطيك خطأ يمكّنك من استرداد ذلك المال من عميل له في مكان آخر، و إذا كان الخطّ يشترط أداء المال في وقت مؤجّل، فهى سفتجه بأجل، و ما زال هذا اسمها ببغداد، و في القانون التجارى العراقى كذلك.

أن العباس لم يسمح لي بشيء، مع جوده، و تحمّلت، و خرجت إلى ذلك البلد، فأوصلت الكتاب الذي كتبه لي الكاتب عنه.

فردّني ذلك الأمير أفبح ردّ، و آيسنى، و قال: قد بلينا بهؤلاء الشحاذين، يجيئوننا في كلّ يوم بكتب لا تساوى مدادها، و يقطعونا عن أشغالنا، انصرف، فمالكك عندي تصرّف، و لا برّ.

فورد عليّ ما لم أر مثله، و ما هالني و قطع بي، و كنت قد سافرت إليه، و قطعت [١٩٣ ظ] شقّه بعيده، فانصرفت أسوء الناس حالا.

و فكّرت ليلتي، فقلت: ليس إلا [١٥٨ م] العود إليه، و مداراته، فلعلّ أن يعطيني قدر نفقه الطريق، فأتحمل بها.

فعدت إليه، و خاطبته بكلّ رفق و خضوع و سؤال و هو يخشن عليّ، و يؤيسني، إلى أن قال لحاجبه: أخرج عنيّ، و لا تدعه بعدها يدخل إليّ.

فورد عليّ أعظم من الأوّل، و خرجت أخزى خروج، و أقمت اياما لا- أعود إليه، و لا- أدرى ما أصنع، إلا أن بقالا في المحله التي نزلتها يعطيني خبزا و إداما بنسيئه.

فجلست إليه يوما و أنا متحير، و الغم بين عليّ، فسمعت قائلا يقول:

إنّ الامير قد جلس للمظالم، جلوسا ارتفع عنه الحجاب فيه، ففكّرت كيف أعمل؟.

و ذكرت الكتاب بالسفتجه، فقلت: أمشى و أجعلها نادره كالظلامه، فإن أعطاني شيئا، و إلا فضحته بين رعيته، و انصرفت.

فأخذت السفتجه، و جئت، فلم أصادف بالباب من يمنعني، فدخلت إليه.

فحين رآني اغتاض عليّ، و قال لحاجبه: ألم أمرك أن لا تدخل هذا اليّ.

فقال: كان الإذن عاما، و لم يميّز.

فأقبل الأمير عليّ، فقال: ألم أقل لك، و أويسك منّي؟ فما هذه الملازمه،

كأنّ لك عليّ ديناً أو سفتجه؟.

فقلت: نعم، لي على الأمير - أعزّه الله - سفتجه.

فازداد غيظه، وقال كالمتعجب: سفتجه، سفتجه؟.

فأخرجتها، فدفعتها إليه، فلما قرأها عرف الخطّ و الخطاب، فنكس رأسه ساعه، خجلاً، ثمّ قال لكاتب كان بين يديه، شيئاً لا أعلمه.

فجذبني الكاتب، وقال: إنّ الأمير قد تدمّم ممّا عاملك به، وأمرني بدفع مائه دينار إليك، فقم معي لتأخذها.

فقلت: ما قصدت الأمير ليبرني، أنا رجل أوصلت إليه سفتجه بمال، فأما قبلها [١٦٤] فأعطانيه، فما أريد غيره، ولا أستريد عليه، ولا أنقص منه شيئاً، وإمّا كتب لي على السفتجه: راجعه (١)، فأخذتها، وانصرفت.

فسارّه الكاتب بما قلت، وقوى طمعي في الصنع، فالتفت إلى الكاتب، وقال: قد جعلها لك الأمير مائتي دينار، فانهض لتأخذها.

فقلت، لمن يقول هذا: ما عندي غير ما سمعت، ولان الأمير، وتشدّدت، ولم يزل الكاتب يتوسّط بيننا، إلى أن بذل خمسمائة دينار.

فقلت: على شرط أنّي لا - أبرح من هذا المجلس حتّى أقبضها وأسلمها إلى يد تاجر، وأخذ منه سفتجه بها، ويدفع إليّ نفقه تكفيني إلى أن أعرف صحّه السفتجه، ثمّ أتحمّل بياقي ذلك.

فأجبت إلى ذلك، وأحضر التاجر، والمال، وأخذت منه سفتجه، ودفعوا لي خمسين ديناراً للنفقه، وأقمت مدّه، إلى أن عرفت خبر صحّه السفتجه، وتحملت ببقية النفقه إلى بلدي.

و حصل لي المال، فجعلته بضاعه في متجر، صلحت به حالي، إلى الآن (٢).

ص: ١٨٨

١- راجعه: كلمه تكتب على السفتجه، معناها رفض أداء مبلغ الحوالة، ويحق للمحال له عندئذ أن يرجع بالمحال به على المحيل.

٢- لم ترد هذه القصّه في غ.

الصفح: ضرب القفا بالكفّ مبسوطه، و المصافعه: تبادل الصفعات، و الصفعان:

الذى يصفع كثيرا.

و الأصل فى الصفع أن يكون للعقوبه و التأديب. كأن يأمر القاضى بصفع من أخلّ بالحرمة الواجبه نحو مجلس الحكم (القصص ١٠/٢ و ١٧٨/٦ من نشوار المحاضره للتوخى).

و قد يصفع المتشدق المتقعر فى كلامه (الامتاع و المؤانسه ٥٢/٢).

و قد أمر الوزير على بن عيسى بصفع رجل ادعى النبوه (صله الطبرى ٢٦).

و صفع بعض العامه فى البصره، القاضى أبا خليفه و صحبه، لما حسبوهم يقرأون القرآن بلغه الدجاج (مروج الذهب ٥٠١/٢).

و صفع أبو محمّد المافروخى الفأفاء، عامل البصره، ابن أحد خلفائه، لما فأفأ له، حاسبا أنه يحاكيه (نشوار المحاضره، رقم القصيه ١٤/٤).

و قد يجرى الصفع لإجبار المكلف على أداء الضريبه المتحققه عليه (القصه ١٨٤ من هذا الكتاب) أو لإجبار العامل المصروف على سداد ما بذمته من الأموال الأميريه (القصه ٢١/٨ من كتاب نشوار المحاضره) أو لإجبار من صودر على أداء ما صودر عليه (القصه ٣٥/١ و ١٢٢/٣ من كتاب نشوار المحاضره، و الكامل لابن الأثير ١٤٢/٨، و تجارب الأمم ١١٠/١ و صله الطبرى ٣٩)، أو لاستخراج الودائع (تجارب الأمم ٦٥/١) أو لتقرير مبلغ المصادره (تجارب الأمم ٦٥/١) أو لإجبار المصفوع على ترك عناده (القصه ٢٦١ من هذا الكتاب، و القصه ٥٤/٣ من نشوار المحاضره).

و قد يرد الصفع عقابا للمدعى الذى عجز عن القيام بما ادعى، كما حصل لابن المغازلى الذى شرط على نفسه إن لم يضحك المعتضد، أن يصفع عشر صفعات، و عجز عن إضحائه (مروج الذهب ٥١٠/٢ و ٥١١).

و لما أراد المكتفى الخروج لقتال القرامطه، منعه المنجم أبو الحسن العاصمى، بحجّه أنّ طالعه يدلّ على أنّ خروجه هذا، يؤدى إلى زوال دولته، و خرج المكتفى، و استأصل القرامطه، و عاد مظفراً سالماً، فأمر بالعاصمى فأحضر، و صفعاً عظيماً (الفلاكه و المفلوكون ٣٧).

وقد يحصل الصفع للإهانه و الايذاء، فقد ذكر أنّ المتوكّل غضب على عمر بن فرج الرخجي، أحد كبار العَمال في الدوله، فأمر بأن يصفع في كلّ يوم، فأحصى ما صفع، فكان سته آلاف صفعه (مروج الذهب ٤٠٣/٢)، و غضب المتوكّل على ولده المنتصر، ولى عهده، فأمر بأن يصفع في مجلسه (تجارب الأمم ٥٥٥/٦ و الكامل لابن الأثير ٩٧/٧)، و لزياده التفصيل راجع تاريخ الطبرى ١٧٥/٩، و صله تاريخ الطبرى ص ٥٢ و ٥٨ و ٨٦ و التكملة ٣٧ و ٤١، و تجارب الأمم ١٠٣/١ و ٣٧١ و القصّه ١١٩/١ و ٧/٤ من كتاب نشوار المحاضره للتوخى، و القصّه ٢٥٠ و ٣٠٤ من هذا الكتاب، و المستطرف من أخبار الجوارى للسيوطى ٢٩ و الوزراء للصابى ٤٦ و ٢٦٤ و وفيات الأعيان ١٥٩/٤ و ٥٨/٦ و حكاية أبى القاسم البغدادي ١٣٨ و مرآه الجنان لليافعى ١٨/٤).

وقد يقع الصفع على المقامر إذا قمر، كما وقع لأمير البصره إسحاق بن العباس بن محمّد العباسى، لما قمر، فتحقق عليه حسب الشرط أن يصفع عشر صفعات، فأحالها هذا على صاحب شرطته، و طلب هذا أن يكون الصفع، صفع المداعبه و الإخوان، لا صفع العقوبه و السلطان (الهفوات النادره ٢٣١).

و أغرب ما أثر عن الصفع، وروده لإيقاع الحجه على الخصم فى المناظره (معجم الأدباء ٢٣٧/٥).

و الذى يتضح من هذه القصيه، و من غيرها من القصص، أنّ المصافعه، كان لها من يستحسنها، و يستطيها، و يتمّاح بذكر فوائدها (البصائر و الذخائر ١٨٠/٤)، و كان لها سوق رائجه.

و كان العباس بن عمرو الغنوى، و هو أحد كبار القوّاد و الولاه العباسيين، من المستهترين بالمصافعه، المكاشفين بها، هو و جماعه من قوّاد المعتضد، أصدقاء، أخلاء، يستعملون ذلك، و يكاشفون به، و أنّ المصافعه تجرى بينهم للمطايبه، (القصّه ١١٦ من هذا الكتاب، و القصّه ١١٩/٨ من نشوار المحاضره) و أنّها تقع على سبيل المباسطه (القصّه ٥١/١ و ١٦٦ من نشوار المحاضره، و معجم دوزى لأسماء الألبسه ٢٧١).

و كان زياده الله بن الأغلب، أمير أفريقيه (١٧٢-٢٢٣) قد اتّخذ ندامى يتصافعون فى حضوره (فوات الوفيات ٣٤/٢ و ٣٥).

و كان القاضى محمّد بن الخصيب، قاضى مصر (٣٤٨)، و هو ممدوح المتنبى، ممن يمازح فى المصافعه (أخبار القضاء للكندى ٥٧٩ و ٥٨٠).

و كان للصفاعنه أرزاق فى الدوله، و لما وزر أبو الحسن على بن عيسى فى السنه ٣١٤ كان من جمله ما صنعه أن أسقط أرزاق الصفاعنه (الكامل لابن الأثير ١٦٥/٨).

و سئل القاضى ابن قريعه، عن حدّ القفا، فقال للسائل: هو ما اشتمل عليه جرّبانك، و شرطك فيه حجامك، و داعبك فيه إخوانك، و باسطك فيه غلمانك، و أدّبك فيه سلطانك (اليتيمه ٢٣٨/٢ و تاريخ بغداد للخطيب ٣٢٠/٢).

و داعب ابن المرزبان، أبا العيناء، فقال له: لم لبست جبّاعه؟ فقال: و ما الجبّاعه؟ قال: التى بين الجبّه و الدرّاعه، فقال: و لم أنت صفيديم؟ قال: و ما صفيديم؟ قال:

الذى هو بين الصفعان و النديم (الملح للحصرى ١٨٣).

و كان حدّاء ماجن بباب الطاق (اسمها الآن الصرافيه) يسمّى النعال، بأسماء من جنس الصفعه، فنعل راسكيه، و نعل صعلكيه، و نعل قفويه (القصّه ٩٨/٢ من نشوار المحاضره).

و أفرد ابن النديم فى الفهرست ص ١٥٧ بحثا فى أخبار الصفادمه و الصفاعنه، كما ذكر أنّ الكتنجى ألف كتابا سماه: كتاب الصفاعنه (الفهرست ١٧٠).

و الأصل فى الصفع أن يحصل، بالكفّ على القفا، و ربما حصل بجراب فارغ أو محشوّ (مروج الذهب ٥٠٩/٢-٥١١)، و قد يحصل بالنعال (وفيات الأعيان ٤/٤٥٥)، أو بقشور القرع (اليتيمه ٣٤٠/٢)، أو بقشور البطيخ الأحمر المسمّى فى بغداد بالرقى، نسبة إلى الرّقه (راجع سبب هذه التسميه فى حاشيه القصّه ٢٦٨ من هذا الكتاب)، و لا يوجد الآن ببغداد من يمارس هذا اللون من المباسطه السمجه، و قد أدركت بعض باعه الرقى الأحداث كانوا يتصافعون بقشور الرقى المقّ (فصيحته، و البغداديون يلفظون قافها كافا فارسىّه).

و ممن أحسن فى الإشاره إلى المصافعه، ابن الحلاوى الموصلى (ت ٦٥٦) قال: [الوفى بالوفيات ١٠٨/٨].

فطَبَّ طرطَبَ فوق راسى و طاق طرطاق فى قذالى

و قال الشاعر الأندلسى، أبو عبد الله بن الأزرق: [نفح الطيب ٢٢٩/٣] أفدى صديقا كان لى بنفسه يسعدنى

فربّما أصفعه و ربّما يصفعنى

طقطق طق طقطق طق أصخ بسمع الأذن

ولأبن الحجاج شعر كثير في المصافعه، أورد بعضه صاحب اليتيمه ٨٦/٣-٨٨، ولأحنف العكبرى في المصافعه (اليتيمه ٧٠٤/٣)؛

لقد بتّ بماخور على دفّ و طنبور

و صوت الطبل كردم طع و صوت الناي طّير

فصرنا من حمى البيت كأنّا وسط تنور

و صرنا من أذى الصفع كمثل العمى و العور

و مّين أحسن في وصف الصفع، جمال الدين بن شيث، المتوفى سنه ٦٢٥ و قد أورد له صاحب فوات الوفيات ٣١٣/٢ و أبياتا، اخترت منها هذين البيتين:

و تخالفت بيض الأكفّ كأنّها ال تصفيق عند مجامع الأعراس

و تطابقت سود الخفاف كأنّها وقع المطارق في يد النّحاس

ولأبى الرقعق، أبى حامد أحمد بن محمّد الانطاكي، مقطوعات في المصافعه، راجعها في يتيمه الدهر للشعالبي ٣٣٤/١-٣٤٠.

و لزياده التفصيل، راجع كتاب الغيث المسجم للصفدى ٢٠٣/١-٢٠٥ و كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ٦٩٩/٢ و ٧٠٠.

ص: ١٩٢

السبب في خلع المقتدر

الخلع الثاني، وعودته إلى الحكم

ذكر أصحاب التواريخ، ومصنفو الكتب، و أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب المعروف بالمطوّق (١)، على ما أخبرني به [أحمد بن يوسف بن يعقوب التّوخي عنه] (٢) في كتابه «مناقب الوزراء و محاسن أخبارهم»، و ما شاهدته أحمد بن يوسف (٣) من ذلك، و جماعه حدّثوني به، ممّن شاهد الحال، منهم أيّوب بن العباس بن الحسن (٤)، و عليّ (٥)، و القاسم، ابنا هشام بن عبد الله الكاتب (٦)، و أبو الحسين بن عياش الخرزى (٧)، خليفه أبي رحمه الله على الحكم بسوق الأهواز، و من لا- أحصى من شيوخنا كثره، بالسبب في خلع المقتدر عن الخلافة، الخلع الثاني، بعبارات مختلفه، معني جميعها أنّ الجيش كلّه، الفرسان، و الرّجاله، شغبوا يطلبون الزيادات، و يتبسّطون في التماس المحالات، و ملّوا أيام المقتدر و بغوا عليه بأشياء (٨).

ص: ١٩٣

- ١- أبو الحسن علي بن الفتح الكاتب، المعروف بالمطوّق: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩٣ من الكتاب.
- ٢- الزيادة من م.
- ٣- أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق الأنباري الكاتب: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٦ من الكتاب.
- ٤- أيّوب بن العيّاس بن الحسن الجرجرائي: كان أبوه، أبو أحمد العيّاس بن الحسن وزير المكتفى و المقتدر، و قتل في السنه ٢٩٦، و قد ذكر التّوخي أنّه واجه أيّوب في السنه ٣٥٠ بالأهواز و نقل عنه بعض القصص.
- ٥- أبو الحسين علي بن هشام بن عبد الله الكاتب، المعروف بابن أبي قيراط: ترجمته في حاشيه القصّه ٦٦ من الكتاب.
- ٦- أبو القاسم هشام بن عبد الله الكاتب، المعروف بأبي قيراط: ترجمته في حاشيه القصّه ١١٧ من الكتاب.
- ٧- أبو الحسين عبد الله بن أحمد بن الحارث بن عياش الخرزى (الجوهري) البغداديّ: ترجمته في حاشيه القصّه ١٧٩ من الكتاب.
- ٨- راجع في القصّه ١٥٤/١ من كتاب نشوار المحاضره للقاضي التّوخي ما قاله المقتدر للقاضي أبي طالب-

و اتفق أنّ سائسا لهارون بن غريب الخال (١)، علق بـغلام [١٥٩ م] فى الطريق، للفساد، فرفع إلى أبى الجود (٢)، خليفه عجيب (٣)، غلام نازوك (٤)، على مجلس الجسر بالجانب الغربى (٥)، فجاء غلمان هارون يخلصونه و مانعهم، إلى أن لحقه بعض أصحاب نازوك [١٩٤ ظ] فصارت بينهم حرب، و انتهت

ص: ١٩٤

١- هارون بن غريب الخال: هو، و أبوه غريب، خال المقتدر، من قواد الدوله العباسيه، و كان هارون مسيطرا على الدوله فى أيام المقتدر، يشترك فى ترشيح الوزراء (تجارب الأمم ١/١٢٧) و نصب العمال (١/٢٢٨) و كان له دور فى قمع ثوره العائمه ببغداد فى وزاره حامد بن العباس للمقتدر (١/٧٣ و ٧٤) و كان من خصوم الوزير ابن الفرات، و من أنصار الوزير على بن عيسى (١/١١٢ و ١٨٥) و لما أنيطت به مناظره ابن الفرات عند عزله، ضربه خمس درر (١/١٣٥) و ضرب ولده المحسن على رأسه بالدبابيس، و قيده، و غلّه (١/١٣٣)، و اشترك فى دفع أبى طاهر القرمطى عن العراق لما هاجمه فى السنه ٣١٥ (١/١٨٠) ثم خاصم القائد نازوك (١/١٨٧) ثم خاصم مؤنس المظفر (١/١٨٨) فأصرّ القواد على أن يبرح هارون بغداد، فقلّمده المقتدر الثغور الشاميه و الجزيره، و لكنّ هارون بارح بغداد، و أقام بقطربل (١/١٩٢) فكان ذلك من أسباب خلع المقتدر و مبايعه القاهر (١/١٨٩-٢٠٠)، و لما أعيد المقتدر للخلافه، أخرج هارون إلى الجبل، لمحاربه مرداويج (١/٢١٣) ثم عاد إلى بغداد، فاستوحش مؤنس مجددا (١/٢٢٢) و أصعد إلى الموصل، ثم كّر راجعا، و حارب المقتدر، و قتله (١/٢٣٤-٢٣٦) و لما قتل المقتدر، انحدر هارون إلى واسط، حيث راسل الحضره، و قلّم أعمال المعاون بالكوفه (١/١٥٣-١٥٤)، و لما ولى الراضى، أراد هارون أن يعود إلى الحضره (١/٣٠٦) و سار متوجّها إليها، و كان الراضى يكرهه (١/٣٠٧) فطلب منه أن يعود إلى موضعه، فأبى (١/٣٠٨) فجزّد إليه جيشا حاربه، و قتل هارون فى المعركه سنه ٣٢٣ (تجارب الأمم ١/٣٠٩).

٢- أبو الجود خليفه عجيب غلام نازوك صاحب شرطه بغداد: ترجمته فى حاشيه القصه ٧٦ من الكتاب.

٣- عجيب غلام نازوك القائد التركى صاحب شرطه بغداد: ترجمته فى حاشيه القصه ٧٦ من هذا الكتاب.

٤- أبو منصور نازوك، صاحب شرطه بغداد: ترجمته فى حاشيه القصه ٧٦ من هذا الكتاب.

٥- صاحب الشرطه، هو صاحب الجسر (تاريخ بغداد لابن طيفور ص ٩٩ سطر ١٠ و ١١) و كان له مجلس على رأس الجسر فى الجانب الغربى، يعرض فيه أرباب الجنايات و يعاقبهم (تاريخ بغداد ٣٧ و ٣٨) و كان رسم ولاه الشرطه، أن يبيتوا فى هذا المجلس، فى غرفه من غرفه (الهفوات النادره ١٩٢)، ثم أصبح لصاحب الجسر مجلس فى الجانب الشرقى أيضا، راجع القصه ٣٩٥ من هذا الكتاب.

الحال إلى قصص يطول شرحها.

إلى أن أطبق الجيش بأسرهم على خلع المقتدر، فزحفوا إلى داره، بمواطأه من مؤنس المظفر (١)، فقبضوا عليه، و حملوه إلى دار مؤنس (٢)، في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع عشرة و ثلاثمائة، فحبس فيها، و خلع نفسه، و أشهد عليه بالخلع.

و كان رأس الفتنة، و القائم بها، عبد الله بن حمدان، أبو الهيجاء (٣)، و نازوك المعتضدى، على مساعده لهما من مؤنس، و إطباق من الجيش كلهم، و جاءوا بأبى منصور محمّد بن المعتضد بالله (٤)، فأجلسوه فى دار الخلافة، و سلّموا عليه بها، و لقبوه القاهر بالله، فقلّد نازوك الحجة، مضافا إلى ما كان إليه من الشرطه، و جعله صاحب داره.

فلما كان فى يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت منه، بكر الناس إلى دار الخليفة للبيعه، و جاءت إلى فناء الدار، ممّا يلي دجله، جماعه من الرّجاله، يطالبون بمال البيعه و الزيادة.

فجاء نازوك و أشرف عليهم من الرواق، و معه خادم من رؤوس غلمانة يقال له عجيب، فقال لهم: ما تريدون؟ نعطيكم ثلاث نواب. فقالوا:

لا، إلا أرزاق سنه، و زياده دينار، و زادوا فى القول.

فقال لهم: يصعد إلى منكم جماعه، أفهم عنهم، و أكلمهم، فصعد إليه جماعه منهم، من باب الخاصه، و تسلق إلى الرواق جماعه منهم كبيره، و ثاروا على غير موواطأه، و لا رأى متقرّر.

ص: ١٩٥

١- مؤنس المظفر، القائد التركى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٦٣ من هذا الكتاب.

٢- دار مؤنس كانت مجاوره لدار الخلافة، راجع وصفها فى حاشيه القصّه ١٦٣ من هذا الكتاب.

٣- أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٦٣ من هذا الكتاب.

٤- أبو منصور محمد بن المعتضد: ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٩ من هذا الكتاب.

فقال لهم نازوك: اخرجوا إلى مجلس الإعطاء، حتى نخرج المال إلى الكتاب، فيقبضونكم.

فقالوا: لا نقبض إلا هاهنا، و هجموا على التسعيني (١)، ييوقون (٢)، و يشتمون نازوك.

فمضى نازوك من بين أيديهم، يريد الممر في الطريق الذي ينفذ إلى دجله، و كان قد سدّ آخره [١٦٥ ر] بالأمس، إحتياطاً لحفظ من في الدار، و تحرّزا من هربهم، فلما رآه مسدودا رجع، فاستقبله جماعه من الرجال يطلبونه.

فوثب عليه رجل أصفر منهم، فضربه بكلاب (٢٠)، و ثناه آخر يكون في مطبخ أمّ المقتدر، و له رزق في الرجال، يقال له: سعيد، و يلقب: ضفدعا، فقتلوه، و قتلوا عجيبا، و قالوا: لا نريد إلا خليفتنا جعفر المقتدر، و قتل الخدم في الدار أبا الهيجاء، و اختبأ القاهر في بعض الحجر، عند بعض الخدم.

و أقبلوا برأس نازوك على رمح قد خرج طرفه من وسط الرأس، إلى دار مؤنس، و هم يقولون: مقتدر، يا منصور.

فطالبوا مؤنسا بالمقتدر، فخافهم على نفسه، فأخرجه إليهم، و المقتدر يستعفى من الخروج، و يظهر الزهد في الخلافة، و يظنّ أنّ ما سمعه حيله على قتله.

إلى أن سمع صياح الناس: مقتدر، يا منصور، و أعلم بقتل نازوك و أبي الهيجاء، فسكن.

و قعد في طيّاره، و انحدر إلى داره، و الرجال يعدون على الشط بأزائه، إلى أن خرج من الطيّار، فالتحقوا به يقبلون يديه و رجله، حتى دخل داره.

و أحضر جماعه من الهاشميين و غيرهم، فبايعوه بيعة ثانية، و ظهر ابن

ص: ١٩٦

١- التسعيني: صحن في دار الخلافة، قريب من مجلس الخليفة، سمى التسعيني لأنّ ذرعه تسعون ذراعا.

٢- ييوقون: أي ينفخون في البوق، و العامى البغدادى يسمّى البوق: برزان.

مقله وزيره، و كان مستترا تلك الأيام، فأقره على الوزاره (١)، و دبّر أمره، و زال عنه ما كان فيه من المحنه و النكبه، و لم ير خليفه أزيل عن سريره، و أخرج من دار ملكه، و أجلس آخر في موضعه، و لقب لقباً من ألقاب الخلفاء [١٦٦ ر]، و تسمّى بأمر المؤمنين، و أجمع على بيعته أهل المملكه و الجيش كلّه، و على خلع الأوّل و حبسه [١٦٠ م]، ثمّ رجع إلى أمره، و نهيه، و ملكه، و داره، في مدّه خمسّه أيام، بلا سبب ممّهّد، و لا مواطأه لأحد، و لا مشاوره، و لا مراسله، إلاّ ما اتّفق في أمر المقتدر، و أخيه القاهر (٢).

ص: ١٩٧

- ١- و زر ابن مقله للمقتدر في السنه ٣١٦ خلفا لعلی بن عيسى الذى صرف و اعتقل عند زيدان القهرمانه في دار الخلافه، و على أثر فتنه القاهر اتهم المقتدر وزيره ابن مقله بممايله القائد مؤنس المظفر، فاعتقله في السنه ٣١٨ و استوزر سليمان بن الحسن، للتفصيل راجع تجارب الأمم ١/١٨٥-٢٠٥.
- ٢- كان سبب خلع المقتدر و نصب القاهر، ان المقتدر استوحش من القائد مؤنس الخادم الذى كان يعترض على تصرّفات الخليفه، و أفراد العائله المالكه، و الحاشيه في البلاط، و كان الخليفه يعده بالاصلاح، و عدا من دون تنفيذ، فاتّفق مؤنس مع القواد و خلعوا المقتدر، و نصبوا أخاه القاهر، غير أنّ أفراد الجند، تحرّكوا على القواد، و على الخليفه الجديد، و هاجموا دار مؤنس، حيث كان المقتدر معتقلا، و اخرجوه، و اعادوه إلى الخلافه، راجع تجارب الأمم ١/١٨٩-١٩٩.

خلع الأمين وعودته إلى الحكم

قال مؤلف هذا الكتاب: وعلی أنه قد كان جرى علی [١٩٥ ظ] محمّد الأمين (١) قریب من هذا، لما قبض علیه الحسین بن علی بن عیسی بن ماهان (٢)، وخلعه، وحبسه (٣)، و عزم علی أن ینفذه إلی المأمون، ثمّ أنّ الجیش طالبوه بأرزاقهم، فلم یکن معه، ما یعجّله لهم، فوعدهم، فشحّبوا، و لم یرضوا بالوعد، و استخرجوا الأمين من حبسه، فبايعوه ثانيا، و ردّوه، و هرب الحسین بن علی، و زالت عن الأمين تلك الشدّه، و القصّه فی ذلك مشهوره، رواها أصحاب التواریخ، بما یطول اقتصاصه هنا، إلاّ أنّه لم یجلس علی سریره خلیفه آخر (٤).

ص: ١٩٨

١- أبو عبد الله محمد الأمين بن هارون الرشيد: ترجمته فی حاشیه القصّه ١٣١ عن الكتاب.

٢- الحسین بن علی بن عیسی بن ماهان: هو و أبوه من قواد الدوله العباسیه، قتل أبوه فی المعركه الّتی خاضها مع جیش المأمون بقیاده طاهر بن الحسین فی الرّیّ سنه ١٩٥ و بعثه الأمين علی رأس جیش إلی الرّفقه، و كان والیها عبد الملك بن صالح، فأقام بالرّفقه حتی مات عبد الملك، فانصرف بجیشه إلی بغداد، و خلع محمدا الأمين فی السنه ١٩٦ و نقله من قصر الخلد، فحبسه فی قصر أبی جعفر، و تحرّك أهل بغداد و سکان الأرباض فحاربوا الحسین و أسروه، و أخرجوا الأمين من الحبس، و أحضروا الحسین أمامه، فعاتبه و صفح عنه، و أناط به قیاده جیش لحرب المأمون، فلم یلبث أن هرب، فركب الناس فی طلبه، و أدركوه، فقتلوه (الطبری ٤٢٨، ٤٢٦، ٨، ٤١٥-٤٣٢).

٣- راجع تفصیل ذلك فی الطبری ج ٨ [٢] فی أخبار السنه ١٩٦، و العیون و الحدائق ٣/٣٢٨.

٤- لم ترد هذه القصّه فی غ، و قد ورد فی نسخه ظ فی ذیل هذه القصّه: تمّ الجزء الأول من كتاب الفرج بعد الشدّه للتوخی، و [٣] الحمد لله وحده، و صلواته و سلامه علی محمّد خاتم النبیین، و علی الأنبياء أجمعین، و عباد الله الصالحین أفضل الصلاه و السلام، و الحمد لله ربّ العالمین، و ورد بعدها: قال القاضی أبو علی المحسن بن القاضی أبی القاسم علی بن محمّد التنوخی رحمه الله تعالى و قد جرت علی المقتدر شدّه أخرى، و فرّج الله عنه، و ورد بعد ذلك: ملك هذا الكتاب المبارك، و طالعه، العبد الفقیر إلی الله تعالى ماجد بن عبد الوهاب عفا الله عنه، و غفر لمن نظر فيه، و دعا له بالمغفره، و قال غفر الله له تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، و للقائل مثله، كتب فی جمادى الآخر سنه سبع و سبعون و سبعمائه، أحسن الله انقضاءها.

كيف خلع المقتدر الخلع الأول

قال القاضي أبو علي المحسن بن القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي رحمه الله تعالى:

وقد جرت على المقتدر بالله شدة أخرى، وفرج الله عنه، [في قصه] تشبه قصه الأمين، سواء بسواء، لما أجمع جميع القواد والحاشية، على أن قتلوا العباس بن الحسن، الوزير، وخلعوا [٢ ن] المقتدر من خلافه، الخلع الأول، وبايعوا ابن المعتز، وأحضره من داره (١) إلى دار سليمان بن وهب، المرسومه - إذ ذاك - بالوزراء (٢)، وجلس يأخذ البيعه على القضاء، والأشراف، والكافة، ويدبر الأمور، ووزيره محمد بن داود، وابن الجراح (٣)، يكاتب أهل الأطراف، والعمال، والأكناف، بخبر تلمدهما، وقد تلقب بالمنتصر بالله (٤)، وخطب بالخلافه، وأمره في نهاية القوه، وهو على أن يسير إلى دار الخلافه، فيجلس بها، ويقبض على المقتدر، إلا أنه أخر ذلك، لتكامل البيعه، وتنفيذ الكتب، ويسير من غد.

وكان سوسن حاجب المقتدر (٥)، والمتولى لأمر داره، والغلمان المرسومين بحمايتها، ممن وافق ابن المعتز، ودخل مع القواد فيما دخلوا فيه، وشرط

ص: ١٩٩

- ١- كانت دار عبد الله بن المعتز على الصراه بالجانب الغربي من بغداد (تجارب الأمم ٥/١).
- ٢- يريد بها دار الوزارة بالمخرم (العلوازيه): راجع حاشيه القصة ١٧٩ من الكتاب.
- ٣- أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب: ترجمته في حاشيه القصة ١٧٩ من الكتاب.
- ٤- في غ: وقد تلقب بالمنتصف بالله.
- ٥- سوسن: حاجب المقتدر، ساهم في مؤامره ابن المعتز، على أن يقلد الشرطه إضافه إلى الحجاب، فلما حجب ابن المعتز غيره، استوحش و عاد إلى نصره المقتدر، ثم ظهر أمره للمقتدر، فقبض عليه، وقتله من يومه (تجارب الأمم ١٢/١).

عليه، أن يقرّ على ما إليه، ويزاد شرطه بغداد.

فلَمَّا جلس ابن المعتزّ في اليوم الأوّل، كان المتولّي لإيصال الناس إليه، و الخادم بحضرته فيما يخدم فيه الحاجب، أحد الخدم غيره.

فبلغ ذلك سوسنا، فشقّ عليه، و توهّم أنّ ذلك غدر به، و رجوع عمّا شرط، و وقف عليه، فدعا الخدم، و غلمان الدار، إلى نصره المقتدر، فأجابوه، فأغلق الأبواب، و أخذ أهله الحرب.

و أصبح ابن المعتزّ، في اليوم الثاني من بيعته، و هو يوم الأحد لسبع (١) بقين من شهر ربيع الأوّل سنة ستّ و تسعين و مائتين، عامدا على المسير إلى الدار، فثبّطه محمّد بن داود، و عرّفه رجوع رأى سوسن، عمّا كان وافق عليه.

و صغّر القوادم ذلك في نفسه، فلم يتشاغل بتلافيه، و أشاروا عليه بالركوب إلى دار الخلافة، و هم لا يشكّون في تمام الأمر، فركب و هم معه.

و انقلبت العائمة مع المقتدر، و رموا ابن المعتزّ بالستر (٢)، و حاربوه مع شرذمه أنفذهم سوسن لحربه ممّن أطاعه على نصره المقتدر.

و لمّا شاهد ابن المعتزّ الصورة، انهزم، و هرب، و انحلّ ذلك الأمر العظيم كلّه، و تفرّق القوادم، و سار بعضهم خارجا عن بغداد، و رسل باقيهم عن المقتدر، بالتلافي، فسكنوا، و عادوا إلى طاعته [١٦١ م].

و طلب ابن المعتزّ، فوجد (٣)، و جرى به إلى دار الخلافة، فحبس فيها، ثمّ قتل، و كانت مدّته منذ ظهر يوم السبت، إلى قريب من الظهر من يوم الأحد.

ص: ٢٠٠

١- في ر: لست بقين.

٢- الستر: راجع حاشيه القصّه ١٨٩ من هذا الكتاب.

٣- التجأ ابن المعتزّ إلى دار ابن الجصاص الجوهري، فنّم عليه أحد الخدم، و كبست الدار و استخرج ابن المعتزّ، و حمل إلى دار السلطان، و حبس إلى اللّيل، و قتل، و لفّ في كساء، و سلم إلى أهله (ابن الأثير ١٦٨-١٨، [١] تجارب الأمم ٦/١-٨).

و عاد الأمر مستقيماً للمقتدر بالله، وانفرجت له تلك الشده، عن ثبات الملك له.

و قد شرح هذا أصحاب التواريخ، بما لا وجه لإعادته هاهنا (١).

ص: ٢٠١

١- للاطلاع على تفاصيل ما حصل، راجع تجارب الأمم ١/١٨٨-٢٠١ و التكملة ٥٨-٦٣ و كتاب الوزراء للصابي، و المنتظم لابن الجوزي ٢٢١/٦ و ٢٢٢ و الكامل لابن الأثير ٢٠٠/٨-٢٠٧.

بعث الفضل بن سهل

خدا بود لقتال خارجى فجاء برأسه

و ذكر عبد الله بن بشر، قرابه الفضل بن سهل (١)، قال:

كان الفضل إذا دخل مدينه السلام، من السيب - موضع قريه (٢) - لحوائجه، و هو - إذ ذاك - صغير الحال، نزل على فامى بها (٣)، يقال له: خدا بود (٤)، فيخدمه هو و أهل بيته، و يقضى حوائجه إلى أن يعود.

و تقضت الأيام، و بلغ الفضل مع المأمون ما بلغ، بخراسان، و قضى أن الفامى ألح عليه الزمان [١٦١ غ] بنكبات متصله، حتى افتقر، فنهض إلى الفضل [بن سهل].

و قدم مرو، فبدأ بى، فسرتت به، و أكرمته، و أصلحت من شأنه ما يجب أن يصلح لدخوله على الفضل، و قمت فدخلت إلى الفضل [٥] و قد جلس على مائدته.

فقلت له: أتذكر الشيخ الفامى، الذى كُنا نزل عليه ببغداد؟.

فقال لى: سبحان الله، تقول لى تذكره، و له علينا من الحقوق ما قد

ص: ٢٠٢

١- أبو العباس الفضل بن سهل السرخسى، وزير المأمون: ترجمته فى حاشيه القصه ٥٥ من الكتاب.

٢- السيب: هما سيان، الأعلى، و الأسفل، عند قصر ابن هبيرة الذى هو بالقرب من سورا، و سورا من أرض بابل (معجم البلدان ٨٤/٣ و ٢٠٨ و ١٢٣/٤).

٣- الفامى: بئاع الفواكه اليابسه، و قد يطلق على البقال (الباب ١٩٥/٢) و قد يكون من أهل فاميه، قريه من قرى واسط بناحيه فم الصلح، أهلها نبط (معجم البلدان ٨٤٦/٣).

٤- خدا بود: فارسىه، معناها: الله موجود.

٥- هذه الجملة ساقطه من م.

علمت؟ فكيف ذكرته؟ أظنّ إنسانا أخبرك بموته.

فقلت: هو ذا فى منزلى.

فاستطير فرحا، و قال: هاته الساعة، ثم رفع يده، و قال: لا آكل أو يجىء.

فقمّت، و جئت به، فحين قرب منه، تطاول له (1)، و أجلسه بين يديه، فيما بينى و بينه، و أقبل عليه، و قال: يا هذا، ما حبسك عنا طول هذه المدّة؟.

فقال: محن عاقتنى، و نكبات أصابتنى.

فاقبل يسأله عن واحده واحده من بناته و أهله.

فقال له: لم يبق لى بعدك ولد، و لا أهل، و لا مال إلا تلف، و ما تحمّلت إليك، إلا من قرض و مسأله، فكاد الفضل يبكى.

فلما استتمّ غداءه، أمر له بثياب فاخره، و مركوب، و مال لنفقته، و أن يدفع إليه منزل، و أثاث، و اعتذر إليه، و وعده النظر فى أمره.

فلما كان من غد، حضر عنده و كلاء تجّار بغداد، و كانوا قد قدموا عليه، يبتغون بيع غلات السواد منه، و أعطوه عطايا لم يجب إليها.

فأحضرنى، و قال: قد علمت ما دار بينى و بين هؤلاء، فاخرج إليهم، و أعلمهم أنّى قد أنفذت البيع لهم، بما التمسوا، على أن يجعلوا لخدابود معهم الربع.

ففعلت ذلك، و أجاب التجّار، و فرحوا بما تسهّل لهم.

ثمّ قال لخدابود: إنهم سيهولون عليك بكثرة المؤن، و يبذلون لك مائه ألف درهم على أن تخرج من الشركه، فاحذر أن تفعل، و لا تخرج باقلّ من خمسين ألف دينار.

ثمّ قال: اخرج معه، و توسّط فيما بينهم و بينه [١٦٧ ر]، ففعلت ذلك،

ص: ٢٠٣

١- تطاول له: همّ بالقيام له.

و لم أفتع حتّى قدّم التجّار لخدابود خمسين ألف دينار، و دخل، فعرف الفضل ما جرى، و شكره، و أقام معنا مدّه.

ثمّ دخل إليه يوماً، و الفضل مغموم مفكّر، فقال له: أيّها الأمير ما الذى قد بلغ بك إلى ما أرى من الفكر و الغمّ؟

قال: أمر لا أحسب لك فيه عملاً يا خدا بود.

قال: فأخبرنى به، فإن كان عندى فيه ما يفرّجه عنك، و إلّا ففى الشكوى راحه.

فقال له الفضل: إنّ خارجيّاً قد خرج علينا ببعض كور خراسان، و نحن على إضاقه من المال، و أكثر عساكرنا قد جرّدوا إلى بغداد، و الخارجيّ يقوى فى كلّ يوم [١٦٢ م] و أنا مرتبك فى هذا الأمر.

فقال: أيّها الأمير، ما ظننت الأمر، إلّا أصعب من هذا، و ما هذا حتّى تفكّر فيه؟ أنت قد فتحت العراق، و قتلت المخلوع، و أزلت مثل تلك الدوله، و تهتمّ بهذا اللصّ الذى لا مادّه له؟ أنفذنى إليه أيّها الأمير، فإن أتيتك به، أو برأسه، بإقبالك، فهو الذى تريد، و إن قتلت، لم تنثم الدوله بفقدى، على أنى أعلم أنّ بختك (١) لا يخطئ فى هذا المقدار اليسير.

قال: ففكّر [١٦٢ غ] الفضل ساعه، ثمّ التفت إلىّ، فقال: لعلّ الله يريد أن يعرفنا قدرته بخدا بود.

ثمّ لفقّ رجالاً، و احتال مالا، ففرّقه عليهم، و خلع على خدا بود، و قلّده حرب الخارجيّ، و البلد الذى هو فيه.

فسار خدا بود بالعسكر، [٣ ن] فلمّا شارف عسكر الخارجيّ، جمع وجوه عسكره و قال لهم: إنى لست من أهل الحرب، و أعول على نصره الله تعالى لخليفته على العباد، و على إقبال الأمير، و ليس هذا الخارجيّ من أهل

ص: ٢٠٤

١- فى م: نجمك.

المدد، وإِنَّمَا هُوَ لَصٌّ لَّا- شوكة له، فاعملوا عمل واثق بالظفر، ولا تقنعوا بدون الوصول إليه، و لكم إن جئتم به، أو برأسه، كذا و كذا.

قال: فحملوا، و حَقَّقُوا، فأنجلت الحرب عن الخارجيّ قتيلاً، فاحتزَّ رأسه.

و كتب خدا بود إلى الفضل: لست ممّن يحسن كتب الفتوح، و لا غيرها، و لكنّ الله جلّت عظمته قد أظفرنا بالخارجيّ، و حصل رأسه معي، و تفرّق أصحابه، و أنا أستخلف على الناحية، و أسير برأسه.

قال: و تلا الكتاب مجيء خدا بود بالرأس، فعجبنا ممّا تمّ له، و علت حاله مع الفضل (١).

ص: ٢٠٥

١- لم ترد هذه القصّة في هـ.

موت زياد يفترج عن ابن أبي ليلي

و ذكر أبو الحسن المدائني، في كتابه «كتاب الفرج بعد الشدة و الضيقه» [عن محمد بن الحجاج] (١)، عن عبد الملك بن عمير (٢)، قال:

كتب معاوية (٣)، إلى زياد (٤): إنّه قد تلجلج في صدرى شيء من أمر حجر بن عدى (٥)، فابعث لى رجلا من أهل المصر (٦)، له فضل، و دين، و علم، فدعا عبد الرحمن بن أبي ليلي (٧)، فقال له: إنّ أمير المؤمنين كتب إلّى يأمرنى أن أوجه إليه رجلا من أهل المصر، له دين و فضل و علم، ليسأله عن حجر بن عدى، فكنت عندى ذلك الرجل، فأياك أن تقبح له رأيه فى حجر، فأقتلك،

ص: ٢٠٦

١- لا توجد فى غ.

٢- عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي الفرسى: ذكره صاحب اللباب ٢/٢٠٦ و [١] قال: إنّه كوفى توفى سنة ١٣٦، و أنّه لقب بالفرسى، نسبه إلى فرس له اسمه القبطى.

٣- أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية: راجع ترجمته فى آخر القصة.

٤- زياد بن أبيه: ترجمته فى حاشية القصة ٩٣ من الكتاب.

٥- حجر بن عدى بن جبه الكندى: صحابى، شجاع، من المقدّمين، يقال له: حجر الخير، و قد على رسول الله صلوات الله عليه، و شهد حرب القادسيه، و كان من أصحاب على، شهد معه حرب الجمل، و حرب صفين، و أقام بالكوفه (الأعلام ٢/١٧٦) و [٢] لما قدم زياد بن أبيه، واليا على الكوفه، كان إذا شتم عليّ، ردّ عليه حجر، فاضطغنها عليه، و بعث به و بجماعه من أصحابه إلى معاوية، فأمرهم معاوية أن يلعنوا عليّ، و أن يبرأوا منه، فأبوا، فأمر فحفرت قبورهم، و نشرت أكفانهم أمامهم، و هم أحياء، ثم قتلهم ببرج عذراء قرب دمشق فى السنه ٥١ (ابن الأثير ٣/٤٨٥).

٦- فى م: من أهل البصره.

٧- أبو على عبد الرحمن بن أبى ليلي يسار بن بلال الأنصارى (١٧-٨٣): ولد لست سنين بقين من خلافة عمر، و أقام بالكوفه، و شهد حرب الخوارج مع على، و حارب الحجاج مع ابن الأشعث، فقتل فى موقعه دير الجماجم سنة ٨٣ (تاريخ بغداد للخطيب ١٠/١٩٩-٢٠٢).

و أمر له بألقى درهم، و كساه حلتين، و حمله على راحلتين.

قال عبد الرحمن: فسرت، و ما فى الأرض خطوه، أشدّ علىّ، من خطوه تدنّينى إلى معاويه.

فقدمت بابه، فاستأذنت، فأذن لى، فدخلت، فسألنى عن سفرى، و من خلّفت من أهل المصر، و عن خبر العامه و الخاصه.

ثمّ قال لى: انطلق فضع ثياب سفرى، و البس الثياب التى لحضرك، و عد.

فانصرفت إلى منزلى، ثمّ رجعت إليه، فذكر حجرا، ثمّ قال: أما و الله، لقد تلجلج فى صدرى منه شيء، و وددت أنى لم أكن قتلته.

قلت: و أنا و الله يا معاويه، و ددت أنك لم تقتله، فبكى.

فقلت: و الله، لو ددت أنك حبسته.

فقال لى: و ددت أنى كنت فرقتهم فى كور الشام، فتكفينهم الطواعين.

قلت: و ددت ذلك.

فقال لى: كم أعطاك زياد؟

قلت: ألفين، و كسانى حلتين، و حملنى على راحلتين.

قال: فلك مثل ما أعطاك، أخرج إلى بلدك.

فخرجت و ما فى [١٦٣ م ١٦٨ ر] الأرض شيء أشدّ علىّ من أمر يدنّينى من زياد، مخافه منه.

فقلت: أتى اليمن، ثمّ فكّرت، فقلت: لا أخفى بها.

فأجمعت على أن أتى بعض عجائز الحىّ، فأتوارى عندها، إلى أن يأتى الله بالفرج من عنده.

قال: و قدمت الكوفه، فأمرّ بجهينه الظاهره (١)، حين طلع الفجر، و مؤذّنهم يؤذّن.

ص: ٢٠٧

١- جهينه الظاهره: محلّه لقبيله جهينه فى ظاهر الكوفه، تقابلها جهينه الباطنه، محلّه أخرى لجهينه فى باطن الكوفه.

فقلت: لو صلّيت، فنزلت، فصرت في المسجد، حتّى [١٦٣ غ] أقام المؤذّن.

فلما قضينا الصلاه، إذا رجل في مؤخر الصف، يقول: هل علمتم ما حدث البارحه؟

قالوا: وما حدث؟

قال: مات الأمير زياد.

قال: فما سررت بشيء، كسرورى بذلك (١).

ص: ٢٠٨

١- لم ترد هذه القصة في ه.

أبو عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية (٢٠ ق-٦٠):

مؤسس الدولة الأموية بالشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار، حكم الشام حكما مستمرا، دام ما يزيد على الأربعين سنة، قضى بعضها (١٨-٣٥) أميرا، وقضى الباقي متغلبا، ولأمه على الشام الخليفة عمر، ولما ولي عثمان جمع له الديار الشاميه كلها، ولما ولي على عزله، فخرج على عليّ بحجّه المطالبه بدم عثمان (الأعلام ١٧٢/٨) حتى إذا قتل عليّ، وتمكن من السيطرة ترك المطالبه بدم عثمان (البصائر والذخائر ٥٨٦/٢).

وهو أول من لعن المسلمين على المنابر (العقد الفريد ٣٦٦/٤ و ٩١/٥) وأول من حبس النساء بجرائر الرجال، إذ طلب عمرو بن الحمق الخزاعي، لمولاته عليا، وحبس امرأته بدمشق، حتى إذا قطع عنقه، بعث بالرأس إلى امرأته وهي في السجن، وأمر الحرسى أن ي طرح الرأس في حجرها (بلاغات النساء ٦٤ و اليعقوبي ٢٣٢/٢ و الديارات ١٧٩ و ١٨٠).

و كان يفرض على الناس لعن عليّ و البراءه منه، و من أبي، قتله، أو بعث به إلى عامله زياد ليدفنه حيّا (العقد الفريد ٢٣٤/٣ و ٣٤/٤ و الأغاني ١٥٠/١٨ و ابن الأثير ٤٨٥/٣ و الأغاني ١٥٣/١٧).

وهو أول من سخر الناس، و استصفى أموالهم، و أخذها لنفسه (اليعقوبي ٢٣٢/٢) و هو أول من حبس على معارضييه أعطياتهم (أدب الكتاب للصولي ٢٢٤/٢) محتجّا بأنّ العطاء ينزل من خزائن الله، فقال له الأحنف: إنّنا لا نلومك على ما في خزائن الله، و لكن على ما أنزله الله من خزائنه، فجعلته في خزائنك، و حلت بيننا و بينه (البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٨٩).

و قيل لشريك بن عبد الله، إنّ معاوية كان حليما، فقال: كلا، لو كان حليما ما سفّه الحق و لا قاتل عليا (كتاب الآداب لجعفر ٢٢ و ٢٣).

و روى ابن الجوزي، عن الحسن البصري، أنّه قال: أربع خصال كنّ في معاوية، لو لم تكن فيه إلا واحده، لكانت موبقه، و هي: أخذه الخلفه بالسيف، من غير مشاوره، و في الناس بقايا الصحابه، و ذوو الفضيله، و استخلافه ابنه يزيد، و كان سكيّرا خميرا، يلبس الحرير، و يضرب بالطنابير، و ادّعاؤه زياد أخا، و قد قال رسول الله صلى

اللّه عليه و سلّم:الولد للفراش،و للعاهر الحجر،و قتله حجر بن عدىّ و أصحابه،فيا ويلا له من حجر،و أصحاب حجر(خزانه الأدب للبغدادى ٥١٨/٢ و ٥١٩).

و قال نيكلسون:اعتبر المسلمون انتصار بنى أمية،و على رأسهم معاوية،انتصارا للأرستقراطية الوثنيه،التي ناصبت الرسول و أصحابه العدا،و التي جاهدتها رسول الله حتى قضى عليها،و صبر معه المسلمون على جهادها و مقاومتها حتى نصرهم الله،ففضوا عليها.

و أقاموا على أنقاضها دعائم الإسلام،لذلك،لا ندهش إذا كره المسلمون بنى أمية، و غطرتهم،لا سيما أنّ جمهور المسلمين كانوا يرون بين الأمويين رجلا كثيرا،لم يعتنقوا الإسلام إلاّ سعيا وراء مصالحهم الشخصيه،و لا غرو،فقد كان معاوية يرمى إلى جعل الخلافة ملكا كسرويا،و ليس أدلّ على ذلك من قوله:أنا أول الملوكة(تاريخ الإسلام ٢٧٨/١ و ٢٧٩).

و كان مصروف الهمة إلى تدبير أمر الدنيا،يهون عليه كلّ شيء إذا انتظم أمر الملك (الفخرى ١٠٧)و لما استولى على الملك،استبدّ على جميع المسلمين،و قلب الخلافة ملكا (رسائل الجاحظ ١٤-١٦)و كان يقول:إننا لا نحول بين الناس و ألسنتهم،ما لم يحولوا بيننا و بين السلطان(محاضرات الأدباء ٢٢٦/١).

و ختم معاوية أعماله،بإرادته أن يظهر العهد ليزيد،فقال لأهل الشام:إنّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه،و رقّ جلده،و دقّ عظمه،و اقترب أجله و يريد أن يستخلف عليكم،فمن ترون؟فقالوا:عبد الرحمن بن خالد بن الوليد،فسكت و أضمرها،و دسّ ابن أثال الطبيب إلى عبد الرحمن،فسقاه سما،فمات(الأغانى ١٩٧/١٦).

ثم فرض ولده يزيد على الناس فرضا،و حملهم على بيعته قسرا،و أوعز إلى رجل من الأزد،اسمه يزيد بن المقفّع،فقام خطيبا و قال:أمير المؤمنين هذا(و أشار إلى معاوية)،فإذا مات فهذا(و أشار إلى يزيد)،و من أبى فهذا(و أشار إلى السيف)،فقال له معاوية: أقعد،فأنت سيّد الخطباء(العقد الفريد ٣٧٠/٤ و مروج الذهب ٢١/٢).

إقرأ بعض أخبار معاوية فى تاريخ اليعقوبى ٢١٧/٢ و فى الامتاع و المؤانسه ٧٥/٢ و ١٧٨/٣ و فى محاضرات الأدباء ٣٥٣/١ و فى كتاب التاج للجاحظ ٢٠٥ و فى المحاسن و المساوى ١٤٨/٢ و فى البيان و التبيين للجاحظ ٨٧/٢ و ١١٠ و ١٣٣/٤ و فى الأغانى ١٨٩/٤ و ٢٦٦/٦ و ١٩٧،١٥،١٦٨/١٥ و ١٩٨،١٧ و ١٤٤/١٧ و فى وفيات الأعيان ١٦٩/٢ و فى الفخرى ١٠٦-١١٠ و فى البصائر و الذخائر م ٢ ق ٢ ص ٦٧١ و ٧٠٢ و فى نفع الطيب ٥٤٢/٢ و فى خزانه الأدب للبغدادى ٥١٨/٢ و ٥١٩.

خرج يريد خالدا القسرى

فأعطاه الحكم فأغناه

وقد أخبرني علي بن ديبس، عن الخزاعي المدائني، [عن أبي عمر الزاهد] وقد لقيت أبا عمر، و حملت منه شيئا من علومه و رواياته، و أجاز لي كل ما صحَّ منها، فدخل هذا في إجازته (١).

و حدّثنا أحمد بن عبد الله بن أحمد الوراق، في كتاب نسب قريش، قال: حدّثنا أحمد بن سليمان الطوسي، قال: حدّثنا الزبير بن بكار، قال:

أخبرني عمي مصعب، عن نوفل بن عماره:

أن رجلا من قريش، من بنى أميّه، له قدر و خطر، لحقه دين، و كان له مال من نخل و زرع، فخاف أن يباع عليه، فشحّص من المدينة يريد الكوفة، يقصد خالد بن عبد الله القسرى (٢)، و كان واليا لهشام بن عبد الملك على العراق (٣)، و كان يبزّ من قدم عليه من قريش.

فخرج الرجل يريده، و أعدّ له من طرف المدينة (٤)، حتّى قدم فيد (٥)، فأصبح بها.

فرأى فسطاطا، عنده جماعه، فسأل عنه، فقيل: للحكم بن عبد المطلب،

ص: ٢١١

١- في ن: و أخبرنا بهذا الخبر محمد بن الحسن بن المظفر، قال: أخبرني أبو عمر محمد بن عبد الواحد، قال: أخبرني علي بن [بياض

بالأصل] الكاتب، قلت: لقيت أبا عمر و حملت منه شيئا من علومه... الخ

٢- أبو الهيثم خالد بن عبد الله القسرى، أمير العراقيين: ترجمته في حاشيه القصّه ١٩١ من الكتاب.

٣- ولي خالد القسرى العراقيين سنه ١٠٥ و عزل عنها سنه ١٢٠ (الأعلام ٢٣٨/٢).

٤- الطرف، و مفردا: طرفه: المستحدث المعجب (أساس البلاغه ٤٨/٢).

٥- فيد: أحد منازل الحاج بين الكوفه و مكّه، و هي نصف الطريق، كثيره الأهل، فيها قناه يزرع عليها، و فيها ينزل عامل الطريق، و

فيها مسجد جامع (معجم البلدان ٩٣٧/٣ و [٢] الاغلاق النفيسه ١٧٦).

يعنى أبا عبد الله بن عبد المطلب بن حنظله بن الحارث بن عبيد بن عمرو بن مخزوم، و كان يلي المشاعر (١)، فلبس نعليه، و خرج حتى دخل عليه.

فلما رآه، قام إليه فتلقاه، و سلم عليه و أجلسه في صدر فراشه، ثم سأله عن مخرجه، فأخبره بدينه، و ما أراد من إتيان خالد بن عبد الله.

فقال الحكم: انطلق بنا إلى منزلك، فلو علمت بمقدمك لسبقتك إلى إتيانك، فمضى معه، حتى أتى منزله، فرأى الهدايا التي أعدها لخالد، فتحدث ساعه معه.

ثم قال: إن منزلنا أحضر عدّه، و أنتم مسافرون، و نحن مقيمون، فأقسمت عليك إلا أقت معي إلى المنزل، و جعلت لنا من هذه الهدايا نصيبا.

فقام الرجل معه، و قال: خذ منها ما أحببت، فأمر بها، فحملت كلها إلى منزله، و جعل الرجل يستحي أن يمنعه شيئا، حتى صار إلى المنزل.

فدعا بالغاء، و أمر بالهدايا، ففتحت، فأكل منها، و من حضره، ثم أمر ببقيتها فرفعت إلى خزانته، و قام الناس.

ثم أقبل على الرجل، و قال له: أنا أولى بك من خالد، و أقرب منه رحما و منزلا، و ها هنا مال للغارمين (٢)، أنت أولى الناس به، و أقرب، و ليس لأحد عليك فيه منّي، إلا الله تعالى، تقضى به دينك، ثم دعا له بكيس فيه ثلاثة آلاف دينار، فدفعته إليه.

ثم قال: قد قرب الله -جلّت عظمته- عليك الخطوه، فانصرف إلى أهلك مصاحبا، محفوظا.

فقام الرجل من عنده، يدعو له و يشكره، و لم يكن له همّه إلا الرجوع إلى أهله، و انطلق الحكم يشيّه.

ص: ٢١٢

١- المشاعر: مواضع مناسك الحجّ.

٢- الغارم: الذي أصابه خسر أو ضرر أدى به إلى الحاجة.

ثم قال: كأنى يزوجتك، قد قالت: أين طرائف العراق (١)، خزها (٢)، و بزها (٣)، و عروضها (٤)، أما كان لنا منها نصيب؟

ثم أخرج صرّه [١٦٤ م] قد كان حملها معه، فيها خمسمائه دينار، فقال له: أقسمت عليك، إلا جعلت هذه عوضا عن هدايا العراق، و انصرف.

و ذكر أبو الحسين [٤ ن] القاضي، هذا الخبر، في كتابه، كتاب الفرغ بعد الشده، بغير إسناد، على قريب من هذه العبارة (٥).

ص: ٢١٣

-
- ١- سمي العراق عراقا، لأنه سفل عن نجد، و دنا من البحر، أخذ الاسم من عراق القربه، و هو الخرز الذي في أسفلها، راجع معجم البلدان ٦٢٨/٣ [١] أقول: ما زال البغداديون، و سكان الفرات الأوسط، يطلقون كلمه العراق على القسم الجنوبي الداني من البحر، راجع كتاب نشوار المحاضره للتونخي ج ٥ ص ١٧٠ و ٤٤٩.
 - ٢- الخز: ثياب تنسج من صوف و إبريسم، و بائعه الخزاز.
 - ٣- البز: الثياب، و بائعه البزاز.
 - ٤- العرض، و جمعه عروض: المتاع، و كل شيء سوى الدراهم و الدنانير.
 - ٥- لا توجد هذه القصه في ر و لا في غ.

لا بارك الله في مال بعد عثمان

و ذكر أيضا في كتابه، بغير إسناد: أنّ عثمان بن طلحة، ركب دين فادح، مبلغه ألفا دينار، فأراد الخروج إلى العراق، لمسأله السلطان قضاءه عنه.

فلما عزم على السفر، اتصل خبره بأخيه جعفر بن طلحة، فقال: لا بارك الله في مال بعد عثمان.

فدخل على نسائه، فجعل يخلع حليهنّ، حتى جمع له أكثر من ألفى دينار، فدفعها إليه.

فقضى دينه، و أقام (١).

ص: ٢١٤

١- لم ترد هذه القصّة في ه.

رفع صوته بالتلبية

فحملت إليه أربعة آلاف دينار

وحدثنا أحمد بن عبد الله، في هذا الكتاب، كتاب نسب قريش، قال:

حدثنا أحمد بن سليمان، قال: حدثنا الزبير، قال: حدثني مفضل بن غسان، عن أبيه، عن رجل من قريش، قال:

حجَّ محمد بن المنكدر (١)، من بني تيم بن مرّه، قال: و كان معطاء، فأعطى حتى بقي في إزار واحد، و حجَّ معه أصحابه.

فلما نزل الروحاء (٢)، أتاه وكيله، فقال: ما معنا نفقه، و ما بقي معنا درهم.

فرجع محمد صوته بالتلبية، فلبى، و لبى أصحابه، و لبى الناس، و بالماء محمد بن هشام (٣).

فقال: و الله، إنني لأظنُّ أنّ محمد بن المنكدر بالماء، فانظروا.

فنظروا، و أتوه فقالوا: هو بالماء.

فقال: ما أظنُّ معه درهما، احملوا إليه أربعة آلاف درهم (٤).

ص: ٢١٥

١- محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير (بالتصغير) بن عبد العزى القرشى التيمي (٥٤-١٣٠): من أهل المدينة، محدث، زاهد، تابعي (الأعلام ٣٣٣/٧).

٢- الروحاء: موضع يبعد أربعين ميلاً عن المدينة إلى جهة مكة (مراصد الاطلاع ٦٣٧/٢).

٣- محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي: ولّاه هشام بن عبد الملك إمرة مكة و الطائف سنة ١١٤ و لما ولى الوليد بن يزيد الخلافة عزله، و اعتقله، و بعثه و أخاه إبراهيم إلى يوسف بن عمر أمير العراق، فعذبهما حتى ماتا (الأعلام ٣٥٥/٧).

٤- لم ترد في غ.

يزيد بن عبد الملك بن مروان

يصف عمر بن هبيرة بالرجله و يوليّه العراق

قال: و ذكر أبو الحسين القاضى، فى كتابه، قال:

نالت عمر بن هبيرة (١)، إضاقه شديده، فاصبح ذات يوم، فى نهايه الكسل، و ضيق الصدر، و الضجر ممّا هو فيه.

فقال له أهله و مواليه: لو ركبت فلقيت أمير المؤمنين، فلعلّمه - إذا رآك - أن يجرى لك شيئاً فيه محبّه، أو يسألك عن حالك، فتخبره.

فركب، فدخل على [يزيد بن] عبد الملك، فوقف بين يديه ساعه، و خاطبه.

ثمّ نظر [يزيد بن] عبد الملك إلى وجه عمر، و قد تغبّر تغبّيراً شديداً، أنكره، فقال: أ تريد الخلاء؟

قال: لا.

قال: إنّ لك لشأناً.

قال: يا أمير المؤمنين، أجد بين كتفّى أذى لا أدرى ما هو.

قال [يزيد بن] عبد الملك: انظروا ما هو.

فنظروا، فإذا بين كتفيه عقرب، قد ضربته عدّه ضربات.

فلم يبرح حتّى كتب عهده على العراق، و جعل [يزيد بن] عبد الملك يصفه بالرجله، و شدّه القلب (٢).

ص: ٢١٦

١- أبو المثنى عمر بن هبيرة بن سعد بن عدّى الفزارى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٩١ من هذا الكتاب.

٢- ورد فى هذه القصّه ذكر عبد الملك بن مروان على أنّه هو الذى ولى ابن هبيرة العراق، و هو سهو من المؤلّف، فإنّ الذى ولاه العراق هو يزيد بن عبد الملك و كان ذلك فى السنه ١٠٢ و عزله هشام بن عبد الملك فى السنه ١٠٥ بخالد القسرى راجع الطبرى ٦/١١٥ و ٦/١١٦ و ٦/٢٦ و [١] الأعلام ٥/٢٣٠.

كان خالد القسرى لا يملك إلا ثوبه

فجاءه الفرج بولايه العراق

و ذكر أبو الحسين فى كتابه:

أنّ خالد بن عبد الله القسرى، أصابته إضاقه شديده، فبينما هو ذات يوم فى منزله، إذ أتاه رسول هشام بن عبد الملك يدعوه لولايه العراق، فتلوم (١)، فاستحثه الرسول.

فقال له خالد: رويدا حتى يجف قميصى، و قد كان غسله قبل موافاه الرسول، و لم يكن بقى له غيره.

فقال له الرسول: يا هذا، أسرع فى الإجابة، فإنك تدعى إلى قمصان (٢) كثيره.

فجاء إلى هشام، فولاه العراق (٣).

ص: ٢١٧

١- تلوم فى الأمر: تمكث فيه.

٢- فى غ: فإنك تدعى إلى قمص كثيره، و القميص يجمع على أقمصه، و قمص و قمصان.

٣- لا توجد هذه القصه فى ر.

يهلك ملوكا و يستخلف آخريين

قال: و من الأعجوبات، ما ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، عن علي بن الهيثم (١)، قال:

رأيت شيئا قلما رئي مثله، رأيت ثقل (٢) الفضل بن الربيع، على ألف بعير، [١٦٥ م] ثم رأيت ثقله في زنبيل، و نحن مستترون، و فيه أدويه لعلته، و هو ينقله من موضع إلى موضع.

و رأيت الحسن بن سهل، و كان مع طريف خادمي في بيت الدهليز، و ثقله في زنبيل، فيه نعلان، و قميصان، و إزار، و إسطرلاب (٣)، و ما أشبه ذلك، ثم رأيت ثقله على ألف بعير (٤).

ص: ٢١٨

-
- ١- علي بن الهيثم: فقيه من المتكلمين في مجلس المأمون (تاريخ بغداد لابن طيفور ١٥ و تجارب الأمم ٤/٤٤٨) و كان و كيل ولد المأمون من سندس (تاريخ بغداد ٣٥).
 - ٢- الثقل: متاع المسافرين.
 - ٣- الإسطرلاب: آلة رصد لقياس الكواكب.
 - ٤- لا توجد هذه القصة في ر.

باع من إضاقتة لجام دابته في الصباح

و حصلت له عشرون ألف دينار وقت الظهر

قال: و ذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، [قال: حدّثنا أبو القاسم ميمون بن موسى] (١) قال:

خرج رجل من الكتاب (٢) في عسكر المعتصم إلى مصر، يريد التصرف، فلم يحظ بشيء مما أمّل، و دخل المعتصم بالله مصر.

قال: فحدّثني بعض المتصرّفين عنه، قال: نزلت في دار بالقرب منه، فحدّثني الرّجل بما كنت وقفت على بعضه.

قال: أصبحت ذات [١٦٤ غ] يوم، و قد نفذت نفقتي، و تقطعت ثيابي، و أنا من الهمّ، و الغمّ، على ما لا يوصف عظما.

فقال لي غلامي: يا مولاي، أيّ شيء نعمل اليوم؟

فقلت له: خذ لجام الدابة، فبعه، فإنّه محلّي، و ابتع مكانه لجاما حديدا، و اشتر لنا خبزا سميدا (٣)، و جد يا سمينا، فقد قرمت إلى أكلهما، و عجل، و لا تدع أن تبتاع فيما تبتاعه كوز نبيذ شيرويّ.

فمضى الغلام، و جلست أفكر في أمرى، و من الألقى، و كيف أعمل، و إذا بباب الدار قد دقّ دقا عنيفا، حتّى كاد أن يكسر، و إذا رهج شديد.

ص: ٢١٩

١- لا توجد في غ.

٢- في ر و غ: من المتصرفين.

٣- الخبز السميد: المصنوع من الدقيق الأبيض، و الباعه ببغداد الآن ينادون بكلمه: سميط، بالطاء، على نوع من الخبز المسمبسم، يتخذ على هيأه الحلقات، و هذا النداء موروث عن أسلافهم الذين كانوا ينادون على الخبز السميد.

فقلت لغلام كان واقفا بين يدي: بادر، فانظر ما هذا.

فإلى أن يفتح الباب، كسر، وامتألت الدار بالغلمان الأتراك وغيرهم، و إذا بأشناس (١)، وهو حاجب المعتصم، ومحمد بن عبد الملك الزيّات (٢)، وهو الوزير، قد دخلا.

فطرح لهم زليّه (٣)، فجلسا عليها، و إذا معهما حفّارون.

قال: فلمّا رأيت ذلك، بادرت فقبّلت أيديهما، فسألاني عن خبري، فخبرتهما إيّاه، وأنني قد خرجت في جملة أهل العسكر، طلبا للتصرّف، و ذكرت حالي [١٦٩ ر] و ما قد آلت إليه، فوعداني جميلا، و الحفّارون يحفرون في وسط الدار، حتّى ترّجل النهار (٤)، و أنا واقف بين أيديهما، و ربّما حدّثتهما.

فالتفت أشناس إلى محمد بن عبد الملك فقال: أنا و الله جائع.

فقال له محمد: و انا- و الله- كذلك.

فقلت عند ذلك: يا سيدي، عند خادمكما شيء قد آخذ له، فإن أذنتما في إحضاره أحضره.

فقالا: هات.

فقدّمت الجدي، و ما كان ابتيع لنا، فأكلنا، و استوفيا، و غسلنا أيديهما.

ثمّ قال لي أشناس: عندك شيء من ذلك الفنّ؟

قلت: نعم، فسقيتهما ثلاثه أقداح.

ص: ٢٢٠

١- أبو جعفر أشناس، حاجب المعتصم، القائد التركي: ترجمته في حاشية القصّه ٢٩٦ من الكتاب.

٢- أبو جعفر محمد بن عبد الملك الزيّات وزير المعتصم: ترجمته في حاشية القصّه ٦٦ من الكتاب.

٣- في روع: زيلونه، في معجم الألفاظ الفارسيه ٧٩: إنّ الكلمه فارسيه، زيلو: بمعنى البساط، و البغداديون يسمونها الآن: زوليّه، و يجمعونها: زوالى.

٤- ترّجل النهار: علا.

و جعل أحدهما يقول للآخر: ظريف، و ما ينبغي لنا أن نضيعه البائس.

فبينما الحال على ذلك، إذ ارتفع تكبير الحفارين، و إذا هم قد كشفوا عن عشرين رجلا (1) دنانير، فوجهوا بالبشاره إلى المعتصم، و أخرجت المراحل.

فلما نهضا، قال أحدهما للآخر: فهذا الشقي الذي أكلنا [٥ ن] طعامه، و شربنا شرابه، ندعه هكذا؟

فقال له الآخر: فنعمل ما ذا؟

قال: نحفن له من كلّ رجل حفنه، لا تؤثر فيه، فنكون قد أغنيناه، و نصدق أمير المؤمنين عن الحديث.

ثمّ قالوا: افتح حجرك، و جعل كلّ واحد، يحفن لى حفنه، من كلّ رجل، و أخذوا المال، و انصرفا.

فنظرت، فإذا قد حصل لى عشرون ألف دينار، فانصرفت بها إلى العراق، و ابتعت بها ضياعا [١٦٦ م] و لزمّت منزلي، و تركت التصرف.

ص: ٢٢١

١- المرحل، و جمعه مراحل: القدر.

سبحان خالقك يا أبا قلابه

فقد تنوّق في قبح وجهك

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال: حدّثني أبي، عن أبي قلابه المحدث (١)، قال:

ضقت ضيقه شديده، فأصبحت ذات يوم، والمطر يجيء كأفواه القرب، و الصبيان يتضوّرون جوعاً، و ما معي حبّه واحده (٢) فما فوقها، فبقيت متحيراً في أمرى.

فخرجت، و جلست في دهليزى، و فتحت بابى، و جعلت أفكر في أمرى، و نفسى تكاد تخرج غمّاً لما ألقىه، و ليس يسلك [١٦٥ غ] الطريق أحد من شدّه المطر.

فإذا بامرأه نبيله، على حمار فاره، و خادم أسود آخذ بلجام الحمار، يخوض في الوحل، فلما صار بإزاء دارى، سلّم، و قال: أين منزل أبى قلابه؟ فقلت له: هذا منزله، و أنا هو.

فسألتنى عن مسأله، فأفتيتها فيها، فصادف ذلك ما أحببت، فأخرجت

ص: ٢٢٢

-
- ١- أبو قلابه عبد الملك بن محمّد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشى (١٩٠-٢٧٦): بصري، أقام ببغداد، و توفى بها، ترجم له الخطيب في تاريخه ٤٢٥/١٠ و قال عنه إنّه كان صالحاً خيراً. صادق اللّهجه، و ما ذكره ابن الاثير في الكامل ٤٣٧/٧.
- ٢- فى غ: حبّه فضه، و فى مفاتيح العلوم ٤١ و ٤٢: إنّ الحبّه، هى ١ من ٣٦ من المثقال، و قال: إنّ المقادير التى ذكرها تختلف باختلاف البلدان، أقدر: أما الآن فإنّ الحبّه فى بغداد هى ١ من ٢٤ من المثقال، و لذلك فإنّ البغداديين إذا وصفوا شيئاً بالكمال، قالوا: إنّه كامل على أربع و عشرين حبابه (حبّه).

من خفّها (١) خريطه (٢)، فدفعت إلّى منها ثلاثين ديناراً.

ثمّ قالت: يا أبا قلابه، سبحانه خالقك، فقد تنوّق فى قبح وجهك (٣)، وانصرفت (٤).

ص: ٢٢٣

١- الخفّ: حذاء يغطّى القدم و يرتفع إلى وسط الساق، وربما وصل إلى الركبه.

٢- الخريطه: كيس من الجلد أو القماش يشدّ على ما فيه.

٣- كان أبو قلابه قبيح الصورة، إلى درجه أنّ رسمت المخنث، قال: أعيانى وجه أبى قلابه أن أخرجّه فى الحكايه (خيال الظل).

٤- لا توجد هذه القصّه فى ر.

المنصور العباسي يتذكر

ما ارتكب من العظائم فيكي و ينتحب

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه، قال:

دخل عمرو بن عبيد، على أبي جعفر المنصور قبل دوله بنى العباس، و كان صديقه، و بين يديه طبق عليه رغيف، و غضاره فيها فضله سكباج، و هو يتغدى، و قد كاد يفرغ، فلما بصر بعمرو، قال: يا جاريه، زيدينا من هذا السكباج، و هاتى خبزاً.

قالت: ليس عندنا خبز، و ما بقى من السكباج شىء.

قال: فارعى الطبق، ثم قال: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ، وَ يَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ .

فلما أفضى الأمر إلى أبي جعفر، و ارتكب العظائم (١)، دخل عليه عمرو بن عبيد، فوعظه، ثم قال: أتذكر يوماً دخلت عليك... و أعاد الحديث، و قد استخلفك، فما ذا عملت؟

فجعل المنصور ييكي و ينتحب، و فيه حديث طويل (٢).

ص: ٢٢٤

١- بشأن عظام المنصور، راجع التفصيل في آخر القصة.

٢- هذه القصة لم ترد في ر.

ارتكب المنصور فظائع من قتل، و تعذيب، و دفن الناس أحياء، و دقّ الأوتاد في الأعين، و بناء الحيطان على الأحياء، و كان يشهد تعذيب من يأمر بتعذيبه، حتى أنه كان يشهد تعذيب النساء أيضا.

راجع في الفخرى ١٦٥ سبب حبس آل الحسن، و قتلهم، و قد حبسهم المنصور في سرداب تحت الأرض، لا يفزقون فيه بين ضياء النهار، و سواد الليل، و هدم الحبس على قسم منهم، و كانوا يتوضؤون (أى يقضون حاجاتهم) في مواضعهم، فاشتدت عليهم الرائحه، و كان الورم يبدو في أقدامهم فلا يزال يرتفع حتى يبلغ القلب، فيموت صاحبه، و مات إسماعيل بن الحسن، فترك عندهم حتى جيف، فصعق داود بن الحسن، و مات (مروج الذهب ٢/٢٣٦).

و بلغ المنصور أنّ عبد الله بن محمد النفس الزكية، فرّ منه إلى السند، فبعث وراءه من قتله (مقاتل الطالبين ٣١٠-٣١٣)، و أمر المنصور بمحمد بن إبراهيم بن الحسن، فبنيت عليه أسطوانه، و هو حيّ (الفخرى ١٦٤، و مقاتل الطالبين ٢٠٠، و الطبرى ٥٤٦/٧ و ابن الأثير ٥/٥٢٦) و أمر بعبد الله بن الحسن بن الحسن فطرح عليه بيت فقتله (مقاتل الطالبين ٢٢٨) أما الباقيون فما زالوا في الحبس حتى ماتوا، و قيل إنهم وجدوا مسمرين في الحيطان (اليقوبى ٢/٣٧٠).

و أمر المنصور بإبراهيم بن الحسن بن الحسن، فدفن حيا (مقاتل الطالبين ٢٢٨) و جرّد محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، و أمه فاطمه بنت الحسين، فضرب ألف سوط (مروج الذهب ٢/٢٣٦) و أمر بأن يدقّ وجهه بالجرز، و هو العمود من الحديد (الطبرى ٧/٥٤٣) و بلغ من شدّه الضرب أن أخرج و كأنّه زنجى (مقاتل الطالبين ٢٢٠ و ابن الأثير ٥/٥٢٥) و جاءت إحدى الضربات على عينه، فسالت (مقاتل الطالبين ٢٢٠ و الطبرى ٧/٥٤٢) ثم قتله، و قطع عنقه (مقاتل الطالبين ٢٢٦).

و لما حمل رأس محمّد بن عبد الله إلى المنصور، قال لمطير بن عبد الله: أما تشهد أنّ محمّدا بايعنى؟ فقال: أشهد بالله لقد أخبرتنى بأنّ محمّدا خير بنى هاشم، و أنّك بايعت له، فشتمه، و أمر به، فوئد في عينه (المحاسن و المساوى ٢/١٣٨).

و لما قتل إبراهيم بن عبد الله في باخمري، بعث المنصور برأسه إلى أبيه عبد الله فوضعه بين يديه (مروج الذهب ٢/٢٣٦ و ٢٣٧) و أمر بسديف بن ميمون الشاعر، فدفن حيا (العقد الفريد ٥/٨٧-٨٩).

و من بعد وفاه المنصور عثر المهدي، و زوجته ريطه، على أزج في قصر المنصور، فيه جماعه من قتلى الطالبين، و في آذانهم رقع فيها أنسابهم، و إذا فيهم أطفال، و رجال، شباب و مشايخ، عدّه كثيره، فلما رأى المهدي ذلك، ارتاع لما رأى، و أمر فحفرت لهم حفيره دفنوا فيها (الطبري ٨/١٠٥).

و لما طال حبس عبد الله بن الحسن، و أهل بيته، جلست إحدى بناته للمنصور، فتوسّلت إليه بالقرايه، و طلبت منه الرحمه، فقال لها: أذكرتنيه، و أمر به فحدر إلى المطبق و كان آخر العهد به (تاريخ بغداد للخطيب ٩/٤٣٢).

و ممّا يبعث على العجب أنّ المنصور، الذي ضرب أسوء الأمثال في القسوه، أوصى ولده المهدي، فقال: أحفظ محمّدا في أمّته، و إيّاك و الدم الحرام، فإنّه حوب عند الله عظيم، و عار في الدنيا لازم مقيم، و افتتح عملك بصله الرحم، و برّ القرايه (الطبري ٨/١٠٥ و ١٠٦).

إِنَّ قَرَحَ الْفُؤَادِ يَجْرَحُ جِرْحًا

و ذكر القاضي أبو الحسين، قال: روى لنا عن خالد بن أحمد البطحاوي (١)، مولى آل جعفر بن أبي طالب، قال:

تزوَّجت امرأه، فبينما أنا ذات ليله من ليالى العرس، و ليس عندنا قليل و لا كثير، و أنا أهمّ النَّاسِ بذلك، إذ جاءتنى امرأتان، فطرقتا باب منزلي، فخرجت إليهما، فإذا بجاريه شابه، و أخرى نصف (٢).

فقلت: أنت خالد البطحاوي ؟!

قلت: نعم.

قلت: أحبّ أن تنشدا قولك: خلّفوني بطن حام، فأنشدتكما:

خلّفوني بطن حام صريعا ثمّ ولّوا و غادروني صبّحا

جمع الله بين كلّ محبّ ذبحوه بشفره الحبّ ذبّحا

غادر الحبّ في فؤادي قرحا إنّ قرح الفؤاد يجرح جرحا

قال: فرمت إلى الشابه بدملج (٣) ذهب، و انصرفتا، فبعته بجمله دراهم، و اتّسعت بها (٤).

ص: ٢٢٧

١- في غ: خالد البطحاني.

٢- النصف: من كان في متوسط العمر.

٣- الدمليج: المعضد من الحلي (لسان العرب) أي الحليه التي تلبس في العضد.

٤- هذه القصّه لم ترد في ر.

أبو عمر القاضى يصبح و ليس عنده درهم واحد

فيجيئه الفرج فى وقت قريب

و ذكر القاضى أبو الحسين (١) فى كتابه، قال: حدّثنى أبى (٢)، قال:

أضقت إضاقة شديده، فى نكبتى (٣)، و أصبحت يوماً، و ما عندى درهم واحد فما فوقه، و كان الوقت شتاء، و المطر يجىء.

فجلست ضيق الصدر، مفكراً فى أمرى، إذ جاءنى صديق لى، فقال:

قد جئت لأقيم عندك اليوم، فازداد ضيق صدرى، و قلت له: بالرحب و السعه، و أظهرت له السرور بمجيئه.

و دخلت إلى النساء، فقلت لهنّ: احتلن فيما ننفق فى هذا [١٦٦ غ] اليوم، على رهن أو بيع شىء [١٦٧ م] من البيت، فقد طرقتنا ضيف.

و خرجت، فجلست مع الرّجل، و أنا على نهايه من شغل القلب، خوفاً أن لا يتفق قرض، و لا يبيع، لأجل المطر.

فأنا كذلك، إذ دخل الغلام، فقال: خليفه أبى الأعزّ السلمى بالباب.

فقلت: أى وقت هذا لخليفه أبى الأعزّ؟ و أمرته أن يخرج فيصرفه، ثمّ تدمّمت من صرفه، و قد قصدنى فى مثل هذا اليوم.

فقلت: قل له يدخل.

فدخل، و حادثنى قليلاً، ثمّ قرب منى، و أخرج صرّه فيها مائه دينار.

ص: ٢٢٨

١- أبو الحسين عمر بن محمّد بن يوسف الأزدي القاضى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٩ من الكتاب.

٢- أبو عمر محمّد بن يوسف الأزدي القاضى: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٧٩ من الكتاب.

٣- راجع قصّه نكبتة فى القصّه ١٧٩ من الكتاب.

و قال: يقول لك أخوك: وجهت إليك بهذه الصرّه، فتأمر بصرفها في مثل هذا اليوم، في بعض ما يصلح حالك.

فامتنت من قبولها، فلم يزل خليفته يلفظ بي، حتّى قبلتها (١).

ص: ٢٢٩

١- لم ترد هذه القصّه في ه، و أبو الاغر خليفه بن المبارك السلمى، أحد الأمراء القوّاد في دوله المعتضد و المكتفى، و كان مظفرا في كثير من المعارك التى شارك فيها، راجع أخباره في الطبرى ٨٠، ١٠، ٧٤، ١٤٣، ١٠٤، ٩٧، ٩٤.

بين أحمد بن أبي خالد و صالح الأضجم

حدّثني أبي، أبو القاسم التنوخي، في المذاكره، بإسناد ذهب عن حفصي، قال:

كان أحمد بن أبي خالد، بغیضا (١)، قبيح اللهجه، و كان مع ذلك حزا، و كان يلزمه رجل متعطل من طلاب التصرف يقال له: صالح بن عليّ الأضجم (٢)، من وجوه الكتّاب، فحدّث، قال:

طالت بي العطله في أيام المأمون، و الوزير- إذ ذاك- أحمد بن أبي خالد، و ضاقت حالي، حتّى خشيت التّكشّف.

ص: ٢٣٠

١- البغيض: تعبير عبّاسيّ يطلق على من كان شديد التّزمت، أو كان سيّء المواجهه عبوسا.

٢- سمّاه الجاحظ في كتاب الحيوان ٤٨١/٣: [١] صالح الأفقم، و سمّاه صاحب الأغاني ١٣٨/٢٠ و ١٥٧: [٢] الأضجم (بالضاد و الجيم)، و الأضجم: الذي في فمه عوج، و في ر، و غ: الأضخم (بالحاء)، و ورد اسمه في م: علي بن أبي صالح الأضجم، و في القصّه ١١١/٢ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للتنوخي: ابن أبي الأضخم، و سمّاه صاحب الأغاني ١٣٨/٢٠ و ١٥٧: [٣] صالح بن عطيه الأضجم، و لعلّ عطيه اسم جدّه، و ذكر عنه أنّه كان من أبناء الدعوه، و كان من أقبح الناس وجهها، و كان ينزل واسطا، و عرضت لدعبل الخزاعي إليه حاجه، فقصر عنها، و لم يبلغ فيها ما أحبّه، فقال يهجوّه: أحسن ما في صالح وجهه فقس على الغائب بالشاهد تأملت عيني له خلقه تدعو إلى تزنيه السوالد و قال فيه، مخاطبا المعتمصم: قل للإمام إمام آل محمّد قول أمرئ حذب عليك محام أنكرت أن تفتّر عنك صنيعه في صالح بن عطيه الحجاج إضرب به جيش العدوّ فوجهه جيش من الطاعون و البرسام

فبكرت يوما إلى أحمد بن أبي خالد مغلّسا، لأكلّمه في أمرى، فرأيت بابه قد فتح، وخرج و بين يديه شمعه، يريد دار المأمون.

فلما نظر إلى، أنكر على بكورى، و عبس في وجهى، و قال: في الدنيا أحد بكر هذا البكور ليشغلنا عن أمرنا.

فلم تصبر نفسى أن قلت: ليس العجب منك - أصلحك الله - فيما استقبلتنى به، و إنما العجب منى، و قد سهرت ليلتى، و أسهرت من فى دارى تأميلا - لك، و توقعا للصبح، لأصير إليك، فأبثك أمرى، و أستعين بك على صلاح حالى، و إلا فعلى، و على، و حلفت يمينا غليظه، لا وفت ببابك، و لا سألتك حاجه، حتى تصير إلى معتذرا مما كلمتنى به.

و انصرفت مغموما، مكروبا بما لقينى به، متندما على ما فرط منى، غير شاك في العطب، إذ كنت لا أقدر على الحنث، و كان ابن أبى خالد، لا يلتفت إلى إبرار قسمى.

فإنى لكذلك، و قد طلعت [٦ ن] الشمس، إذ طلع بعض غلمانى، فقال: أحمد بن أبى خالد، مقبل فى الشارع، ثم دخل آخر، فقال: قد دخل دربنا، ثم دخل آخر، فقال: قد وقف على الباب، ثم تبادر الغلمان بدخوله الدهليز، فخرجت مستقبلا له.

فلما استقر به مجلسه فى دارى، ابتدأت أشكره على إبراره قسمى، فقال: إن أمير المؤمنين، كان أمرنى بالبكور إليه فى بعض مهمّاته، فدخلت إليه، و قد غلبنى الفكر (١)، لما فرط منى إليك، حتى أنكر ذلك، فقصصت عليه قصّتى معك.

فقال: قد أسأت بالرجل، قم، فامض إليه، فاعتذر مما قلت له.

قلت: فأمضى إليه فارغ اليد؟

ص: ٢٣١

١- فى غ: غلبنى البهر، و البهر: انقطاع النفس من الإعياء.

قال: فتريد ما ذا؟

قلت: يقضى دينه.

قال: كم هو؟

قلت: ثلثمائة ألف درهم.

قال: وقع له بذلك.

قلت: فيرجع بعد إلى الدين؟

قال: وقع له [١٧٠ ر] بثلثمائة ألف درهم أخرى.

قلت: فولايه يشرف بها.

قال: وله مصر [١٦٧ غ]، أو غيرها، ممّا يشبهها.

قلت: و معونه على سفره؟

قال: وقع له بثلثمائة ألف درهم ثالثة.

قال: و أخرج التوقيع من خفّه، بالولايه، و بتسعمائة ألف درهم، فدفع ذلك إليّ، و انصرف (١).

[و قد ذكر محمّد بن عبدوس، فى كتاب الوزراء، [الخبر] على قريب من هذا (٢).]

ص: ٢٣٢

١- وردت القصّه فى كتاب نشوار المحاضره و اخبار المذاكره للقاضى التنوخى برقم ١١١/٢.

٢- لم يرد هذا السطر فى غ.

جندی ترکی تشتدّ إضاقتَه ثمّ يأتيه الفرج

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه [١٦٨ م]، قال: حدثنا إبراهيم بن القاسم (١) قال:

كان في جيراني، بالجانب الشرقي، من مدينة السلام، رجل من الأتراك، له رزق في الجند، فتأخر رزقه في أيام المكتفى، و وزاره العباس بن الحسن، فساءت حاله، ورثت هيأته، حتى أدمن الجلوس عند خباز كان بالقرب منّا، و كان يستسعه، فيعطيه في كلّ يوم خمسة أرطال خبزا، يتقوت بها هو و عياله.

فاجتمع عليه للخباز شيء، ضاق به صدر الخباز معه أن يعطيه سواه، فمنعه، فخرج ذات يوم، فجلس، و هو عظيم الهم، ثمّ كشف لي حديثه.

و قال: قد عملت على مسأله كلّ من يشتري من الخباز شيئا، أن يتصدّق عليّ، فقد حملني الجوع على هذا، و كلّما أردت فعله، منعتني نفسي منه.

فبينما هو معي في هذا، إذ جاء رجل بزىّ نقيب، يسأل عنه، فدلّ عليه، فوجده جالسا عند الخباز.

فقال له: قم.

فقال: إلى أين؟

قال: إلى الديوان، حتى تقبض رزقك، فقد خرج لك و لأصحابك رزق شهرين، فمضى معه.

فلما كان بعد ساعه، جاءني، و قد قبض مائتين و أربعين دينارا.

فرمّ منزله، و أصلح حاله، و حال عياله، و أبتاع دابّه و سرجا و سلاحا، و قضى دينه، و خرج مع قائد كان برسمه، و حسنت حالته.

ص: ٢٣٣

أحمد بن مسروق عامل الأهواز

يتحدّث عن الفرج الذي وجدته في قانصه البطّه

[و ذكر أبو الحسين في كتابه] (١) عن الحسين بن موسى، أخى إبراهيم بن موسى، قال:

خرجت إلى فارس، في أيام المعتمد على الله، فمررت بالأهواز، والمتقلّد لخارجها أحمد بن مسروق، فاجتمعنا، و تذاكرنا حديث العمّ و الفرج (٢)، و ما ينال الناس منهما، و من المرض و الصحه.

فحدّثنى: أنّه كان في ناحيه إسحاق بن إبراهيم (٣)، فلمّا توفّى، و قدم محمّد بن عبد الله بن طاهر (٤)، تعطلّ، و افتقر، حتّى لم يبق له شىء، و حالفته أمراض كثيرة، فكان لا يصحّ له بدن يوماً واحداً.

قال: و كان له رفيق، فخرج الى سرّ من رأى، فتعلّق بالفتح بن خاقان (٥)، فحسنت حاله.

قال: فكان يكتب إلىّ في الخروج إليه، فيمنعنى من ذلك عوز النفقه.

فإنّى لمغموم، مفكّر في الحال التي أنا عليها، إذ دخل بعض نساءنا، فلا متنى على طول الهمّ و الغمّ، و قالت: كن اليوم عندى، حتّى أذبح لك

ص: ٢٣٤

١- في غ: و حكى.

٢- كنا في ر و في غ، و في م: حديث الهمّ و الفرج.

٣- أبو الحسن إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب المصعبى، أمير بغداد: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.

٤- أبو العباس محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين المصعبى: ترجمته في حاشيه القصّه ٢٠١ من الكتاب.

٥- أبو محمد الفتح بن خاقان: ترجمته في حاشيه القصّه ٣٤٥ من الكتاب.

مخلفه بَطَه (١) سَمَّنت لنا، و تجتمع مع جواريك، فيغنين لك و تتفرج (٢).

فقلت: نعم، و جئت إلى منزلها، و ذبحت البَطَه، فإذا قد خرجت إلي، و معها حجر أحمر، لم تدر ما هو.

فقلت: خرج هذا من قانصه البَطَه، فما هو؟

قلت: لا أدري، و لكن هيبه لي حتى أريه لمن يعرفه.

فقال: خذه، فرأيت شيئاً لم أعرفه، إلا أنى بعثت به إلى صديق لي بباب الطاق (٣)، و سألته أن يبيعه لي.

فقال: نعم، ثم إنّه غسله بماء حار، و باعه بمائه و ثلاثين ديناراً (٤).

فأخذت الدنانير، و اشتريت مركوباً، و تجهزت إلى سرّ من رأى، فلزمت أبا نوح (٥)، و باب الفتح بن خاقان، فنفدت [١٦٨ غ] انفقتي، و جعل رفيقي ينفق عليّ، و يقرضني.

فدعاني الفتح بن خاقان يوماً، و قد يئست منه، و إذا بين يديه أبو نوح، فقال: هذا أحمد بن مسروق؟

قال: نعم.

قال: كيف أنت إن أنفذتك في أمر، و اصطنعتك؟

قلت: إنّي كنت مع الخراسانيه كاتباً [١٧١ ر] أعرف جميع الأعمال.

ص: ٢٣٥

١- كذا وردت في جميع النسخ، و يقال: أخلف الطير: إذا نبت له ريش بعد الريش، كذا ورد في لسان العرب، مادة: خلف، و في أساس البلاغه ٢٤٧/١، و لعل المقصود أنّها بطه عجوز، و كان المقتضى أن تكون الصفه تابعه للموصوف، فيقول: بطه مخلفه.

٢- في غ: و نفرح.

٣- محلّه باب الطاق: هي الآن محلّه الصرافيه، راجع حاشيه القصّه ١٧ من الكتاب.

٤- في غ: بمائتين و ثلاثين ديناراً.

٥- أبو نوح عيسى بن إبراهيم، من كبار الكتاب في الدوله العباسيه: ترجمته في حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.

فأدخلني إلى المتوكّل، فلما وقفت بين يديه، قال: إنّا ننفذك في أمر هو محتكك، و به ارتفاعك أو سقوطك، فانظر كيف تكون؟
قال: فقبلت الأرض، و وعدت الكفأيه به من نفسى.

و خرج [١٦٩ م] الفتح، و معه عبيد الله بن يحيى (١)، فوَقَّع لى عبيد الله بأجر ثلاثة آلاف درهم، مع الشاكريه الذين يقبضون عشره أشهر من السنه، و الإستقبال فى أوّل شهر يوضع لهم، و وَّع إلى خازن بيت المال بأن يدفع إلى ثلاثين ألف درهم معونه.
و كتب كتبى بالنظر فى مصالح الأهواز، و أشياء هناك بالستر و الأمانه، احتيج إلى كشفها، فسرت اليها، و بلغت فى الأمور ما أحمد.

فصار رسمى أن أفلد أعمالها، فمرّه المعونه، و مرّه الخراج، و مرّه يجمعان لى جميعا.

فزالت تلك العلل و الأمراض التى كانت قد حالفتنى، و لا أعرف لذلك سببا غير الفرج.

فقال الحسين بن موسى، لأحمد بن مسروق: على ذكر وجود الحجر فى قانصه البطّه: أخبرك أنّى لما سرت فى سفرتى هذه، إلى الموضع المعروف باصطربند (٢)، رأيت بستانا حسنا، فيه باقلى و خضره، بعقب مطره، فاستحسنته، فعدلت إليه.

فقال: عساه البستان الذى فيه الصخره التى كأنّها نابته.

قلت: هو.

قال: هيه.

ص: ٢٣٦

-
- ١- أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكّل: ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٣ من الكتاب.
 - ٢- اصطربند: قريه بين السيب و دير العاقول من النهروان الأوسط (وفيات الأعيان ٤١٤/٦ و ٤١٦ و ٤١٨).

قلت: فتغدينا فيه، و شربنا أقداحا، و كنت مستندا إلى الصخره، فلما نهضنا، رأيت في وسط الصخره نقره، قد اجتمع فيها ماء المطر، فهو في غايه الصفاء.

فوضعت [٧ ن] فمى لأشرب منه، فتحرك فيه شيء، فنحيت فمى عنه، و تأملتته، فبدت لى خرقه، فجذبتها، فإذا صرّه.

فقال أحمد بن مسروق: صرتى، و الله، كان فيها ثلثمائه دينار.

قلت: نعم، فمن أين صارت لك؟.

قال: مررت بهذا الموضع، آخر خرجه خرجتها إلى الأهواز، فملت إلى الموضع، كما ملت، و كانت هذه الصرّه فى يدي، فوضعتها [\(١\)](#) فى الحجر، و أنسيتها و ركبت، ثم طلبتها، فلم أجدها، و لا علمت أين وضعتها، إلا الساعة، فذكرتها بحديثك.

قلت: فالذنانير مع غلامى.

قال: خذها، بارك الله لك فيها، و أبرأت ذمتك منها.

ص: ٢٣٧

١- من هنا انقطعت القصه و ما بعدها فى غ، و عادت فى آخر القصه ٣٢٨، و ضاع ما بينهما من القصص.

أصلح بين متخاصمين بدرهم

فوهب الله له درّه بمائه و عشرين ألفا

قال: و ذكر أبو الحسين القاضي، في كتابه، بإسناد، قال: حدّث محمد بن إبراهيم بن عمر البرقي، قال: حدّثنا العباس بن محمد البرقي، ل: حدّثنا أبو زيد، عن الفضيل بن عياض (١)، قال: حدّثني رجل:

أن رجلا خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقا، فمرّ على رجلين، كلّ واحد منهما آخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟

فقيل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، و ليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعهها، فكسدت عليه، فمرّ على رجل و معه سمكه قد أروحت (٢).

فقال له: إن معك شيئا قد كسد، و معي شيء قد كسد، فهل لك أن تبيني هذا بهذا؟ فباعه.

و جاء الرجل بالسمكه إلى البيت، و قال لزوجته: قومي فأصلحي أمر هذه السمكه، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكه، فإذا هي بلؤلؤه، قد خرجت من جوفها.

ص: ٢٣٨

١- أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي (١٠٥-١٨٧): شيخ الحرم المكي، من أكابر العبّاد الصلحاء، ولد بسمرقند، و نشأ بأبيورد، و دخل الكوفه و هو كبير، و سكن في مكّه، و توفّي بها (الاعلام ٣٦٠/٥).

٢- أروح اللحم: تغيّرت رائحته، أي أنتن.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكه شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، و حار لثته.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤه.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤه.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤه، [١٧٢ ر] إلى صديق له جوهرى، فسلم عليه، فردّ عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

و قال: أنظر كم قيمه هذه؟

قال: فنظر زمانا طويلا، ثم قال: لك بها على أربعون ألفا، فإن شئت أقبضتك المال الساعه، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أئمن بها لك منى.

فذهب بها إليه، فنظر إليها و استحسناها، وقال: لك بها على ثمانون ألفا، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإننى أراه أئمن بها لك منى.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها على مائه وعشرون ألفا، ولا أرى أحدا يزيدك فوق ذلك شيئا.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتى عشره بدره، فى كل بدره عشره آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل...

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، و رجع إليه.

و قال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلنى إليك ربك عزّ و جلّ،

الذى أعطاك بالدرهم عشرين قيراطا (١)، فهذا الذى أعطاك، قيراط منه، و ذخر لك تسعه عشر قيراطا (٢).

ص: ٢٤٠

١- القيراط: واحدا من عشرين من الدرهم أو الدينار (مفاتيح العلوم ٤١).

٢- لا توجد فى غ.

يحيى البرمكى يتحدث

عن عارفه فى عنقه ليعقوب بن داود

و ذكر أبو الحسين القاضى، فى كتابه، قال:

روى أن خالد بن برمك (١)، قال [١٧٠ م] لابنه يحيى، فى إضاقه نالته:

قد ترى ما نحن فيه، فلو لقيت يعقوب بن داود، و شكوت إليه ما نحن فيه.

فأتى يعقوب بن داود (٢)، فذكر له ذلك، فسكت عنه، فانصرف يحيى، و هو مكروب، آيس من خيره، فأخبر أباه.

فقال: افتضحنا، فيا ليت أنا لم نكن كشفنا له خبرنا.

قال: فركب يحيى بن خالد من غد، فلقه بعض إخوانه، فقال:

ما زال يعقوب بن داود يطلبك طلبا شديدا، فمضى إليه.

فقال له يعقوب: أين كنت؟ و الله، إنك أوردت على قلبى ما شغله بالفكر فى إصلاحه، و قد عنّ لى أمر رجوت به صلاح حالك، إمض بنا إلى الديوان، فسار معه إليه.

فقال يعقوب: علىّ بتجار السواد، فأحضروا.

فقال: أشركوا أبا على معكم بالثلث فيما تبتاعونه من غلّه السلطان (٣)، ففعلوا.

ص: ٢٤١

١- خالد بن برمك (٩٠-١٦٣): أبو البرامكة، سخي، سرى، عاقل، نبيل، ولّاه السّفاح ديوان الخراج، ثم ديوان الجند، و قلّده المنصور فارس، ثم عزله و نكبه، ثم ولّاه الموصل، و أعاده المهدي إلى ولايه فارس (الأعلام ٣٣٤/٢).

٢- أبو عبد الله يعقوب بن داود بن عمر السلمى: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٠٤ من الكتاب.

٣- غلّه السلطان: كان السلطان يستوفى حصّته من المزروع عينا، ثم يعرضها للبيع.

فقال: لعلّ ذلك يشقّ عليكم؟

فقالوا: أجل.

فقال: أخرجوه، بريح تجعلونه له.

فأخرجوه بريح ستّين ألف دينار، فصلحت حاله، و حال أبيه، و مضى إليه بالمال (١).

ص: ٢٤٢

١- لم ترد هذه القصّة في رولا في غ.

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

و ذكر محمد بن عبدوس، في كتاب الوزراء، هذا الخبر بخلاف هذا، فقال: حكى يحيى بن خاقان، قال (١):

كنت يوماً عند يحيى بن خالد، و بحضرته ابنه الفضل، إذ دخل عليه أحمد بن يزيد، المعروف [بأبي] خالد (٢)، فسلم و خرج.

فقال يحيى للفضل: في أمر هذا الرجل، خبر، فإذا فرغنا من شغلنا فأذكرني به، حتى أعرفك، فلما فرغ من عمله، أذكره.

فقال: نعم، كانت العطلة، قد بلغت منى، و من أبى، و توالى المحن علينا، حتى لم نهتد إلى ما نفقه.

فلبست ثيابي يوماً، لأركب، فقال لى أهلى: إن هؤلاء الصبيان باتوا البارحة بأسوء حال، و أنا ما زلت أعللهم بما لا علا له فيه، و أصبحت، و ما لهم شىء، و ما لدايتك علف.

فقرعت قلبى، و قطعتنى عن الحركة، و رميت بفكرى، فلم يقع إلا على منديل طبرى، كان بعض البزازين أهدها إلى.

فقلت: ما فعل المنديل الطبرى (٣)؟

فقال: ها هو.

فأخرجته إلى الغلام و قلت له: اخرج إلى الشارع، فبع هذا المنديل،

ص: ٢٤٣

١- لم ترد هذه القصة فى ر و لا فى غ.

٢- أبو العباس أحمد بن أبى خالد الأحول، وزير المأمون: ترجمته فى حاشية القصة ٨١ من هذا الكتاب.

٣- من خصائص طبرستان: المناديل الخيش، و الدراهم تحمل إليها من الآفاق لاستجلاب مناديل الخيش منها (لطائف المعارف (١٨٦).

فمضى، و عاد من ساعته، فقال: خرجت إلى البقال الذي يعاملنا، و عنده رجل، فأعطاني بالمنديل إثني عشر درهما صحاحا، و قد بعته بشرط، فإن أمضيت البيع، و إلا أخرجت المنديل إلى سوق قنطرة البردان، و استقصيت فيه، كما تحب.

فأمرته بامضاء البيع للحال التي خبرتني بها المرأة، و أن يشتري ما يحتاج إليه الصبيان، و علفا للدابة، و ركبت، لا أدري إلى أين أقصد.

فأنا في الشارع، و إذا أنا بأبي خالد، و والد هذا، و معه موكب عظيم ضخم، و هو يومئذ يكتب لأبي عبيد الله، كاتب المهدي، فملت إليه، و رميت نفسي عليه.

و قلت له: قد تناهت العطله بأخيك، و بي، إلى ما لا نهاية و راءه، و عليّ، و عليّ، إن لم تكن قصّتي في يومي هذا، كيت و كيت، و قصصت عليه الخبر، و هو مستمع لذلك، ماض في سيره، فلما بلغ مقصده [١٧٣ ر]، انصرفت عنه، و لم يقل لي حرفا.

فانصرفت منكسف البال، منكرا على نفسي إسرافي في الشكوى، و إطلاعي إياه على ما أطلعت عليه.

و قلت: ما زدت على أن فضحت نفسي، و قللتها في عينه من غير نفع.

و وافيت منزلي على حال أنكرتها أهلي، فسألتنى [١٧١ م].

فقلت: جنيت اليوم على نفسي جنايه كنت عنها غتيا، و قصصت عليها قصّتي مع يزيد.

فأقبلت توبّخني، و قالت: ما حملك على أن أظهرت للرجل حالك؟ فإن أقل ما في ذلك، أن لا يأتمنك على أمر، فإن من تناهت به الحال إلى ما ذكرت، كان غير مؤتمن، فنالني من توبيخها، أضعاف ما نالني أولا.

و أصبحنا في اليوم الثاني، فوجهت بأحد توبيي [٨ ن]، فبيع، و تبلّغنا بثمانه يومنا.

و أصبحنا فى اليوم الثالث، و نحن فى غايه الضيقه، فطوينا يومنا و ليلتنا.

فلما كان اليوم الرابع، ضاقت نفسى، و قلّ صبرى، و ضعفت قوتى، و اخترت الموت على الحاله التى أنا فيها.

فقال لى أهلى: أنا خائفه عليك من الوسواس، فىكون ما نحتاج لعلاجك، أضعاف ما نحتاج لمؤونتنا، فسَهّل الأمر عليك، و لا تضجر، و لا تقنط من رحمه الله، فإنّ الله عزّ و جلّ، الصانع، المدبّر، الحكيم.

قال: فركبت، لا أدرى أين أقصد، فلما صرت إلى قنطره البردان، لقينى رسول أبى خالد يطلبنى، فدخلت داره.

فقال لى حاجبه: اجلس، فأقمت، و خرج مع الزوال، فدنوت منه.

فقال: يا ابن أخى، شكوت إلىّ بالأمس، شكوى، لم يكن فى جوابها إلاّ الفعل، و أمر بإحضار حميد، و داهر، تاجرين كانا يبيعان الطعام.

فقال لهما: قد علمتما أنى إنّما بعثكما البارحه، ثلاثين ألف كز، على أنّ ابن أخى هذا شريككما فيها [بالسعر] (١).

ثمّ قال: لك فى هذه عشره آلاف كز [بالسعر] ٤، فإنّ دفعا إليك ثلاثين ألف دينار (٢) ربحك، و آثرت أن تخرج إليهما من حصّتك، فعلت، و إن آثرت أن تقيم على ابتياعك، فعلت.

قال: فتنحينا ناحيه، و قال: إنّك رجل شريف، و ابن شريف، و ليست التجاره من شأنك، و متى أقمت على الابتياح، احتجت إلى كفاه و أعوان، و لكن خذ منّا ثلاثين ألف دينار ٥، و خلّنا و الطعام.

فقلت: قد فعلت، و قمت إلى أبى خالد، فقلت: قد أجبتهما إلى أخذ المال، و تركهما و الطعام.

ص: ٢٤٥

١- الزيادة من م.

٢- فى م: خمسين ألف دينار.

فقال: هذا أروح لك، فخذ المال، و تبلغ به، و الزمنا، فإننا لا نقصر في أمرك بكل ما يمكننا.

فأخذت من الرجلين ثلاثين ألف دينار (٥)، و ما كان بين ذلك، و بين بيع المنديل و الثوب، إلا أربعة أيام.

فسرت إلى أبي، و خبرتته الخبر، و قلت له: جعلت فداك تأمر في المال بأمرك؟

فقال: نعم، أحكم عليك فيه، بمثل ما حكم أبو خالد به على التاجرين، أي أن الثلث لي.

فحملت إليه عشرة آلاف دينار، و اشتريت بعشره آلاف دينار ضيعه (١)، و لم أزل أنفق الباقي، إلى أن أدانى ذلك إلى هذه الحال، و إنما حدثتك بهذا، لتعرف -يا بنى- للرجل حقه.

فقلت ليحيى بن خاقان: فما الذى كان من يحيى بن خالد إلى أحمد بن أبي خالد؟

قال: ما زال هو و ولده، على نهائه البر به، حتى نال ما نال من الوزاره، بذلك الأساس الذى أسساه (٢).

و قرئ على أبي بكر الصولى، بالبصره، سنه خمس و ثلاثين و ثلثمائه، بإسناد، و أنا حاضر، فى كتابه «كتاب الوزراء» حدثكم عون بن محمد الكندى، عن إبراهيم بن الحسن بن سهل، قال: سمعت أهلى يتحدثون:

أن يحيى بن خالد البرمكى، قال: نالنى خله فى أيام المهدي، فجئت إلى يزيد الأ-حول، أبى خالد، و كان يكتب لأبى عبيد الله، فأبثته حالى، فما أجانى، و لا أقبل علىّ، فتأخرت نادما، ثم جاءنى [١٧٤ ر] رسوله من

ص: ٢٤٤

١- فى ر: عقده، و العقده: العقار المعتقد، أى المقتنى ملكا.

٢- لم ترد هذه الفقرة المنقوله عن الجهشياري فى غ.

الغد،فصرت إليه.

فقال لي: إنك شكوت إليّ شكوى لم يكن جوابها الكلام و التوجّع، و قد بعث جماعه من التجّار، ثلاثين ألف كزّ، من غلات السواد، و اشترطت لك ربع [١٧٢ م] الرّيح، فخذ كتابي هذا إليهم، فإن أحببت أن تصبر إلى أن تباع الغلّه، توفّر ربحك، و إن ناظرت التجّار، و خرجت من حصّتك بربح عاجل، فأقلّ ما يبذلونه لك ثلاثون ألف دينار، فدعوت له.

و لقيت القوم، فقالوا: أنت رجل سلطان، و لا يتهيأ لك ما نفعل نحن من الصبر على الغلّه، و انتظر الأسعار، فهل لك أن تخرج منها بربح ثلاثين ألف دينار معجّله؟

فقلت: نعم، فقبضتها في يوم واحد، و انصرفت (١).

و ذكر أبو الحسين في كتابه، قال: حدّث محمد بن أحمد بن الخصيب، قال: حدّثني من سمع أحمد بن أبي خالد الأحول، يحدث، قال:

كان السلطان قد جفا خالد بن برمك، و أطرحه، حتّى نالته إضاقه شديده، و كاد أن ينكشف.

فحدّث أن يحيى بن خالد أصبح يوماً، فخرجت إليه امرأته، أمّ الفضل ابنه، فقالت له: ما أصبح اليوم في منزلك دقيق، و لا علف للدابّه، و لا نفقه لشيء.

فقال لها: بيعوا شيئاً من البيت.

قالت: ما بقى في البيت ما له قدر، و لا ما يمكن بيعه.

فقال: قد كان فلان، أهدى إلينا منديلاً فيه ثياب، فبعنا الثياب، فما فعل المنديل؟

قالت: باق.

ص: ٢٤٧

١- لم ترد هذه الفقرة المنقوله عن الصولى في غ.

قال: فيبعوه.

فبعثت به إلى سوق قنطره البردان، فبيع بنيف و عشرين درهما، فأنفقوها أياما.

ثم خرجت إليه، فقالت: ما قعودك؟ ما عندنا نفقه، ولا دقيق، ولا علف للدابة.

فركب يحيى، فكان أول من لقيه أبو خالد الأحوال، فشكا إليه ما هو فيه، فأمسك، ثم أجابه بجواب ضعيف.

و انصرف يحيى إلى منزله، وقد كاد يتلف غمًا و ندما، و لام زوجته، و أقام أياما لا يركب، و زوجته تحتال فيما تنفق.

ثم حرّكته على الركوب، و شكت إليه انقطاع الحيله، و تعذّر القوت، فركب، فلما صار في بعض الطريق، لقيه أبو خالد.

فقال له: صرت إليّ، و سألتني أمرا، حتّى إذا أحكمته لك، تركت تنجزه.

فقال: كرهت التثقيب عليك.

فقال: إنك شكوت إليّ أمرك، فغمّني، و ذكرته لأبي عبيد الله، فتقدّم إليّ فيه بأمر، ثم لم تصر إليّ، فتعال معي الآن إلى الديوان.

قال يحيى: فمضيت معه إلى الديوان، فأحضر التجّار المبتاعين لغلات الأهواز، فقال لهم: هذا الرّجل الّذى جعل له الوزير سهما معكم فيما ابتموه فحاسبوه على ما بينكم و بينه.

قال يحيى: فأخذ التجّار بيدي إلى ناحيه، فواقفوني، على ربح خمسين ألف دينار، و أن أدعهم و الغلّه، فما برحت، حتّى راج لى المال، و حملته إلى منزلى.

و عزّفت أبى الحال، فأخذ من المال عشرين ألفا، و قال: هذه تكفينى

ص: ٢٤٨

لنفقتي، إلى أن يفرج الله تعالى عني، والباقي لك، فإن عيالك كثير.

قال أحمد بن أبي خالد: فرعى لى القوم ذلك، يعنى البرامكه، فلما صار الأمر إليهم، أشركونى فى نعمتهم، و كان آخر ما وليت لهم جند الأردن.

و انصرفت إلى مدينة السلام، و قد سخط الرشيد على يحيى، و معى من المال ستّة آلاف دينار، فتوصّلت إلى أن [١٧٥ ر] دخلت إليه فى الحبس، فتوجّعت له، و عرضت عليه المال.

فقال: لست أجحف بك، احمل إلينا منه ثلاثة آلاف دينار، و كتب رقعه، بخط لا أعرفه، ثم أتربها، ثم قطعها نصفين، فجعل أحدهما تحت [١٠ ن] مصلاه، و دفع إلى الآخر.

و قال: أمرنا قد ولى، و دولتنا قد انقضت، و هذا الخليفة سيموت، و ستقع فتنة يطول فيها الأمر بين خليفتين، يكون الظاهر منهما صاحب المشرق، و سيكون [١٧٣ م] للبلاد، يقال له الفضل بن سهل، معه حال، فإذا بلغك ذلك، فادفع إليه هذا النصف من الرقعه، فإنك ستبلغ بها ما تحبّ عنده.

قال أحمد بن أبي خالد: فخرجت من عنده، و أنا أندم الناس على إخراجى من يدي ثلاثة آلاف دينار، إلى رجل قد نعى نفسه إلى، فاحتفظت بنصف الرقعه.

و مضت الأيام، و ولى محمّد المخلوع، و وقعت الفتن، و لزمته عطلة، و دامت، حتّى رقت حالى، و اشتدّ إختلالى.

و دخل طاهر مدينة السلام، فإنّى ذات يوم متفكّر فى أمرى، متحير فيما أعمله، سمعت قرع الباب على.

فقلت لزوجتى: أخرجى إلى الدهليز، و أعرفى الخبر، و لا تتكلّمى، و لا تفتحى، فمضت، و جاءت مدعوره.

و قالت: ما أدري، على الباب جماعه من الشرط و المسووده (١) و نفاطات.

فخرجت، و وقفت خلف الباب، و قلت: من هذا؟

فقالوا: هذا منزل أحمد بن أبي خالد الأحول؟

فقلت: نعم.

فقالوا: نحن رسل الأمير طاهر بن الحسين إليه.

فقلت: لعلكم غلطتم، ما يريد الأمير من مثله؟

فقال بعضهم: يا هذا، إنا جئنا في أمر يسره، فأعلمه إياه، و أنه لا بأس عليه.

قال: و ظنني غلاما في الدار، فسكنت إلى هذا القول، و رجعت إلى مجلسي من الدار، و أنفذت جاريه سوداء كانت لي، حتى تفتح الباب.

فدخل قائد جليل، و برك بين يدي، و قال: أنت - أعزك الله تعالى أحمد بن أبي خالد؟

قلت: نعم.

قال: الأمير يسألك أن تصير إليه الساعه.

قال: فأردت أن أسبر الأمر الذي دعيت إليه، أخير هو أم شر.

فقلت: أدخل، و ألبس ثيابي.

قال: افعل.

قال: فدخلت، و أوصيت زوجتي فيما أحتاج إليه، و علمت أنه لا بأس عليّ، و لبست مبطنتي، و طيلساني (٢)، و شاشيتي (٣)، و خفيّ، ثم خرجت.

ص: ٢٥٠

١- المسووده: لابسوا السواد، أي الجنود العباسيه.

٢- الطيلسان: راجع حاشيه القصه ١٦٣ من الكتاب.

٣- الشاشيه: تطلق الكلمه على الطاقه التي تقوم مقام القلنسوه، و قد تطلق على ملاءه من القماش الرقيق تلف على الطاقه، للتفصيل راجع معجم دوزي للألبسه ٢٤٠-٢٤٤.

فقلت: ليس لي مركوب.

قال: فاركب من جنائبي (١)، فركبت دابّه قدّمها إليّ، و صرت إلى طاهر، فسلمت عليه، فساعه رآني، قال: أنت أحمد بن أبي خالد الأحول؟

قلت: نعم.

فألقي إليّ كتابا في نصف قرطاس، بخطّ الفضل بن سهل، و كان أوّل كتاب رأيته، لأبي فلان، من فلان، فإذا عنوانه: لأبي الطيّب أعزّه الله تعالى، من ذى الرياستين، الفضل بن سهل، و صدره: أعزّك الله، و أطال بقاءك، أمر أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، بأن تتقدّم ساعه وصول كتابي هذا، بطلب أحمد بن أبي خالد الأحول الكاتب، حيثما كان من أقطار الأرض (٢)، فتحضره مجلسك، و تصله بخمسين ألف درهم، و تحمله على عشرين دابه من دوابّ البريد، إلى باب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، مصونا، و لا ترخص له في التأخر، [فأريك- أعزّك الله- في العمل بذلك، موفّقا، إن شاء الله تعالى، و كتب في يوم كذا من شهر كذا] (٣).

قال: فلمّا قرأت الكتاب، اشتدّ سروري، و قلت: آخذ فيما أحتاج إليه، و أنهض.

فقال: ما إلى تأخرك سبيل، هذا المال، و هذه الدوابّ، و تخرج الساعه.

فقلت: أكتب إلى منزلي بما أحتاج إليه، و أخذت المال، و حملت أكثره [١٧٦ ر] إليهم، و كاتبهم بما أحتاج إليه.

و ذكرت الرقعه التي من يحيى بن خالد، فأمرتهم بإنفاذها إليّ، و طلبت قماشا قليلا ممّا لا بدّ منه.

ص: ٢٥١

١- الجنييه، و جمعها جنائب: الدابّه تقاد إلى جانب الراكب.

٢- في ر: من أقطار بغداد و أعمالها.

٣- الزيادة من م.

فعاد الجواب بوصول المال، وأنفذوا النصف من الرقعه، و ما طلبت من القماش، و شخصت من دار طاهر، سحر تلك الليله.

فما مررت بمدينه إلا خدمت فيها أتم خدمه، إلى أن وافيت الرى، فلقيني رجل ذكر لى أن ذا الرياستين أنفذه لتلقى، و القيام [١٧٤ م] بمصالحى إلى أن أوافى حضرته، فلم يزل قائما بما أحتاج إليه، و يحض كل من أجتاز به على تفقدى و خدمتى إلى أن وافيت باب الفضل بمرو، و معى صاحبه، و صاحب طاهر.

فوقفت بباب الفضل طويلا إلى أن تفرغ، و دعانى، فدخلت، و هو فى قبه آدم، و عليه سواد، و حوله السلاح كله، و بين يديه جحفه فيها كتب.

فلما مثلت بين يديه، قال لى: أنت أحمد بن أبى خالد الكاتب؟

فقلت: نعم.

قال: انصرف إلى منزلك، و ارجع إلينا بعد ثلاثه أيام فى سواد، لأدخلك على أمير المؤمنين.

فوليت من بين يديه، و أنا لا أدرى إلى أين أمضى، و إذا خادم قد لحقنى، و أخذ يدي، و خرج معى، حتى سار إلى دار قد أعدت لى، و فيها كل ما أحتاج إليه من فرش، و آله، و كسوه، و غلمان، و دواب، و قماش، و غير ذلك من الأطمعه و الأشربه، فجعل يعرّفنى ما تحت يد كل غلام، ثم قال:

هذا كله لك، و انصرف، فأقمت فى كل نعمه و سرور، ثلاثه أيام.

ثم غدوت فى اليوم الرابع فى سواد (١)، فألفيت ذا الرياستين خارجا من داره، فترجلت، و دنوت، فأعطانى طرف كمه فقيلته، ثم أمرنى بالركوب، فركبت، و سرت فى موكبه، حتى وافى دار المأمون، فثنى رجله، و نزل فى محفه معدّه له، فجلس فيها، و حملة القواد على أعناقهم، حتى أجلسوه مع

ص: ٢٥٢

١- كان من آيين الخلافه، أن لا يدخل أحد على الخليفه فى أيام الموكب، إلا بسواد.

المأمون على السرير، فمكثت غير بعيد.

فجاء خادم فدعاني، فدخلت، والفضل والمأمون على السرير، وكل واحد منهما مقبل على صاحبه.

فقال الفضل: يا أمير المؤمنين، هذا أحمد بن أبي خالد، كانت كتبه ترد علينا من مدينه السلام بأخبار المخلوع، في وقت كذا، وفي وقت كذا، وقد وفد على أمير المؤمنين وهو من اليسار، وحسن الحال، على أمر يقصر عنه الوصف، وهو يعرض نفسه، وماله، على أمير المؤمنين، يريد أنه متى خلا بي، فسألني عن شيء، كنت قد عرفته.

قال أحمد: فشيتت كلامه بما حضرني [١١ ن].

فقال المأمون: بل، قد وفر الله تعالى عليه ماله، ونضيف إليه أمثاله.

فقال: يا أمير المؤمنين، ويشرك بينه وبين خدم أمير المؤمنين، في تقلد الأعمال.

قال: نعم.

قال: ويولى ديوان التوقيع، وديوان الفضل والخاتم.

قال: أفعلى.

قال: ويخلع عليه خلعه هذه الأعمال.

قال: نعم.

قال: وصله يعرف بها موقعه من أمير المؤمنين.

قال: نعم.

قال أحمد: فما برحت، حتى أنجز لي كل ذلك، وانصرفت.

فلما كان بعد عشرين يوماً بعث إليّ في الليل، فعلمت أنه لم يحضرني في هذا الوقت، إلا ليسألني عن الرقعه، فجعلتها في خفي، وصرت إليه، وإذا هو جالس، والحسن أخوه إلى جانبه.

ص: ٢٥٣

فقال لى: يا أبا العباس، كانت بينك و بين شيخنا أبى على رضى الله عنه حرمه؟

قلت: نعم، و أى حرمه.

فقال: ما هى؟

فقصت عليه كيف كانت قصه أبى معه، ثم وصلت ذلك بخبرى، إلى أن أنتهيت إلى حديث الدنانير و نصف الرقعه.

فقال: أين هى؟

فأخرجتها من خفى، فدفعتها إليه، فرفع مصلاه، فإذا النصف الذى كان يحيى بن خالد رحمه الله، جعله تحت مصلاه، فقرن بينهما، و التفت إلى أخيه و قد دمعت عيناه.

فقال: هذا خطأ [١٧٧ ر] أبى على رضى الله عنه، ثم قال: أقرأت ما فيها؟.

قلت: لا.

قال: فيها «أمتعنى الله بك - يا بنى - طويلا، و أحسن الخلافه عليك، قد وجب على من حق أبى العباس أحمد بن أبى خالد الأحول الكاتب، فى الحال التى أنا عليها، ما قد [١٧٥ م] أثقلنى، و أعجزنى عن مكافأته، إلى غير ذلك مما أعتد به لسلفه، و نجمنا قد أفل، و أمرنا قد انقضى، و دولتك قد حضرت، و جدك قد علا، فأحب أن تقضى عنى حق هذا الفتى، إن شاء الله تعالى.

قال أحمد بن أبى خالد: فلم أزل مع الفضل، تترقى حالى، و اختص بخدمه المأمون، إلى أن دارت الأيام، و استكتبنى المأمون، و زادت النعمه، و نمت، و الحمد لله على ذلك (١).

ص: ٢٥٤

١- لم ترد فى غ.

و ذكر محمد بن عبدوس في كتابه «كتاب الوزراء» في أخبار أحمد بن أبي خالد، قال:

كان سبب اتصاله بالمأمون، أنّ الرّشيد لما سخط على البرامكة، و اتّصل خبرهم، و ما هم فيه من الضيق، بأحمد بن أبي خالد، شخص نحو الرّقه، فوافاها و قد أمر الرّشيد بمنع حاشيتهم من الدخول إليهم.

فلم يزل يحتال حتّى وصل إلى يحيى، فانتسب له، و عرّفه أنّه قصده لخدمته.

فرحّب به يحيى و أعلمه أنّه كان يحبّ أن يقصده في وقت إمكان الأمور، ليبلغ من مكافأته و تحقيق ظنّه حسب رغبته.

فشكره أحمد، و سأله قبول شيء حمله معه، و إن كان يسيرا، و ضرع إليه.

فدفعه يحيى عنه، و قال: نحن في كفايه.

فألحّ أحمد عليه، و أعلمه أنّه لا يثق بقبول انقطاعه إليه إلاّ بإجابته إلى ما سأله.

فسأله يحيى عن مقدار ذلك، فقال: عشرة آلاف درهم.

فقال: ادفعها إلى السجان.

و قال لأحمد: إنّ حالتنا حال لا نرجو معها بلوغ مكافأتك، و لكنّي سأكتب لك كتابا إلى رجل سيقوم بأمر الخليفة العذى يملك خراسان، فأوصل إليه كتابي، فسيقوم بقضاء حقّك.

ثمّ كتب له في قريطيس كتابا، و طواه، و وضع عليه خاتمه، فانصرف أحمد إلى منزله.

فلما قلّد الفضل بن سهل أمر المأمون، قصده أحمد بن أبي خالد، فوصل إليه في دار المأمون.

فلما فرغ من أعماله، أوصل إليه الكتاب، فأنكر وجهه، و سأله عن صاحب الكتاب، فقال: يقرأه الأمير -أطال الله بقاءه- فإنّه سيعرفه.

فلما فضّه، و نظر إلى الخطّ استبشر، ثمّ استدنى أحمد بن أبي خالد،

و أعلمه إنه من أعظم خلق الله منه عليه، و أوجبهم حقًا، و أمره بالمصير إلى منزله.

فصار أحمد بن أبي خالد إلى دار الفضل، فلما وصل إليه فيها، عانقه، و قبله، و قال: أوجبت -و الله- عليّ حقًا.

و سأله عن خبر الكتاب، فذكره له، فوعده ببلوغ المحبّه، و أمر بإنزاله منزلا يتخذ له، و يفرش بما يحتاج إليه، و وجه بحاجبه، و بعض خدمه، و معهم تخوت ثياب، و خمسون ألف درهم، و اعتذر إليه، و أمره بالاستعداد للوصول إلى المأمون، ثم أوصله إليه، و وصفه له، و قرظه.

و لم يزل يقوم بحاله عنده، حتى أمر المأمون بتصريف أحمد بن أبي خالد، و أجرى له الأرزاق و الأنزال، و أجراه في الوصول إليه مجرى الخاصّه، و قلّده من أعمال خراسان، و ما وراء النهر، أعمالا جليله، و تمكّنت حاله عنده (1).

قال محمّد بن عبدوس: و حدّثني علي بن أبي عون، قال: حدّثني أبو العباس بن الفرات، قال: حدّثني علي بن الحسن، قال: حدّثني محمّد بن عمر الجرجاني الكاتب (2): و ذكر من خبر أحمد بن أبي خالد و يحيى بن خالد مثل الذي ذكره يحيى بن خاقان، و زاد فيه:

إنّ أحمد بن أبي خالد لم يحظ من أيام يحيى بن خالد بشيء، و إنّّه لزمه عند حبسه، فلما حضرته الوفاه زوّده كتابا إلى الفضل بن سهل [ن 9] يعتذر إليه فيه من ولايه ما أولاه، و يسأله مكافأته عنه، و أنّه احتفظ بالكتاب مدّه أيام الرّشيد، و صدرا من أيام محمّد، و ساءت حال أحمد بن أبي خالد، و عظم فقره جدّا، و اشتدّت عليه العطله و الخله، فلمّا أنفذ محمّد الأمين علي بن عيسى بن ماهان، لمحاربه طاهر، عمل أحمد علي أتباع عسكره.

ص: ٢٥٦

١- انفردت بها ن.

٢- محمد بن عمر الجرجاني: روى له المرزباني في الموشح، [١] راجع ص ٤٩٤، ٤٤٤، ٨٥.

قال محمّد بن عمر الجرجاني: فجاءني يذكر ما عزم عليه، و يصف إفراط خَلته، و قصور حيلته، و سألتني أن أسأل سلاماً الأبرش، لمودّه كانت بينه و بين أبيه، أن يعينه بمركوب و بألفى درهم.

فقصدت سلاماً، و سألته في ذلك، فقال: و الله، لو كان لي بعدد الذباب دوابّ، ما أعطيته شعره من ذنب واحد منها، و لو كان عندي بقدر رمل عالج عين و ورق، ما أعطيته منها حبّه.

فانصرفت إليه - و قد كان أقام في منزلي، ينتظر ما يجري - فأخبرته بما قال، و حلفت له أنّي ما أملك إلاّ دابّه، و بغله، و أربعمائه درهم، فليأخذ منها ما شاء.

فقال: أنت إلى الدابّه في الحضر أحوج، و أنا إلى البغله في السفر أحوج، فأعطينها، و أنت مقيم، و أنا مسافر، و تقدر - أنت - أن تحتال لنفسك نفقه، و أنا لا أقدر، فأعطني أربعمائه الدرهم كلّها.

فدفعتها إليه مع البغله، و صحب عسكر على بن عيسى.

فلما حدث على عليّ ما حدث، صار إلى الفضل، فأوصل إليه الكتاب، فقرأه، و سرّ نهايه السرور، و أكرمه غايه الإكرام، و أنكر عليه تأخّره إلى ذلك الوقت.

و قال: ما أعرف شيئاً أفضى به حقّك، إلاّ أن أشركك في أمرى، و أقلّدك العرض على أمير المؤمنين خلافه لي.

فقلّده ذلك، و كبر أمره.

و لم يزل أحمد بن أبي خالد، يضرب على سلام الأبرش، و يغري به المأمون، إلى أن قال له: قد وهبت لك دمه، و جميع ما يملكه.

فقبض عليه، و قبض منه ما قيمته أربعة آلاف ألف درهم، و دعا بالسيف و النطع، و أمر بضرب عنقه، بعد أن قرّعه بما كان منه عند مسأله محمّد بن عمر الجرجاني في أمره.

ثمّ أعرّض عن قتله، وأمر بحبسه، وقال للمأمون: إنّي كرهت أن أتجاوز مذهب أمير المؤمنين في العفو، فاستصوب رأيّه.

و ترقّت أحوال أحمد بن أبي خالد، إلى أن تقلّد وزاره المأمون.

قال محمّد بن عمر الجرجاني: و حدثت الفتن بعد ذلك ببغداد، و تشرّد أهلها عنها، فهربت إلى إخوان كانوا لي بالكوفة، فأقمت عندهم، و استطبت البلد، فسكنته، و أبتعت بجميع ما أملكه ضيعه هناك، و ولينا عامل أحسن إلينا، فشكرناه، و انعقدت بيننا و بينه موادّه و كيدّه.

ثمّ صرف بعامل آخر، فحقد علينا الموادّه التي كانت بيننا و بين المصروف، فأساء معاشرتنا، و اضطرّنا إلى قصد أحمد بن أبي خالد للتظلم، فدخلت بغداد، فلمّا رأني أكرمني، و استبطأني، و ذكر تطلّعه إلى لقائي، و طلبه إياي، و غموض خبري عليه، و سألتني عن أموري، فشرحتها له، فكتب بخطّه بصرف العامل، و تقليد المصروف الذي كان صديقي.

و أعلمني بما جرى عليه أمر سلام الأبرش، و قال: قد كنت جعلت لك فيما قبضت منه الربع، و هو معزول لك، فتسلّمه، و كان قيمته ألف ألف درهم (1).

ص: ٢٥٨

١- انفردت بها ن.

قَصَهُ أَبِي عبيد الله وزير المهدي

و كيف ارتقت به الحال حتّى نال الوزارة

و ذكر أبو الحسين القاضي، في كتابه، قال: حدّثني محمّد بن أحمد بن الخصيب، قال: حدّثني من سمع أحمد بن أبي خالد الأحول، يقول:

كان أبي صديقا لأبي عبيد الله وزير المهدي، و هو إذ ذاك معلّم، و أبي متخلّي (١)، فكانا يتعاشران، و يألّفهما أحمد بن أيّوب.

قال أبو خالد: و كُنّا نتبيّن في أبي عبيد الله شمائل الرئاسه، و نصدّره إذا اجتمعنا، و نرجع إلى رأيه فيما يعرض لنا.

فقلت له ليله، و نحن نشرب: نحسبك سترأس، و تبلغ مبلغا عظيما، فإن كان ذلك، فما أنت صانع بنا؟

فقال: أمّا أنت يا أبا خالد، فأصيرك خليفتي على أمرى، و أمّا أنت يا ابن أيّوب، فقل ما أردت.

فقال: أريد أن تولّيني أعمال مصر سبع سنين متواليه، و لا تسألني بعد الصرف عن حساب.

قال: ذلك لك.

قال أبو خالد: فلم يمض لهذا الأمر إلاّ مديده، حتّى أمسكت السماء، و خرج الناس يستسقون، و كان عليهم - إذ ذاك - ثعلبه بن قيس، عاملا من قبل صالح بن عليّ، فما انصرف الناس، حتّى أتت السماء بمطر غزير.

فقال ثعلبه لكاتبه: اكتب إلى الأمير بما كان من القحط، و ما حدث بعده

ص: ٢٥٩

١- في م: متجمل.

من الاستسقاء، و ما تفضّل الله به من الغيث.

فكتب كتابا، لم يرضه ثعلبه، فقال لمن حوله: أ لا يصاب لي رجل، يخاطب السلطان عني، بخطاب حسن.

فقال له بعضهم: ها هنا رجل مؤدّب، معه بلاغه، و أدب كثير، و فيه -مع ذلك- عقل.

فقال: أحضره.

فأحضر أبا عبيد الله، و أمره بأن يكتب عنه إلى صالح بن علي (١)، في ذلك المعنى، فكتب كتابا استحسّنه ثعلبه، و أنفذه إلى صالح بن علي.

فلما قرأه أعجبه، و كتب إلى ثعلبه: أن أحمل إليّ كاتبك على البريد، فحمله إليه، فلما وافاه، امتحنه، فوجده كافيا في كلّ ما أراد، فاستكتبه.

فلما تابعت كتبه عن صالح بن علي، إلى المنصور، قال المنصور: كنت أرى كتب صالح بن علي ترد ملحونه، و أراها الآن ترد بغير ذلك الخطّ، و هي محكمة، سديده، حسنه.

فخبّر بخبّر أبي عبيد الله، فأحضره، فلما فاتشه، وجده كما أراد، فاستكتبه لابنه المهدي.

قال أبو خالد: و طعن الربيع على أبي عبيد الله، عند المنصور، مرارا (٢).

فقال: ويلك، أ تلمني في اصطناع معاويه، و قد كنت أجتهد بأبي عبد الله -يعني المهدي- أن ينزع عنه لباس العجم، فلا يفعل، فلما صحبه معاويه،

ص: ٢٦٠

١- صالح بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي (٩٦-١٥١): عم المنصور، أمير، قائد، كان قائد الجيش الذي تعقب مروان إلى مصر و قتله، فولاه السقّاح مصر، ثم ضمت إليها فلسطين، ثم ولى مصر و فلسطين و أفريقيه، ثم ولى الجزيره و استقرّ بها و كانت له الديار الشاميه كلها، و توفّي بقنسرين (الأعلام ٣/٢٧٨).

٢- بدأ الربيع يدسّ على أبي عبيد الله عند المنصور، فخاب سعيه، فعاود الدسّ عليه عند المهدي، فظفر به، و عزله المهدي.

لبس لباس الفقهاء.

قال أبو خالد: ثم أشخصني أبو عبيد الله إليه، لما كتب للمهدى، فقلدني خلافته على الديوان، فلما مات المنصور، وولى المهدي الخلافة، أنفذت الكتب إلى أحمد بن أيوب بولايه مصر، فلم يزل بمصر، واليا عليها، إلى أن توفي بها (1).

ص: ٢٤١

١- لم ترد هذه القصه في غ.

القاضي التنوخي يتحدث

عن قصته مع أبي علي أحمد بن محمد الصولي

قال مؤلف هذا الكتاب: كنت بالبصرة [١٧٨ ر] في المكتب سنة خمس و ثلاثين، و أنا مترعرع، أفهم، و أحفظ ما أسمع، و أضبط ما يجرى.

و كان أبو بكر محمد بن يحيى الصولي، قد مات بها في شهر رمضان من هذه السنة، و أوصى إلى أبي في تركته، و ذكر في وصيته أنه لا وارث له.

فحضر إلى أبي ثلاثة إخوة شباب، فقراء، بأسوء حال، يقال لأكبرهم:

أبو علي أحمد (١)، و الأوسط: أبو الحسن محمد، و الأصغر أبو القاسم، بنو محمد التمار.

و ذكروا لأبي، أن أمهم تقرب إلى أبي بكر الصولي، و أنهم يرثونه برحمها منه، و ذكروا الرحم و اتصاتها.

فسامهم أبي، أن يبينوا ذلك عنده بشهاده شاهدين من العدول، ليعطيهم ما يفضل - بعد الدين من التركة - عن الثلث، فاضطربوا في ذلك، و كانوا يتعكسون (٢) في إقامة الشهاده شهورا، و يلازمون باب أبي.

و كان مكتبي في بيت قد أخرجه من داره إلى سكة الإثنين التي ينزلها، و جعل بينه، و بين باب داره، دكانا (٣) ممتدا.

ص: ٢٦٢

١- أبو علي أحمد بن محمد بن جعفر الصولي: ترجم له الخطيب في تاريخه ٤/٤٠٨ و قال عنه إنه سكن الأهواز بآخره، و مات بها.

٢- التعكس في المشيه: السير سير الأفعى يمينا و شمالا.

٣- الدكان: الدكة، راجع حاشيه القصة ٢٨٥ من الكتاب.

فكنت، و معلّمى، و الصبيان، نجلس طرفى النهار على الدكان، و فى انتصافه فى البيت.

فكان هؤلاء الإخوه يجلسون عندى فى المكتب كثيرا، و يؤانسون معلّمى، و يلاعبونى، و يتقربون إلّى، و يسألونى أن أعرض لهم على أبى، الرقعه، بعد الرّقعه، يعطونى إيّاها.

فقال لى يوما، الأكبر منهم، و هو أبو على أحمد بن محمّد: إن أعطاك الله تعالى، الحياه، حتّى تتقلّد القضاء، و تصير مثل القاضى أيبك فى الجلاله و النعمه، و جتتك، أى شىء تعطينى؟

فقلت له، بالصبا، و كما جرى عليه لسانى: خمسمائه دينار.

قال: فأعطني خطك بها، فاستحييت، و سكت.

فقال لمعلّمى: قل له يكتب لى.

فقال لى: اكتب له، و أملى على المعلم، و أبو على، رقعه فى هذا المعنى، و أخذها أبو على [١٢ ن].

فما مضت إلا أياما حتّى استدّت (١) لهم الشهاده عند أبى، على صحّحه ما ادّعوه من الرحم، و استحقاق الميراث بها.

و كان أبى قد باع التركه، و قضى الدين، و فرّق قدر الثلث، و ترك الباقي مالا عنده، فأمر بتسليمه إليهم، و أشهد بقبضه عليهم، و انصرفوا.

فما وقعت لى عين على أحد منهم، إلا فى سنه ست و خمسين و ثلثمائه، فأتى كنت أتقلّد القضاء و الوقوف بسوق الأهواز، و نهر تيرى، و الأنهار، و الأسافل، و سوق رامهرمز، سهلها و جبلها، و أعمال ذلك، و أنا فى دارى بالأهواز، و أمرى فى ضيعتى مستقيم.

ص: ٢٤٣

١- استدّ: استقام، و منه قول الشاعر: أعلمه الرمايه كلّ يوم فلما استدّ ساعده رمانى

فدخل إلى بوابي، فقال: بالباب رجل يقول: أنا من قرابه الصولي، قدمت من بغداد بكتب إليك، و ذكره لي، فلم أذكره.
و قلت: أدخله.

فدخل رجل شيخ لم أعرفه، فسلم، و جلس، و قال: أنا خادم القاضي منذ كان في المكتب، أنا قرابه الصولي، فعرفته، و لم أذكر الخط، و لا القضية.

فأخرج إلي كتباً من جماعه رؤساء بغداد، يذكرون أنه قد كان مقيماً منذ سنين، ببغداد، و راقا بقصر و ضاح (١) بالشرقيه (٢)، بحاله حسنه، فلحقته محن أفقرته، و يسألوني تصريفه، و منفعتة، فوعدته جميلاً.

فقال: إنما جعلت هذه الكتب، طريقاً يعرفني القاضي بها، و ما أعول الآن عليها، إذ قد أحيانى الله عزّ و جلّ، إلى أن رأيتة قاضياً في بعض عمل أبيه رضى الله عنه، و جاهه و نعمته، كجاهه و نعمته، أو قريب من ذلك، و قد حلّ لي بذلك دين عليه، و واجب في ذمته، و ما أقنع إلا به.

فقلت: ما معنى هذا الكلام [١٧٩ ر].

فقال: أ ينسى القاضي ديني؟ ثم أخرج رقعتي التي كان أخذها منّي في المكتب.

فحين رأيتها، ذكرت الحديث، و حمدت الله كثيراً، و قلت: دين واجب حالّ، و حقّ مرعى و كيد، و لكن تعرف صعوبه الزمان، و الله، ما يحضرني اليوم مائه دينار منها، و لو حضرت، ما صلح أن أشتهر بصلتك بها،

ص: ٢٤٤

-
- ١- قصر و ضاح: قال ياقوت في معجم البلدان ١٢٣/٤ إنّها محلّه بالجانب الغربى من بغداد تنسب إلى و ضاح بن شبا مولى المنصور، قال الشاعر: سقى الله باب الكرخ من متنزه إلى قصر و ضاح فبركه زلزال
 - ٢- الشرقيه: محلّه بالجانب الغربى من بغداد، قيل لها الشرقيه، لأنها شرقى مدينه المنصور (معجم البلدان ٢٧٩/٣).

فيصير لي حديث يعود بضرر عليّ، و لكن ارض منّي، بأخذ دينك متفرّقا.

فقال (١): قد رضيت، و ما جئت إلا لأقيم في فنائك، إلى أن أموت.

و جاء لينهض، فقلت: إلى أين؟ اجلس، فجلس، فوقعت له في الحال، إلى بزّاز كان يعاملني، أن يعطيه ثيابا بثلاثمائة درهم، و إلى جهبذ الوقوف، أن يعطيه من أبواب البرّ، عشرة دنانير، و استدعيت كيس نفقتي، و أعطيته منه مائتي درهم.

و قلت له: قم، فاستأجر دارا، و تأثت بما قد حضر الآن، و اكتس، و عد إليّ، لأصرفك فيما أرجو أن أوصله إليك، منه، و من مالي، الجملة التي في الرّقع.

فقبل يدي، و رجلي، و بكى، و قال: الحمد لله الذي أراني هذا الفضل منك، و حقّق فراستي فيك، و قام.

و جاءني بعد يومين، في ثياب جدد، فأمرت بوابي ألاّ يحجبه عليّ، و خلطته بنفسي، و أجريت عليه من أبواب [غ] ١٦٩ بالبرّ بالوقوف، بالضعف و المسكنه (٢)، دينارين في الشهر، و قلّدته الإشراف على المنفقين في ديوان الوقوف، و أجريت عليه لهذا ثلاثه دنانير أخرى في الشهر، و وليّته (٣) جبايه عقار الأيتام، و وليّته عليهم، و أذنت له في أخذ أعشار الارتفاع، و جعلته مشرفا على أوصياء في وصايا في أيديهم، إلى أن يخرجوها في وجوها، [و جعلت له على ذلك أجرا،] (٤).

و ركبت إلى عامل البلد، فسألته له، فأجرى عليه في كلّ سنه، من مال

ص: ٢٤٥

١- في غ: فراغ من منتصف القصّه ٣٢٣ إلى هذه الكلمه.

٢- في ن: من الوقوف بالضعف و المسكنه، يريد أنّه أجرى عليه المبلغ من الوقوف المشروط فيها صرف غلّتها على الضعفاء و المساكين.

٣- في ن: و رددت إليه.

٤- الزيادة من ن.

أثمان فرائض الصدقات، ستين ديناراً،[و كان رسم أهل ديوان الصدقات بكور الأهواز، في ذلك الحين، أن يسبب لهم بنصف أرزاقهم،]و يرتفق العمّال من ذلك النصف بقطعه منه[١٠]،و يصل إليهم الباقي تحقّقاً،أو يسبب أخذه مستأنفاً،لضيق المال،و قلّته عن أصول أرزاق المرتزقه،فكنت أتقدّم إلى من يقوم له في المطالبه،أن يلازم العمّال،حتّى يصل إليه كاملاً[١].

و كنت أعطيه،في كلّ شهر أو شهرين،شيئاً من مالي،و شيئاً من كسوتي، و ثياباً صحيحة من بزّازيّ،فوالله الذي لا إله إلا هو،ما صرفت عن عملي- و كانت صحبته لي نحو ثلاثين شهراً-إلا-وقد وصل إليه من هذا الوجه، و من غيره،أكثر من خمسمائه دينار،حتّى أنّه تزوّج فيها بوساطتي،و بجاه خدمتي،إلى امرأه موسره،من أهل الأهواز،و صار الرجل من المتوسطين بالأهواز،و صار ينسب إلى الصولي،و شهر نفسه بأبي عليّ الصولي.

ثم صرفت عن تلك الولاية في سنة تسع و خمسين و ثلثمائه،لما ولي الوزير محمد بن العباس،فقصدني،و صرفني،و قبض ضيعتي،و أشخصني إلى بغداد، بعد حقوق كانت لي عليه،و آمال لي فيه [٢].

فتجرّد أبو علي هذا،المعروف بالصولي،لسببي في المجالس،و شتمى في المحافل،و الطعن عليّ بالعظائم،و السعايه عليّ في مكارهي.

فكشف الله تعالى تلك المحن عني،و أجراني على تفضّله،بغير كثير سعى منّي،و لا حول و لا قوة إلا بالله،وعدت بعد ثلاث سنين و شهور،إلى الأهواز،واليا بها،و للأعمال التي كنت عليها معها،و أضيف إليّ واسط و أعمالها،و قد استخلفت عليها،و رجعت[١٨٠ ر]إلى داري،فجاءني هذا الرجل معتذراً.

فقلت له:أ تحبّ أن أقبل عذرك؟

ص: ٢٦٦

١- وردت الجملة مضطربه فأصلحتها.

٢- ذكر المؤلّف ظلامته في القصّه ٨٠ من هذا الكتاب.

قال: نعم.

قلت: أخبرني ما السبب الذي أحوجك إلى ما عملت بي من القبيح، بعد ما عملته معك من الجميل؟ فجمع في القول (١).

فقلت له: ما إلى الرضا سبيل.

فقال: أنا أصدقك، دخلت عليك يوماً، و على رأسك قلنسوه باذان (٢) جديده من خرقة حسنه، فاستملحتها، فسألتك هبتها لي، فرددتني، فلما كان بعد أيام، رأيتها على رأس ابن نظيف المتكلم، المعروف بشهدانه (٣).

فسألته: من أين لك هذه؟

فقال: وهبها لي القاضي.

فوقر ذلك في نفسى منك، و تزايد، فلما حدثت تلك النكبه، كان منى بعض ما بلغك [١٧٠ غ]، و أكثره كذب، و أنت وليّ العفو، و جعل يقبل يدي و رجلى، و يبكى.

فعجبت من لؤم طبعه، و من كثره شرّه، و قبح كفره للنعم، و اختلاف أحكام الأزمنه و أهلها، و جعلت أكثر من قول: الحمد لله على تفضله، و لم أكافه بقبيح البتّه.

و اقتصرت به على الحال التي كنت وليّته إياه، لأنّ القاضي الذي [١٣ ن] وليّ القضاء بعدى، أقرّه على ما كنت وليّته، فكان قد استمر له أخذ الدنانير من الصدقات، و الجارى من الوقوف، و أبواب البرّ، و قبضت يدي عن نفعه بما فوق ذلك (٤).

ص: ٢٦٧

١- في غ: فلجلج في القول.

٢- يريد قلنسوه من صنع مدينه باذان، و تسمى باذان فيروز، من مدن أذربيجان و هي مدينه أردبيل المشهوره (معجم البلدان ١/٤٦١).

٣- أبو الحسن على بن نظيف البغداديّ البهشمي، أى المتكلم على مذهب أبى هاشم الجبائي، المعتزلي، المعروف بابن السراج، و شهدانه: نقل عنه التّوخي في نشوار المحاضره القصّتين ٣/٦٠ و ٨/٢٨.

٤- هذه القصّه لم ترد في م.

فرّ هاربا من الضائقه

فوافاه الفرج في النهروان

و ذكر أبو الحسين القاضي في كتابه، قال: حدّثني أبو علي أحمد بن جعفر بن عبد ربّه البرقي (١)، قال: حدّثني أبو سعيد الحسين بن سعيد القطريلي (٢).

قال مؤلّف هذا الكتاب: و حدّثني صاحب لي من ولد إبراهيم بن إسحاق، أخى موسى بن إسحاق القاضي الأنصارى الخطمى، و هو علي بن محمّد بن إسحاق، أخى موسى بن إسحاق، قال: سمعت أبا الحسين بن أبي عمر القاضي، يحدث أبا القاسم علي بن يعقوب كاتب بجمكم، و كاتب الترجمان بهذا الحديث، و يقول: إننى ألفت كتابا [١٧٨ م] أو سمّيته «كتاب الفرج بعد الشده»، و ذكرت فيه هذا الخبر، و عدّه أخبار تجرى مجراه، قال:

و أخذ يقرّظ كتابه، و يشوّق عليّ بن يعقوب إليه، قال:

حدّثني أبو سعيد الحسين القطريلي، قال: كان في جيرانى رجل من أهل البيوتات، و كانت له نعمه، فزال عنه، و ساءت حاله جدّا، و كانت له زوجته و أربع بنات، فحبلت زوجته، و أخذها المخاض فى الليل.

قال: و لم تكن لي حيله فى الدنيا، فخرجت ليلا، هاربا على وجهى، أمشى، حتّى أتيت جسر النهروان (٣)، و أمّلت أن ألقى عاملها، و كان يعرفنى،

ص: ٢٤٨

١- أبو عبد الله أحمد بن جعفر بن عبد ربه بن حسان الكاتب المعروف بالبرقي: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٦٩/٤.

٢- لعله الحسين بن سعد بن الحسين بن سعد القطريلي: ترجم له الخطيب فى تاريخه ٥١/٨.

٣- لا- بدّ للمسافر من بغداد إلى بلاد الجبل أو خراسان، أن يعبر النهروان، و هو نهر عظيم يبدأ من قرب تامرا أو حلوان، و يسقى كوره واسع خصبه، ثم يصبّ فى دجله أسفل المدائن، و كان عليه جسر -

و أسأله تصريفي في شيء، و تعجيل رزق شهر، لأنفذه إلى زوجتي.

فوصلت إلى الموضع، و قد ارتفع النهار، فقعدت أستريح بالقرب من بقال.

فإذا فيج (١) - هو الساعي - قد جاء، فوضع مخلاته (٢) و عصاه، ثم قال للبقال: أعطني كذا [١٧٢ غ] أو كذا، من خبز، و تمر، و إدام (٣)، فأعطاه، فأكل، و وزن له الثمن.

ثم فتح مخلاته، فميز ما فيها من الكتب، فرأيت فيها كتابا إلى، و عليه اسم منزلي، و اسمي، و كنييتي، و لا أعرف كاتبه.

فقلت للفيج: هذا الكتاب إلى.

فقال: أ تدري ما تقول؟.

فقلت له: قد قلت الصحيح، فإن مضيت إلى بغداد، لم تجد صاحب الكتاب.

فقال: أ هاهنا إنسان يعرفك؟

قلت: نعم، العامل.

قال: قم بنا إليه.

ص: ٢٦٩

-
- ١- الفيح: الساعي الذي يرتزق بنقل ما يكلفه الناس نقله من رسائل و غيرها. راجع حاشيه القصه ٢٢١ من هذا الكتاب.
 - ٢- المخلاه: كيس يجعل فيه العلف، و يعلق في عنق الدابّه، ثم صرف الاسم إلى كلّ كيس يعلق في العنق، و توضع فيه الأشياء، و البغداديون يسمّون المخلاه: عليجه، نسبه للعليج (العليق)، و يتندرون على المفلس التياه، بأنّه: مكدي (شحاذ) و عليجته قديفه (قطيفه).
 - ٣- الإدام: يكسر أوله، الطعام الذي يؤكل مع الخبز، و البغداديون يسمّونه إيدام.

فجئت، فلما دخلت على العامل، قال: ما أقدمك علينا يا فلان؟

فقلت له: قبل كل شيء - أعزك الله - من أنا؟ و أين منزلي ببغداد؟ فقال: أنت فلان بن فلان، و منزلك بمدينة السلام، في مدينة المنصور منها، في سكة كذا و كذا.

فقلت للفيج: عرفت صدقي؟

قال: نعم.

قال: فحدثت العامل بحديثي، و أخذت الكتاب من الفيج، فإذا هو من بعض المستورين بالدينور (١)، يذكر أن ابن عمّ كان لي قد توفي، بعد أن أوصى إليه أنني وارثه، و سمانى له، و وصف منزلي ببغداد.

قال: و قد كتب الرجل يذكر أن ابن عمي أوصى بالثلث من ماله في وجوه من أبواب القرب (٢)، و أن يسلم باقي ثلثيه إليّ، و أنه باع من أثاثه و منقوله، ما خاف فساده من تركته، و صرف الثلث منه في بعض ما كان أوصى به، و أنفذ إليّ سفتجه بالثلثين من ذلك، مبلغها سبعمائة دينار و كذا و كذا ديناراً، تحلّ بعد أربعين يوماً، على تاجر في دار القطن بالكرخ (٣).

و قال: الوجه أن تبادر إلى الدينور، و تبع العقار و الضياع، أو أبيع الثلث منها ليصرف في وجوهه، و تتمسك بالثلثين إذا شئت.

قال: فورد عليّ من السرور ما لا عهد لي بمثله، و حمدت الله عزّ و جلّ.

فقلت للفيج: قد وجب حقك، و سأحسن إليك، و شرحت له قصتي، و أنه لا حبه معي فضّه فما فوقها.

ص: ٢٧٠

١- الدينور: مدينة من أعمال الجبل، قرب قرميسين (كرمانشاه)، (معجم البلدان ٧١٤/٢).

٢- القرية، و جمعها، قرب: ما يتقرب به إلى الله تعالى من أعمال البرّ و الطاعة.

٣- دار القطن: محله كانت ببغداد في نهر طابق، بالجانب الغربي، بين الكرخ و نهر عيسى (معجم البلدان ٥٢٣/٢).

فجاء إلى البقال، فقال: زن لأستاذي بكذا و كذا خبزا، و بكذا و كذا إداما، و ما يريد غيرهما.

فتعديت، و وزن الفيح ثمن ذلك من عنده، و استأجر حمارين، فأر كبنى أحدهما، و ركب هو الآخر، و وزن الأجره من عنده.

و جننا فى بقيه يومنا إلى بغداد، و قصدنا دار القطن، و فى النهار بقيه صالحه، فأوصلت السفته [١٧٩ م] إلى التاجر، فنظرها، و قال: صحيحه، إذا حلّ الأجل، فاحضر للقبض.

فقلت له: خذ حديثي، و افعل بعد ذلك ما يوفّقك الله تعالى له، و قصصت عليه قصّتي.

فقال لى: و الله الذى لا إله إلا هو، إنك صادق؟، فحلفت.

فأخرج كيسا كان بقره، فوزن لى منه مال السفته.

و صرت من وقتى إلى السوق، فاشترت سويقا (١)، و سكرًا، و عسلا، و شيرجا (٢)، و خبزا عظيما، و خروفا مشويا، و حلوى، مما يصلح للنساء فى النفاس، و مهدا، و فرشًا حسنا، و عطرا صالحا، و شيئا من ثياب.

و صرت إلى منزلى، و قد قرب العشاء الآخره، فوجدت كلّ من فيه من النساء يلعننى، و يدعو علىّ.

فقدّمت الحمالين، و دخلت وراءهم، فانقلبت الدار بالدعاء لى، و صار الغمّ سرورا، و وجدت زوجتى قد ولدت غلاما.

فعرّفت الصبيان خبر السفته [١٧٣ غ]، و الميراث، و الفيح، و أعطيت

ص: ٢٧١

١- السويق: راجع حاشيه القصّه ٢٤٧ من الكتاب.

٢- الشيرج، و السيرج: زيت السمسم، و كان البغداديون فى عهد صاحب كتاب الفرج بعد الشدّه، يكثرون من استعمال الشيرج، و يدخل فى كثير من ألوان أطعمتهم، راجع كتاب الطبخ للبغدادى، و كتاب ألف ليله و ليله، و القصّه ٣٤٢ من هذا الكتاب، أما الآن فالبغداديون لا يكادون يعرفونه، و قد أدركت الناس ببغداد، و هم لا يستعملون الشيرج إلا للسراج فى الحمامات، قبل استعمال الكهرباء.

الزوجه، والقابله، من الدنانير شيئاً.

وأقمت الفيح عندي أياماً، حتى أصلحت من أمرى، وأمر عيالي، ما وجب صلاحه، وخلفت لهم نفقه، وأخذت من الدنانير نفقه، وأعطيت الفيح منها، فأجزلت له، واكتريت حمارين، لى و له، واستصحبته إلى الدينور.

فوجدت فيها ما تحصّل لى ممّا خلفه ابن عمى نحو عشره آلاف دينار، فبعت ذلك كلّه، وأخذت بحصّتى سفاتج إلى بغداد.

و عدت و قد فرّج الله عنى، و قد صلح حالى، و أنا أعيش فى بقيته تلك الحال إلى الآن.

ص: ٢٧٢

خرج مملقا و عاد قائدا

و ذكر القاضى أبو الحسين فى كتابه، قال:

أملق بعض الكتّاب، و تعطلّ، و افتقر، حتّى لم يبق له شىء، و كاد يسأل، و خرج على وجهه فى الحاله الّتى كان عليها.

ثمّ إنّه ورد بعد قليل من سفرته، فدخلت عليه، و قلت: ما خبرك يا فلان؟

فقال: متمثّلا بهذين البيتين:

فإبنا سالمين كما ترانا و ما خابت غنيمه سالمينا

و ما تدرين أىّ الأمر خير أما تهوين أم ما تكرهينا

فطّبت نفسه، و جعلت أسليه.

فأقام أيّاما، و تأتت له نفقه، فخرج إلى خراسان، فما سمعنا له خبرا سنين، فإذا هو قد جاءنا بزىّ قائد عظيم، لكثره الدواب، و البغال، و الجمال، و الغلمان، و المال العظيم، و القماش.

فدخلت إليه، و هنأته، فقال: تضايقى تنفرجى، و ما ترانى بعد هذا أطلب تصرّفا.

فباع تلك الأشياء، و ترك منها ما يصلح لذى المروءه، و اشترى من المال ضيعه بعشرين ألف دينار، و لزم منزله [١٨٢ ر] و ضيعته.

عوده المرء سالما غنيمه حسنه

قال مؤلف هذا الكتاب:

أرجف لبعض رؤساء دوله شاهدناها، بالوزاره، و احتدّ أمره، و برد، و أرجف لعدوّ له بالوزاره (١).

فلقيت بعض [١٤ ن] أصدقاء الأهل، فسألته عن حقيقه الحال، فقال لى:

أمس لقيته، فسألته عن سبب وقوف أمره، و احتداد أمر عدوّه، فردّ علىّ جواب آيس من الأمر.

ثمّ قال لى: و قد جعلت فى نفسى، أنّ انصراف هذا الأمر خير لى، فإنّ فيما ألى من أمور المملكه كفايه، ثمّ أشدنى كالمستريح إلى ذلك، يقول:

إذا نحن إبننا سالمين بأنفس كرام رجت أمرا فخاب رجاؤها

فأنفسنا خير الغنيمه إنّها تؤوب و فيها ماؤها و حياؤها

فلما كان بعد بضعه عشر يوما، أمر، و لى الوزاره، و بطل أمر عدوّه.

و كان هذا الخبر، أجدد بأن يجعل فى باب من بشر بفرج من نطق أو قال، و لكننى جئت به هاهنا، لاشتباك معنى الشعر فى الخبرين المتجاورين.

ص: ٢٧٤

١- لما توفى المهلبى، وزير معزّ الدوله، فى السنه ٣٥٢ تطلع للوزاره كلّ من أبى الفضل العباس بن الحسين الشيرازى، زوج زينه ابنه المهلبى، و أبى الفرج محمّد بن العباس بن فسانجس، فأمر معزّ الدوله أن ينظرا سوّيه فى الأمور، من غير تسميه لواحد منهما بالوزاره، و لما مات معزّ الدوله، سعى كلّ منهما لنفسه مجددا، و ترتبت الوزاره أولا لأبى الفضل، ثم وافى أبو الفرج من عمان، و صار الناس حزينين، ثم تمكن أبو الفضل بمعاونه شيرزاد، فتتمت له الوزاره (تجارب الأمم ٢٣٧، ١٩٨، ١٩٧، ١٨١/٢، ٢٣٨).

قضى الله للهيبي رزقا

على يد الوزير ابن الزيات فاستوفاه على رغم أنفه

و ذكر أبو الحسين القاضي، بإسناد، قال: حدثني أبو الحسن علي بن أحمد الكاتب، عن أحمد بن إسرائيل، قال:

كنت كاتباً لمحيد بن عبد الملك الزييات، فقدم عليه رجل من ولد عمر بن هبيرة، يقال [١٧٤ غ] له: إبراهيم بن عبد الله الهبيري، فلأزمه يطلب تصرفاً.

و كان ابن الزييات قليل الخير، لا يرعى ذماماً، ولا يوجب حرمة، ولا يحب أن يصطنع أحداً، فأضجره الهبيري من طول تردده عليه.

فدعاني ابن الزييات يوماً، وهو راكب، وقال: قد تبرمت بملازمه هذا الرجل، فقل له: إنني لست أوليه شيئاً، ولا له عندي تصرف، و مره بالانصراف عني.

قال: فقلت: أنا والله أستحي أن ألقى مؤملاً لك، عنك، بمثل هذا.

قال: لا بد أن تفعل.

قلت: نعم.

فلما صرت إلى منزلي، ووجهت إلى الهبيري، فجاءني، فقلت له: ما كنت تؤمّل أن تنال بصحبه أبي جعفر محيد بن عبد الملك الزييات، خذه من مالي، و لا تقربه، وهذه ثلاثة آلاف درهم.

فقال متعجباً: من مالك؟ [١٨١ م].

قلت: نعم.

ص: ٢٧٥

قال: أنا أوْمَل أن أكسب معه أكثر من ذلك (١).

فقلت: إنّه قد حمّلتني إليك رساله، استحييت من أدائها، فعدلت عنها إلى هذا.

قال: فهات ما حمّلك.

قال: فأعدت عليه ما قال ابن الزيات.

فقال: قد سمعت منك، فهل أنت مؤدّ عنيّ ما أقول؟

قلت: نعم.

قال: قل له، قد كنت آتيك في صبيحه كلّ يوم مرّه، و والله لا آتيك منذ الآن في كلّ غدوه و عشيه، فإن قضى الله عزّ و جلّ على يدك رزقا، أخذته على رغمك.

فرجعت إلى ابن الزيات، فأعلمته قوله.

فقال: دعه، فو الله، لا يرى مني خيرا أبدا.

قال: و لازمه الرّجل، غدوه و عشيه، فكان إذا رآه، التفت إليّ، و قال:

قد جاء البغيض، فمكث كذلك مدّه.

و ركب ابن الزيات يوما إلى الواثق، و هو بالهاروني (٢)، بسرّ من رأي (٣)، و كنت معه.

ص: ٢٧٦

١- في غ: أوْمَل أن أكسب معه أكثر مما تناله يدك.

٢- الهاروني: قصر قرب سامراء، ينسب إلى الواثق هارون، يبعد عنها ميلا واحدا، و بازائه بالجانب الغربيّ، قصر المعشوق (معجم البلدان ٩٤٦/٤).

٣- سرّ من رأي: و تسمّى الآن سامراء، مدينه شمالي بغداد، تبعد عنها مائه كيلومتر، بناها المعتصم في السنه ٢٢١ لما ضاقت بغداد بجنوده الأتراك، فانتقل إليها و سكنها الخلفاء من بعده، إلى أن استقرّ المعتضد، و من بعده، ببغداد، فتقلّصت سامراء، و أصبحت بليده، بعد أن كانت حاضره الدنيا (المنجد، معجم البلدان ١٤/٣-٢٢).

فدخل إلى الخليفة، و جلست فى بعض الدور، أنتظر خروجه، فخرج، و هو يكثر التعجب.

فسألته، فقال: أنت تعرف مذهبي، قال: و كان يرى رأى المعتزله، و يقول: إنَّ الارزاق، تأتي بالاكتساب.

فقلت له: و ما ذا تهياً عليك؟

فقال: دخلت إلى الخليفة، فقال: على الباب أحد نصطنعه (١)؟ فلم يخطر ببالي غير الهبيري، فأمسكت.

فقال: ويلك أكلمك فلا تجيبنى، و أعجلنى عن الفكر.

فقلت: على باب أمير المؤمنين، رجل من أعداء دولته، و أعداء سلفه، و من صنائع بنى أميه، من ولد عمر بن هبیره.

قال: فنصطنعه فيشكرنا، كما اصطنع أباه بنو أميه فشكرهم.

قلت: إنّه معدم.

قال: نغنيه، [١٨٣ ر] فراودته.

فقال: كم تدفعنى [١٦ ن] عنه؟ أعطه الساعه ثلاثين ألف درهم.

ثم قال: من أهل الدراريح (٢) هو، أم من أهل الأقييه (٣)؟.

قلت: صاحب قباء.

قال: قلّده الساعه عملاً يصلح له، و أثبت له من ولده، و غلمانه، و أهله، مائه رجل.

فلما فرغ من كلامه، قال: قل للهيري ما عرفتك، و ادفع إليه ما أمر له الخليفة به، و سله ألا يشكرنى، فقد جهدت فى دفع الواثق عنه، فما اندفع،

ص: ٢٧٧

١- الاصطناع: إسداء الصنيعه، أى الإحسان.

٢- أهل الدراريح: يريد بهم الكتاب، أى المدتيين.

٣- أهل الأقييه: يريد بهم الجند، و العمال.

قال أحمد بن إسرائيل: فلما خرجت إلى الشارع، إذا بالهبيري ينتظر خروج ابن الزيات، [فعرّفته ما جرى، فقال: لا بدّ من شكره على كلّ حال، وجاء ابن الزيات] (١) [غ ١٧٥] فترجّل له الهبيري، فشكره.

فقال له: ألم أقل لأحمد يقول لك: لا تشكرني.

فقال: لا بدّ من ذلك، لأنّ الله تعالى قد أجرى رزقي على يديك.

قال: أحمد بن إسرائيل: فو الله، ما مضى اليوم، حتّى قبض المال، وولى بعض كور فارس.

[و ذكر هذا الخبر محمّد بن عبدوس الجهشياري، فى كتابه «كتاب الوزراء» عمّن حدّثه به، عن أحمد بن إسرائيل، فذكر أنّ الرجل، يقال له:

أحمد بن عبد الله الهبيري، و ذكر قريبا من هذا، و ذكر أنّ اللمدى خوطب فى أمره من الخلفاء، كان المتوكّل، و أنّ اللمدى أمر له به، كان خمسه آلاف درهم، و أن يضمّ إليه ثلثمائه رجل، و أنّ حاله بعد ذلك علت عند المتوكّل، و لم يقل أنّه قلده بعض كور فارس] (٢).

و حدّثنى أبى رحمه الله تعالى، هذا الحديث، و ذكر أنّ تردّد الهبيري - و لم يسمّه - إلى ابن أبى خالد الأحول، و أنّ اللمدى حمل الرسالة إلى الهبيري، قصده إلى منزله، و حمل معه ثلاثه آلاف درهم، و قال: إنّ الوزير يقول لك، ليس لك عندى تصرّف، فخذ هذه النفقه، و انصرف عنى إلى حيث شئت.

فغضب الهبيري، و قال: جعلنى شحاذا، و الله لا أخذتها.

قال الرسول: فغاضنى ذلك، فقلت له: و الله، ما المال إلّا من عندى، لأنى استحييت أن أعيد عليك رسالته، فأثرت أن أغرم مالا فى الوسط، أجمل به صاحبي، و أؤجر فيك، و أرفع نفسى عن قبيح التوسّط اللمدى ارتكبه.

ص: ٢٧٨

١- الزيادة من غ.

٢- الزيادة من م.

فقال: أمّا أنت، فأحسن الله جزاءك، و أمّا مالك، فأنا لا أقبله، و لو مصصت الثماد، و لكن تؤدّي إلّي الرساله بعينها، فأدّيتها.

فقال: تتفضّل، و تحمل عني حرفين.

فقلت: هات.

قال: تقول له: و الله، ما لزومي لك في نفسك، و لو تعطلت، ما مررت بك، و لكنّ الله تعالى، يقول: و أتوا البيوت من أبوابها، و أنت باب رزق مثلي، لأنني لا أحسن إلا هذه الصناعه، و لا بدّ من أن آتيك طالبا رزقي من بابه، و ليس يمنعني ذلك استقبالك إياي بالرد، فإن قسم الله تعالى لي على يديك شيئا، أخذته منك، و إلا، فلا أقلّ من أن أؤذيك برؤيتي، كما تؤذيني بتعطيلي.

و قال فيه عن ابن أبي خالد: فصرت في الوقت إلى المأمون، فقال: هاتم شخصا أوله مصرا.

قال: فأراد أن يذكر له رجلا - يعتنى به، يعرف بالزبيرى، لتولّى ذلك العمل، فلغيظه من الهبيري، و قرب عهده به و بحدِيثه، غلط، فقال: الهبيري.

فقال الخليفه: أو يعيش؟ و عرفه، و ذكر له خدمه قديمه.

و أراد ابن أبي خالد أن يزهده فيه، قال: فطعنت عليه بكلّ شيء، و هو يقول:

لا أريد غيره، أنا أعرفه بالجلاده.

إلى أن قلت له: أنا غلظت، و إنّما أردت أن أقول فلان الزبيرى.

قال: و إن غلظت، فالهبيري، أقوم بهذا من الزبيرى، و أنا أعرفهما، فلمّا رآني قد أقمت على الدفع عنه، قال: له معك قصّه، فاصدقني عنها، فصدقته.

فقال: قد و الله، أجرى رزقه على يديك، و أنت راغم، أخرج فولّه مصر.

فقلت: إنّه ضعيف، و لا حاله له، و لا مروءه، فكيف يخرج في مثل هذه الحال إلى عمله؟

قال: وهذا من رزقه الذى يجرى على يديك و أنت راغم، أطلق له مائه ألف درهم فأخرجه.

فخرجت، و امتثلت أمره راغما (١).

ص: ٢٨٠

١- الفقرة المنقولة عن كتاب الجهشياري لم ترد في م، و وردت في كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التّوخى برقم القصّد ١١١/٢.

و ذكر القاضي أبو الحسين رحمه الله تعالى، [عن رجل] (١)، قال: حدثني أم أبي، قالت: كان زوجي [١٨٤ ر] قد نهض إلى مصر، و تصرف بها، و عمل، و نكب، و تعطل، فأقام هناك.

و أضقنا إصاقه شديده، و عرضنا بيع ضيعه لنا [١٧٦ غ]، فلم نجد لها ثمنا، و تأخر كتابه عنا، و انقطع خبره، حتى توهمنا أن حادثا قد حدث عليه.

و كان أولادي أصاغر، فجعلت أحتال و أنفق عليهم، حتى لم يبق في المنزل شيء.

و حضر وقت عماره الضيعه، و احتجنا إلى بذار و نفقه، فتعذر ذلك علينا، حتى كادت تتعطل، و يفوت وقت الزراعه.

فأصبحت يوما، و بي من الغم لاجتماع هذه الأحوال أمر عظيم، فوجهت إلى بعض من كنت أثق به، و أتوهم أنني لو سألته إسعافنا بالكثير من ماله لا يخالفنا، لأفترض منه شيئا لذلك، فرد رسولى، و اعتذر.

و عرّفنى الرسول الذى بعث به إليه، أنه قال: إذا بعث إليهم ما طلبوا، و الضيعه لم تعمرو، و لم تحصل لهم غله، و زوجها لم يعرف له خبر [١٧ ن]، فمن أين يردون علىّ؟

فلما رجع الرسول بذلك، كدت أموت غمًا، و امتنعت من الطعام يومى و ليلتى.

و أصبحت، فما انتصف النهار، حتى ورد كتاب زوجى بسلامته، و ذكر

السبب في تأخير كتابه، و أرسل إليّ في كتابه سفتجه بمائه دينار، و تخوت ثياب قد أنفذها مع تاجر من أهل مصر، قيمتها خمسون ديناراً، فقبضت ذلك، و عمرنا الضيعه، و رزعت تلك السنه، و صلحت حالنا (١).

ص: ٢٨٢

١- ورد السند في م: حدثني جدّتي أمّ أبي. قالت حدثني أمّ جدّي، قالت: كان زوجي يعقوب بن عليّ قد نهض إلى مصر، و ورد السند في ن: حدثني جدّتي أمّ أبي، قالت: حدثني أمّ أبي، قالت: كان زوجي يعقوب بن عليّ قد نهض إلى مصر.

من مكارم سعيد بن العاص أمير الكوفة

و ذكر القاضي أبو الحسين في كتابه:

حكى أنّ سعيد بن العاص (١)، قدم الكوفة عاملاً لعثمان بن عفان (٢)، رضى الله عنه، و كان ممّن يتعشى عنده، رجل من الفقراء، قد ساءت حاله.

فقال امرأته: ويحك، أنّه قد بلغنا عن أميرنا كرم، فاذا ذكر له حالك، و حاجتك، لعلّه أن ينيلنا شيئاً، فلم يبق [١٨٣ م] للصبر فينا بقيه.
فقال: ويحك لا تخلقى وجهى.

قالت: فاذا ذكر له ما نحن فيه على كلّ حال.

فلما كان بالعشى، أكل عنده، فلما انصرف الناس، ثبت الرّجل.

فقال سعيد: [حاجتك؟، فسكت] (٣).

فقال سعيد لغلمانه: تنحوا، ثم قال: [إنّما نحن أنا و أنت، فاذا ذكر حاجتك، فتعقد، و تعصر، فنفخ سعيد المصباح فأطفأه.

ثم قال له: [٣يرحمك الله، لست ترى وجهى، فاذا ذكر حاجتك.

ص: ٢٨٣

١- سعيد بن العاص (٣-٥٩): صحابى، أمير، أموى، قرشى، فصيح، جواد، ولى لعثمان الكوفة، و لمعاوية المدينه (الأعلام ٣/١٤٩)، [١] أقول: هو الذى قال فيه الفرزدق: ترى الغرّ الججاجح من قريش إذا ما الخطب فى الحدّثات غالا قياما ينظرون إلى سعيد كأنّهم يرون به هلالاً

٢- أبو عمرو عثمان بن عفان (٣٥-٤٧ ق-٣٥): ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشّره، كان غنيا شريفا فى الجاهليه، و أسلم بعد البعثه بقليل، و صرف الكثير من ماله فى إعلاء شأن الإسلام بويع بالخلافه سنه ٢٣، فاتمّ جمع القرآن، و نqm عليه الناس اختصاصه أقاربه من بنى أميه، بالولايات و الأعمال، فقتل بالمدينه (الأعلام ٤/٣٧١).

٣- الزيادة من غ.

فقال: أصلح الله الأمير، أصابتنا حاجه، فأحببت أن أذكرها لك.

فقال: إذا أصبحت فالتق فلانا وكيلى.

فلما أصبح الرجل، لقي الوكيل، فقال: إن الأمير قد أمر لك بشىء، فهات من يحمله معك، [قال: ما عندي من يحمل، فانصرف إلى امرأته، فجعل يلومها، ويقول: قال لى وكيله هات من يحمل معك] (٣)، و ما أظنه أمر لى إلا بقوصره تمر، أو قفيز بز، و ذهب ماء وجهى، و لو كانت دراهم أو دنانير لأعطانيها فى يدى.

فلما كان بعد أيام، قالت له امرأته: يا هذا، قد بلغ بنا الأمر إلى ما ترى، و مهما أعطاك الأمير، يقوتنا أياما، فالتق وكيله، فلقيه.

فقال: أين تكون؟ إنى قد أخبرت الأمير أنه ليس لك من يحمل ما أمر به لك معك، فأمرنى أن أوجه من يحمل معك ما أمر به لك [١٧٧ غ].

ثم أخرج إليه ثلاثه من السودان، على راس كل واحد منهم بدره دراهم، ثم قال: امضوا معه.

فلما بلغ الرجل باب منزله، فتح بدره، فأخرج منها دراهم، فدفعها إلى السودان، و قال: امضوا.

فقالوا: أين نمضى، نحن عبيدك، ما حمل مملوك للأمير هديه قط، فرجع إلى ملكه.

قال: فصلحت حاله، و استظهر على دنياه.

ألجأته الحاجة إلى بيع مقنعه أمه

ثم ملك مصر

و ذكر أبو الحسين القاضى، فى كتابه، بإسناد ذكره، قال: حدّثنى عمى أبو الطيّب محمّد بن يوسف بن يعقوب، قال: حدّثنى بعض إخوانى، قال (١):

كنت أحضر طعام عبيد الله بن السرى (٢)، بمصر، فكان إذا وضع الخوان (٣)، وضع رغيفا، و عزل بيده من كلّ شىء، فإذا فرغ تصدّق به.

فقدّمت إليه ذات يوم عناق (٤) سمينه، فى أوّل الطعام، فضرب بإصبعه فى جنبها، فشخبت (٥) حتّى ملأت الخوان دسما [١٨٥ ر] فأمسك يده، و قال:

الحمد لله، ذكرت بهذا شيئا حدّثكم به.

كنت ببغداد، نازلا بسوق الهيثم (٦)، فأصابتنى حاجة شديده، و بقيت بلا

ص: ٢٨٥

١- كذا ورد فى م، و فى غ: حدّثنى عمى أبو الطيّب محمد بن يوسف بن يعقوب، قال... الخ، و فى ر: حدّث أبو الطيّب رحمه الله تعالى، قال... الخ.

٢- عبيد الله بن السرى: من القوّاد، تغلب على مصر، و خلع الطاعه فى السنه ٢٠٦، و ولى المأمون خالد ابن يزيد بن مزيد، مصر، فدفعه عبيد الله عنها، فولّى عبد الله بن طاهر، فلما قدم عبد الله فى السنه ٢١٠ مصر، بعث اليه ابن السرى هديه جليله، و هى ألف و صيف، يحمل كلّ و صيف كيسا من الحرير فيه ألف دينار، فردّ عبد الله الهديه، و أمره بمغادره مصر، فتركها إلى العراق حيث أنزل مدينه المنصور و مات بسامراء فى السنه ٢٥١ (الأعلام ٣٤٨/٤ و ابن الأثير ٣٩٦/٦-٣٩٩ و ٤٠٢ و [١] العيون و الحدائق ٣٦٧/٣-٣٦٩ و تجارب الأمم ٤٥٩/٦-٤٦١).

٣- الخوان: سفره الطعام، أو السماط، أو المائده، فارسيه.

٤- العناق: الأنثى من أولاد المعز، قبل استكمالها السنه.

٥- الشخب: صوت اندفاق اللبن من الضرع عند الحلب.

٦- سوق الهيثم: سوق كبيره متّصله، فى ربض الهيثم بن معاويه، فى مدينه المنصور، و يشتمل الربض على السوق و على منازل و دروب و سكك (البلدان لليعقوبى ٢٤٧).

حَبَّه فُضَّه فَمَا فَوْقَهَا، وَلَا فِي مَنْزِلِي مَا أُبِيعَهُ.

فِيَّئِي لَكَذَلِكَ، وَ مَا عِنْدِي طَعَامٌ، وَلَا مَا أُشْتَرَى بِهِ قُوْتٌ يَوْمِي، إِلَّا أَنَّ عِنْدِي نَبِيذٌ قَدْ أُدْرِكُ، وَأَنَا جَالِسٌ عَلَى بَابِ دَارِي ضَيْقِ الصَّدْرِ، أَفَكَّرَ فِيمَا أَعْمَلُهُ.

إِذْ أَجْتَازَ بِي صَدِيقٌ لِي، فَجَلَسَ إِلَيَّ، فَتَحَدَّثْنَا، فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الْمَقَامَ عِنْدِي، عَرَضَ مَعْدَّرٌ (١)، كَمَا جَرَى عَلَى لِسَانِي، فَأَجَابَنِي، وَقَعَدَ. فَانْقَطَعَ بِي، وَ تَمَنَّيْتُ أَنِّي خَرَسْتُ، فَلَمْ أَجِدْ بَدًّا مِنْ إِدْخَالِهِ مَنْزِلِي، فَأَدْخَلْتُهُ.

وَ قَمْتُ إِلَى أُمِّي فَعَرَفْتَهَا الْخَبْرَ، فَأَعْطَتْنِي مَقْنَعَتَهَا (٢)، وَ قَالَتْ: بَعْهَاءُ، وَ قَمْتُ بِأَمْرِكِ الْيَوْمَ، فَبِعْتَهَا بِثَلَاثَةِ دِرَاهِمٍ، وَ اشْتَرَيْتُ بِهَا خُبْزًا وَ سَمَكًا وَ بَقْلًا، وَ رِيحَانًا، وَ جِئْتُ بِهِ.

فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ، إِذْ مَرَّتْ بِي سَنُورٌ لِبَعْضِ الْجِيرَانِ، فَمَدَدَتْ يَدِي إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ ذَلُولٌ، فَقَبِضْتُ عَلَيْهَا، وَ ذَبَحْتُهَا، وَ سَلَخْتُهَا، وَ دَفَعْتُهَا إِلَى أُمِّي، فَقُلْتُ:

أَشْوِيهَا، فَفَعَلْتُ، وَ قَدَّمْتُهَا إِلَى صَدِيقِي، مَعَ مَا [١٨٤ م] اشْتَرَيْتَهُ، فَأَكَلْنَا.

فَذَكَرْتُ لِمَا وَقَعَتْ يَدِي عَلَى هَذِهِ الْعِنَاقِ، حَالِي تِلْكَ، وَ حَالَنَا الْيَوْمَ مِنَ السَّعَةِ وَ النِّعْمَةِ، وَ نَفَازِ الْأَمْرِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ.

وَ دَعَا بِمَالٍ عَظِيمٍ، وَ أَمَرَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِنِصْفِهِ بِمِصْرَ، وَ بَعَثَ نِصْفَهُ إِلَى مَكَّةَ وَ الْمَدِينَةَ، يَتَصَدَّقُ بِهِ هُنَاكَ.

وَ أَمَرَ بِالْخَوَانِ وَ مَا عَلَيْهِ أَنْ يَطْعَمَ لِلْمَسَاكِينِ، وَ دَعَا بِخَوَانٍ آخَرَ.

ص: ٢٨٦

١- المَعْدَّرُ: المَقْصَرُ فِي الْأَمْرِ، يَرِيدُ أَنَّهُ دَعَاهُ مِنْ دُونَ رَغْبَةٍ فِي دَعْوَتِهِ، وَ لَكِنْ كِي يَرْفَعُ عَنْهُ اللَّوْمَ.

٢- كَلَّ مَا يَغْطِي الرَّأْسَ، فَهُوَ قِنَاعٌ، وَ الْمَقْنَعَةُ: غِطَاءٌ لِلرَّأْسِ أَصْغَرَ مِنَ الْقِنَاعِ.

أبى أن يعطيه دينارا ثم أعطاه ألفى دينار

حدّثنى أبو بكر محمّد بن عبيد الله بن محمّد الرازى، المعروف بابن حمدون، [عن الحسن بن محمّد الأنبارى الكاتب، قال: كان لى أيام مقامى بأرجان جار تاجر، يعرف بجعفر بن محمّد، و كنت آنس به، فحدّثنى] (١)، قال:

كنت أحجّ دائما، و أنزل على رجل علوى، حسينى فقير، مستور، فألطفه، و أتفقّده.

فتأخّرت عن الحجّ سنه، ثم عاودت، فوجدته مثرى، فسررت، و سألته عن سبب ذلك.

فقال: كان قد اجتمع معى دريهمات على وجه الدهر، ففكرت، عام أول، فى أن اتزوّج، فإنّى كنت عزبا (٢)، كما قد علمت.

ثم علمت أنّ فرض الحجّ قد تعيّن علىّ، فرأيت أن أقدم أداء الفرض، و أتوكل على الله عزّ و جلّ، فى أن يسهل لى -بعد ذلك- ما أتزوّج به.

فلما حججت، طفت طواف الدخول، و أودعت رحلى، و ما كان معى، فى بيت من خان، و أقفلت بابه، و خرجت إلى منى (٣).

ص: ٢٨٧

١- الزيادة من غ و ن.

٢- العزب: بفتح، الذى لا أهل له من الرجال و النساء.

٣- منى: موضع رمى الجمار فى الحرم، بليده على فرسخ من مكّه، تعمّر أيام الموسم، و تخلو بقيه السنه إلاّ -ممن يحفظها (معجم البلدان ٤/٦٤٢) [١] أقول: نزلت بمنى لما حججت فى السنه ١٩٦٤ فوجدتها بليده، و العمران فيها قليل جدا، و ذكروا أنّ سبب قلّه العمران بها، أنّ الفقهاء أفتوا بأنّها مشعر من المشاعر، فلا يجوز لأحد أن يقطع منها قسما يستأثر به و يمنع الحاجّ من النزول فيه، أو بالبناء المبنى فيه، و هى تكاد تكون، فى غير موسم الحاجّ خاليه، فإذا حلّ الموسم اكتظّت بالحجاج اكتظاظا عظيما، حتى أنى فى ثالث الأضحى، استأجرت فى الثانيه عشره ظهرا سياره توصلنى إلى مكّه، فلم أصل إلاّ فى الرابعه، مع وجود أربعة طرق عريضه للسيارات، عدا الطرق المخصّصه للمشاه.

فلما عدت، وجدت البيت مفتوحاً، فارغاً، فتحيّرت، ونزلت بي شدة ما مرّ بي قطّ مثلها.

فقلت: هذا أعظم للثواب، فما وجه الغمّ، فاستسلمت لأمر الله عزّ وجلّ.

فجلست في البيت، لا حيله لي، ولا تسمح نفسي بالمسألة، فاتّصل مقامى ثلاثة أيام، ما طعمت فيها شيئاً.

فلما كان في اليوم الرابع، بدأ في الضعف سحراً، وخفت على نفسي، و ذكرت قول جدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله: ماء زمزم لما شرب له، فخرجت أريدها حتى شربت منها، و رجعت أريد باب إبراهيم الخليل (1) على نبيّنا و عليه أفضل الصلاة و السلام لأستريح فيه.

فبينما أنا أسير، إذ عثرت في الطريق بشيء أوجع إصبعي، فأكبت عليه لأمسكه، فوقعت يدي على هميان آدم (2) أحمر كبير، فأخذته. فلما حصل في يدي، ندمت، و علمت أنّ اللقطة - ما لم تعرّف - حرام.

و قلت: إن تركته الآن، كنت أنا المضيّع له، و قد لزمني أن أعرفه، و لعلّ صاحبه، إذا رجع إليه، أن يهب لي شيئاً أقتاته حالاً.

فجئت إلى بيتي، و فتحت الهميان (3)، فإذا فيه دنانير صفر، تزيد على ألفي دينار.

فسددته، و رجعت إلى المسجد، فجلست عند الحجر (4)، و ناديت: من ضاع

ص: ٢٨٨

١- باب إبراهيم: أحد أبواب الحرم، اعتبره ابن جبير في رحلته (ص ٧٤) منسوباً للنبيّ إبراهيم الخليل، فقال: باب إبراهيم الخليل صلّى الله عليه و سلّم، في زاوية كبيرة، فيها دار إمام المالكية في الحرم، و فيها خزانه للكتب، أما ابن بطوطه، فقد ذكر في رحلته (ص ١١١) باب إبراهيم و قال: إنّ البعض ينسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، و الصحيح أنه منسوب إلى إبراهيم الخوزي من الأعاجم.

٢- الأديم: الجلد المدبوغ.

٣- الهميان: راجع حاشية القصّه ٢٤٥ من هذا الكتاب.

٤- الحجر، بكسر الحاء و سكون الجيم: موضع بجانب الكعبة، فيه قبر هاجر أم اسماعيل عليه السلام (معجم البلدان ٢٠٨/٢).

له شيء، فيأتي بي بعلامته، و يأخذه.

فانقضى يومى، و أنا أنادى، و ما جاءنى أحد، و أنا على حالى من الجوع.

و بتّ فى بيتى، ليلتى كذلك، و عدت إلى الصفا و المروه (١)، فعزّفته عندهما يومى، حتّى كاد [١٨٨ غ] ينقضى، فلم يأتنى أحد.

فضعفت ضعفا شديدا، و خشيت على نفسى، فرجعت متحاملات ثقيلات حتّى جلست على باب إبراهيم الخليل، على نبيّنا و عليه السلام، و قلت قبل انصرافى: إننى قد ضعفت عن الصياح و أنا ماض أجلس على باب إبراهيم، فمن رأيتموه يطلب شيئا ضاع منه، فأرشدوه إليّ.

فلمّا قرب المغرب، و أنا فى الموضوع، إذا أنا بخراسانى ينشد ضالّه، فصحت به، و قلت له: صف لى ما ضاع منك [١٩٣ م]، فأعطانى صفه الهميان بعينه، و ذكر وزن الدنانير و عددها.

فقلت: إن أرشدتك إلى من يرده عليك، تعطينى منه مائه ديناراً؟.

قال: لا.

قلت: فخمسين ديناراً؟

قال: لا.

قلت: فعشره دنانير؟

قال: لا.

فلم أزل أنزل معه، حتّى بلغت إلى دينار واحد.

فقال: لا، إن رأى من هو عنده، أن يرده إيماناً و احتساباً، و إلاّ فهو أبصر، و ولى لينصرف [١٨٩ ر].

فورد علىّ أعظم وارد، و هممت بالسكوت، ثمّ خفت الله سبحانه و تعالى،

ص: ٢٨٩

١- الصفا و المروه: أومتان فى مكّه، قرب المسجد الحرام، و السعى بينهما من مناسك الحجّ، راجع معجم البلدان ٣/٣٩٧ و ٤/٥١٣.

و أشفقت أن يفوتني الخراساني.

فصحت به: إرجع، إرجع، وأخرجت الهميان، فدفعته إليه، فأخذه، و مضى، و جلست، ليس لي قوه على المشى إلى بيتي.

فما غاب عني إلا قليلا، حتى عاد، فقال لي: من أي البلاد أنت، و من أي الناس؟.

قال: فاغتظت منه غيظا شديدا، و قلت: ما عليك، هل بقي لك عندي شيء؟

قال: لا، و لكنني أسألك بالله العظيم، من أي الناس و البلاد أنت؟ فعرفني، و لا تضجر.

فقلت: رجل من العرب، من أهل الكوفه.

فقال: من أيهم أنت، و اختصر؟

فقلت: رجل من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب، رضى الله عنهم.

فقال: ما حالك و مالك؟

قلت: لا- أملك في هذه الدنيا كلها إلا ما تراه، و قصصت عليه حال محنتي و ما كنت طمعت فيه أن يعطينيه من الهميان، و ما قد انتهيت إليه من الضعف من الجوع.

فقال: أريد من يعرفني صحه نسبك و حالك، حتى أقوم بجميع أمرك كله.

فقلت: ما أقدر على المشى للضعف، و لكن إئت الطواف، و صح بالكوفيين، و قل: رجل من بلدكم، علوي، بباب إبراهيم، يريد أن يجيئه منكم من ينشط لحال هو فيها، فمن جاء معك فهاته.

فغاب غير بعيد، ثم جاء و معه من الكوفيين جماعه اتفق أنهم كلهم كانوا يعرفون باطن حالي.

فقالوا: ما تريد أيها الشريف (1)؟

ص: ٢٩٠

١- الشريف: تعبير يطلق على من كان من السلاله النبويه.

فقلت: هذا رجل يريد أن يعرف حالى، و نسبى، لشيء بينى و بينه، فعرفوه ما تعرفون من ذلك.

قال: فعرفوه صحه نسبى، و وصفوا له طريقتى، و عدمى.

فمضى، و جاء فأخرج الهميان بعينه، كما سلمته إليه، فقال: خذ هذا بأسره، بارك الله لك فيه.

فقلت: يا هذا، ما كفاك ما عاملتنى به، حتى تهزأ بى، و أنا فى حال الموت.

قال: معاذ الله، هو لك، و الله.

فقلت: فلم بخلت علىّ بدينار منه [١٨٩ غ]، ثم وهبت لى الجميع؟

فقال: ليس الهميان لى، و ما كان يجوز لى أن أعطيك منه شيئاً، قلّ أو كثر، و إنّما أعطانيه رجل من بلدى، و سألتنى أن أطلب فى العراق، أو فى الحجاز، رجلاً علويًا، حسينيًا، فقيرًا، مستورا، فإذا علمت هذا من حاله، أغنيته، بأن أسلم إليه هذا المال كلّ، ليصير أصلاً لنعمه تنعقد له، فلم تجتمع لى هذه الصفات قبلك فى أحد، فلما اجتمعت فيك، بما شاهدته من أمانتك، و فقرك، و عفتك، و صبرك، و صحّ عندى نسبك، أعطيتك.

فقلت له: يرحمك الله، إن كنت تحبّ استكمال الأجر، فخذ منه دينارًا، و ابتع لى به دراهم، و اشتر بها ما آكله، و صر به إلى الساعه هاهنا.

فقال: لى إليك حاجه.

قلت: قل.

قال: أنا رجل موسر، و الذى أعطيتك ليس لى فيه شيء، كما عرفتك، و أنا أسألك أن تقوم معى إلى رحلى، فتكون فى ضيافتى إلى الكوفه، و تتوفّر عليك دنانيرك.

فقلت: ما فى حرّكه، فاحتل فى حملى، كيف شئت.

فغاب عنى ساعه، و جاء بمركوب، و أر كنيه إلى رحله، و أطعمنى فى الحال

ما كان عنده، و قطع لى من الغد [١٩٤ م] ثيابا و كان يخدمنى بنفسه، و عادلنى فى عمّاريتّه (١) إلى الكوفه، فلما بلغتّها، أعطانى من عنده دنانير آخر، و قال لى:

تزوّد بها بضاعه، و فارقتّه، و أنا أدعو له، و أشكره، و لم أمسّ الهميان.

و أخذت [٢٣ ن] أنفق من الدنانير الّتى أعطانيها الرّجل، باقتصاد، إلى أن اتّفقت لى ضيعه رخيصه، فابتعتها بالهميان، فأغلّت، و أثمرت، و أنا، من الله عزّ و جلّ، فى نعمه جزيله، و خير كثير، و الحمد لله على ذلك.

ص: ٢٩٢

١- العمّاريه: شبه اليهودج، يوضع على ظهر الدابّه، و يركب فيه المسافر.

سافر إلى الموصل ثم إلى نصيبين

في طلب التصرف حتى إذا أيس جاءه الفرج

و ذكر القاضي أبو الحسين، في كتابه، قال: قال بعضهم:

لحقتني نكبه في بعض الاوقات، و تطاولت عليّ الأيام في العطله، و ركبني دين فادح، و بعث آخر ما كان في ملكي.

فصار إليّ صديق لي، حاله مثل حالي في العطله، فقال: هل لك أن نخرج إلى الموصل (١)، فإنّ عاملها فلان، ولى به حرمه، فنتطلب منه تصرفاً.

فقلت: أفعل.

فاحتلت نفقه، و خرجنا، حتى دخلنا الموصل، فوجدنا العامل يريد الرحيل إلى ديار ربيعه (٢).

قال: فلقية الرجل، و لم يتهيأ لي لقاءه، و خرجنا إلى ناحيه، فلقيته أنا هناك، فوجدت [١٧٦ م] جميلاً، و سرت إلى نصيبين، و قد نفدت نفقتي.

و كشف لنا العامل هناك، أنه قد قلد مصر، مضافاً إلى أعماله، و أنه يريد الخروج إليها.

ص: ٢٩٣

١- الموصل: قال ياقوت في معجم البلدان ٤/٦٨٢-٦٨٥ إنها إحدى قواعد بلاد الإسلام، و هي باب العراق، و إنما سميت الموصل، لأنها وصلت بين الشرق و الغرب، و هي كثيره الخيرات، عذبه الماء، صحيحه الهواء، شديد الحز في الصيف، شديد البرد في الشتاء. أقول: و قد عانيت، أنا، من برد الموصل، فقد نقلت إليها قاضياً، في خريف السنه ١٩٣٦، و مكثت فيها شهراً، و كنت قد أعددت لنفسي ثياباً ثقيه، و معطفاً، و لكنني لاقيت فيها ما لا عهد لي به من البرد، فاضطرت إلى استعاره عباءه صوف ثقيه من أحد أصدقائي هناك، السيد رؤف المفتي رحمه الله، أحد القضاة المتقاعدين.

٢- ديار ربيعه: ما بين الموصل إلى راس عين، و ما بينها من المدن و القرى يسمى ديار ربيعه، لأن أهلها كلهم من ربيعه، و تعبير الجزيره يشمل ديار ربيعه و ديار بكر (معجم البلدان ٢/٦٣٧).

فقلت لصديقي: إنه لم تبق معي نفقه، ولا في فضل للخروج إلى مصر، فأعطاني من نفقته.

وقد كان صديقي تقلد من قبل العامل عملا جليلا، و خرج إليه، وأقامت أنا بنصيين، وأقام العامل بها، ليصلح أمره و يخرج إلى مصر، و عملت أنا على أن أتحمّل بما أعطانيه صديقي، و أرجع إلى بغداد (١).

فغلب عليّ ضيق الصدر، و الهَمّ، و استدعيت المزيّن ليصلح شعري، فهو بين يديّ، إذ دخل عليّ غلام العامل، فقال: صاحبي يطلبك، و قد قلبنا عليك الدنيا منذ أمس، فلم نعرف منزلك إلا الساعة.

ففرغت من شغلي مع المزيّن، و توضّأت، و ركبت، و كان يوم الجمعة، فلمّا صرت في دار العامل، لقيني غلامه، و كان حاجبه، فقال: نحن في طلبك منذ أمس، فلم توجد، و قد قام الآن عن مجلسه، و أخذ في التشاغل بأمر الصلاة، و لكن بكر في غد.

قال: فضعف في نفسي، و قلت: إنه ما أرادني لخير، و عملت على أن أنحدر تلك العشيّة إلى بغداد.

فلم يدعني غلامي، و قال: أقلّ ما في الأمر، أن يكون الرّجل قد تدمّم من

ص: ٢٩٤

١- بغداد: حاضره العراق الآن، و عاصمه العباسيين الزاهرة، و عاصمه العالم الإسلامي مدّه طويله من الزمان، قال عنها ياقوت: إنها أمّ الدنيا، و سيده البلاد (معجم البلدان ١/٦٧٧)، و [١] قال عنها أبو إسحاق الزجاج: بغداد حاضره الدنيا، و ما سواها باديه (لطائف المعارف ١٧٠) و قال عنها اليعقوبي: بغداد وسط الدنيا، و سرّه الأرض (البلدان ٢٣٣) و قال عنها المقدسي: مصر الاسلام، و مدينه السلام (أحسن التقاسيم ١١٩) و قال عنها ابن بطوطه: مدينه دار السلام و حضره الاسلام، ذات القدر الشريف، و الفضل المنيف (مهدب رحله ابن بطوطه ١٧٢/١)، للتفصيل، راجع دائره المعارف الاسلاميه ٣/٤-٢١ و معجم البلدان ١/٦٧٧-٦٩٣ و [٢] لطائف المعارف ١٧٠-١٧٣ و البلدان لليقوبي ٢٣٣-٢٥٤ و أحسن التقاسيم للمقدسي ١١٩-١٢٢ و مهدب رحله ابن بطوطه ١٧٢/١-١٧٧ و رحله ابن جبير ١٧٣-١٨٤ و [٣] تاريخ بغداد للخطيب ٣/١-١٣١ و كتاب بغداد مدينه السلام، [٤] إخراج نقابه المهندسين العراقيين سنه ١٩٦٩، و كتاب دليل خارطه بغداد قديما و حديثا تأليف الدكتور مصطفى جواد و الدكتور أحمد سوسه.

اتباعك إياه إلى هاهنا، فيطلق لك نفقه، و نحن مضيقون.

فعلت أنّ الصواب في لقائه، فأقمت، و بكرت من غد، فدخلت إليه، فعاتبني على انقطاعي عنه.

و قال: أنا مفكر في أمرك، و قد غمّني طول تعطّلك، مع قصدك إتياء من بغداد، و مسيرك معي إلى ها هنا، ثمّ التفت إلى كاتب بين يديه، فقال: أكتب له كتاب التقليد، للإشراف على الضياع بديار مضر (١)، و أحل النفقه على الثغور الجزريّه [١٧١ غ]، و استقبل برزقه، و هو مائه و خمسون ديناراً، في كلّ شهر، الوقت الذي جاءنا فيه إلى الموصل (٢).

قال: فشكرته، و اضطربت من قلّه الرزق.

فقال: إقبل هذا، و لا تخالفني، إلى أن يسهّل الله -جلّت عظمته- غيره، فقامت مفكراً، من أين أصلح أمرى، و أتحمّل إلى العمل، و أنفق إلى أن أصل إليه.

قال: فما خرجت من الدار حتّى ردّني، فقال: بالباب قوم يحتاج إلى إثباتهم، فاجلس، و أثبتهم، و اعمل لهم جرائد (٣) بأسمائهم، و حلاهم (٤)، و أرزاقهم، و استقبالاتهم، و جئني بها.

فتشاغلت بذلك يومين، و ثلاثه، و جئت بالجرائد، فلما وقف عليها أعجبته، و قال: أرى عملك، عمل فهم بالجيش.

فقلت: ما عملته قط إلا مرّه واحده.

ص: ٢٩٥

١- ديار مضر: المنطقه التي تشمل السهل الواقع شرقي الفرات نحو حرّان و الرقّه و شمشاط و سروج و تل موزن (معجم البلدان ٦٣٧/٢).

٢- يعني أنّه أمر الكاتب أن يحتسب للرجل رزقه، أي راتبه الشهري، اعتباراً من تاريخ خروجه معه من الموصل، لا- من تاريخ مباشرته بالعمل الذي أناطه به.

٣- الجريده: القائمه.

٤- الحلّي، بضم الحاء و كسرهما، مفردّها: الحلّيه و تعنى شكل الإنسان، و لونه، و هيأته.

فقال: لم أقل هذا لأنك تقصر في نفسى عن غيره، ولكن ينبغي للكاتب، و العامل، أن يحسنا كل شىء يقع عليه اسم كتابه و عماله.

ثم قال: خذ هذا الصك، و اقبض ما فيه من الجهبذ، و اجلس في المسجد المحاذى لدارى، و أنفق في الصنف الفلانى من أهل هذه الجريده.

قال: فأخذت الصك و كان بألوف دنانير، فأخذت ماله، و أنفقت في القوم، و تفرقوا و هم شاكرون، و فضل مال من ذلك، و كتبت إليه بخبره، و استأمرته فيما أعمل به.

فقال: خذه من رزقك.

و أعطانى مالا ثانيا، و قال: أنفقه في الصنف الآخر، إلى أن انفقت في جميع أهل الجريده، فحصل لى من ذلك، زياده [١٧٧ م] على ألف دينار، فجعلتها في طريقى لنفقتى.

و شخصت قبله إلى ديار مصر، فنظرت في العمل، و سار هو مجتازا إلى مصر.

و استأذنته في المسير إليها معه، فقال: لا أحب أن أعجل لك الصرف، و نحن نمضى إلى أعمال فيها قوم، و لعلّى أقف من حالهم على ما لا يجوز معه صرفهم، فتحصل أنت على الصرف المعجل، و لكن أقم بمكانك و عملك، و أسير أنا، فإن احتجت إلى متصرفين، كنت أول من استدعيته.

فشكرته، و أقمت في عملى سنتين، أثريت فيهما، و عظمت حالى، و لم يتفق استدعاؤه إياى إلى مصر، إلى أن صرفت، و انسلت من الرقه، و دخلت بغداد، موثرا، و معى مال جليل، فابتعت به ضيعه، و لزمته، و تركت التصرف (١).

ص: ٢٩٤

١- لا توجد هذه القصه فى ر.

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

و ذكر أبو الحسين القاضي، قال: حدثني أبي، عن بعض إخوانه، أحسبه أبا يوسف يعقوب بن بيان، أنه قال:

أملق بعض الكتاب في أيام الرشيد حتى أفضى إلى بيع أنقاض داره، و نقض ما فيها، فلم يبق فيها إلا بيتا واحدا، كان يأوى إليه و ولده، و انقطع عن الناس، و انقطعوا عنه دهرًا [١٥ ن].

و كان الرشيد يولّي [على أذربيجان] في كلّ سنتين أو ثلاثه، رجلا من بنى هاشم.

فولّاهما سنه من السنين، رجلا - منهم كان متعطّلا - فطلب كاتبًا فارها يصطنعه، و شاور فيه صديقا له من الكتاب، فوصف له هذا الرجل المتعطّل، و وعده بإحضاره، و صار إليه، و طرق الباب عليه، و دخل، فوجده من الفقر على حال لا يتهيأ له معها لقاء أحد.

فبعث إليه من منزله بخلعه من ثيابه، و دابّه، و غلاما، و بخورا، و دراهم، فركب معه إلى الهاشمي، فلقيه.

و امتحنه الهاشمي، فوجده بارعا في صناعته، فاستكتبه، و قرّر جاريه، و أمر له بمال معجّل معونه له على سفره، و أمره بأن يتقدّمه إلى أذربيجان.

فعاد الرجل إلى منزله، و أصلح من حاله، و خلف نفقه لعياله، و شخص.

فلما بلغ المصروف الخبر، رحل عن البلد، و أخذ غير الطريق الذي بلغه أنّ الكاتب قد سلّكها، و خلف كاتبه لرفع الحساب.

فلما شارف كاتب الوالي الناحية، خرج إليه كاتب المعزول و لقيه، فسأله عن صاحبه، فأعلمه شخوصه إلى مدينه السلام، فأنكر ذلك.

فقال له كاتب المعزول: مل بنا إلى موضع نجلس فيه، و نتحدّث، و ترى رأيك، فمالا، و نزلا، و طرح [١٨٠ م] لهما ما جلسا عليه.

فقال: أعزّك الله لا- تنكر انصراف صاحبي، فإنّه رجل كبير المقدار، و فى مقامه إلى أن تصيروا إلى العمل، مهانه تلحقه، و قد خلف قبلى، خمسين و مائه ألف درهم لصاحبك، و دوابا و رقيقا بقيمه ثلاثه آلاف درهم، فاقبض ذلك، و اكتب لنا كتابا يزاخه علّتك، و انفصال ما بيننا و بينك، و نحن نصب لك من يرفع الحساب، رفع من لا يستقصى عليه، و لا يعنت.

فقبل كاتب الوالى ذلك، و ركبا، و قد زال الخلاف فيما بينهما، و خرج الكاتب لاحقا بصاحبه، و خلف من يسلم الحساب.

و اتصل ظاهر الخبر بالهاشمى الوالى، و كتب إليه كاتبه: إننى قد بلغت من الأمر مبلغا مرضيا، إذا وقفت عليه.

فلما ساروا إلى الناحيه، عرف ما جرى، فحسن موقعه، و تبرّك بالكاتب، و غلب على قلبه، فكسب مالا عظيما.

فلما مضت ثلاث سنين، صرف الهاشمى بالرجل الذى كان واليا قبله، و بلغ الهاشمى الخبر.

فقال لكاتبه: ما الرأى؟

قال: نفعل به مثلما فعل بنا، و ترحل أنت، و أقيم أنا، و معى مثل ما أعطانا، فأعطيه إياه، و آخذ كتابه بانفصال ما بيننا و بينه، و ألحق بك، ففعل.

و وافى كاتب الصارف، الذى كان معروفا، فتلقاه الكاتب فى الموضوع الذى لقيه فيه، لما كان معزولا مصروفا، فسلم عليه، و عدلا فنزلا، و عرض عليه ما خلفه صاحبه، له، و لصاحبه، و سأله قبول ذلك، و الكتاب بمثل ما كان كتب الى الرّشيد، فامتنع من قبول ذلك، و كتب له بانفصال ما بينهما، إلى الرّشيد، كتابا و كيدا.

و قال له: أراك فاضلا، فطنا، و أرى صاحبك عاقلا، و قبول ذلك، لا يكون

منكما مكافأه، بل كأنه بيع و شراء، و قد فكّرت في أمر، هو أنفع-لنا و لكم- من هذا.

قال: ما هو؟

فقال: أعقد بين صاحبك و صاحبي صهرا، و بيني و بينك صهرا، و نكون إخوه و أصدقاء.

فقال: فعل الله بك و صنع، ما في الدنيا أكرم ولايه، و لا صرفا منك.

فعقدا بينهما الصهرين، و سارا إلى مقصدهما، و دخل الكاتب بغداد، و قد حصل الهاشمي صاحبه، فأخبره الخبر، فأحمد رأييه، و أمضى عقده في المصاهره.

فصار الكاتب من أرباب الأحوال، و عاد إلى أفضل ما كان عليه (١).

ص: ٢٩٩

١- انفردت م بهذه القصّه.

هاك يا هذا الذى لا أعرفه

و ذكر القاضى أبو الحسين فى كتابه، قال: روى عن شيخ من أهل الكوفه، قال:

أملت و بلغت بى الحال أن نقضت منزلى، فلما اشتدّ على الأمر، و تجرّد عيالى من الكسوه، جاءتنى الخادمه، فقالت: ما لنا دقيق، و لا معنا ثمنه، فما نعمل؟ [١٨٢ م].

فقلت: أسرجى حمارى، و قد كان بقى لى حمار.

فقلت: ما أكل شعيرا منذ ثلاث، فكيف تركبه؟

فقلت: أسرجيه على كلّ حال، فأسرجته، فركبته، أدبّ عليه، هاربا ممّا أنا فيه، حتى انتهيت إلى البصره.

فلما شارفتها إذا أنا بموكب مقبل، فلما انتهوا إلىّ، دخلت فى جملتهم، فرجعت الخيل تريد البصره، ففسرت معهم حتى دخلتها، و انتهى صاحب الموكب إلى منزله، فنزل، و نزل الناس معه، و نزلت معهم.

و دخلنا، فإذا الدهليز مفروش، و الناس جلوس مع الرجل، فدعا بغداء، فجاءوا بأحسن غداء، فتغديت مع الناس، ثم وضّأنا، و دعا بالغاليه، فعلفنا بها (١).

ثم قال: يا غلمان، هاتوا سفطا (٢)، فجاءوا بسفط أبيض مشدود، ففتح فإذا فيه أكياس، فى كلّ كيس ألف درهم، فبدأ يعطى من على يمينه، فأمرها

ص: ٣٠٠

١- الغاليه: أخلاط من الطيب، و المتعطرّ بها يمسح بها شعر رأسه و لحيته، فكأنّه يغلف بها رأسه.

٢- السفط: وعاء كالقفه أو الجوالق (المنجد)، أقول: السفط عند البغداديين، حقّ ذو أطواق، يصنع من القشّ، و يتخذ لحفظ الحلى و الأشياء الدقيقه، و ما يزال، سائرا فى بغداد، المثل العربى: قد يوجد فى الأسقاط، ما لا يوجد فى الأسفاط.

عليهم، ثم انتهى إليّ و أعطاني كيسا، ثم ثني و أعطاني آخر، ثم ثلث و أعطاني آخر، و أخذت الجماعة.

و بقي في السفط كيس واحد، فأخذه بيده، و قال: هاك يا هذا الذي لا أعرفه.

فأخذت أربعه أكياس، و خرجت،

فقلت لانسان: من هذا؟

قال: عبيد الله بن أبي بكره (1).

ص: ٣٠١

١- لم ترد هذه القصيه في ر و لا- في غ، و عبيد الله بن أبي بكره، هو أبو حاتم عبيد الله بن أبي بكره الثقفي (١٤-٧٩):
[١] بصري، تابعي، ثقفي، ولى إماره سجستان، ثم ولى قضاء البصره، و أخباره في الجود متواتره، و كان ينفق على أربعين دارا من جيرانه، في جهات داره الأربع، و يعتق في كل عيد مائه عبد (الأعلام ٣٤٥/٤).

أول دخول الأصمعي إلى الرشيد

و ذكر أبو الحسين في كتابه أيضا، أنّ الأصمعي قال:

لزمت باب الرشيد، فكنت أقيم عليه طول نهارى، و أبيت بالليل مع الحراس أسامرهم، و أتوقع طالع سعد، حتى كدت أموت ضرا و هزالا، و أن أصير إلى ملاله، ثم أتذكر ما فى عاقبه الصبر من الفرج، فأؤمل صلاح حالى باتفاق محمود، فأصبر.

فيينا أنا ذات ليله، و قد قاسيت فيها السهاد و الأرق، إذ خرج بعض الحجاب، فقال [١٧٨ غ]: هل بالباب أحد يحسن الشعر؟

فقلت: الله أكبر، ربّ مضيق فكّه التيسير، أنا ذلك الرجل.

فأخذ ييدى، و قال: ادخل، فإن ختم لك بالسعادة، فلعلها أن تكون ليله تقرّ عينك فيها بالغنى.

فقلت: بشرك الله بخير، و دخلت، فواجهت الرشيد فى البهو جالسا، و الخدم قيام على رأسه، و جعفر بن يحيى البرمكى، جالس إلى جنبه.

فوقف بى الحاجب حيث يسمع تسليمى، فسلمت، ثم قال: تنح قليلا حتى تسكن، إن كنت وجدت روعه.

فقلت فى نفسى: فرصه تفوتنى آخر الدهر، إن شغلت بعارض، فلا أعتاض منها إلا كمدا، حتى يصفق علىّ الضريح، فقلت: إضاءه كرم أمير المؤمنين، و بهاء جدّه، يجردان من نظر إليه من أذيه النفس، يسألنى -أيده الله- فأجيب، أو أبتدىء فأصيب؟

فتبسم إلى جعفر، و قال: ما أحسن ما استدعى الإحسان، و حرى به أن يكون محسنا.

ثم قال لى: أ شاعر أنت، أم راويه للشعر؟

قلت: راويه.

قال: لمن؟

قلت: لكلّ ذى جدّ و هزل، بعد أن يكون محسنا.

فقال: أنصف القاره من راماه.

ثم قال: ما معنى هذه الكلمه؟

قلت: لها وجهان، زعمت التابعه، أنه كان لها رماه لا تقع سهامها فى غير الحدق، فكانت تكون فى الموكب الذى يكون فيه [١٨ ن] الملك، فخرج فارس معلم بعذبات سمور فى قلنسوته، فنادى: أين رماه الحدق؟

فقلت العرب: أنصف القاره من راماه.

و الوجه الآخر: الموضع المرتفع من الأرض، و الجبل الشاهق، فمن ضاهاه بفعاله فقد راماه، و ما أحسب هذا هو المعنى، لأنّ المرماه، كالمعاطاه، و كما أنّ المعاطاه للنديم، هى أن يأخذ كأسا، و يعطى كأسا، كذلك المرماه، أن يرميها و ترميه.

فقال: أصبت، فهل رويت للعجاج بن رؤبه (١) شيئا؟

قلت: الأكثر.

قال: أنشدنى قوله:

أرّقنى طارق همّ طرّقا

فمضيت فيها مضىّ الجواد، تهدر أشداقى، فلمّا بلغت مدحه لبنى أميّه، ثنيت عنان اللسان، لامتداحه المنصور.

ص: ٣٠٣

١- كذا فى الأصل، و أحسب أن الصحيح: رؤبه بن العجاج، الراجز المشهور، إذ أنّ والده العجاج بن رؤبه، توفّى فى السنه ٩٠ و لم يدرك المنصور، و أنّما أدركه ولده أبو الجحّاف رؤبه، إذ كان من مخضرمى الدولتين الأمويّه و العبّاسيّه، و مات بالباديه سنه ١٤٥ (الأعلام ٦٢/٣ و ٢١٧/٤).

فقال: أعن عمد، أو غير عمد؟

فقلت: عن عمد، تركت كذبه إلى صدقه، بما وصف فيه المنصور من مجده.

فقال جعفر: بارك الله عليك، مثلك يؤهل لمثل هذا الموقف.

ثم التفت إلى الرشيد، فقال: أرويت لعدى بن الرقاع (١)، شيئاً؟

قلت: الأكثر، قال: أنشدني قوله:

بانة سعاد و أخلفت ميعادها

فابتدأت تهدير أشدائي، فقال جعفر: يا هذا أنشد علي [١٨٥ م] مهل، فلن تنصرف إلا غانما.

فقال الرشيد: أما إذ قطعت علي، فأقسم، لتشركني في الجائزه.

قال: فطابت نفسي، فقلت: أ فلا- ألبس أ رديه التيه على العرب، و أنا أرى الخليفه و الوزير يتشاطران لى المواهب، فتبسّم، و مضيت فيها.

ثم قال: أرويت لذي الرّمه (٢) شيئاً؟ قلت: الأكثر، قال [١٧٩ غ] أنشدني قوله:

أمن حذر الهجران قلبك يطمح

فقلت: عروس شعره.

قال: فأية الختن (٣)؟ قلت: قوله، يا أمير المؤمنين:

ما بال عينيك منها الماء ينسكب

ص: ٣٠٤

١- أبو داود عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى: ترجمته فى حاشيه القصّه ٢٩٠ من الكتاب.

٢- أبو الحارث غيلان بن عقبه بن نهيس بن مسعود العدوى، المعروف بذي الرّمه (٧٧-١١٧): شاعر من فحول الطبقة الثانيه، مقيم بالباديه، يجيد التشبيه و النسيب (الأعلام ٣١٩/٥).

٣- كذا وردت فى م و فى ن.

فقال: امض فيها، فمضيت فيها، حتى انتهيت إلى وصفه جملة.

فقال جعفر: ضيق علينا ما اتسع من مسامره السهر، بجمل أجرب.

فقال الرشيد: أسكت، فهى التى سلبتكَ تاج ملكك، و أزعجتك عن قرارك، ثم جعلت جلودها سياتا، تضرب بها أنت و قومك عند الغضب.

فقال جعفر: الحمد لله، عوقبت من غير ذنب.

فقال الرشيد: أخطأت فى كلامك، لو قلت: أستعين بالله، قلت صوابا، إنّما يحمد الله تعالى على النعم، و يستعان على الشدائد.

ثم قال لى: إنّى لأجد مللا، و هذا جعفر، ضيف عندنا، فسامره باقى ليلتك، فإذا أصبحت، فإنّ وضاء الخادم، يلقاك بثلاثين ألف درهم.

قال: ثم قرّبت إليه النعل، فجعل الخادم يصلح عقب النعل فى رجليه، فقال: ارفق ويحك، أحسبك قد عقرتنى.

فقال جعفر: قاتل الله العجم، لو كانت سنديّه، ما احتاج أمير المؤمنين إلى هذه الكلفه.

فقال: هذه نعلى و نعل آبائى، ما تدع نفسك و التعرّض لما تكره.

ثم قال لى جعفر: لو لا- أنّ المجلس مجلس أمير المؤمنين، و لا- يجوز لى فيه أن أمر بمثل ما أمر به، لأمرت لك بثلاثين ألف درهم، و لكننى أمر لك بتسعه و عشرين ألف درهم، فإذا أصبحت فاقبضها و الزم الباب.

قال: فما صلّيت من غد الصبح، إلّا و فى منزلى ما أمر لى به، فأيسرت و لزمتهما، و زال ما كنت فيه من الضرّ، و أتى الإقبال، و النعمه و السلامه، و أفلحت، و لله الحمد (١).

ص: ٣٠٥

١- لم ترد هذه القصّه فى ر.

قصه حائك الكلام

و ذكر أبو الحسين القاضي، في كتابه، قال: بلغني عن عمرو بن مسعده، أنه قال:

كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم، حتى إذا نزل الرقعة، قال لي:

يا عمرو، أما ترى الرخجي (١)، قد احتوى على الأهواز، وهي سلّة الخبز، و جميع الأموال قبله، و قد طمع فيها، و كتبى متصله في حملها، و هو يتعلّل، و يتربّص بنا الدوائر.

فقلت: أنا أكفي أمير المؤمنين هذا، و أنفذ من يضطرّه إلى حمل ما عليه.

فقال: ما يقنعني هذا.

قلت: فيأمر أمير المؤمنين بأمره.

قال: تخرج إليه بنفسك، حتى تصفّده بالحديد، و تحمله إليّ، بعد أن تقبض جميع ما في يده من أموالنا، و تنظر في ذلك، و ترتّب فيه عمالاً.

فقلت: السمع و الطاعة، فلما كان من غد، دخلت إليه.

فقال: ما فعلت فيما أمرتك به؟

قلت: أنا على ذاك.

قال: أريد أن تجيئني في غد مودّعا.

قلت: السمع و الطاعة، فلما كان من غد، جئت مودّعا.

فقال: أريد أن تحلف لي، أنك لا تقيم بيغداد إلا يوماً واحداً، فاضطربت من ذلك، إلى أن حضر عليّ و استخلفني أن لا أقيم فيها أكثر [١٨٠ غ] من ثلاثة أيام، فخرجت، و أنا مضطرب مغموم.

ص: ٣٠٦

و قلت فى نفسى: أنا فى موضع الوزاره، و قد [١٨٦ م] جعلنى مستحثًا إلى عامل، و مستخرجا، و لكنَّ أمر الخليفه لا بدَّ من سماعه، و امتثال مرسومه.

و سرت حتى قدمت بغداد، و لم أقم بها إلاَّ ثلاثه أيام، و انحدرت منها فى زلزال (١)، أريد البصره (٢)، و جعل لى فيه خيش، و استكثرت من الثلج لشده الحرّ.

فلما صرت بين جرجرايا (٣)، و جبّيل (٤)، سمعت صائحا من الشاطئ، يصيح:

يا ملاح، فرفعت سجف الزلّال، فاذا بشيخ كبير السنّ حاسر الرأس، حافى القدمين، خلق القميص.

فقلت للغلام: أجه، فأجابه.

ص: ٣٠٧

١- الزلّال: نوع من الزوارق، و الظاهر من اسمها أنّها سريعه الإنسياب على وجه الماء، راجع معجم المراكب و السفن فى الاسلام لحبيب زيات، ماده: زلّال.

٢- البصره: نجر العراق، أمّ النخيل، إحدى أمّهات مدن العراق، الشهيره الذكر فى الآفاق، الفسيحه الأرجاء، المونقه الأفاء، مدينه الدنيا، و معدن تجاراتها و أموالها، بناها العرب سنه ١٦ فى عهد الخليفه عمر، و كانت مرتعا خصبا للحروب الأهليه، و ازدهرت فيها التجاره البحرى، و الحياه العقليه، ثم جاءتها ضربات من الزنج، و القرامطه، خربتها حتى ضرب بخرابها المثل، راجع دائره المعارف الإسلاميه ٦٦٩/٣-٦٧٢ و البلدان لليقوبى ٦٣٦/١-٦٥٢ و أحسن التقاسيم للمقدسى ١١٧ و ١١٨ و رحله ابن بطوطه ١٣٩١-١٤٢٠.

٣- جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل، بين واسط و بغداد، فى الجانب الشرقى من دجله، خربت مع ما خرب من النهروانات (معجم البلدان ٥٤/٢).

٤- جبّيل: بليده بين النعمانيه و واسط، فى الجانب الشرقى من دجله، قال ياقوت فى معجم البلدان ٢٣/٢: [٣] كانت مدينه، و هى الآن قريه كبيره، أقول: اشتهرت قصبه قاضى جبّيل، و رويت فى أكثر من كتاب خلاصتها: أنّ أبا يوسف القاضى، نصب قاضيا على جبل، و بلغه أنّ الرشيد سيمّر بجبّيل و معه أبو يوسف، فكبر عمامته، و سرح لحيته، و وقف فى المشرعه، حتى مرّت حرّاقه الرشيد، فصاح: يا أمير المؤمنين، نعم القاضى قاضى جبّيل، عدل فينا، و صنع كذا و كذا، ثم وقف لهما فى المشرعه الثانى، و الثالثه، فقال الرشيد: هذا أعجب قاض على وجه الأرض، لم يمتدحه إلاّ رجل واحد، فقال أبو يوسف: و أعجب من ذلك، أنّ المثنى على القاضى، هو القاضى، فضحك الرشيد، حتى فحص برجله الأرض، و عزله.

فقال: أنا شيخ كبير السنّ، على هذه الصورة التي ترى، وقد أحرقتني الشمس، وكادت تتلفني، وأنا أريد جَبَل، فأحملوني معكم، فإنّ الله عزّ وجلّ يحسن أجر صاحبكم.

قال: فشتمه الملاح، وانتهره.

فادركنني عليه رقبته، وقلت للغلام: خذه معنا، فقدم إلى الشط (1)، وضحنا به، وحملناه.

فلما صار معنا في الزلّال، وانحدرنا، تقدّمت، فدفع إليه قميص، و منديل، و غسل وجهه، و استراح، فكأنّه كان ميتا عاد إلى الدنيا.

و حضر وقت الغداء، فتدّمت (2) و قلت للغلام: هاته يأكل معنا.

فجاء و قعد على الطعام، فأكل أكل أديب، نظيف، غير أنّ الجوع قد أثر فيه.

فلما رفعت المائدة، أردت أن يقوم و يغسل يده ناحيه، كما يفعل العامّة، في مجالس الخاصّه، فلم يفعل، فغسلت يدي.

و تدّمت أن أمر بقيامه، فقلت: قدّموا له الطست، فغسل يده، و أردت بعدها أن يقوم لأنام، فلم يفعل.

فقلت: يا شيخ، أيش صناعتك؟

قال: حائك، أصلحك الله.

فقلت في نفسي: هذه الحياكة علّمته سوء الأدب، فتناومت عليه، و مددت رجلي.

فقال: قد سألتني عن صناعتى، فأجبتك، فأنت - أعزّك الله - ما صناعتك؟

ص: ٣٠٨

١- قدّم: تعبير بغدادى، ما زال مستعملا، يقوله صاحب الزورق إذا ألصق زورقه بالشاطئ، راجع حاشيه القصّه ٣٧٧ من هذا الكتاب.

٢- تدّمّم: استنكف و استحيا.

فأكبرت ذلك، وقلت: أنا جنيت على نفسي هذه الجنايه، ولا بدّ من احتمالها، أتراه-الأحمق-لا يرى زلّالي، وغلماي، و نعمتي، و أنّ مثلي لا يقال له مثل هذا؟

ثم قلت: أنا كاتب.

فقال: كاتب كامل، أم كاتب ناقص؟ فإنّ الكتاب خمس، فمن أيّهم أنت؟ [١٩ ن]

فورد عليّ من قول الحائك، مورد عظيم، و سمعت كلاما أكبرته، و كنت متّكنا، فجلست.

ثم قلت له: فضّل الخمسه.

قال: نعم، كاتب خراج، يقتضى أن يكون عالما بالشروط، و الطسوق (١)، و الحساب، و المساحه، و البثوق (٢)، و الفتوق، و الرتوق.

و كاتب أحكام، يحتاج أن يكون عالما بالحلال، و الحرام، و الاختلاف، و الاحتجاج، و الإجماع، و الأصول، و الفروع.

و كاتب معونه، يحتاج أن يكون عالما بالقصاص، و الحدود، و الجراحات، و المرآتبات (٣)، و السياسات.

و كاتب جيش، يحتاج أن يكون عالما بحلى الرجال، و شيات الدوابّ، و مداراه الأولياء، و شىء من العلم بالنسب و الحساب.

و كاتب رسائل، يحتاج إلى أن يكون عالما بالصدور، و الفصول، و الإطاله، و الإيجاز، و حسن البلاغه، و الخطّ.

ص: ٣٠٩

١- الطسوق: الوظيفه توضع على أصناف الزروع، لكلّ جريب، فارسِيّه: تشكّك، بمعنى الأجره (مفاتيح العلوم ٤٠).

٢- البثوق: مفردا بثق، بكسر الباء: موضع الكسر من الشط، و البغداديون يسمّون البثق: كسره.

٣- فى غ: الموائبات.

قال:فقلت:أنا كاتب رسائل [١٨١ غ].

قال:فأسألك عن بعضها؟

قلت:سل.

قال:أصلحك الله، لو أنّ رجلا من إخوانك تزوّجت أمّه، فأردت أن تكاتبه مهنتاً، فماذا كنت تكتب إليه؟

ففكرت في الحال، فلم يخطر ببالي شيء، فقلت:اعفني.

قال:قد فعلت، ولكنك، لست بكاتب رسائل.

قلت:أنا كاتب خراج.

قال:لا بأس، لو أنّ أمير المؤمنين ولّاك ناحيه [١٨٧ م] وأمرك فيها بالعدل و الإنصاف، و تقصّي حقّ السلطان، فتظلم إليك بعضهم من مساحك، و أحضرتهم للنظر بينهم و بين رعيتك، فحلف المسّياح بالله العظيم، لقد أنصفوا، و ما ظلموا، و حلف الرعيه بالله العظيم، أنّهم قد جاروا و ظلموا، و قالوا لك:قف معنا على ما مسحوه، و أنظر من الصادق من الكاذب، فخرجت لتقف عليه، فوقفوا على قراح شكله:قاتل قثا، كيف كنت تمسحه؟

فقلت:كنت آخذ طوله على انعواجه (١)، و آخذ عرضه، ثم أضربه في مثله.

قال:إن شكل قاتل قثا، يكون رأساه محدّدان، و في تحديده تقويس.

قلت:فأخذ الوسط فأضربه بالعمود.

قال:إذا ينثنى عليك العمود، فأسكتني.

فقلت:أنا لست كاتب خراج.

قال:فإذا ما ذا؟

قلت:أنا كاتب قاض.

قال:لا تبال، أفرأيت لو أنّ رجلا توفّي، و خلف امرأتين حاملتين، إحداهما

ص:٣١٠

حزّه، والأخرى سرّيه، وولدت السرّيه غلاما، والحزّه جارّيه، فعمدت الحزّه إلى ولد السرّيه فأخذته، وتركت بدله الجارّيه، فاختمتا في ذلك، كيف الحكم بينهما؟

قلت: لا أدري.

قال: فلست كاتب قاض.

قلت: أنا كاتب جيش.

قال: لا- بأس، رأيت، لو أنّ رجلين جاءا إليك لتحليهما، وكلّ واحد منهما، اسمه، و اسم أبيه، كاسم الآخر، و اسم أبيه، إلا أنّ أحدهما مشقوق الشفّه العليا، والآخر مشقوق الشفّه السفلى، كيف كنت تحليهما؟

قلت: أقول فلان الأعلم، و فلان الأعلم.

قال: إنّ رزقيهما مختلفان، و كلّ واحد منهما يجيء في دعوه الآخر.

قلت: لا أدري.

قال: فلست بكاتب جيش.

قلت: أنا كاتب معونه.

قال: لا- تبال، لو أنّ رجلين [رفعا إليك] (١) شجّ أحدهما شجّه موضحه (٢)، و شجّ الآخر صاحبه شجّه مأمومه (٣)، كيف تفصل بينهما؟

قلت: لا أدري.

قال: إذن، لست كاتب معونه، فاطلب لنفسك- أيّها الرجل- شغلا غير هذا.

قال: فقصرت إلى نفسي، و غاظني، فقلت: قد سألت عن هذه الأمور،

ص: ٣١١

١- الزيادة من غ.

٢- الشجّه الموضحه، أو الواضحه: التي تكشف العظم.

٣- الشجّه الآمه أو المأمومه: التي تصل إلى أمّ الدماغ، و تسمى الجائفه أيضا (مفاتيح العلوم ١٥).

و يجوز أن لا يكون عندك جوابها، كما لم يكن عندي، فإن كنت عالماً بالجواب، فقل.

فقال: نعم، أما الذي تزوّجت أمّه، فتكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ الأمور، تجري من عند الله، بغير محبّه عباده، ولا اختيارهم [١٨٢ غ]، بل هو تعالى، يختار لهم ما أحبّ، وقد بلغني تزويج الوالده، خار الله لك في قبضها، فإنّ القبر أكرم الأزواج، وأستر للعيوب، والسلام.

و أمّا قراح قاتل قثا، فيمسح العمود، حتى إذا صار عددا في يدك ضربته في مثله، و مثل ثلثه، فما خرج فهو مساحته.

و أمّا الجاربه و الغلام، فيوزن اللبنا، فأيهما أخفّ، فالجاربه له.

و أمّا المرتزان المتوافقان في الاسمين فإن كان الشقّ في الشفه العليا، كتبت فلان الأعلم، و إذا كان في الشفه السفلى، كتبت فلان الأفلح.

و أمّا أصحاب الشجّتين، فلصاحب الموضحة ثلث الديّه، و لصاحب المأمومه نصف الديه.

قال: فلما أجاب في هذه المسائل، تعجّبت منه، و امتحتته في أشياء غيرها كثيره، فوجدته ماهرا في جميعها، حاذقا، بليغا.

فقلت: أ لست زعمت أنّك حائك؟

فقال: أنا- أصلحك الله- حائك كلام، و لست بحائك نساجه، ثم أنشأ يقول:

ما مرّ بؤس و لا نعيم إلاّ ولى فيهما نصيب [١٨٨ م]

نوائب الدهر أدبتني و إنّما يوعظ الأديب (١)

قد ذقت حلوا و ذقت مرّا كذاك عيش الفتى ضروب

ص: ٣١٢

١- في غ: و انما يوعظ اللبيب.

قلت: فما سبب الذي بك من سوء الحال؟

قال: أنا راجل كاتب، دامت عطفتي، وكثرت عيلتى (١) وتواصلت محنتى، وقلّمت حيلتى، فخرجت أطلب تصرّفًا، فقطع علىّ الطريق، فتركت كما ترى، فمشيت على وجهى، فلمّا لاح لى الزلّال، استغثت بك.

قلت: فإنّى قد خرجت إلى تصرّف جليل، أحتاج فيه إلى جماعه مثلك، وقد أمرت لك بخلعه حسنه، تصلح لمثلك، وخمسه آلاف درهم، تصلح بها أمرك، وتنفذ منها إلى عيالك، وتتقوى نفسك بباقيها، وتصير معى إلى عملى، فأوليك أجله، إن شاء الله تعالى.

[فقال: أحسن الله جزاءك، إذن تجدنى بحيث يسرّك، ولا أقوم مقام معذّر إن شاء الله] (٢).

فأمرت بتقيضه ما رسمت له، فقبضه، وانحدر إلى الأهواز معى، فجعلته المناظر للرخجى، والمحاسب له بحضرتى، والمستخرج لما عليه، فقام بذلك أحسن قيام ووفاه.

وعظمت حاله معى، وعادت نعمته إلى أحسن ما كانت عليه. (٣)

ص: ٣١٣

١- العيّل: أهل بيت الرجل، والجمع: عيال، و عيايل، وعاله.

٢- الزيادة من غ.

٣- لم ترد هذه القصّه فى ر، و وردت فى كتاب العقد الفريد ١٧٥/٤-١٧٩.

أنا أبوك

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد بلغني حديث لعمر بن مسعود في زلّاله، بخلاف هذا، حدّثني به عبيد الله بن محمد بن الحسن بن الحنفيا العبقي، وهو يذكر أنّ أهله أقرباء لبني ماريه (١) الذين كانوا تناء الصراه، وأهل النعم بها، قال: حدّثني أبي، قال: سمعت شيوخنا بالصراه، وأهلنا، يتحدّثون:

أنّ عمرو بن مسعود، كان مصعداً من واسط إلى بغداد، في حرّ شديد، وهو جالس في زلّال، فناداه رجل: يا صاحب الزلّال [بنعمه الله عليك إلا نظرت إليّ].

قال: فكشف سجع الزلّال، فإذا بشيخ ضعيف حاسر الرأس [٢].

فقال [٢٠ ن] له: قد ترى ما أنا عليه [١٨٣ غ]، ولست أجد من يحملني، فابتغ الأجر فيّ، وتقدّم إلى ملاحيك يطرحوني بين مجاديفهم [٣]، إلى أن أصل بلدا يطرحوني فيه.

قال عمرو بن مسعود: فرحمته، وقلت خذوه، فأخذوه، فغشى عليه، وكاد يموت لما لحقه من المشى في الشمس.

فلما أفاق، قلت له: يا شيخ، ما حالك، وما قصّتك؟

فقال: قصّه طويله.

ص: ٣١٤

١- بنو ماريه: أناس من أهل الصراه، يضرب أهل السواد بهم الأمثال، لكبرهم في نفوسهم (مروج الذهب ٢/٣٦٤)، [١] راجع القصّه ١٤٦/١ و ١١٢/٣ من كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضي التنوخي، و لزياده التفصيل راجع حاشيه القصّه ٤٤٠ من هذا الكتاب.

٢- الزيادة من ن.

٣- كذا ورد في غ و في ن، و المجداف: خشبه طويله مبسوطه أحد الطرفين، تسير بها القوارب، و ما زال هذا اسمها ببغداد.

فسكّنته و طرحت عليه قميصا و منديلا، و أمرت له بدراهم [و شمشك] (١)، فشكرني.

فقلت: لا بدّ أن تحدّثني بحديثك.

فقال: أنا رجل كانت لله عزّ و جلّ علىّ نعمه جليله، و كنت صيرفيا، فابتعت جاريه بخمسائه دينار، فعشقتها عشقا عظيما، و كنت لا أقدر أن أفارقها ساعه واحده، فاذا خرجت إلى الدكان، أخذني كالجنون و الهيمان (٢)، حتى أعود فأجلس معها يومي كله.

فدام ذلك حتى تعطلّ دكاني، و تعطلّ كسبي، و أقبلت أنفق من رأس المال، حتى لم يبق منه قليل و لا كثير، و أنا مع ذلك لا أطيق أن أفارقها.

فحبلت الجاربه، و أقبلت أنقض داري، و أبيع نقضها، حتى فرغت من ذلك، فلم تبق لي حيله.

فضربها الطلق، فقالت: يا هذا، هو ذا أموت، فاحتل فيما تبتاع به عسلا، و دقيقا، و شيرجا (٣)، و لحما، و إلّا متّ.

فبكيت، و حزنت، و خرجت على وجهي، و جئت لأغرق نفسي في دجله، فذكرت حلاوه النفس، و خوف العقاب في الآخرة، فامتنعت.

ثم [١٨٩ م] خرجت هائما على وجهي إلى النهروان، و ما زلت أمشي من قريه إلى قريه، حتى بلغت خراسان، فصادت بها من عرفني، و تصرّفت في ضياعه، و رزقني الله عزّ و جلّ مالا عظيما، فأثريت، و اتّسعت حالي، و مكثت

ص: ٣١٥

١- الشمشك، الصندل، و هو الحذاء الذي يلبس داخل الدار، و الكلمه فارسيه: شم، بضم الميم، بمعنى الصندل، راجع معجم الملابس لدوزي ٢٣١.

٢- الهيام، و الهيمان: في الأصل، داء كالجنون يصيب الإبل من شدّه العطش ثم أطلق على من اشتدّ به العشق، يقال: هام هياما، و هيوما، و هياما، و هيمانا، و تهياما.

٣- الشيرج: راجع حاشيه القصّه ٣٢٩ من هذا الكتاب.

سنين، لا أعرف خبر منزلي، فلم أشك أن الجارية قد ماتت.

و تراخت [١٨٤ ر] السنون حتى حصل لي ما قيمته عشرون ألف دينار.

فقلت: قد صارت لي نعمه، فلو رجعت إلى وطني.

فابتعت بالمال كله، متاعا من خراسان، وأقبلت أريد العراق، من طريق فارس و الأهواز.

فلما حصلت بينهما، خرج على القافلة لصوص، فأخذوا جميع ما فيها، و نجوت بثيابي، و عدت فقيرا.

و دخلت الأهواز، فبقيت بها متحيرة، حتى كشفت خبري لبعض أهلها ممن أعرفه، فأعطاني ما تحمّلت به إلى واسط.

و نفدت نفقتي، فمشيت إلى هذا الموضع، و قد كدت أتلّف، فاستعنت بك، ولى منذ فارقت بغداد، ثمان و عشرون سنة.

فعجبت من ذلك، و قلت له: اذهب، فاعرف خبر أهلك، و صر إليّ، فإنّي أتقدّم بتصريفك فيما يصلح لمثلك، فشكر، و دعا، و دخلنا بغداد.

و مضت على ذلك مدّة طويلة، أنسيته فيها، فبينما أنا يوما، قد ركبت، أريد دار المأمون، و إذا بالشيخ على بابي، راكبا بغلا فارها، بمركب محليّ ثقيل، و غلام أسود بين يديه، و ثياب حسنه [١٨٤ غ]،

فلما رأيته رحبت به، و قلت: ما الخبر؟

فقال: طويل، و ها أنا آتى إليك في غد، و أحدثك بالخبر.

فلما كان من الغد، جاءني، فقلت له: عزّفتني خبرك، فقد سررت بسلامتك، و بظاهر حالك.

فقال: إنّي صعّدت من زلالك، فقصدت داري، فوجدت حائطها الذي يلي الطريق كما خلفته، غير أنّ باب الدار كان مجلّوا، نظيفا، و عليه دكاكين، و بواب، و بغال مع شاكره.

فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون، ماتت جاريتي، و ملك الدار بعض الجيران، فباعها من رجل من أصحاب السلطان.

ثم تقدّمت إلى بقال كنت أعرفه في المحلّة، فوجدت في دكانه غلاما حدثا.

فقلت له: من تكون من فلان البقال؟

فقال: أنا ابنه.

فقلت: و متى مات؟

قال: منذ عشرين سنة.

قلت: لمن هذه الدار؟

قال: لابن دايه أمير المؤمنين، و هو الآن صاحب بيت ماله.

قلت: بمن يعرف؟

قال: بابن فلان الصيرفيّ، فأسماني.

قلت: فهذه الدار من باعها إليه.

قال: هذه دار أبيه.

قلت: و أبوه يعيش؟

قال: لا.

قلت: أ تعرف من حديثهم شيئا؟

قال: نعم، حدّثني أبي، أنّ والد هذا الرجل كان صيرفيّا جليلا، فافتقر، و أنّ أمّ هذا الرجل ضربها الطلق، فخرج أبوه يطلب لها شيئا، ففقد، و هلك.

و قال أبي: جاءني رسول أمّ هذا، يطلب لها شيئا، و هي تستغيث بي، فقامت لها بحوائج الولاده، و دفعت لها عشرة دراهم، فما أنفقتها، حتى قيل:

قد ولد لأمير المؤمنين الرشيد، مولود ذكر، و قد عرض عليه جميع الدايات، فلم يقبل ثديهنّ، و قد طلب له الحرائر، فجاءوه بغير واحده، فما أخذ ثدي واحده منهنّ، و هم في طلب مرضع.

فأرشدت الذى طلب الدايه إلى أم هذا، فحملت إلى دار الرشيد [١٩٠ م]، فحين وضع فم الصبي على ثديها، قبله، فأرضعته، و كان الصبي المأمون، و صارت عندهم فى حال جليله، و وصل إليها منهم خير كثير.

ثم خرج المأمون إلى خراسان، و خرجت هذه المرأة و ابنها هذا معها، و لم نعرف أخبارهم إلاّ - منذ قريب، لما عاد المأمون، و عادت حاشيته، رأينا هذا قد صار رجلا، و لم أكن رأيت قبل قط، و قد كان أبى مات.

فقالوا: هذا ابن فلان الصيرفى، و ابن دايه الخليفه المأمون، فبنى هذه الدار و سواها.

فقلت: فعندك علم من أمه أ هى حيه أم ميته؟

قال: هى حيه، تمضى إلى دار الخليفه أياما، و تكون عند ابنها أياما هنا.

فحمدت الله تعالى على هذه الحال، و جئت، حتى دخلت الدار مع الناس، فرأيت الصحن فى نهايه العماره و الحسن، و فيه مجلس كبير مفروش بفرش فاخره، و فى صدره رجل شاب بين يديه كتاب و جهابذه (١)، [١٨٧ ر] أو حساب يستوفيه عليهم، و فى صفاف الدار و بعض مجالسها، جهابذه بين أيديهم الأموال و التخت (٢) و الشواهين (٣) [١٨٥ غ]، يقبضون و يقبضون،

و بصرت بالفتى، فرأيت شبهى فيه، فعلمت أنه ابنى، فجلست فى غمار الناس، إلى أن لم يبق فى المجلس غيرى، فأقبل علىّ.

فقال: يا شيخ، هل من حاجه تقولها؟

فقلت: نعم، و لكنّه أمر لا يجوز أن يسمعه غيرك.

ص: ٣١٨

١- الجهابذه، مفردا: جهبذ: الكاتب المختص بتحصيل الأموال، و كتابه الإيصالات بها، و تدوينها فى السجلات، و إثبات ما ينفق منها (لسان العرب).

٢- التخت: علبه من الخشب، يحفظ فيها الطيار و هو الميزان الذى توزن به الأشياء الدقيقه كالذهب.

٣- الشاهين: لسان الميزان، فارسىه و يصرف إلى الميزان أيضا.

فأوماً إلى غلمان كانوا قياماً حوله، فانصرفوا، وقال: قل، أعزك الله.

قلت: أنا أبوك.

فلما سمع ذلك تغير وجهه [٢١ ن]، ثم وثب مسرعاً، و تركنى مكانى.

فلم أشعر إلاّ بخادم جاءنى، فقال: قم يا سيدي، فقامت أسير معه، حتى بلغت ستاره منصوبه، فى دار لطيفه، و كرسى بين يديها، و الفتى جالس على كرسى آخر.

فقال: اجلس أيها الشيخ.

فجلست على الكرسي، و دخل الخادم، فإذا بحركه خلف الستاره.

فقلت: أظنك تريد أن تختبر صدق ما قلت لك من جهة فلانه، و ذكرت اسم جاريتى، أمه.

قال: فإذا بالستاره قد كشفت، و الجاربه قد خرجت إلى، فوقعت علىّ تقبلنى و تبكى، و تقول: مولاي و الله.

قال: فرأيت الفتى، قد تشوش، و بهت، و تحير.

فقلت للجاريه: ويحك ما خبرك؟

فقلت: دع خبرى، ففى مشاهدتك، ممّا تفضل الله عزّ و جلّ بذلك، كفايه، إلى أن أخبرك، فقل ما كان من خبرك أنت؟

فقصصت عليها خبرى، منذ يوم خروجى من عندها، إلى يومى ذاك، و قصّت هى، علىّ قصتها، مثل ما قال ابن البقال، و أعجب، و أشرح، و كل ذلك بمراى من الفتى و مسمع، فلما استوفى الحديث، خرج و تركنى فى مكانى.

قال: و إذا أنا بخادم، قال: يا مولاي، يسألك ولدك أن تخرج إليه.

قال: فخرجت إليه، فلما رآنى من بعيد، قام قائماً على رجليه، و قال:

معذره إلى الله، و إليك يا أبه، من تقصيرى فى حقك، فإنه فجأنى من أمرك، ما لم أظنّ أنه يكون، و الآن، فهذه النعمه لك، و أنا ولدك، و أمير المؤمنين مجتهد بى

منذ دهر، أن أدع هذه الجهبهذه، و أتوفّر على خدمته فى الدار، فلا- أفعل، طلبا للتمسك بصنعتى، و الآن، فأنا أسأله أن يرّد إليك عملى، و أخدمه أنا فى غيرها، فقم عاجلا، و أصلح أمرك.

فأخذت إلى الحمام و نظفت، و جاءونى بخلعه، فألبستها، و خرجت إلى حجره والدته، فجلست فيها [١٩١ م].

ثم أدخلنى على أمير المؤمنين، و حدّثته بحدِيثى، و خلع علىّ، و ردّ إلىّ العمل الذى كان إلىّ و لدى، و أجرى علىّ من الرزق، فى كلّ شهر كذا، و قلّد ابنى أعمالا هى من أجلّ عمله، و أضعف له أرزاقه، و أمره بلزوم حضرته فى أشياء استعمله فيها من خاصّ أمره.

فجئت لأشكرك على ما عاملتنى به من الجميل، و أعرفك بتجدّد النعمه.

قال عمرو بن مسعده: فلما أسمى الفتى، علمت أنّه ابن دايه المأمون، كما قال.

ص: ٣٢٠

سقط عليه حائط و نهض سالما

حدّثني [عمر بن عبد الملك] ١٨٦ غ[بن الحسن بن يوسف السقطي، و كان خليفتي على القضاء بحرّان و نواح من ديار مضر، ثم خلفني على قطعه من سقى الفرات، قال: حدّثني] (١) أبو الخطاب محمد بن أحمد بن زكريّا الأنصاري، الشاهد بالبصره، قال:

غلّست (٢) يوما أريد مسجد الزيّاديين (٣)، بشارع المربرد (٤)، لوعد كان عليّ فيه، و كانت الريح قويّه، و إذا بين يديّ بأذرع رجل يمشى.

فلما بلغنا دار رياح، قلعت الريح ستره (٥) آجرّ و جصّ على رأس حائط، فرمت بها على ذلك الرجل، فلم أشكّ في هلاكه، و ارتفعت غبره عظيمه أفرعتني، فرجعت.

فلما سكنت، عدت أسلك الطريق، حتى إذا دست بعض الستره، لم أجد الرجل، فعجبت.

و تمّت طريقى، حتى دخلت مسجد الزيّاديين، فرأيت أهل المسجد مجتمعين، فحدّثتهم بما رأيت في طريقى، متوجّعا للرجل، و شاكرًا لله عزّ و جلّ على سلامتى.

فقال رجل منهم: يا أبا الخطاب، أنا الذى وقعت عليه الستره، و ذلك أتى قصدت هذا المسجد [١٨٨] ر[المثل ما وعدت له، فلما سقطت الستره لم أحسّ

ص: ٣٢١

١- الزيادة من غ.

٢- التغليس: السير فى الغلس، أى فى ظلمه آخر الليل.

٣- الزيّاديين: نسبه إلى زياد، راجع اللباب ٥١٥/١.

٤- شارع المربرد: من أجمل شوارع البصره، راجع معجم البلدان ٤٨٣/٤.

٥- الستره: راجع حاشيه القصّه ١٨٩ من الكتاب.

بضرر لحقنى، و وجدت نفسى قائما سالما، فحمدت الله تعالى، و تحيرت، و وقفت حتى انجلت الغيره، فتأملت الصورة، فاذا فى الستره موضع باب كبير، و قد سقط باقى الستره حوالى، و سائر جسدى فى موضع ذلك الباب، فخرجت منه إلى هاهنا.

ص: ٣٢٢

نفاه الواثق و أعاده المتوكل

و وجدت بخط جحظه: حدّثني عبيد الله بن عمر البازيار، نديم المتوكل، قال:

لما نفاني الواثق، من سرّ من رأى، إلى البحر، من أجل خدمتي لجعفر (١)، لحقتني إضاقة شديده، و غموم متّصله، و استبعدت الفرج.

فكنت أبكرّ في كلّ يوم، بباشق (٢) على يدي، إلى الصحراء، فأرجع بالدراجة و الدرّاجتين، فيكون ذلك قوتي، لإضاقتي.

فدخلت يوم جمعه، إلى الجامع، لأصليّ قريبا من المنبر، و ليس معي خبر، فإذا الخطيب، يخطب: اللهم أصلح عبدك و خليفتك عبد الله جعفر، الإمام المتوكل على الله، أمير المؤمنين.

فداخل قلبي من السرور، حال، لم أدر معه، في أيّ مكان أنا (٣).

قال: و سقطت مغشيا عليّ، فظنّ الناس (٤) أنّي قد صرعت، فأخرجوني، فمشيت إلى الموضع الذي أسكنه، فإذا البرد على بابي، يطلبونني.

فركبت معهم إلى المتوكل، فكان من أمرى معه ما كان، و زادني على الغنى درجات عظيمه، و عدت إلى حالي من اليسار (٥).

ص: ٣٢٣

١- المتوكل أبو الفضل جعفر بن أبي إسحاق محمد المعتصم: ترجمته في حاشية القصّه ٧٣ من الكتاب.

٢- الباشق: و جمعه بواشق: طائر من أصغر الجوارح.

٣- في غ: فدخل قلبي من السرور شيء لا أدرى ما هو.

٤- في غ: فظنّ من حولي.

٥- لا توجد هذه القصّه في ر.

البحترى يهنئ الفتح بنجاته من الغرق

و حَدَّثت: أَنَّ الفتح بن خاقان (١)، اجتاز على بعض القناطر، و هو يتصيد، و قد انقطع من عسكره، فانخسفت القنطره من تحته، فغرق.

فرآه أكار (٢)، و هو لا- يعرفه، فطرح نفسه وراءه، و خلَّصه، و قد كاد أن يتلف، و لحقه أصحابه، فأمر للأكار بمال عظيم، و صدق بمثله.

فدخل إليه البحترى، فأنشده قصيدته التي أولها:

متى لاح برق أو بدا طل قفر

جری مستهلّ لا بكى (٣) و لا نزر (٤) [١٩٢ م]

و فيها يقول:

لقد كان يوم النهر يوم عظيمه أطلت و نعماء جرى بهما النهر [١٨٧ غ]

أجزت عليه عابرا فتشاعت (٥) أو اذيه (٦) لما أن طما فوقه البحر

ص: ٣٢٤

١- أبو محمد الفتح بن خاقان: أديب، شاعر، فصيح، ذكى، فطن، استوزره المتوكل، و آخاه، و قدّمه على جميع أهله و ولده، كان مع المتوكل لما هاجمه مغتالوه، فوقف فى الدفاع عنه، و هو أعزل، موقفا رائعا، فقتلا معا سنة ٢٤٧ (الأعلام ٣٣١/٥) و [١] هو أخو يحيى بن خاقان، أحد مشايخ الكتاب، و صاحب ديوان الخراج فى أيام المتوكل (الملح و النوادر ٣٣٢ و [٢] الديارات ١٥٥) و [٣] أخو عبد الرحمن بن خاقان، عامل البصره فى السنه ٢٤٠ (البصائر و الذخائر م ١ ص ٣٥٦) و عم عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المتوكل (الديارات ١٥٤ و ١٥٥).

٢- الأكار: الحرّاث.

٣- البكى و البكىء: القليل النزر.

٤- راجع ديوان البحترى ص ٨٦.

٥- تشاعت: انتشرت و تباعدت.

٦- الأواذى: الموج.

و زالت أواخي الجسر و انهدمت به قواعده العظمى و ما ظلم الجسر

تحمل حلما مثل قدس (١) و همّه كرضوى (٢) و قدرا ليس يعدله قدر

فما كان ذاك الهول إلا غيابه بدا طالعا من تحت ظلمتها البدر

فإن ننس نعمى الله فيك فحظنا أضعنا و إن نشكر فقد وجب الشكر

فقال له الفتح: الناس يهتثونا بنثره، و أنت بنظم، و براحه، و أنت بتعب، و أجزل صلته (٣) [٢٢ ن].

ص: ٣٢٥

١- قدس: جبل (معجم البلدان ٣٨/٤).

٢- رضوى: جبل بالمدينه (معجم البلدان ٧٩٠/٢).

٣- لم ترد هذه القصه فى ر.

فيمن أشفى على أن يقتل فكان الخلاص من القتل إليه أعجل

٣٤٦

بدأ الهادي خلافته بتنحيه الربيع عن الوزارة

و استيزار إبراهيم الحزاني

ذكر محمد بن عبدوس في كتاب «الوزراء»: أن إبراهيم بن ذكوان الحزاني الأعور الكاتب (١)، صاحب طاق الحزاني ببغداد (٢)، كان خاصًا بالمهدي.

قال: و أن المهدي أنفذ موسى ابنه إلى جرجان (٣)، و أنفذ معه إبراهيم الحزاني، [فخصَّ إبراهيم بموسى] (٤) و لطف موضعه منه.

فاتصل بالمهدي عنه أشياء تزيد فيها عليه أعداؤه و كثروا، فكتب المهدي إلى موسى في حمله إليه، ففضنَّ به، و دافع عنه.

ص: ٣٢٦

١- إبراهيم بن ذكوان بن الفضل الحزاني: من موالى المنصور، إتصل بالهادي في حادثته، فخفَّ على قلبه و ألفه، و صار لا يصبر عنه، و كره المهدي صحبته لولده، فنهاه، فلم ينته، فصمَّ على قتله، و بعث فأحضره، ثم نجا من القتل، فاستوزره الهادي لما استخلف، و كان له ناصحًا، و لما توفى الهادي، قبض الرشيد أموال إبراهيم، و حبسه في دار يحيى البرمكي، ثم أخلى سبيله، و أذن له في الانحدار إلى البصرة (الفخرى ١٩٢، [١] الطبري ٢٣٣، ٢١٥/٨، و [٢] معجم البلدان ٣/٤٩٠) و الحزاني نسبه إلى حزان، مدينه بالجزيره من ديار ربيعه (اللباب ١/٢٨٩).

٢- طاق الحزاني: محلّه ببغداد، بالجانب الغربي، منسوبه إلى ابراهيم بن ذكوان الحزاني، وزير الهادي (معجم البلدان ٣/٤٨٩).

٣- جرجان: مدينه عظيمه مشهوره بين طبرستان و خراسان (معجم البلدان ٢/٢٨).

٤- الزيادة من غ.

فكتب إليه المهدي: إن لم تحمله، خلعتك من العهد، وأسقطت منزلتك.

فلم يجد موسى من حمله بدءاً، وحمله مع بعض خدمه، مرفهاً، مكرماً، وقال للخادم: إذا دنوت من محلّ المهدي، فقيّد إبراهيم، واحمله في محمل، بغير وطاء ولا غطاء، وألبسه جبّه صوف، وأدخله إليه بهذه الصورة، فامتثل الخادم ما أمر به في ذلك.

واتفق أنّه ورد إلى العسكر (١)، والمهدي يريد الركوب إلى الصيد، وهو - إذ ذاك - بالروذبار (٢)، فبصر بالموكب، فسأل عنه فقبل خادم لموسى و معه إبراهيم الحرّاني.

فقال: وما حاجتي إلى الصيد، وهل صيد أطيب من صيد إبراهيم الحرّاني؟

قال: فأذيت منه، وهو على ظهر فرسه.

فقال: إبراهيم؟

قلت: لبيك يا أمير المؤمنين.

فقال: لا لبيك، والله لأقتلنك، ثم والله لأقتلنك، ثم والله لأقتلنك، إمض يا خادم به إلى المضرب (٣).

فحملت، وقد يثست من الفرج، ومن نفسي، ففزعت إلى الله تعالى بالدعاء والإبتهاال.

ص: ٣٢٧

١- العسكر: قال ياقوت في المفترق صقعا ٣٠٩: أنّ ثمه عشره مواضع باسم العسكر، منها عسكر المهديّ، بالرصافه ببغداد، ومنها عسكر المعتصم، وهي سامراء، وأنا أرجح أنّ قوله العسكر، يريد به الموضع الذي عسكر فيه الجند الذين خرجوا مع المهديّ للصيد في ماسبذان حيث توفي.

٢- الروذبار: ذكر ياقوت في المفترق صقعا ص ٢١١ و ٢١٢: أنّ ثمه ثمانية مواضع تسمّى بالروذبار، ليس منها موضع يقرب من الموضع الذي مات فيه المهديّ، والاسم الصحيح هو الرذ، قريه من قرى ماسبذان، وفيها أصيب المهديّ، ومات، وبها دفن، راجع العيون والحدائق ٢٨٠/٣ والطبرى ١٦٨/٨، ١٦٩ و معجم البلدان ٧٧٥/٢.

٣- المضرب: الخيمه العظيمة.

و انصرف المهدي، فأكل اللوزينج المسموم المشهور خبره (١)، فمات من وقته، و تخلصت.

[و ذكر محمّد بن عبدوس-بعد هذا- أنّ الهادي لما بلغه موت المهدي، نجا من جرجان إلى بغداد، على دوابّ البريد، و ما سمع بخليفه ركب دوابّ البريد غيره، فدخل بغداد و الربيع مولى المنصور على الوزاره، كما كان يتقلدها للمهدي، فصرفه و قلّد إبراهيم بن ذكوان الحرّاني] (٢).

ص: ٣٢٨

-
- ١- في وفاه المهديّ، قولان: الأوّل، ما ورد في العيون و الحدائق ٢٨٠/٣ و الطبرى ١٦٩/٨ و ابن الأثير ٨١/٦ أنّه طرد ظيبا، فسقط عن جواده فمات، و هذا أرجح الأخبار، و أقربها للصحّ، و القول الثانى، ورد في الطبرى ١٦٩/٨، و ابن الأثير ٨٢/٦ و العيون و الحدائق ٢٨١/٣ أنّه أكل لباً، فمات، و اللبأ: أوّل اللبن، و يسمّيه البغداديون: الدلوّه، و قيل إنّّه أكل كمثراه مسمومه، فمات.
 - ٢- الزيادة من ن.

لَمَّا اعتقل إبراهيم بن المهدي

حبسه المأمون عند أحمد بن أبي خالد الأحول

قال محمد بن عبدوس، في كتاب «الوزراء» (١): لَمَّا ظفر المأمون بإبراهيم بن المهدي (٢)، حبسه عند أحمد بن أبي خالد، ولم يزل في أزجه (٣).

فحكى يوسف بن إبراهيم (٤)، مولى إبراهيم بن المهدي، قال: لَمَّا وجّه

ص: ٣٢٩

١- كتاب الوزراء و الكتاب لمحمد بن عبدوس الجهشيارى.

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور (١٦٢-٢٢٤): ولد و نشأ ببغداد، و ولى دمشق للرّشيد مرّتين، و لَمَّا قتل الأمين، أعلن نفسه خليفه ببغداد، و استمرّ سنتين (٢٠٢-٢٠٤)، و لما قدم المأمون ببغداد، استتر ستّ سنين، ثم ظفر به المأمون فى السنه ٢١٠، و عفا عنه، بناء على طلب بوران بنت الحسن بن سهل (وفيات الأعيان ٢٨٩/١ و ٣٨٦) و [١] كان يلقب بالتّنين لأنّه كان مع سواده عظيم الجثّه (وفيات الأعيان ٣٩/١) و [٢] كان شديد الانحراف عن على بن أبى طالب (الأغانى ١٢٦/١٠) [٣] كما كان من أكفر خلق الله للإحسان، فان الحسن بن سهل حقن دمه، فلم يشكر له ذلك، فقال له المأمون: أبيت إلاّ- كفرا، يا أكفر خلق الله لنعمه، راجع القصّه فى الأغانى ١٣٢/١٠، و [٤] كذلك فهو لم يشكر للمأمون عفوه عنه، و حقنه دمه، راجع حاشيه القصّه ٣٤٩ من هذا الكتاب، و ذكر صاحب وفيات الأعيان ٤١/١ [٥] أنّ إبراهيم كان يقبّل خاتما فى يده، فى مجلس المعتصم، فسأله عنه العباس بن المأمون، فقال له: هذا خاتم رهنته فى أيام أبيك، فما فككته إلاّ فى أيام أمير المؤمنين، فقال له العباس: و الله، لئن لم تشكر أبى على حقن دمك، مع عظيم جرمك، لا- تشكر أمير المؤمنين على فكك خاتمك، و كان إبراهيم يعيّر بأمه السواداء (راجع حاشيه القصّه ٣٥١ من هذا الكتاب)، كما كان يعيّر بالغناء، و يعيّر به بنو العباس (راجع حاشيه القصّه ٣٥٤ من هذا الكتاب).

٣- الأزج: القبو المبنى سقفه بالأجر المعقود.

٤- أبو الحسن يوسف بن إبراهيم، المعروف بابن الدايه: من موالى إبراهيم بن المهديّ و هو ابن دايته، نشأ فى خدمته، فلمّا مات إبراهيم سنه ٢٢٤، رحل يوسف إلى الشام، و منها إلى مصر، فكان من جلّه كتابها، و مات بها فى السنه ٢٦٥ (الأعلام ٢٨٠/٩).

المأمون، إبراهيم بن المهدي، إلى أحمد بن أبي خالد ليحبسه عنده، دخل إبراهيم إلى أحمد.

فقال له إبراهيم: الحمد لله الذي منّ عليّ بمصري إليك و حصولي في دارك، و تحت يدك، و لم يبتلني بغيرك.

قال إبراهيم: فقطب أحمد، و بسر في وجهي، و قال: يا إبراهيم، لقد حسن ظنك بي، إذ تتوهم أنّ أمير المؤمنين [١٩١ غ] لو أمرني بضرب عنقك، أنّي أتعدّي ذلك إلى غير ما أمرني به فيك.

قال: فأدرت عيني في مجلسه، فتبينت فيمن حضر من أهل خراسان، إنكارا لقوله.

فقلت: صدقت يا ابن أبي خالد، إن قتلتنني بأمر أمير المؤمنين، كنت غير ملوم، و كذلك لو أمرني بالشقّ عن قلبك و كبدك، فعلت ذلك، و كنت غير ملوم.

و لم أحمد ربّي - و إن كان حمده واجبا في كلّ حال - لحسن ظني بك، و لكنني علمت، أنّ لأمر المؤمنين [١٩٥ م] خزنة سيوف، و خزنة أقلام، و أنّه متى أراد قتل إنسان، دفعه إلى خزنة السيوف، و متى أراد مناظرته، دفعه إلى خزنة الأقلام.

فحمدت الله تعالى، على ما منّ به عليّ، من إحلاله إيّاي، محل من يساءل، لا محلّ من يعاجل.

قال: فرأيت وجوه كلّ من حوله قد أشرقت، و أسفرت، و أعجبوا بما كان منّي.

فقال أحمد بن أبي خالد: الناس يتكلمون على قدر أنفسهم و آبائهم، و كلامك على قدر المهدي، و قدر نفسك، و كلامي على قدر خلقي، و قدر يزيد الأحول، و أنا أستقيلك مما سبق منّي، فأقلني، أقال الله عشرتك، و سهّل أمرك، و عجل خلاصك.

فقلت: قد أقال الله عثرتك.

قال: وما مضت لي في داره، خمسون ليله، حتى سار إلي في نصف الليل، فأخرجني، وألقى علي درعا، و ظاهر بدرّاعه (١)، و حملني على دابّته، و هو يركض إلى الجانب الغربي، فوقفني بين الجسر و الخلد (٢).

فوقع في نفسي أنّ إلقاءه علي الدرع، إنّما هو لإيراده إتيّاي على سكران، فأراد أن يقيني بادرته، و علمت أنّه أراد أنّه إذا ورد علي أمر، أن أتماوت.

فخلّفني مع أصحابه، و مصى يركض، ثم عاد إليّ.

ثم قال: يقول لك أمير المؤمنين: يا فاسق، ألم يكن لك في السابق القديم من فعلك، كفايه تحوّلك عمّا كان منك في هذه الليله التي وثب فيها عليّ ابن عائشه و ابن الأفرقيّ، و من يتابعهما (٣)، و أضرابهم، [٢٤ ن] حتى اضطروني إلى أن ركبت إلى المطبق لمحاربتهم، حتى أظفرتني الله جلّ و عزّ بهم، فقتلتهم، و أنا ملحقك بهم، فاحتجّ لنفسك، إن كانت لك حجّه، و إلا فإنّك لاحق بهم.

فعلت أنّ رساله ممن غلب عليه النيذ، و أنّي أحتاج إلى إغضابه، حتى يغلب غضبه السكر.

فقلت: يا أبا العباس، دمي في عنقك، فاتق الله، و لا تقتلني.

ص: ٣٣١

١- قوله ظاهر بدرّاعه، يعني أنّه ألبسه دراعه ظاهره فوق الدرع.

٢- الجسر المقصود، هو جسر باب الطاق، الذي حلّ محلّه الآن جسر الصرافيه الحديد، و قصر الحلد، كان على الشاطئ الغربي لدجله شمالي الجعيفر.

٣- كان ابن عائشه و هو ابراهيم بن محمّد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الامام، و الأفرقيّ و هو محمّد بن ابراهيم، من قواد ابراهيم بن المهديّ، و شاركوا في محاربه جيش المأمون (ابن الأثير ٣٤٤/٦) و [١] قد تأمر هذان مع آخرين في السنه ٢١٠ على خلع المأمون و مبايعه ابراهيم بن المهديّ، فنّم عليهم أحد المشتركين معهم، فأخذوا، و ركب المأمون إلى السجن و أخذهما، و اثنين من رفاقهما، فضرب أعناقهم، للتفصيل راجع تاريخ بغداد لابن طيفور ٩٦-٩٩ و [٢] ابن الأثير ٣٩٢، ٣٩١/٦، و [٣] الطبري ٦٠٢/٨، ٦٠٤.

فقال لي: يا هذا، ما الذي يتهيأ لي أن أعمل، و هل يمكنني دفع شيء يأمرني به؟

فقلت: لا، و إنني أريد أن أحقن دمي، بأن تؤدّي عني ما تسمعه مني، و إنما تقتلني، إذا أجبته بجواب، فأدّيت عني غيره، تقديرا منك، أنه أصلح و أدعى إلى ملامتي، فلا يتلقّى قولك بالقبول، فأدّ قولي كما أقول.

فقال أحمد بن أبي خالد: عليّ عهد الله، أن أوّدّي ما تقول.

قال: فقلت، تقول له: يا أمير المؤمنين إن كنت تعقل، فأنت تعلم أنني أعقل، فما أشكّ [١٩٢ غ] أنه سيستعيد منك هذا القول، فأعده.

و تقول له: يقول لك: يا أمير المؤمنين استترت منك، و أنت خارج عن البلد، و أنا نافذ الأمر فيه، و معي عالم من الناس، و أثب بك في مدينتك، و مدينه آبائك، و أنا أسير في سرب (١) ابن أبي خالد، مع نفر محبسين، مثقلين بالحديد؟ هذا ما لا يقبله عاقل.

فأدّي أحمد رسالته إلى المأمون، فقال: صدق، فأردده إلى موضعه.

فركض أحمد إليّ، و هو ينادي: سلامه سلامه، و الحمد لله رب العالمين، و انصرف إلى منزله.

قال ابن عبدوس: فأقام فيه، إلى أن انصرف المأمون، لنكاح بوران (٢)، فأشخصه معه إلى فم الصلح، و سألته بوران بنت الحسن بن سهل، فرضى عنه (٣).

ص: ٣٣٢

١- السرب، بفتح السين و الراء: الحفير تحت الأرض.

٢- بوران: اسمها خديجه، بنت الحسن بن سهل (١٩١-٢٧١) زوجه المأمون العباسي، من أكمل النساء أدبا و أخلاقا، ليس في تاريخ العرب زفاف أنفق فيه ما أنفق في زفافها على المأمون (الأعلام ٥٦/٢)، و [١] تنسب إليها أصناف من الطعام منها ما ورد في كتاب الطبخ للبغداديّ، عن طعام اسمه بوران (ص ٣٨) و عن طعام اسمه بورانيّه (ص ٤٠) و آخر اسمه بورانيّه بالقرع (ص ٤٣)، و في بغداد الآن طعام اسمه بورانيه، و هي أن يقطع الباذنجان أقرصا، و يقلب بالزيت، و يصب عليه اللبن الرائب مخلوطا بالشوم.

٣- لا توجد هذه القصّه في ر.

جىء بإبراهيم بن المهدي

و هو مذب و خرج و هو مثاب

و حدّثني أبو العلاء الدلال البصريّ، بها (١)، قال: حدّثني أبو نصر بن أبي دؤاد، قال: حدّثني أبي، عن أبيه، قال:

كنت يوما عند المأمون، وقد [١٩٦ م] جاءه بإبراهيم بن المهدي، و في عنقه ساجور (٢)، و في رجله قيدان، فوقف بين يدي المأمون.

فقال له: هيه، يا إبراهيم، إني استشرت في أمرك، فأشير عليّ بقتلك، فرأيت ذنبك يقصر عن واجب حقّ عمومته.

فقال: يا أمير المؤمنين، أبيت أن تأخذ حقك إلا من حيث عودك الله تعالى، و هو العفو عن قدره.

فقال المأمون: مات -و الله- الحق، عند هذا العذر، يا غلام، لا يتخلّف أحد من أهل المملكة عن الركوب بين يديه، و يحمل بين يديه عشر بدر، و عشره تخوت ثياب.

قال: ما رأيت إنسانا جىء به و هو مذب، فخرج و هو مثاب، و أهل المملكة بين يديه، إلا هو.

ص: ٣٣٣

١- بها: أي بالبصره.

٢- الساجور: خشبه تعلّق في العنق.

قبض على إبراهيم بن المهدي و هو بزى امرأه

وجدت في كتاب أبي الفرج المخزومي الحنطبي (١):

أن إبراهيم بن المهدي، لما طال استتاره من المأمون، ضاق صدره، فخرج ليله من موضع كان فيه مستخفياً، يريد موضعاً آخر، في زى امرأه، و كان عطرا.

فعرض له حارس، فلما شم منه رائحة الطيب، ارتاب به، فكلمه، فلم يجب، فعلم أنه رجل، فضبطه.

فقال له: خذ خاتمي، فثمنه ثلاثون ألف درهم (٢) [١٩١ ر] و خلنى، فأبى، و علق به، و حمله إلى صاحب الشرطه، فأتى به المأمون.

فلما أدخل داره، و عرف خبره، أمر بأن يدخل إليه، إذا دعى، على الحال التي أخذ عليها.

ثم جلس مجلساً عاماً، و قام خطيب بحضرة المأمون، يخطب بفضله، و ما رزقه الله، جلت عظمته، من الظفر بإبراهيم (٣).

ص: ٣٣٤

١- أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، الشاعر المعروف بالبغاء: ترجمته في حاشية القصة ١٥ من هذا الكتاب.

٢- في غ: ثلاثون ألف دينار.

٣- من جملة ما ابتدع في أيام العباسيين، نصب خطباء مقصور عملهم على الوقوف في مجلس الخليفة، يشيدون بذكره و يخصون أعماله بالحمد و التمجيد، و يتناولون أعداءه بالذم و التجريح، و منهم هذا الخطيب الذي وقف في مجلس المأمون يطنب في مدحه، و كان أحد هؤلاء الخطباء، و هو سعيد الخطيب، يتناول المأمون أيام الفتنة، بالذم، و يسميه: المأفون، فلما دخل بغداد، عفا عنه، و أبقاه خطيباً، فكان يقف في مجالس المأمون، و يرفعه في التقريظ إلى مصاف الأنبياء (تاريخ بغداد لابن طيفور ٤ و ٧ و ٨) و [١] قصص علينا الصولي في كتابه الأوراق قصصه خطيب كان يقف في مجلس الراضى، و يقرظه و يمجده، كما ورد في القصة ٣٨٥ من هذا الكتاب ذكر هشام الخطيب المعروف بالعباسى، و كان-

و أدخل إبراهيم بزيته، فسلم على المأمون، وقال: يا أمير المؤمنين، إن وليّ الثأر محكّم في القصاص، والعفو أقرب للتقوى، ومن تناولته يد الاغترار، بما مدّ له من أسباب الرجاء، لم يأمن عاديه الدهر، [و لست أخلو عندك من [١٩٣ غ] أن أكون عاقلا- أو جاهلا، فإن كنت جاهلا- فقد سقط عني اللوم من الله تعالى، وإن كنت عاقلا، فيجب أن تعلم أن الله عزّ وجلّ [١]، قد جعلك فوق كلّ ذى عفو، كما جعل كل ذى ذنب دوني [٢]، فإن تؤاخذ، فبحقّك، وإن تعف، فبفضلك، ثم قال:

ذنبى إليك عظيم و أنت أعظم منه

فخذ بحقّك أو لا فاصفح بحلمك عنه

إن لم أكن فى فعالى من الكرام فكنه

و قال:

أذنبت ذنبا عظيما و أنت للعفو أهل

فإن عفوت فمنّ و إن جزيت فعدل

قال: فرّق له المأمون، و أقبل على أخيه أبى إسحاق و ابنه العباس [٣] و القوّاد،

ص: ٣٣٥

١- الزيادة من غ، و قد وردت هذه الجملة مكرره فى موضعين.

٢- أورد صاحب العيون و الحداثق ٣/٣٦٦، قول إبراهيم، كما يلى: يا أمير المؤمنين، وليّ الثأر محكّم فى القصاص، و العفو أقرب للتقوى، و من تناوله الاغترار بما مدّ له من أسباب الشقاء، أمكن عاديه الدهر من نفسه، و قد جعلك الله فوق كلّ ذى ذنب، كما جعل كلّ ذى ذنب دونك، فإن تعاقب فبحقّك، و ان تعف فبفضلك.

٣- أبو إسحاق محمد المعتصم بن أبى جعفر هارون الرشيد، ترجمته فى حاشيه القصّه ١٧ من هذا الكتاب، و العيّاس بن المأمون، ترجمته فى حاشيه القصّه ١٢٠ من هذا الكتاب.

و قال: ما ترون في أمره؟

فقال بعضهم: يضرب عنقه.

و قال البعض: تقطع أطرافه، و يترك إلى أن يموت، و كلّ أشار بقتله، و إن اختلفوا في القتله.

فقال المأمون، لأحمد بن أبي خالد: ما تقول أنت يا أحمد؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن قتلته، و وجدت مثلك قد قتل مثله، و إن عفوت عنه، لم تجد مثلك قد عفا عن مثله، فأبى إليك، أن تفعل فعلا تجد لك فيه شريكا، أو أن تنفرد بالفضل؟

فأطرق المأمون طويلا، ثم رفع رأسه، فقال: أعد عليّ ما قلت يا أحمد، فأعاد.

فقال المأمون: بل ننفرد بالفضل، و لا رأى لنا في الشركه.

فكشف إبراهيم المقنعه [١٩٧ م] عن رأسه، و كبر تكبيره عاليه، و قال:

عفا-و الله- أمير المؤمنين عني، بصوت كاد الإيوان أن يتزعزع منه، و كان طويلا، آدم، جعد الشعر، جهوريّ الصوت.

فقال له المأمون: لا بأس عليك يا عمّ (١)، و أمر بحبسه في دار أحمد بن أبي خالد.

فلما كان بعد شهر، أحضره المأمون، و قال له: اعتذر عن ذنبك.

فقال: يا أمير المؤمنين، ذنبي أجلّ من أن أتفوّه معه بعذر، و عفو أمير المؤمنين، أعظم من أن أنطق معه بشكر، و لكنّي أقول:

ص: ٣٣٦

١- قال أبو العيّن: سمعت إبراهيم بن المهدي، يقول- و ذكر عفو المأمون عنه-، فقال: و الله ما عفا عني تقربا إلى الله، و لا صله للرحم، و لكن قامت له سوق في العفو، فكره أن تكسد بقتلي، قال: فذكرت هذا الحديث لأبي يعقوب سليمان بن جعفر، فقال: ما أكفره، أمّا المأمون، فقد فاز بحظّها، كفر من كفر، و شكر من شكر (البصائر و الذخائر م ٣ [١] ق ١ ص ٦٢).

تفديك نفسى أن تضيق بصالح و العفو منك بفضل جود (١) واسع

إن الذى خلق المكارم حازها فى صلب آدم للإمام السابع

ملئت قلوب الناس منك مهابه و تظلّ تكلؤهم بقلب خاشع

فعفوت عمّن لم يكن عن مثله عفو و لم يشفع إليك بشافع

و رحمت أطفالا كأفراخ القطا و حنين والده بقلب جازع [١٩٤ غ]

ردّ الحياه إلى بعد ذهابها كرم المليك العادل المتواضع (٢)

فقال له المأمون: لا تثريب [١٩٢ ر] عليك يا عمّ، قد عفوت عنك، فاستأنف الطاعه متحرّزا [٢٥ ن] من الظنّه، يصف عيشك، و أمر

بإطلاقه، و ردّ عليه ماله و ضياعه، فقال إبراهيم يشكره [فى ذلك] (٣):

رددت مالى و لم تبخل علىّ به و قبل ردّك مالى قد حقنت دمي

فأبت عنك و قد خوّلتنى نعمما هما الحياتان من موت و من عدم

فلو بذلت دمي أبغى رضاك به و المال، حتى أسلّ النعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عاريّه رجعت إليك لو لم تعرها كنت لم تلم

و قام علمك بي فاحتجّ عندك لى مقام شاهد عدل غير متّهم

فإن جحدتك ما أوليت من نعم إنى لباللؤم أولى منك بالكرم (٤)

فقال المأمون: إنّ من الكلام، كلاما كالدرّ، و هذا منه، و أمر لإبراهيم بخلع و مال، قيل أنّه ألف ألف درهم.

و قال له: يا إبراهيم، إنّ أبا إسحاق، و أبا عيسى (٥)، أشارا علىّ بقتلك.

ص: ٣٣٧

١- فى غ: بفضل خلق.

٢- هذا البيت لم يرد فى م.

٣- الزيادة من غ.

٤- هذا البيت لم يرد فى م.

٥- فى م: و ولدى، و أبو عيسى بن هارون الرشيد: أمير عبّاسى، كان من أحسن الناس وجها، و مجالسه، -

فقال إبراهيم: ما الذى قلت لهما يا أمير المؤمنين؟

قال: قلت لهما: إن قرابته قريبه، ورحمه ماسه، و قد بدأنا بأمر، و ينبغي أن نستتمه، فإن نكث فالله معير ما به.

قال إبراهيم: قد نصحا لك، و لكنك أبيت إلا ما أنت أهله يا أمير المؤمنين، و دفعت ما خفت، بما رجوت.

فقال المأمون: قد مات حقدى بحياه عذرك، و قد عفوت عنك، و أعظم من عفوى عنك أننى لم أجزعك مراره امتنان الشافعين.

ص: ٣٣٨

إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الْمُحَنِّينَ

أَنْ تَسْبِقَ أُمَّيْهِ هَاشِمًا إِلَى مَكْرَمِهِ

[و حَدَّثَنِي أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ سَلِيمَانَ الْأَخْفَشُ، وَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ الْمَرْزَبَانَ قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ النَّحْوِيُّ، يَعْنِيَانِ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا] (١) الْفَضْلُ بْنُ مِرْوَانَ، قَالَ:

لَمَّا دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَدْ ظَفَرَ بِهِ، كَلَّمَهُ بِكَلَامٍ كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ كَلَّمَ بِهِ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ فِي سَخَطِهِ سَخَطَهَا عَلَيْهِ، [١٩٧ غ] وَ اسْتَعْطَفَهُ بِهِ، وَ كَانَ الْمَأْمُونُ يَحْفَظُ الْكَلَامَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: هِيَهَاتَ يَا إِبْرَاهِيمَ، هَذَا كَلَامٌ قَدْ سَبَقَكَ بِهِ فِجْلُ بَنِي الْعَاصِ، وَ قَارِحُهُمْ (٢)، سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ، خَاطَبَ بِهِ مَعَاوِيَةَ.

فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: وَ أَنْتَ إِنْ عَفَوْتَ عَنِّي، فَقَدْ سَبَقَكَ فِجْلُ بَنِي حَرْبٍ، وَ قَارِحُهُمْ، إِلَى الْعَفْوِ، وَ لَمْ تَكُنْ حَالِي فِي ذَلِكَ، أَبْعَدَ مِنْ حَالِ سَعِيدٍ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ، فَإِنَّكَ أَشْرَفَ مِنْهُ، وَ أَنَا أَشْرَفُ مِنْ سَعِيدٍ، وَ أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ سَعِيدٍ إِلَى مَعَاوِيَةَ، وَ إِنَّ مِنْ أَكْثَرِ الْمُحَنِّينَ أَنْ تَسْبِقَ أُمَّيْهِ هَاشِمًا إِلَى مَكْرَمِهِ.

فَقَالَ لَهُ: صَدَقْتَ يَا عَمَّ، وَ قَدْ عَفَوْتَ عَنكَ (٣).

ص: ٣٣٩

١- الزيادة من غ و في بقيه النسخ: وقيل باسناد عن الفضل بن مروان.

٢- القارح: البعير الذي نبت نابه، يريد به سيد القوم.

٣- هذه القصة لم ترد في ر.

لَمَّا قَدِمَ لِلْقَتْلِ تَمَاسِكُ فَلَمَّا عَفَى عَنْهُ بِكِي

وَجَدَتْ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ:

أَنَّهُ لَمَّا حَصَلَ إِبْرَاهِيمُ بِنَ الْمَهْدِيِّ فِي قَبْضِهِ الْمَأْمُونِ، لَمْ يَشْكُ هُوَ وَغَيْرُهُ فِي أَنَّهُ مَقْتُولٌ، فَأَطَالَ حَبْسَهُ فِي مَطْمُورِهِ (١)، بِأَسْوَأِ حَالٍ وَأَقْبَحِهَا.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَأَيْسَتْ مِنْ نَفْسِي، وَوَطَّنْتَهَا عَلَى الْقَتْلِ، وَتَعَزَّيْتُ عَنِ الْحَيَاةِ، حَتَّى صَرْتُ أَتَمَنِّي الْقَتْلَ، لِلرَّاحَةِ مِنَ الْعَذَابِ، وَ مَا أَوْمَلَهُ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ حَصُولِ [١٩٨ م] الثَّوَابِ.

فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ، إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ مُبَادِرًا، فَقَالَ: أَعْهَدُ (٢)، فَقَدْ أَمَرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِضَرْبِ عُنُقِكَ.

فَقُلْتُ: أَعْطَنِي دَوَاهُ وَ قِرْطَاسًا، فَكَتَبْتُ وَصِيَّتَهُ (٣) ذَكَرْتُ فِيهَا كَلِمًا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ، وَ أَسْنَدْتُهَا إِلَى الْمَأْمُونِ، وَ شَكَلَهُ وَالِدَتِي (٤)، وَ تَوَضَّأْتُ، فَتَطَوَّعْتُ رَكَعَاتٍ، وَ مَضَى أَحْمَدُ.

وَ فَرَّغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ، وَ جَلَسْتُ أَتَوَقَّعُ الْقَتْلَ، فَعَادَ إِلَيَّ أَحْمَدُ بَعْدَ سَاعَتَيْنِ،

ص: ٣٤٠

١- المظموره: راجع حاشيه القصه ١٨٣ من الكتاب.

٢- إعهد: أوص.

٣- لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ أَسْنَدَ وَصِيَّتَهُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ، وَ رَأَى الْمُعْتَصِمُ أَنَّهُ لَمْ يَوْصِ فِيهَا لِأَوْلَادِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِشَيْءٍ، لِأَنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْإِنْحِرَافِ عَنِ عَلِيٍّ، فَاسْتَبَحَّ الْوَأْتِاقَ فَعَلَهُ، وَ عَدَّلَ الْمُعْتَصِمُ وَصِيَّتَهُ (الأغانى ١٢٦/١٠ و الأوراق للصولى - أشعار أولاد الخلفاء ٤٨ و ٤٩).

٤- كَانَتْ شَكَلَهُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ، سُودَاءَ، وَ كَانَ يَعْتَبِرُ بِهَا، وَ يَنْسِبُهُ إِلَيْهَا مِنْ بِيْتَعَى الطَّعْنَ فِيهِ، وَ لَمَّا أُعْلِنَ خِلَافَتُهُ، قَالَ فِيهِ دَعْبَلٌ [وَفِيَاتِ الْأَعْيَانِ ٤٠/١]: [١] نَعَرُ ابْنَ شَكَلَهُ بِالْعِرَاقِ وَ أَهْلَهُ فَهَذَا إِلَيْهِ كُلُّ أَحْمَقٍ مَاتِقٍ إِنْ بَاتَ إِبْرَاهِيمُ مُضْطَلَعًا بِهَا فَلْتَصْلِحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمَخَارِقِ

فقال: أمير المؤمنين، يقرؤك السلام، و يقول لك: أنا أحمد الله -جلّت عظمته- الذي وفقني لصله رحمك، و الصفح عنك، و قد أمّنتك، و ردّ عليك نعمتك، و جميع ضياعك و أملاكك، فانصرف إلى دارك.

قال: فبدأت أدعو للمؤمن، و غلب البكاء علىّ و الانتحاب، و هو يطالبني بالجواب، و أنا غير متمكّن منه.

فقال لي أحمد: لقد رأيت منك عجباً، أخبرتك أنّي أمرت بضرب عنقك، فلم تجزع، و لم تبك، ثم أخبرتك بتفضّل أمير المؤمنين عليك، و صفحه عنك، فلم تتمالك من البكاء.

فقلت له: أمّا السكوت عند الخبر الأوّل، فلا تنيّ لم أتوسّم -منذ ظفر بي- أن أسلم من القتل، فلما ورد علىّ ما لم أشكّ فيه، لم أجزع له، و لم أبك.

و أمّا بكائي عند الخبر الثاني، فو الله العظيم شأنه، ما هو عن سرور بالحياه، و لا لرجوع النعمه، و ما بكائي إلاّ لما كان منّي في قطيعه رحم من عنده -بعد استحقاقى منه القتل- مثل هذا الصفح الذي لم يسمع في جاهليته و لا إسلام، بأنّ أحدا أتى بمثله، فقد حاز أمير المؤمنين الثواب من الله تعالى، في صله رحمه، و يؤت أنا بالإثم، في قطيعه رحمتي، و قد أظهر إحسانه إساءتي، و حلمه جهلي، و فضله نقصي، و جوابي هو ما شاهدت و سمعت [١٩٥ ر].

فرجع أحمد إلى المأمون فأخبره، ثم عاد إلى بمل و خلع، و مركوب، فانصرفت إلى داري و نعمتي.

قال المأمون: لقد حبب إليّ العفو

حتى خفت أن لا أوجر عليه

[و وجدت الخبر على خلاف هذه الروايه، فأخبرني أبو الفرج الأعمى المعروف بالأصبهاني، قال: أخبرني علي بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، عن الجاحظ، قال:

أرسل إليّ ثمامه، يوم حبس المأمون إبراهيم بن المهدي، وأمر بإحضار الناس على مراتبهم، فحضروا، و جىء بإبراهيم.

قال أبو الفرج، وأخبرني عمي، قال: حدثني الحسن بن عليل (١)، قال:

حدثني [٢] محمد بن عمرو الأنباري [من أنبار خراسان] (٣)، قال:

لما ظفر المأمون بإبراهيم المهدي، أحب أن يوبّخه على رؤوس الأَشهاد، فأمر بإحضار الناس على مراتبهم، و جىء بإبراهيم يرسف في قيوده (٤)، فوقف على طرف البساط في طرف الإيوان، يحجل في قيوده.

فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، و رحمه الله تعالى و بركاته.

فقال له المأمون: لا سلّم الله عليك، و لا كلاك، و لا حفظك، و لا رعاك.

فقال له إبراهيم: علي رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت وليّ الثأر،

ص: ٣٤٢

١- أبو علي الحسن بن عليل بن الحسين بن علي العنزي: أديب، لغوي، عالم بأخبار العرب، إسم أبيه علي، و غلب عليه اسم عليل، و هو لقب له، و له تأليف في اللّغه، و شعر، مات بسامراء سنة ٢٩٠ (الأعلام ٢/٢١٦).

٢- الزيادة من غ.

٣- الزيادة من غ، و أنبار خراسان مدينه قرب بلخ، هي قصبه جوزجان (معجم البلدان ١/٣٦٧).

٤- الرسف: مشيه المقيد.

و القدره تذهب الحفيظه، و قد أصبح ذنبى فوق كلّ ذنب، كما أصبح عفوك فوق كلّ عفو، و لم يبق إلا عفوك أو انتقامك، فإن تعاقب فيحقّك [١٩٥ غ]، و إن تعف فبفضلك، و أنت للعفو أقرب.

فأطرق المأمون ملياً، ثم رفع رأسه، فقال: إنّ هذين أشارا علىّ بقتلك، يعنى أخاه المعتصم، و ابنه العباس، و كانا يشيران عليه فى معظم تدبير الخلافه و السياسه.

فقال إبراهيم: لقد نصحا لك يا أمير المؤمنين فيما أشارا عليك به، و ما غشاك، إذ كان منى ما كان، و لكنّ الله عزّ و جلّ، عودك فى العفو عاده جريت عليها، دافعا ما تخاف بما ترجو، فكفاك الله كلّ مكروه، و دفع عنك كلّ محذور.

قال: فتبسّم المأمون، و أقبل علىّ ثمامه، و قال: إنّ من الكلام ما يفوق الدرّ، و يغلب السحر، و كلام عمى منه، أطلقوه، و فكّوا عن عمى حديده، و ردّوه إلىّ مكرّما.

فلما ردّ إليه، قال: يا عمّ، صر إلى المنادمه، و ارجع إلى الأنس، فلن ترى منى أبدا إلا ما تحب، [فلقد حبّب إلىّ العفو، حتى خفت أن لا- أؤجر عليه، أمّا أنه لو علم الناس ما لنا فى العفو من اللذه، لتقرّبوا إلينا بالذنوب، لا- تثريب اليوم عليك يا عمّ، يغفر الله لنا و لك، و لو لم يكن فى حقّ نسبك ما يبلغ الصفح عن إساءتك، و لو لم يكن فى حقّ قرابتك، ما يستحقّ العفو عن جرمك، لبلغت ما أمّلت بحسن تنصّلك، و لطف توصلك، ثم أمر بردّ ضياعه و أمواله إليه] (١).

فلما كان من الغد، بعث إليه إبراهيم درجا فيه هذه الأبيات: [١٩٣ ر]

ص: ٣٤٣

١- لا توجد فى غ.

يا خير من ذملت (١) يمانيه به بعد الرسول لآيس أو طامع

و الله يعلم ما أقول فإنها جهد الأئنه من حنيف راع

قسما و ما أدلى إليك بحجه إلا التضرع من مقر خاشع (٢)

ما إن عصيتك و الغواه تمدّ لى أسبابها إلا بقلب طائع (٣)

حتى إذا علقت حبال شقوتى بردى على حفر المهالك هائع (٤)

لم أدر أن لمثل ذنبى غافرا فأقمت أرقب أى حتف صارعى

ردّ الحياه علىّ بعد ذهابها عفو الإمام القادر المتواضع (٥)

أحياك من ولاك أطول مدّه و رمى عدوك فى الوتين بقاطع (٦)

إن الذى قسم الفضائل حازها فى صلب آدم للإمام السابع

كم من يد لك لا تحدّثنى بها نفسى إذا آلت إلى مطامعى

أسديتها عفوا إلى هنيئه فشكرت مصطنعا لأكرم صانع

و رحمت أطفالا كأفراخ القطا و حنين و الهه كقوس النازع (٧)

و عفوت عمّن لم يكن عن مثله عفو و لم يشفع إليك بشافع

إلا العلوّ عن العقوبه بعد ما ظفرت يداك بمستكين خاشع (٨)

قال: فبكى المأمون، ثم قال: علىّ به، فأتى به، فخلع عليه، و أمر له بخمسه آلاف درهم، و كان ينادمه، لا ينكر منه شيئا.

ص: ٣٤٤

١- الذميل: السير اللّين، و الذمول: الناقه التى تسير سيرا لّينا.

٢- فى تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠٢: من مقرّ باخع.

٣- فى تاريخ بغداد ص ١٠٢: إلاّ بنيه طائع.

٤- الهوع: التحفّز للوثوب.

٥- فى غ: ورع الإمام القاهر المتواضع.

٦- الوتين: عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلّها.

٧- نزع القوس: جذبها للرمى، يريد أنّ الوالهه، و هي أمّه، عجزو محدودبه الظهر.

٨- وردت القصيده بتمامها فى تاريخ بغداد لابن طيفور ١٠١-١٠٣.

إذا رميت أصابني سهمي

قال أبو الفرج، وروى بعض هذا الخبر، محمد بن الفضل الهاشمي، فقال فيه:

لما فرغ المأمون من خطابه، دفعه إلى أحمد بن أبي خالد الأحول، وقال له:

هو صديقك، فخذة إليك.

فقال: ما يغني هذا عنه، وأمير المؤمنين ساخط عليه، أما و إنّي و إن كنت صديقا له (١٩٦ غ)، لا أمتنع من قول الحقّ فيه.

فقال له: قل، فإنك غير متّهم.

فقال: هو يريد التسلّق (١) إلى أن تعفو عنه [٢٦ ن]، فإن قتلته، فقد قتلت الملوك قبلك من كان أقلّ جرما منه، وإن عفوت عنه، عفوت عمّن لم يعف قبلك أحد عن مثله.

فسكت المأمون ساعه، ثم تمثّل بهذه الأبيات:

فلئن عفوت لأعفون جلا و لئن سطوت لأوهن عظمي

قومي هموا قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

قال مؤلّف هذا الكتاب: وروى أبو تمام الطائي، هذين البيتين في اختياراته التي سمّاها: الحماسه، و قدّم البيت الثاني على الأوّل.

رجع الحديث إلى أبي الفرج، قال:

فقال له المأمون: خذة إليك مكرّما، فانصرف به، ثم كتب إلى المأمون

ص: ٣٤٥

قصيدته العينيه (1)، فلما قرأها رق له، وأمر برده إلى منزلته (2)، ورد ما قبض من أمواله و أملاكه. [١٩٤ ر].

ص: ٣٤٦

١- أورد القاضي التتوخي قصيده ابراهيم العيبيته، في القصه ٢٥٢ من هذا الكتاب.

٢- في غ: إلى منزله.

إبراهيم بن المهدي يحتج لنفسه أمام المأمون

و حدّثني علي بن هشام، المعروف بابن أبي قيراط [١٩٨ غ] الكاتب [البغدادي، قال: حدّثني أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الأنباري الكاتب، المعروف بزنجي، قال: حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن ثوابه (١)، قال:

سمعت موسى بن عبد الملك (٢)، يحدّث عن أحمد بن يوسف الكاتب (٣)، قال:

كنت أشرب مع المأمون، و أنادمه، و أنا أتقلّد له ديوان المشرق، و ديوان الرسائل، قبل وزارتي له، و كنت كثيرا ما أنادمه على الانفراد، و ربما جمع بيني و بين اليزيدي (٤)، [و إسحاق بن إبراهيم الموصلي] ٢.

فلمّا رضى عن إبراهيم بن المهدي، و نادمه، صار لا يكاد يشرب مع غيره و غيري، و يقتصر [٢٧ ن] على استماع الغناء من وراء الستاره، و ربّما حضر إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

ص: ٣٤٧

١- أبو العباس أحمد بن محمّد بن ثوابه: ترجمته في حاشية القصة ١٠٦ من الكتاب.

٢- الزيادة من غ.

٣- أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب: ترجمته في حاشية القصة ٢٦٣ من الكتاب.

٤- محمّد بن يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي، المعروف باليزيدي: هو ابن أبي محمّد يحيى بن المبارك اليزيدي مؤدّب المأمون، و كان محمّد يؤدّب المأمون مع أبيه، و يجالسه، و ثقل سمعه في آخر عمره، فانقطع عن المأمون، فاستحضره، و عاتبه، فاعتذر بثقل سمعه، فلم يقبل عذره، و أمره بمعاودة الحضور، و خرج مع المعتصم إلى مصر في السنة ٢١٤ و توفّي بها (وفيات الأعيان ١٨٨/٦ و ١٨٩ و [١] ابن الأثير ٤٠٩/٦)، و [٢] قد توهم بعض المؤرّخين أنّ الذي كان يحضر مجالس المأمون هو اليزيدي الأب أبو محمّد، و فاتهم أنّ أبا محمّد توفّي في السنة ٢٠٢ قبل عوده المأمون إلى بغداد، كما ذكر ابن خلّكان رحمه الله في وفيات الأعيان ١٨٩/٦ [٣] أنّ محمّد اليزيدي بقي إلى أيام المعتصم، و خرج معه إلى مصر، مع أنّ المعتصم سافر إلى مصر مرّة واحدة في السنة ٢١٤ في أيام المأمون.

فنحن ذات يوم على شرب، و معنا إسحاق، إذ غنى إبراهيم بن المهدي (١)، فقال:

صونوا جيا دكم و اجلوا سلاحكم و شمروا إنها أيام من غلبا

فاستعاده المأمون مرارا، و بان لى فى وجهه الغيظ و الغضب، و الهم، و زوال الطرب، و لم يفتن إبراهيم.

و ترك المأمون القدرح الذى كان فى يده، و نهض، فظنناه يريد الوضوء، ثم غاب.

فما شعرنا إلا و قد استدعانا إلى مجلس آخر، فإذا هو جالس على سرير الخلافة، بقلنسوه، و ثياب الهيبة، و بين يديه إسحاق بن إبراهيم المصعبى، و جلّه القواد.

ص: ٣٤٨

١- كان إبراهيم بن المهدي يعير بالغناء، و يعير به بنو العباس، و لما أعلن خلافته، قيل فيه: إن بات إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق و مخارق من محترفي الغناء (وفيات الأعيان ١/٤٠)، و [١] عند ما عجز فى أيام خلافته عن تدارك أرزاق الجند، قيل على سبيل السخرية منه إنه سوف يغنى للجند أصواتا، بدل الرزق، فقال الشاعر [تاريخ بغداد ٦/١٤٢]: [٢] يا معشر الأجناد لا تيأسوا من رحمه الله و لا تقنطوا فسوف تسقون حنينيه يلتذها الأمد و الأشمط و المعبديات لقوادكم لا تدخل الكيس و لا تربط و هكذا يرزق أصحابه خليفه مصحفه البربط الحنيتيه: غناء حنين، و المعبديات: غناء معبد، و البربط: آله موسيقية تريه، و قال أبو فراس الحمداني، يعير به بنى العباس [ديوان أبي فراس ٢٥٥ و ٢٥٩]: بنو علي رعايا فى ديارهم و الأمر تملكه النسوان و الخدم منكم عليه أم منهم و كان لكم شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

فاستدعى إبراهيم بزيه، فحضر بأخس صورته وأقبحها، و عليه ثياب المناديه، يفضحه بذلك.

فلما وقف بين يديه، قال له: يا إبراهيم، ما حملك على الخروج [١٩٩ م] عليّ، و الخطبه لنفسك بالخلافه.

قال أحمد بن يوسف: و قد كنت لَمّا أبطأ المأمون عن مجلس الشرب، تعرّفت الصوره، فلما استدعاني، جئت و قد لبست ثياب العمل، و نزع ثياب المناديه.

فلَمّا سألت إبراهيم عن ذلك، في مثل ذلك المجلس، علمت أن الصوت قد ذكره [ما كان من إبراهيم، و لم أشك في أنه سيقتله] (١).

فأقبل عليه إبراهيم بوجه صفيق، و قلب ثابت، فقال: يا أمير المؤمنين لست أخلو من أن أكون عندك عاقلاً، أو جاهلاً، فإن كنت جاهلاً، فقد سقط عني اللوم، من الله تعالى ثم منك، و إن كنت عاقلاً، فيحسن أن تعلم أنني قد علمت أن محمداً أحاك مع أمواله و ذخائره، و أموال والدته، و كثره ضياعها و صنائعها، و الأعمال التي كانت في يده و ارتفاعها، و محبته بني هاشم له، لم يثبت لك، و هو الخليفه، و أنت أمير من أمرائه، فكيف أثبت أنا لك، و أنا في قوم أكثر رزق الرجل منهم ثلاثون درهماً في الشهر، و قد غلبني على بغداد ابن أبي خالد العياري، و أصحابه، يقطعون، و يضربون، و يحبسون، و يطلقون، و و الله جلّ شأنه، و حقّ رسول الله، و حقّ جدّي العباس [١٩٩ غ]، ما دخلت فيما دخلت فيه، إلا لأبقى هذا الأمر عليك، و على أهل بيتك، لَمّا رأيت الفضل ابن سهل قد حملة البطر و الرفض على أن أخرج الخلافه عنك، فأردت ضبط الأمر، إلى أن تقدم فتسلّمه.

قال: فرأيت المأمون و قد أسفر وجهه، و قال: عليّ بنافذ الخادم، فأحضر.

ص: ٣٤٩

١- الزيادة من غ.

فقال له: رقعته سلّمتها إليك بمرو، قبل رحيلي عنها، وأمرتك بحفظها، هاتها.

فمضى، وجاء بسفط، ففتحه، وأخرج منه الرقعه، فإذا مكتوب فيها بخط المأمون: لئن أظفرتني الله عزّ وجلّ بإبراهيم بن المهدي، لأسألته بحضره الأولياء، والخاصّه من أهل بيتي وأجنادي، عن السبب الذي دعاه إلى الخروج عليّ، فإن ذكر أنّه إنّما أراد بذلك حفظ الأمر على أهل بيتي، لما جرى في أمر عليّ ابن موسى، لأخيلنّ سبيله، ولأحسننّ إليه، ولئن ذكر غير ذلك من العذر - كائنا ما كان - لأضربنّ عنقه.

قال أحمد بن يوسف: ولم يكن بحضرته كاتب غيري، فدفعها إليّ، وقال:

يا أحمد، ادفعها إليه.

ثم قال: يا عمّ، خذ براءتك من أحمد، وعد إلى مجلسك الذي خلّفتك فيه.

قال: فسلمت الرقعه إليه، وعدنا إلى مجلسنا و موضعنا، فطرح إبراهيم نفسه مغشياً عليه.

فما شعرنا إلّا والمأمون قد رجع بثياب بذلته، فقمنا و جلسنا مجلسنا، وقال:

ارجعوا إلى ما كنّا عليه، وأتممنا يومنا ذلك معه.

المأمون ينصب صاحب خيبر

على إبراهيم بن المهدي

قال أبو الفرج، وفي خبر عمي، عن الحسن بن عليل، قال: حدثني محمد بن إسحاق الأشعري، عن أبي داود، قال:

إن المأمون، تقدّم إلى محمّد بن داود، لما أطلق إبراهيم، وأمره أن يمنع إبراهيم من داري الخاصّة (١)، والعامّة (٢)، وكلّ رجلا من قبله، يثق به، ليعرفه أخباره، وما يتكلّم به (٣).

فكتب إليه الموكّل يوماً: إن إبراهيم، لما بلغه منعه من داري الخاصّة والعامّة، تمثّل بهذين البيتين:

يا سرحة الماء قد سدّت موارده أما إليك طريق غير مسدود

لحائم حام حتى لا حيام به مشرّد عن طريق الماء مطرود

قال: فلما قرأها المأمون بكى، وأمر بإحضاره من وقته مكرّماً، وإجلالته في مرتبته، فصار إليه محمّد، فبشّره، وأمره بالركوب، فركب.

فلما دخل على المأمون، قبل البساط، وأنشأ يقول:

البرّ بي منك وطأ العذر عندك لي فيما أتيت فلم تعذل ولم تلم

وقام علمك بي فاحتجّ عندك لي مقام شاهد عدل غير متّهم

ص: ٣٥١

١- دار الخاصّة: الدار التي يستقبل فيها الخليفة خاصّه الناس من كتابه، وقواده، وحاشيته.

٢- دار العامّة: الدار التي يستقبل فيها الخليفة الناس يوم الموكب، حيث لا يمكن الدخول إليه إلا بسواد، ويجلس فيها للمظالم، فلا يمنع عنه أحد من الناس.

٣- صاحب الخبر: راجع البحث في آخر القصة.

تعفو بعدل و تسطو إن سطوت به فلا عدمناك من عاف و منتقم (١)

فقال له: اجلس يا عمّ آمنّا مطمئنا، فلست ترى منّي ما تكره، إلّا- أن تحدث حدثا، و أرجو أن لا يكون منك ذلك، إن شاء الله تعالى.

ص: ٣٥٢

١- في تاريخ بغداد لابن طيفور ص ١٠٣، الأبيات أربعة، و ليس فيها الثالث المثبت هاهنا، أمّا البيتان الآخران، فهما: رددت مالي و لم تبخل عليّ به و قبل ردّك مالي قد حقنت دمي فرحت منك- و ما كافيتني- بيد هي الحياتان من موت و من عدم

صاحب الخبر: شخص ينيط به الحاكم أن يرفع إليه خبر جميع ما تقع عليه عينه، أو يصل إلى سمعه، و هو للحاكم بمنزله العين الباصره و الأذن السامعه (آثار الدول ٨٣).

و يعنى الحاكم باختيار صاحب الخبر عناية عظيمه (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٥).

و يختلف مقام صاحب الخبر، باختلاف عمله، من الشخص البسيط المكلف بتلقظ الأخبار من ألسنه المجتازين، و أبناء السبيل، و الأطفال (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٦) إلى صاحب البريد الذى ينصبه الخليفه رقبيا على أكابر عمّاله، و على أصحاب الأطراف فى مختلف أرجاء المملكه (تاريخ بغداد لابن طيفور ٧١ و القصه ٥٢/٨ و ٥٣ من نشوار المحاضره، و جهات الخلفاء ٧ و ٨).

و يقتضى أن لا تكون واسطه بين صاحب الخبر، و بين الحاكم الذى نصبه (آثار الدول ٨٥)، و عليه أن يوصل الخبر بأسرع السبل و أعجلها، و هو ملزم بأن ينقل كل ما يرى و يسمع، خيرا كان أو شرا (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٥).

و ليس لصاحب الخبر أن يناقش أحدا من الناس، موظفين أو رعيتيه، فيما قالوا و ما صنعوا، و إنما عليه أن يكتب ما يرى و يسمع (تاريخ بغداد لابن طيفور ٣٧).

و كان الخليفه عمر، عظيم التدقيق فى سلوك عمّاله، و كذلك كان معاويه، و زياد، و عبد الملك بن مروان، و الحجاج (المحاسن و المساوىء ١١٠/١ و ١١١).

أميا المنصور العباسى، فقد فاق من سبقه فى البحث عن الأخبار (العيون و الحدائق ٢٣٤/٣ و الطبرى ١٠٦/٨ و المحاسن و المساوىء ١١٢/١-١١٥).

و سار الرشيد على طريقه المنصور فى البحث عن أسرار رعيتيه (المحاسن و المساوىء ١١١/١، و الأغاني ١٠٧/١٩، و الطبرى ٢٨٩/٨ و ٢٩٧).

و كان المأمون له على كل شىء صاحب خبر (وفيات الأعيان ١٧٩/٦) و كان يفحص عن عمّاله، و رعيتيه (المحاسن و المساوىء ١١٧/١)، و القصه المشته فى تاريخ بغداد لابن طيفور ص ٩٩ توضح مقدار إطلاع المأمون على أسرار عمّاله و حاشيته، كما أنّ رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبى، بشأن الفقهاء و أصحاب الحديث، الذين امتحنهم بالقول بخلق القرآن، تدل على معرفته بأمور رعيتيه، معرفه قد تخفى على غيره، و فيها دليل على عظيم

إستقصائه،راجع فى المحاسن و المساوىء ١١١/١-١١٧ بعض القصص التى تدل على دقق معرفته بما خفى من أمور رعيتته.و راجع كذلك،تارىخ الحكماء ٣٢٩،و العيون و الحدائق ٣/٣٦٤،و الأغانى ط بولاق ٢٠/٨٢.

و كان الرشيد،و المعتصم،و المتوكل،و المعتضد،يبحثون عن أحوال الناس غايه البحث،و يتلطفون فى الاطلاع على الأمور(آثار الدول ٨٦).

و كان لكل خليفه،أصحاب أخبار على وزرائه،و على الموظفون فى الدواوين،و على ما فى داره،و ما يقع خارج بابہ(القصة ١٧٤/٣ من النشوار،و القصة ١٤٣ من هذا الكتاب،و رسوم دار الخلافه ٧٢ و ٧٦،و تارىخ بغداد لابن طيفور ٣٥ و الوافى بالوفيات ٢٣١/٧).

و كان الحاكم الفاطمى بمصر،كثير الطلب لأخبار الناس(شذرات الذهب ٣/١٩٤).

و كان الأمراء من كبار العمال،لهم أصحاب أخبار فى دار الخليفه(الأغانى ١٥/٢٣٤، و القصة ٢/٢ من نشوار المحاضره،و وفيات الأعيان ٦/٣١٥).

و كان عضد الدوله،له أصحاب أخبار فى كل مكان،حتى أنه كان يقدم لمؤدبى الصبيان أرزاقا،لكى يسألوا من أولاد الجنود،عن أمور آبائهم(ذيل تجارب الأمم ٣/٥٨-٦٤) و راجع المنتظم ٧/١٥٥ و الإمتاع و الموانسه ٣/١٤٨).

و كان أحمد بن طولون يضع أصحاب أخبار على قواده(آثار الدول ٨٧).

و كان الخليفه الناصر العباسى،عظيم العنايه بتسقط الأخبار(ابن الأثير ١٢/٤٤٣ و تارىخ الخلفاء ٤٤٩ و ٤٥١)و كذلك كان الأمير تغرى و رمش صاحب حلب(أعلام النبلاء ٣/٣٥).

و لزياده التفصيل راجع كتابنا(الاستخبارات فى العهدين الأموى و العباسى)و هو معدّ للطبع،و ساعنى بإخراجه،بعد إخراج هذا الكتاب.

ما بقاء جلده تنازعها ملكان

وجدت في بعض الكتب: أنّ كسرى أبرويز (١)، ركب يوماً فرسه الشبديز (٢)، فتلكأ عليه، فجذب عنانه، فانقطع.

فاستحضر صاحب السروج، وقال: يكون عنان مثلي ضعيفا ينقطع؟ اضربوا عنقه.

فقال: أيها الملك، اسمع، وانصف.

قال: قل.

قال: ما بقاء جلده يتنازعها ملكان، ملك الناس، و ملك الدواب.

فقال كسرى: زه، زه، أطلقوا عنه، وأعطوه اثني عشر ألف درهم.

ص: ٣٥٥

١- في غ: كسرى أنوشروان.

٢- الشبديز: فارسيه من شب: الليل، و ديز: اللون، و في ن: الشيراز، و تعنى بالفارسيه: اللبن الرائب.

أنظر كيف كانت عاقبه الظالمين

[و ذكر محمّد بن عبدوس، في كتابه «الوزراء»، عن محمّد بن يزيد، قال] (١):

أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجتهم، و تركت يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج (٢)، فحقّد عليّ، و نذر دمي.

فإنّي بإفريقيه، إذ قيل: قدم يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجّاج، صارفاً لمحمّد بن يزيد مولى الأنصار (٣)، من قبل يزيد بن عبد الملك، و كان ذلك بعد وفاه عمر بن عبد العزيز، فهربت منه، و علم بمكاني، فطلبني، فظفر بي.

فلما دخلت إليه، قال: لطالما سألت الله أن يمكّنني منك.

فقلت: و أنا- و الله- لطالما سألت الله عزّ و جلّ، أن يعيذني منك.

فقال يزيد: ما أعاذك الله منّي، و الله لأقتلنك، و لو سابقني ملك الموت إلى قبض روحك، لسبقته.

ثم دعا بالسيف و النطع، فأتى بهما، و أمر بي، فأقمت في النطع، و كتّفت، و شدّ رأسي، و قام ورائي رجل بسيف منتضى، يريد أن يضرب عنقي، و أقيمت الصلاة.

فقال: امهلوه، حتى أصلي، و خرج إلى الصلاة.

ص: ٣٥٦

١- في غ: ذكر محمّد بن عبدوس الجهشياري، رحمه الله، في كتاب الوزراء و الكتيّاب، [١] أنّ عمر بن شيبه، قال: حدّثني بعض أصحابنا عن أمّيه بن خالد، عن عوانه بن الحكم عن الوضّاح بن خيثمه: قال: ... الخ.

٢- أبو العلاء يزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي: ترجمته في حاشيه القصّه ١٠٥ من الكتاب.

٣- راجع القصّه ١٠٥ و ١٨٢ من هذا الكتاب.

فلما سجد، أخذته السيوف، فقتل، و دخل إلى من حلّ كتافى، و رأسى، و خلّى سبيلى، فانصرفت سالما (١).

ص: ٣٥٧

١- لم ترد هذه القصة فى م، و قد وردت فى العقد الفريد ٤/٤٢٧، كما ورد خبر مقتل يزيد فى الكامل لابن الأثير ٥/١٠١ و فى الطبرى ٦/٦١٧.

أمر الرشيد بأسيرين

فقطعا عضوا عضوا ثم مات

و ذكر محمد بن عبدوس، في كتابه كتاب الوزراء، قال:

لَمَّا سار الرشيد إلى طوس (١)، واشتدَّت علته، أتصل خبره بالأمين، فوجه ببكر بن المعتمر (٢)، ودفع إليه كتباً إلى الفضل بن الربيع، وإسماعيل بن صبيح (٣)، وغيرهما [٢٠٠ م] يأمرهم بالقفول (٤) إلى بغداد، إن حدثت الحادثة بالرشيد، والاحتياط على ما في الخزائن، وحمله.

و قد كان الرشيد جدّد الشهادة للمأمون بجميع ما في عسكره، من مال،

ص: ٣٥٨

١- طوس: حضره خراسان اليوم، وفيها قبر الإمام علي الرضا عليه السلام و بجانبه قبر هارون الرشيد، و كانت مرو حضره خراسان، فلَمَّا وليّ عبد الله بن طاهر خراسان، جعل حضرته نيسابور.

٢- أبو حامد بكر بن المعتمر، كاتب الأمين، و مستودع أسرارهم، و رسوله في المهمّات (الطبري ٣٦٦/٨، ٣٦٩، ٣٦٨)، و [١] هو أحد من أشار على الأمين بخلع أخيه المأمون، قال المأمون: يؤخذ بدم أخي محمد ثلاثه، الفضل بن الربيع، و بكر بن المعتمر، و السندی بن شاهك (تاريخ بغداد لابن طيفور ١٥) و قال الشاعر (الطبري ٣٩٦، ٣٨٩/٨): [٢] أضاع الخلافة غشّ الوزير وفق الأمير، و جهل المشير ففضل وزير، و بكر مشير يريدان ما فيه حتف الأمير

٣- إسماعيل بن صبيح: كان يلي زمام ديوان الخراج للمهدى، ثم كتب ليحيى بن خالد في أيام الهادي، لما كان يحيى على ما يليه هارون الرشيد من عمل المغرب، ثم وليّ زمام ديوان الشام و ما يليها، و لمّا استخلف الرشيد عاد إلى كتابه يحيى، و كان يكتب بين يدي الرشيد، و لمّا اختلف الاخوان مال إلى جهة الأمين، و كان يكتب بين يديه، حتى إذا فرّ الفضل بن الربيع و استتر، استوزره الأمين (الطبري ٣٣٢، ١٦٧/٨، ٢٨٣، ٢٢٨، ٢٠٧، ٣٣٧-٣٣٧، ٤٠٠، ٢٨٦، [٣] العيون و الحدائق ٣/٣٤٢).

٤- القفول: العوده من السفر، و سميت الرفقه المسافره: قافله، تفاؤلاً بعودتها من سفرها سالمه.

و أثاث، و خرثي (١)، و كراع (٢)، و غير ذلك.

فلما ورد بكر بن المعتمر على الرشيد، أوصل كتباً ظاهره كانت معه، بعياده الرشيد.

و كانت الكتب الباطنه، قد اتّصل خبرها بالرشيد، فأحضر بكراً و طالبه بالكتب الباطنه، فجحدها.

قال: فذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: حدّثني أبي، قال:

كنت مع الرشيد، بطوس، لما ثقل في علته، و قد ورد بكر بن المعتمر، و المأمون حينئذ بمرو، و قد ظفر الرشيد بأخي رافع بن الليث (٣)، فأحضر في ذلك اليوم، و معه قرابه له.

فخلع الرشيد على بكر، و صرفه إلى منزله، ثم أمر [٢٠٠ غ] بإحضاره، و مطالبته بالكتب الباطنه، فجحدها، فأمر بحبسها.

ثم جلس الرشيد جلوساً عاماً، في مضرب خزّ أسود، [استدارته أربعمائه ذراع، في أركانه أربع قباب، مغشاه بخزّ أسود، و هو جالس في فازه (٤) خزّ أسود، في وسط المضرب، و العمد كلّها سود، و قد جعل مكان الحديد فضّه، و الأوتاد،

ص: ٣٥٩

١- الخرثي: السقط من المتاع، حرّفها البغداديون، فهم الآن يلفظونها: خرده.

٢- الكراع: الدوابّ عامه من خيل و بغال و حمير.

٣- رافع بن الليث بن نصر بن سيّار: كان جدّه نصر بن سيّار آخر أمراء خراسان للأُمويّين، و خرج رافع على الرشيد في السنه ١٩٠ أخرجه ظلم على بن عيسى بن ماهان أمير خراسان للرشيد، فوثب رافع بعامل سمرقند و قتله و نصره الناس فيها، فاستولى عليها، فوجه إليه أمير خراسان- و كانت سمرقند في إمارته- ولده عيسى، فقتله رافع، و اشتدّت شوكته، فخرج الرشيد لحربه في السنه ١٩٣ و مات الرشيد بطوس، فلما إنتهى إلى رافع حسن سيره المأمون بعث إليه يطلب الأمان، فأمنه و أكرمه (العيون و الحدائق ٣١١/٣-٣٢٢).

٤- الفازه: المظله بعمودين (المنجد)، و تكون من الخرق (لسان العرب).

و الحبال، كلّها سود] (١)، و عليه جيّه خزّ سوداء، و تحتها فروه فنك (٢)، قد استشعره (٣)، لما هو فيه من شدّه البرد و العله، و فوقها درّاعه خزّ أسود، مبطنه بفنك، و قلنسوه طويله، و عمامه خزّ سوداء، و هو عليل لما به (٤)، و خلف الرشيد خادم يمسكه لثلا يميل بيده (٥)، و الفضل بن الربيع جالس بين يديه.

فقال للفضل: مر بكرة يا حضار ما معه من الكتب السريه.

فأنكرها، و قال: ما كان معي إلا الكتب التي أوصلتها.

فقال للفضل: توعدّه، و أعلمه أنّه إن لم يمتثل، قتلته، فأقام بكر على الإنكار.

فقال الرشيد، بصوت خفيّ: قنبوه (٦)، فجىء ببكر، و جىء بالقنب، و قنب من فرقه إلى قدمه.

قال يكر: فأيقنت بالقتل، و يئست من نفسى، و عملت على الإقرار.

فأنا على ذلك، و إذا قد أحضر هارون أخا رافع (٧)، و قرابته الذى كان معه.

ص: ٣٦٠

١- لم ترد هذه الجملة فى غ، أقول: إنّ هذا البيت الخزّ الأسود الذى مات فيه هارون الرشيد بطوس، انتقل إلى ملكيه الفاطميين، و ظهر فى تركه السيده رشيد ابنه المعزّ لدين الله لما توفيت فى السنه ٤٤٢ بمصر (خطط المقرئى ١/٤١٥).

٢- الفنك، بفتح الفاء و النون: حيوان صغير شبيه بالثعلب، لا- يتجاوز طوله أربعين سنتيمترا بما فيه الذنب، فروته من أحسن الفراء (المنجد، و معجم الحيوان ١٠٦).

٣- الاستشعار: لبس الشىء تحت الثياب.

٤- لما به: تعبير يعنى أنّه فى حاله الاحتضار.

٥- فى غ: و خلف المسند خادم يمسكه بيديه لثلا يميل.

٦- القنب، بضم القاف: ليف تصنع منه حبال متينه، و التقنيب: التكييل بالقنب.

٧- جاء فى الطبرى ٣٤٢/٨ [١] أنّ أخا رافع، اسمه بشير بن الليث، و أنّ الرشيد نظر إليه، ثم قال له: أما و الله يا ابن اللخناء إتنى

لأرجو أن لا يفوتنى حامل- يريد رافعا- كما لم تفتنى، فقال له: يا أمير المؤمنين، قد كنت لك حربا، و قد أظفرك الله بى، فافعل ما

يحب الله، أكن لك سلما، و لعلّ الله أن يلين لك قلب رافع إذا علم أنّك قد مننت علىّ، فغضب، و قال: و الله، لو لم يبق من أجلى

إلا-

فقال الرشيد: أيتوهم رافع أنه يفلت مني، والله لو كان معه عدد نجوم السماء، لا لتقطتهم واحدا بعد واحد، حتى أقتلهم عن آخرهم.

فقال الرجل: الله، الله، يا أمير المؤمنين في، فإن الله تعالى يعلم، وأهل خراسان، أنني بريء من أخي منذ عشرين سنة، ملازم منزلي، ومسجدي، فاتق الله في، وفي هذا الرجل.

فقال له قرابته: قطع الله لسانك، أنا والله - منذ كذا وكذا [٢٨ ن] أدعو الله بالشهادة، فلما رزقتها على يدي شر خلقه، أخذت في الاعتذار.

قال: فاغتاظ الرشيد، وقال: عليّ بجزارين.

فقال له قرابه رافع (١): افعَل ما شئت، فإننا نرجو من الله تعالى أن يرزقنا الشهادة، ونقف نحن و أنت، بين يدي الله عز وجل، في أقرب مدّه، فتعلم كيف يكون حالك.

فنجيا، وأمر بهما، فقطعا عضوا، عضوا (٢)، فوالله، ما فرغ منهما، حتى توفي الرشيد.

قال بكر: وأنا أتوقع القتل بعدهما، حتى أتاني غلام لأبي [٢٠١ م] العتاهيه، قد بعث به مولاه، و كتب في راحته شيئا أرانيه، فإذا هذه الأبيات:

[١٩٦ ر].

هي الأيام والغير و أمر الله منتظر

أتأس أن ترى فرجا فأين الله و القدر

ص: ٣٦١

١- في غ: قرابه هارون.

٢- راجع بحث العذاب في آخر القصه.

قال: فوثقت بالله، و قويت نفسي، ثم سمعت واعيهِ (١) لا أفهم معناها، و إذا الفضل بن الربيع قد أقبل إليّ.

فقال: خلّوا أبا حامد.

فقلت: ليس هذا وقت تكنيتي، فحللت، و دعا لي بخلع، فخلعت عليّ.

ثم قال: أعظم الله أجرَك في أمير المؤمنين، و أخذ بيدي، و أدخلني بيتا، فإذا الرشيد مسجّي فيه، فكشفت عن وجهه، فلمّا رأيته ميتا، سكنت.

فقال: هيه، هات الكتب الباطنه التي معك.

قال: فأحضرت صندوقا للمطبخ قد نقبت قوائمه، و جعلت الكتب فيها، و جعلت الجلد فوقها، فأمرت بشقّ الجلد، و كسر القوائم، و سلّمت [٢٠١ غ] الكتب إلى أصحابها، و أخذت الأجوبه، و انصرفت.

قال مؤلّف هذا الكتاب: و قد أتى أبو الحسين القاضي في كتابه بهذين البيتين، لأبي العتاهيه، من غير أن يذكر القصّه، و زاد بين البيت الأول، و البيت الثاني، بيتا، و هو:

فلا تجزع و إن عظم ال بلاء و مسك الضرر

و ذكر أبو بكر الصولي هذا الخبر، في كتابه المسمّى بكتاب الأوراق، الداخِل فيما أجاز لي روايته، بعد ما سمعته منه، [فقال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، قال: حدّثني بعض أصحابنا] (٢) عن بكر بن المعتمر، و ذكر نحو ذلك، إلّا شعر أبي العتاهيه [فإنّه ما ذكره، و قال: إنّ مضرب الرشيد أسود كلّه، له شرف] (٣)، كأنّه جبل أسود] ١٩، و لم يقل أنّ الرشيد في قبه خزّ، قال: و الرشيد في فازه خزّ سوداء، و على سريره دست خزّ أسود، و عليه جبّه

ص: ٣٤٢

١- الواعيهِ: الصوت و الصراخ.

٢- الزيادة من غ.

٣- الشرف: ما برز من البناء أو الخباء.

سوداء، تحتها فنك، و قد لبسها بلا قميص، و هو مستند إلى مسند الدست.

قال: فخرج إلى الفضل، فحلني، و سلم عليّ، و كان لي صديقاً.

و قال لي: أين كتبك على الحقيقة؟

فقلت: ما معي كتب.

فقال: إنه قد مات، و كأنه رأى لم أصدق ذلك، فأخذ بيدي، حتى وقفني عليه، و هو ميت.

فقلت: ما أعجب هذا؟

فقال: إنه تحامل لك و للرجلين، فجلس و هو لا يطيق، و قد خرق في السرير خرق ينجو منه (١)، و تحت فراشه الأسود جاروسن (٢)، و الخدم قعود خلف السرير، يستندون أطراف جنبه (٣)، و لو لا مكانهم ما ثبت جالساً، فلمّا كلم الرجلين، و رفع صوته و حرد، غشى عليه، فكأنه ذباله (٤) أضواء ثم طفئت (٥).

ص: ٣٦٣

- ١- النجو، و جمعه نجا، بكسر النون: ما خرج من البطن من ريح أو غائط.
- ٢- لم أفهم معنى هذه الكلمة، و لم أستطع أن أردّها إلى أصلها.
- ٣- في غ: يمسكون أطراف جبته.
- ٤- الذبالة: فتيله السراج.
- ٥- لم ترد هذه القصّة في ر.

العذاب، في اللغة: النكال، وكل ما شقَّ على الإنسان، وصعب عليه تحمُّله، جثماتياً كان أو نفسائياً، ولم يكن العذاب معروفاً في صدر الإسلام، فإنَّ الإسلام جاء بالسلام والمودَّة، والعطف والرحمة، وشعاره: أن لا إكراه في الدين، واختصر نبيُّ الإسلام عليه السلام جميع ما قام به في كلمه واحده، قال: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وكانت وصيته لكل سرِّيه يبعث بها إلى الحرب: لا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأه، ولا وليداً (العقد الفريد ١/١٢٨)، وخلفه أبو بكر الصديق، فكانت وصيته: لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأه، ولا تعقروا نخلاً، ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجره مثمره، ولا تذبحوا شاه، ولا بقره، ولا بعيراً، إلاً لمأكله، وسوف تمرّون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان)، فدعوهم و ما فرغوا أنفسهم له (الطبري ٣/٢٢٧)، و جيء له مرّه، برأس أحد القتلى في إحدى المعارك، فغضب، وقال: هذا من أخلاق العجم، ومنعهم من تكرار ذلك، إذ اعتبر أن قطع الرأس من جملة المثله المنهى عنها، ولتّياً اغتال عبد الرحمن بن ملجم، الإمام علي بن أبي طالب، أوصى ولده الحسن، وهو يودّع الحياه، وقال في آخر وصيته، و أما عبد الرحمن، فإن عشت فسأرى فيه رأبي، وإن متّ، فضره بضره، ولا يمثّلنّ بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله يقول: إيّاكم والمثله، ولو بالكلب العقور (الطبري ٥/١٤٨ و ابن الأثير ٣/٣٩١)، ولما قتل علي بن أبي طالب، وتغلّب معاوية بن أبي سفيان على السلطه، تغيّر الأمر عمّا كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين و أخذ معاوية يحاسب أصحاب علي، على تصرفاتهم السابقه، و يطالبهم بالبراءه من علي، فإن لم يبرأوا، جرد لهم السيف، و أعدّ لهم أكفانهم، و حفر لهم قبورهم، و قتلهم أمام قبورهم المحفور، و أكفانهم المنشوره (العقد الفريد ٣/٢٣٤)، و مما صنعه، أنّه بعد أن استتبَّ له الأمر، تتبّع من كان من أنصار علي، ففرّ منه عمرو بن الحمق الخزاعي، فأذكى عليه العيون والأرصاد، و اعتقل امرأته، و حبسها في سجن بدمشق، ثم أمسك بعمرو، وقتله، و قطع رأسه، و أمر أحد

أعوانه بأن يدخل على المرأة في سجنها، وأن يضع رأس زوجها في حجرها (بلاغات النساء ٦٤ و الديارات ١٧٩ و ١٨٠) و سار من بعده بهذه السيره هشام بن عبد الملك، إذ أمر برأس الإمام زيد بن علي بن الحسين، فوضع في حجر زوجته ريطه بنت عبد الله بن محمّد ابن الحنفية، فقابل عامر بن إسماعيل، قائد الجيش العباسي، ذلك، بأن أمر بأن يوضع راس مروان الحمار، آخر الحكام الأمويين، في حجر ابنته (بلاغات النساء ١٤٥)، و لما قتل المنصور محمّد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، بعث برأسه، فوضع بين يدي أبيه، عبد الله بن الحسن بن الحسن (زهر الآداب ٧٦/١)، و لما قتل المستعين، أمر المعتز، فوضع رأسه بين يدي جاريته التي كان يتحفظها (الديارات ١٧٠)، و في السنة ٣١١ لما اعتقل الوزير أبو الحسن بن الفرات، و ولده المحسن، بعث نازوك بعجيب خادمه، فضرب عنق المحسن، و جاء برأسه، فوضعه بين يدي أبيه (تجارب الأمم ١٣٨/١ و التكملة ٤٦)، و في السنة ٣٢١ إعتقل القاهر كلا من علي بن يلبق، و أباه يلبق، و مؤنس المظفر، و دخل القاهر إلى موضع اعتقالهم، فذبح علي بن يلبق بحضرته، و وجه برأسه إلى أبيه، فلما رآه جزع و بكى بكاء عظيما، ثم ذبح يلبق، و وجه بالرأسين إلى مؤنس، ثم أمر القاهر، فجرّ برجل مؤنس إلى البالوعة، و ذبح كما تذبح الشاه، و القاهر يراه (تجارب الأمم ٢٦٧/١ و ٢٦٨) و كانت الخصومه السياسيّه تزداد عنفا بمرور الأيام، حتى أصبح العذاب أمرا متعارفا مألوفاً، تمارسه الفئه الحاكمه، ضد خصومها السياسيين، ثم امتدت ممارسته، فشملت الأمراء، و الوزراء، و العمّال المصروفين (حاشيه القصة ٣٧٩ من هذا الكتاب) و ابتلى الناس بأمر قساه، كانوا يتلذذون بتعذيب الأسرى و المعتقلين، فقد كان زياد ابن أبيه يدفن الناس أحياء (المحاسن و الأضداد للجاحظ ٢٧ و الأغانى ١٥٣/١٧) و تابعه في ذلك ولده عبيد الله (المحاسن و المساوىء ١٦٥/٢) و زاد عليه بأنّه كان يرمى أسراه من شاهق (ابن الأثير ٣٥/٤ و ٣٦) و كان يقتل الصبيّه، و يتلذذ بمشاهده مقتلها، و أتهم عروه بن أدية، بأنّه يرى رأى الخوارج، فقطع يديه و رجله، ثم قطع رأسه، و بعث بالرأس إلى ابنه عروه، فجاءت الصبيّه لتأخذ جثّه أبيها، فأمر بقتلها، فقتلت، و هو يمتّع نفسه بالنظر إليها (أنساب الأشراف ٨٩/٥)، أمّا الحجاج بن يوسف الثقفي، و قسوته، و تلذذه بتعذيب الناس، فإنّ ذلك أشهر من أن يحتاج إلى تفصيل (راجع حاشيه القصة ٦٧ و القصة ١٤٩ من هذا الكتاب)، و ممن ضرب أسوأ الأمثال في القسوه، أبو جعفر المنصور (راجع حاشيه القصة ٣١٨ من هذا الكتاب، و العقد الفريد ٨٧/٥-٨٩، و الفخرى ١٦٤)،

و المتوكّل (راجع ترجمته فى حاشيه القصّه ٧٣ من هذا الكتاب، و راجع كذلك الطبرى ١٩٩/٩-٢٠١) و المعتضد (راجع القصص ٧٣/١ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ١٧٢/٢ من النشوار، و الطبرى ٨٦/١٠ و مروج الذهب ٤٩٣/٢) و القاهر (القصّه ٣٣/٢ و ٣٤ من النشوار و تجارب الأمم ٢٤٣/١ و ٢٤٤ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و المنتظم ٢٥٠/٦ و تاريخ الخلفاء ٣٨٧).

و يمكن تقسيم العذاب باعتبار القصد منه، إلى قسمين: العذاب بقصد القتل، و العذاب بغير قصد القتل.

أمّا العذاب بغير قصد القتل، فأهونه الشتم، و أشدّه قطع أجزاء من البدن، و يتسلسل من الشتم إلى الحصب، فعرك الأذن، فالرمى بالمخصره أو الدواه، فالبصق فى الوجه، فالإلجام، فالصفع، و يكون باليد أو النعل أو الجراب أو السلقي، فالركل، فاللطم، فوجء العنق، فالسحب على الأرض، فالضرب، و يحصل بالعصا، أو السوط، أو بالسلاسل، أو بالأعمده، أو بالحجاره، فاستئصال الشعر، و يحصل بحلق اللحي، أو مسح الوجه (أى حلق اللحيه و الشارب و الحاجبين)، أو نتف اللحي، أو نتف شعر الرأس، أو نتف شعر البدن، فالإشهار، و يحصل بالباس المطلوب إشهاره لباسا مشهّرا ملوّنا، و حمله على دكّه عاليه، أو حمار، أو جمل، أو فيل، و قد يسوّد وجهه بنفس من بوقه السواد، و قد يكون معه من ينادى عليه، أو من يضربه بيده، أو بعصا، أو بنعل، و قد يقترن به حيوان، فالحبس، و يكون بحجز الإنسان فى السجن، أو فى المظموره، أو فى المطبق، أو فى البئر، أو فى الكنيف، فالغلّ و القيد، فحمل الأثقال، فالصلب، و يحصل بربط الإنسان أو شدّه حيا إلى خشبه و عرضه للناس، فالتعليق: و يحصل بتعليق الإنسان من يديه، أو من يد واحده، أو من الرجلين منكوسا، أو من رجل واحده، أو من الثدي عند المرأه، فالتسمير: و يحصل بتسمير اليدين إلى لوح أو خشبه، فدقّ ليط القصب تحت الأظفار، فالمساهره، فشّد الخنافس على الرأس بعد حلق الشعر، فالنطح، فنقب الكعاب، فشقّ لحم البدن بالقصب الفارسى المشقوق، فالتعذيب بالدهق، فالتعذيب بالزماره، فالتعذيب بالقناره، فالتعذيب بالدوشاخه، فالتعذيب بالجوزتين، فالسمل، و يكون إمّا بالكحل بذرور يعمى البصر أو بفقأ العين بميل أو بسكين أو وتد، أو بالأصبع، أو تقويرها بالسكين، فالتعذيب بالعطش، أو بالتدخين، أو بإرسال الحشرات على المعذب، فالتعذيب بالملح، و يحصل إمّا برشّ الملح على المعذب، أو بإسعاطه بالملح، أو بسقيه الماء مخلوطا بالملح أو بالرماد، أو بهما معا، فتنعيل الناس

بنعال الدواب، فقطع الأطراف، ويشتمل على قطع الأيدي والأرجل، و قلع الأسنان، و قلع الأظفار، و خلع المفاصل، و قطع اللسان، و جدع الأنف، و قطع الأذن، و خزم الأنف، و قطع الشفاه، فالتعذيب بالكى بالنار، فالحقن بالماء المغلى، فالتعذيب بالتعرض للعوّره، و يحصل يجب الذكر، أو استئصال الخصيه، أو طعن القبل أو الدبر، أو قطع الأشفار أو الخوزقه، أو النفخ فى الدبر بالكبير، أو نفخ النمل فى الدبر، أو دهن الدبر بالعسل و تسليط النمل عليه، أو حبس السنانير فى السراويل، فقطع أجزاء من لحم البدن.

و أما العذاب بقصد القتل، فأوله القتل بالضرب، أو بتحطيم الرأس بضربه بالأرض، أو بربط المعذب إلى حصان يجرى به مسحوبا على الأرض، مطلقا أو مقيدا، فالقتل بالسيف، إما بقطع العنق، و إما توسططا، و إما حمائل أى بقطع العنق مع جزء من الصدر و أحد الكتفين، فالطعن بالرمح أو الحربه، فالرمى بالزوبين، فالرشق بالسهم، فالشدخ بالحجاره، فالوطء بالأقدام، فعصر البدن، و يشتمل على عصر الأطراف، أو عصر الخصيه، أو عصر الأذنين بالجوزتين، أو الدهق، فشق البطن، فتمزيق الأوصال، إما بالسكين، و إما بربط الإنسان من طرفيه و شدّه حتى تتمزق أوصاله، فقطع الأطراف بقطع الأيدي والأرجل، أو خلع المفاصل، أو جدع الأنوف، أو قطع الآذان، فضرب الأوتاد فى العين أو الأذن، أو دق المسامير فى الأذن، فالقرض بالمقاريض، و الطرح من شاهق، فالطرح للسباع، فالحقن بالماء المغلى، فالقتل بالجوع أو العطش أو البرد.

فالقتل بكنم النفس، سواء كان خنقا بالحبل أو بوتر القوس، أو شنقا، أو تغريقا، أو بالدخان، أو بالدفن حيا، أو بناء الحائط على الإنسان، أو هدم البناء عليه، أو كتم نفسه بمخده، أو وضع رأسه فى جراب مملوء بالنوره، فالقتل بالسّم، طعاما، أو شرابا، أو دواء، أو بالضرب أو الفصد بآله مسمومه، كالسيف أو الرمح أو مبضع الفاصد، فالقتل بالنار، احتراقا، أو كيا، أو سلقا، فالقتل بالسليخ، أى سليخ الجلد كاملا أو جزءا، فبسد منافذ البدن، إما بالقطن و إما بخياطه الدبر، فالقتل بالخازوق، إما بالإقعاد عليه، أو بشكّه فى أضلاعه، أو بتركيزه فى عنقه، أو يخرق بطنه به، و يلحق هذه الألوان من القتل، القتل بالتخويف، إما بالتهويل على المعذب، أو بإحضاره تعذيب غيره من الناس، و يلحق به كذلك، الانتحار الذى يلتجأ إليه الإنسان تخلّصا مما ينتظره من عذاب، و يتبع هذا الباب المثله التى حرّمها الإسلام، و هى ألوان الإهانه التى تجرى على الميت من بعد موته.

و كنت قد جمعت فقرات عن ألوان من العذاب كى أودعها هذا البحث، و لكننى وجدتھا على حال من الإٲساع و التشعب، بحيث أصبحت كتابا قد يشتمل على سته مجلّدات، و قد سمّيته «موسوعه العذاب» و هو الآن معدّ للطبع، و سأعنى بإخراجه بعد انتهائى من هذا الكتاب، و لم أعر على مرجع مفصّل فى هذا الموضوع باللغه العربيه، و من أراد الإطلاع على تفاصيل أكثر، فعليه بمراجعته ثلاثه كتب باللغه الإنكليزيه، و هى تاريخ العذاب **history of torture**، و تاريخ قطع العنق **history of decapitation** و تاريخ الجلد **history of corporal punishment**

ص: ٣٤٨

من سقوط الخاتم من اليد

إلى عودته إليها سبعون فرجا

حدّثني علي بن محمّد الأنصاري الخطمي، قال: كنت أصحب محمّد بن ينال الترجمان (١)، و كان بجكم بواسطة، و مضى يريده، فانحدر بي معه إلى واسط، لمّا انحدر بجكم إليها.

فاستخلف بجكم الترجمان بواسطة، و مضى يريد قتال البريديين.

فلمّا صار بنهر جور (٢)، كتب إلى الترجمان: إنّه قد صحّ عندي، أنّ رجلا من التجار المقيمين في معسكرنا بواسطة، يقال له: أبو أحمد بن غيلان الخزّاز السوسى، يكاتب البريديين بخبرنا، و أمر بالقبض عليه و قتله.

فقبضه الترجمان، و قيّده، و حبسه، و عزّفه ما ورد في كتاب بجكم.

و كان للتاجر حرمه (٣) مع ابن ينال و كیده، فورد عليه غمّ شديد من أن يقتل رجلا له به عناية و حرمه.

فقال له: أنا أعرض نفسى لبجكم، و أوخر قتلك، و أكاتبه أسأله أن يقتصر على أخذ مالك، و يعفو عن دمك، فلعلّه أن يفعل.

ص: ٣٦٩

١- محمد بن ينال الترجمان: كان من قواد مرداويج، و تأمر عليه مع بجكم و آخرين فقتلوه (ابن الأثير ٣٠١/٦) فانحاز إلى بجكم و أصبح من قواده (تجارب الأمم ٣٧٨/١) و من مستشاريه (٣٧٦/١)، ثم أصبح من أكبر قواد توزون (ابن الأثير ٤٠٠/٦) فنصبه المتقى على الشرطه ببغداد (تجارب الأمم ١٢/٢) ثم تولّى خلافه توزون ببغداد (٤٥/٢) ثم انحرف عن توزون (٤٧/٢) فبارح بغداد إلى الرقة، حيث واجه سيف الدوله و لمّا خرج من حضرته، و ثب به غلمان سيف الدوله فقتلوه فى السنه ٣٣٢ (تجارب الأمم ٥٥/٢).

٢- نهر جور: قال ياقوت فى معجم البلدان ٨٣٨/٤ إنها بين الأهواز و ميسان.

٣- فى غ: خدمه.

قال: و دخلت على الرجل فى حبسه، و أخذت [٢٠٢ م] أطيب قلبه، و أعرفه أنّ الكتاب قد بعثته إلى بجمكم فى أمره.

فأخرج خاتما كان فى يده، و قال: يا أبا الحسن، من سقوط هذا الخاتم من يدي، إلى عودته إليها، سبعون فرجا.

فما انقضى اليوم، حتى ورد الخبر بقتل بجمكم، و أفرج الترجمان عن الرجل، و تخلّص سالما، و عاش بعد ذلك ثلاث سنين (١)، و أكثر (٢).

ص: ٣٧٠

١- فى غ: ثلاثين سنة.

٢- لم ترد هذه القصة فى ر.

حدّثني إبراهيم بن عليّ [بن سعيد بن عليّ زوبعه] (١) النصيبيني المتكلم (٢)، قال:

قال جماعه من أهل نصيبين، إنّه كان بها أخوان، ورثا عن أبيهما مالا عظيما، جليلا، فاقتسما [٢٠٢ غ]، فأسرع أحدهما في حصّته حتى لم يبق معه شيء، واحتاج إلى ما في أيدي الناس، وثمر الآخر حصّته، فزادت.

و عرض له سفر في تجارته، فجاءه أخوه الفقير، وقال: يا أخي إنك تحتاج إلى أن تستأجر غلاما في سفرك، وأنا أحتاج إلى أن أخدم الناس، فاجعلني بدل غلام تستأجره، فيكون ذلك أصون لي و لك.

فلم يشكّ الأخ أنّ أخاه قد تأدّب، وأنّ هذا أوّل إقباله، و آثر أن يصون

ص: ٣٧١

١- كذا ورد في غ، و في ر: إبراهيم بن زوبعه، و في م: إبراهيم بن عليّ بن سعيد النصيبيني المتكلم، و في ن: إبراهيم بن عليّ بن سعيد بن عليّ أربعة النصيبيني المتكلم، و في كتاب أخلاق الوزيرين ٢١١ و ٢٩٧ إن لقبه: مقعده.

٢- أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ النصيبيني المتكلم: روى عنه التوخي في نشوار المحاضرته في أكثر من موضع، راجع القصّه ٣٩/١ و ١٠٣/٢ و ٨/٥ من كتاب نشوار المحاضرته، و روى عنه في كتاب الفرج بعد الشدّه في أكثر من موضع، راجع القصّه ٣٦١ و لم أعثر له على ترجمه، و هو رجل فاضل، و الدليل على فضله أنّ التوحيدى شتمه في الأمتاع و المؤانسه ١٤١/١، [١] فقال فيه: أبو اسحاق النصيبيني، رقيق الكلام، يشكّ في النبوات كلّها، و قد سمعت منه فيها شباها، و له أدب واسع، و قد أضلّ بهمدان، كاتب فخر الدوله ابن المرزبان، و حملة على قلّه الا- كترات، بظلم الرعيه، و أراه أنّه لا- خرج عليه في غبنهم، لأنّهم بهائم، و ما خرج من الجبل حتّى افتضح، و أقذع في شتمه كذلك، في كتابه أخلاق الوزيرين ص ٢١١ و ٢١٢ و [٢] ٢٩٧، و النصيبيني نسبه إلى نصيبين، من أعمال الجزيره، و كانت عامره أيام طريق القوافل بين الموصل و الشام، و بلا حظ أنّ المؤلّف ذكر هذا الشخص في هذه القصّه فقال: النصيبيني، و ذكره في القصّه ٣٦١ من الكتاب، فقال: النصيبيني، و يجوز الوجهان (السمعاني ٥٦٢ و مراصد الاطلاع ١٣٧٤/٣).

أخاه، و رَقَّ عليه، فأخذه معه.

و كان للأخ الغنى حمار فاره يركبه، و قد استأجر بغالا- لأحماله، فأركب أخاه أحدها، و ركب هو أحدها، و أركب المكارى الحمار، و ساروا.

فلما استمر بهم السفر، حصلوا فى جبل فى الطريق، و فيه كهف فيه عين ماء، فقال الأخ الفقير للأخ الغنى: لو نزلنا هاهنا، و أرحنا دوابنا، و سقيناها من هذا الماء، و أكلنا، ثم ركبنا، لكان أروح لنا.

فقال: إفعل.

فنزّل التاجر على باب الكهف الذى فى الجبل، و أدخل متاعه إليه، و بسط السفره، و أخذ أخوه الفقير، و المكارى، الدواب، و مضيا ليسيقيها.

و انتظر التاجر أخاه، فاحتبس طويلا، ثم جاء وحده، و شدّ الدواب.

فقال له أخوه: يا أخى ما قعادك، و أنا أنتظر ك تأكل معى؟

فقال: حتى سقيت الدواب.

فقال: و أين المكارى؟

فقال: قد نام فى الجبل.

فقال: تعال، حتى نأكل.

فتركه و مضى، ثم عاد، و بيده حجاره يرمى بها أخاه، و يقول له:

أستكتف يا ابن الفاعله.

فقال له: ويحك ما تريد؟

فقال: أريد قتلك يا ابن الفاعله، أخذت مال أبى، فجعلته تجاره لك، و جعلتنى غلامك.

قال: و رفسه، و ألقاه على ظهره، ثم أوثقه كتافا، و أثخنه (1) ضربا بالحجاره، و شجاجا، و صاح الرجل، فلم يجبه أحد.

ص: ٣٧٢

و برک أخوه الفقير على صدره، و كان فى وسطه سكين عظيمه، فى قراب لها، فرام استخراجها من القراب ليذبحه بها، فتعسّرت عليه، فقام عن صدر أخيه، و أعلا يده اليسرى، و فيها السكين فى قرابها، و جذبها بيده اليمين، و قد صار القراب مع حلقه، فخرجت السكين بحميّه الجذبه، فذبحته، فوقع يخور فى دمه، و نرف إلى أن مات، و جفّت يده على السكين بعد موته، و هى فيها.

و حصل على تلك الصوره، و أخوه الغنى مشدود، لا يقدر على الحركة، و السفره منشوره، و الطعام عليها، و الدوابّ مشدوده.

فأقام على تلك الصوره بقيته يومه، و ليلته، و قطعه من غده.

فاجتازت قافلته على المحجّه، و كان بينها و بين الكهف بعد، فأحست البغال بالدوابّ المجتازه، فصهلت، [٢٠٣ م، ١٩٧ ر] و نهق الحمار، و جذب الرسن، و جذبت البغال أرسانها، فأفلتت، و غارت (١) تطلب الدوابّ.

فلما رأى أهل القافله، دوابًا غائره، ظنّوا أنّها لقوم قد أسرهم اللصوص، و كانوا فى منعه، فتسارعوا إلى البغال.

فلما قصدوها، رجعت تطلب موضعها.

و تبعها قوم من أهل القافله، حتى انتهوا إلى التاجر، و شاهدوه مكتوفًا، و السفره منشوره، و الأخ مذبوحًا، و بيده السكين [٢٠٣ غ]، فشاهدوا عجبًا.

و استنطقوا الرجل، فأومأ إليهم أنّ لا قدره له على الكلام، فحلّوا كنفه، و سقوه ماء، و أقاموا عليه إلى أن أفاق، و قدر على الكلام، فأخبرهم الخبر.

فطلبوا المكارى (٢)، فوجدوه غريقًا فى الماء، قد غرّقه الأخ الفقير.

فحملوا أثقال التاجر على بغاله، و أركبوه [٢٩ ن] على حماره، و سيّروه معهم إلى المنزل الآخر.

ص: ٣٧٣

١- غار: تعبير بغدادى، بمعنى: ركض مسرعًا.

٢- المكارى، بضم الميم: الذى يكرى الدوابّ.

البغى مرتعه وخيم

و حدّثني إبراهيم بن علي النصيبي هذا، قال: حدّثني [أبو القاسم] (١) إبراهيم بن علي الصّفّار، شيخ كان جارا لنا بنصيبين، قال:

خرجت من نصيبين بسيف نفيس، كنت ورثته من أبي، أقصد به العبّاس بن عمرو السلمى، أمير ديار ربيعة (٢)، و هو برأس عين (٣) لأهديه إليه، و أستجديه بذلك.

فصحبنى فى الطريق شيخ من الأعراب، فسألنى عن أمرى، فأنست به، و حدّثته الحديث، و كُنّا قربنا من رأس عين، و دخلناها، و افترقنا.

و صار يجيئنى، و يراعىنى، و يظهر لى أنّه يسلم علىّ، و أنّه يبزنى بالقصد، و يسألنى عن حالى.

فأخبرته أنّ الأمير قبل هديتى، و أجازنى بألف درهم، و ثياب، و أنّى أريد الخروج فى يوم كذا و كذا.

فلما كان ذلك اليوم خرجت عن البلد، راكبا حمارا، فلما أصحرت (٤)، إذا بالشيخ على دويبه له ضعيفه، متقلدا سيفا.

فلما رأيته استربت به، و أنكرته، و رأيت الشرّ فى عينيه.

فقلت: ما تصنع هاهنا؟

ص: ٣٧٤

١- الزيادة من غ.

٢- العبّاس بن عمرو الغنوى، أمير ديار ربيعة: ترجمته فى حاشيه القصّه ١٦٩ من الكتاب.

٣- فى م: رأس العين، قال ياقوت فى معجم البلدان ٧٣١/٢ [١] إنّ اسمها الصحيح: رأس عين، و العامه يسمونها: رأس العين، و هى مدينه كبيره مشهوره من مدن الجزيره، بين حرّان، و نصيبين، و دنيسر، فيها عيون كثيره، تتجمّع كلّها فتصير نهر الخابور، و النسبه إليها رسعنى.

٤- الإصحار: الدخول إلى الصحراء.

فقال: قد قضيت حوائجي، وأريد الرجوع، و صحبتك عندي آثر من صحبه غيرك.

فقلت: على اسم الله.

و ما زلت متحرّزا منه، و هو يجتهد أن أدنو منه، و أوانسه، فلا أفعل، و كلما دنا منّي، بعدت عنه، إلى أن سرنا شيئا كثيرا، و ليس معنا ثالث.

فقصّير عني، فحشيت الحمار، لأفوته، فما أحسست إلا بركضه، فالتفت، فإذا هو قد جرّد سيفه، و قصدني، فرميت بنفسي عن الحمار، و عدوت.

فلما خاف أن أفوته، صاح: يا أبا القاسم، إنّما مزحت معك، فقف، فلم ألتفت إليه، و زاد في التحريك.

و ظهر لي ناووس (١) فطلبته، و قد كاد الأعرابي يلحق بي، فدخلت الناووس، و وقفت وراء بابه.

قال: و من صفات تلك الناووس أنّها مبيّته بالحجاره، و باب كلّ ناووس حجر واحد عظيم، قد نقر، و حفّ (٢)، و ملّس، فلا تستمكن اليد منه، و له في وجهه حلقة، و ليس للباب من داخل شيء تتعلّق اليد به، و إنّما يدفع من خارجه، فيفتح، فيدخل إليه، و إذا خرج منه، و جذبت الحلقة، انغلق الباب، و تمكّن هذا من ورائه، فلم يمكن فتحه من داخل أصلا.

قال: فحين دخلت الناووس، و وقفت خلف بابه، و جاء الأعرابي، فشدّ الدابّة في حلقة الباب، و دخل [٢٠٤ م] يريدني، مخترطا سيفه، و الناووس مظلم، فلم يرني، و مشى إلى صدر الناووس، فخرجت أنا من خلف الباب، و جذبته، و نفرت الدابّة، فجذبتته معي، حتى صار الباب مردوما محكما،

ص: ٣٧٥

١- الناووس: موضع ينقر في الصخر ليكون مدفنا للموتى.

٢- الحفّ: و ما زال هذا اسمه في بغداد، حذف الشعر عن الوجه باستعمال الخيط، فإذا تمّ بالموسى فهو حلق، و اذا تفر الصخر و ملّس، قيل فيه: حفّ أيضا، راجع حاشيه القصّه ٣٨٩ من هذا الكتاب.

و حصّلت الحلقة فى رزّه (١) هناك، و حلت الدابّه، و ركبتها [٢٠٤ غ].

فجاء الأعرابى، إلى باب الناوس، فرأى الموت عيانا، فقال: يا أبا القاسم، اتق الله فى أمرى، فإننى أتلف.

فقلت: تتلف أنت، أهون علىّ من أن أتلف أنا.

قال: فأخرجنى، و أنا أعطيك أمانا، و استوثق منى بالأيمان، أن لا أعرض لك بسوء أبدا، و اذكر الحرمه التى بيننا.

فقلت: لم ترعها أنت، و أيمانك فاجر، [١٩٨ ر] لا أتق بها فى تلف نفسى.

فأخذ يكرّر الكلام، فقلت له: لا تهذ [دع عنك هذا الكلام و اقعده مكانك] (١)، هو ذا أنا أركب دابّتك، و أجنب حمارى، و الوعد بعد أيام بيننا هنا، فلا تبرح علىّ حتى أجيء [و إذا احتجت إلى طعام، فعليك بجيف العلوج، فنعم الطعام لك].

و أخذت ألهو به فى مثل هذا القول [٢]، و أخذ يبكى، و يستغيث، و يقول:

قتلتنى، و الله.

فقلت: إلى لعنه الله، و ركبت دابّته، و جنبت حمارى.

و وجدت على دابّته خرّجا فيه ثياب يسيره، و جئت إلى نصيين، فبعث الثياب، و كانت دابّته شهباء، فصبغتها دهما، و بعثها، لثلا يعرف صاحبها فأطالب بالرجل، و اتفق أنّه اشتراها رجل من المجتازين، و كفى أمره، و انكتمت القصّه.

فلما كان بعد أكثر من سنه، عرض لى الخروج إلى رأس عين، فخرجت فى

ص: ٣٧٤

١- رزّ السهم فى الحائط: أثبته، و رزّ الباب: جعل له رزّه، و الرزّه: حديده تثبت فى الحائط أو فى الباب من أجل إقفاله.

٢- لا توجد فى غ.

تلك الطريق، فلما لاح لى الناووس، ذكرت الشيخ.

فقلت: أعدل إلى الناووس، وأنظر ما صار إليه أمره، فجئت إليه، فإذا بابه كما تركته.

ففتحته، ودخلت، فإذا بالأعرابي قد صار رمة (١)، فحمدت الله تعالى على سلامه.

ثم حركته برجلي، وقلت له على سبيل العبث: ما خبرك يا فلان؟ فإذا بصوت شيء يتخشخش، ففتشته، فإذا هميان، فأخذته، وأخذت سيفه، وخرجت، وفتحت الهميان، فإذا فيه خمسمائة درهم (٢)، وبعث السيف بعد ذلك بجمله دراهم.

ص: ٣٧٧

١- الرمة، بكسر الراء: ما بلى من العظام.

٢- في غ: خمسمائة دينار.

أبو المغيرة الشاعر يروى خبرا ملفقا

حدّثني أبو المغيرة محمّد بن يعقوب بن يوسف، الشاعر البصرى (١)، قال:

حدّثني أبو موسى عيسى بن عبد الله البغدادي (٢)، قال: حدّثني صديق لي قال:

كنت قاصدا الرملة (٣) وحدى، و ما كنت دخلتها قط.

فانتهيت إليها و قد نام الناس، و دخل الليل، فعدلت إلى الجبانة، و دخلت بعض القباب التي على القبور، فطرح درقه (٤) كانت معي، و اتكأت عليها، و عانقت سيفي، و اضطجعت أريد النوم، لأدخل البلد نهارا.

قال: فاستوحشت من الموضع، و أرقّت، فلمّا طال أرقى، أحسست بحركة.

فقلت: لصوص يجتازون، و متى تصدّيت لهم، لم آمنهم، و لعلهم أن يكونوا جماعه، فانخزلت بمكاني، و لم أتحرّك.

و أخرجت رأسي من بعض أبواب القبّة، على تخوّف شديد منّي، فرأيت دابّه كالذئب تمشي، فإذا به قد قصد قبّه بحياي، و ما زال يتلّف طويلا،

ص: ٣٧٨

١- أبو المغيرة محمّد بن يعقوب بن يوسف: وصفه التنوخي في هذه القصّة بالشاعر البصرى، و وصفه في نشوار المحاضر (١) من القصّة ١٥٢/٣ بالشاعر البغداديّ الأسديّ، و قال عنه في القصّة ١٥٣/٣ من النشوار: [٢] إنّ شاعر طويل اللسان، مطبوع، هجاء، و له مدائح كثيرة، و ديوان واسع، و أورد التنوخي في القصّة ١٥٣/٣ من النشوار [٣] نموذجا من شعره.

٢- في غ: يحيى بن عبد الله البغدادي.

٣- الرملة: مدينه عظيمه بفلسطين (معجم البلدان ٨١٧/٢).

٤- في غ: جحفه، و هي الدرقة (فقه اللغه ٢٦٣)، و الدرقة، بفتح الدال و الراء: الترس من الجلود، لا- خشب فيه، و العامّه ببغداد يسمونها: درقه، بكسر الدال و تسكين الراء، و يريدون بها الترس عامّه، سواء كان من حديد أو من غيره.

و يدور حوالها، ثم دخلها.

فارتبت به، وأنكرت أمره، وتطلعت نفسى إلى علم ما هو فيه.

فدخل القبه، وخرج غير مطيل، ثم جعل يتبصّر (١)، ثم دخل و خرج بسرعه، ثم دخل و عيني إليه، فضرب بيده إلى قبر فى القبه، يعثره.

فقلت: تباش لا شك فيه، و تأملته يحفر بيده، فعلمت أنّ فيها آله حديد يحفر بها.

فتركته إلى أن اطمأنّ [٢٠٥ غ] أو أطال، و حفر شيئاً كثيراً، ثم أخذت سيفى و درقتى (٢)، و مشيت على أطراف أناملى، حتى دخلت القبه، فأحسّ بى، فقام إلى بقامه انسان، و أوماً إلى ليظمنى بكفه، فضربت يده (٣) بالسيف، فأبنتها و طارت.

فقال: أوّه، قتلتنى [٢٠٥ م] لعنك الله.

وعدا من بين يديّ، و عدوت خلفه، و كانت ليله مقمره، حتى دخل البلد، و أنا وراءه، و لست ألحقه، إلاّ أنّه بحيث يقع بصرى عليه.

إلى أن اجتاز بى طرقا كثيره، و أنا فى خلال ذلك أعلم الطريق لثلا أضلّ، حتى جاء إلى باب، فدفعه و دخل و أغلقه، و أنا أسمع.

فعلّمت الباب [٣٠ ن]، و رجعت أقفو الأثر و العلامات التى علّمتها فى طريقى، حتى انتهيت إلى القبه التى كان فيها التباش.

و طلبت الكفّ فوجدتها، فأخرجتها إلى القمر، فبعد جهد، انتزعت الكفّ المقطوعه من الآله الحديد، و إذا هى كفّ كالكفّ، و قد أدخل أصابعه فى الأصابع، و إذا هى كفّ فيها نقش حنّاء، و خاتمان من الذهب، فعلمت أنّها امرأه.

ص: ٣٧٩

١- تبصّر الشىء: استقصى النظر إليه.

٢- فى غ: و جحفتى.

٣- فى غ: كفه.

فحين علمت أنها امرأه، اغتممت، و تأملت الكفّ، فإذا هي أحسن كفّ في الدنيا، نعمه، و رطوبه، و سمنه، و ملاحه.

فمسحت الدم عنها، و نمت في القبه التي كنت فيها [١٩٩ ر]، و دخلت البلد من الغد، أطلب العلامات التي علمتها، حتى انتهيت إلى الباب.

فسألت: لمن الدار؟

فقالوا: لقاضى البلد.

و اجتمع عليها خلق كثير، و خرج منها شيخ بهي، فصلّى الغداه بالناس، و جلس في المحراب، فازداد عجبى من الأمر.

فقلت لبعض الحاضرين: بمن يعرف هذا القاضى؟

فقال: بفلان.

و أطلت الجلوس و الحديث في معناه، حتى عرفت أنّ له ابنه عاتقا (١)، و زوجته، فلم أشكّ في أنّ التباشه ابنته.

فتقدّمت إليه، و قلت: بينى و بين القاضى أعزّه الله حديث لا يصلح إلا على خلوه.

فقام إلى داخل المسجد، و خلا بى، و قال: قل.

فأخرجت الكفّ و قلت: أ تعرف هذه؟

فتأمّلها طويلا، و قال: أمّا الكفّ فلا، و أمّا الخاتمان، فمن خواتيم (٢) ابنه لى عاتق، فما الخبر؟

فقصصت عليه القصّه بأسرها، فقال: قم معى.

فأدخلنى إلى داره، و أعلق الباب، و استدعى طبقا و طعاما، فأحضر.

ص: ٣٨٠

١- العاتق: الجاربه أول ما أدركت.

٢- يلاحظ أنّ البغداديين يجمعون خاتم على خواتيم، و سلّم على سلاليم، و مخلب على مخاليب، و كلّها فصيحه.

و استدعى امرأته، فقال لها الخادم: اخرجى.

فقالت: قل له كيف أخرج و معك رجل غريب، فخرج الخادم، و أعلمه بما قالت.

فقال: لا بدّ من خروجها تأكل معنا، فهنا من لا أحتشمه (١).

فتأبّت عليه، فحلف بالطلاق لتخرجنّ له، فخرجت باكيه، و جلست معنا.

فقال لها: اخرجى ابنتك.

فقالت: يا هذا، أو قد جنت؟ ما الذى حلّ بك، قد فضحتنى و أنا امرأه كبيره، فكيف تهتك صبيّه عاتقا؟ فحلف بالطلاق لتخرجنّها، فخرجت.

فقال: كلّى معنا، فرأيت صبيه كالدينار، ما نظرت مقلتاى أحسن منها، إلا أنّ لونها قد اصفرّ جدا، و هى مريضه.

فعلمت أنّ ذلك لنزف الدم من يدها، فأقبلت تأكل بشمالها، و يمينها مخبوءه.

فقال لها أبوها: اخرجى يدك اليمنى.

فقالت أمّها: قد خرج بها خراج، و هى مشدوده، فحلف [٢٠٦ غ] لتخرجنّها.

فقالت له امرأته: يا رجل استر على نفسك، و ابنتك، فو الله، و حلفت له بأيمان كثيره، ما أطلعت لهذه الصبيّه على سوء قط إلاّ البارحة، فإنّها جاءتنى بعد نصف الليل، فأيقظتنى، و قالت: يا أمّى، الحقينى، و إلاّ تلفت.

فقلت: ما لك؟

فقالت: إنّه قد قطعت يدى، و هو ذا أنزف الدم، و الساعه أموت، فعالجينى، و أخرجت يدها مقطوعه، فلطمت.

فقالت: يا أمّاه لا تفضحينى و نفسك بالصباح عند أبى و الجيران، و عالجينى.

فقلت: لا أدرى بم أعالجك.

ص: ٣٨١

١- فى غ: فهذا من أصحابى و الزامى.

فقلت: إغلى زيتا، و أكوى به يدي.

ففعلت ذلك، و كويتها، و شددتها، و قلت لها: الآن خبّريني ما دهاك، فامتنعت.

فقلت: و الله، إن لم تحدّثيني، لأكشفنّ أمرك لأبيك.

فقلت: إنه وقع في نفسي، منذ سنين، أن أنبش القبور (١)، فتقدّمت إلى هذه الجاربه، فاشتريت لي جلد ماعز بشعره، [٢٠٦ م]، و استعملت لي كفاً من حديد.

فكنت إذا أعتم الليل (٢)، أفتح الباب، و أمرها أن تنام في الدهليز، و لا تغلق الباب، و ألبس الجلد، و الكفّ الحديد، و أمشي على أربع، فلا يشكّ الذي يراني من فوق سطح أو غيره، أننى كلب.

ثم أخرج إلى المقبره، و قد عرفت من النهار، خبر من يموت من رؤساء البلد (٣)، و أين دفن، فأقصد قبره، فأنبشه، و آخذ الأكفان، و أدخلها معي في الجلد، و أمشي مشيتي، و أعود و الباب غير منغلق، فأدخل، و أغلقه، و أنزع تلك الآله، [٢٠٠ ر] فأدفعها إلى الجاربه، مع ما قد أخذت من الأكفان، فتخبئه في بيت لا تعلمون به.

و قد اجتمع عندي نحو ثلثمائه كفن، أو ما يقارب هذا المقدار، لا أدري ما أصنع بها، إلا أتى كنت أجد لهذا الخروج، و الفعل، لذّه لا سبب لها أكثر من إصابتي بهذه المحنه.

فلما كانت الليله، سلّط علىّ رجل أحسّ بي، كأنه كان حارسا لذلك القبر، فقمت لأضرب وجهه بالكفّ الحديد، ليشغل عنّي، و أعدو، فداخلني

ص: ٣٨٢

١- في غ: أن أنبش الموتى.

٢- في غ: فكنت إذا نمت.

٣- في م: خبر من يموت من أهل المحله.

بالسيف، ليضربني، فتوقيت الضربه بيمينى، فأبان كفى.

فقلت لها: أظهرى أن قد خرج فى كفك خراج، و تعاللى، فإن الذى بك من الصفار (1)، يصدق قولك.

فإذا مضت أيام، قلت لأبيك: إذا لم تقطع يدك، خبث جميع جسدك، و تلفت، فيأذن فى قطعها، فنظهر أنا قد قطعناها، و يشيع الخبر - حينئذ - بهذا، و يستتر أمرك.

فعملنا على هذا، بعد أن استتبها، فتابت، و حلفت بالله العظيم، لا عادت تفعل شيئاً من ذلك.

و كنت قد خطر لى أن أبيع هذه الجاربه، إلى سفار يغربها عن هذه البلد التى نحن فيها، و أراعى مبيت الصبيّه، و أيتها إلى جانبى، ففضحتنا و نفسك.

فقال القاضى للصبيّه: ما تقولين؟

فقلت: صدقت أمى، و و الله، لا عدت أبداً، و أنا تائبه إلى الله تعالى.

فقال لها أبوها: هذا صاحبك الذى قطع يدك، فكادت تتلف جزعا.

ثم قال لى: يا فتى من أين أنت؟

قلت: من العراق.

قال [٢٠٧ غ]: فقيم وردت؟

قلت: أطلب الرزق.

قال: قد جاءك حلالاً طيباً، نحن قوم مياسير، و لله علينا نعمه و ستر، فلا تنقص النعمه، و لا تهتك الستر، أنا أزوجك بابنتى هذه، و أغنيك بمالى عن الناس، و تكون معنا فى دارنا.

فقلت: نعم.

فرجع الطعام، ثم خرج إلى المسجد، و الناس مجتمعون ينتظرونه، فخطب،

ص: ٣٨٣

١- الصفار، بضم الصاد: صفره تعلقو اللون و البشره، و عامه بغداد يلفظونها بفتح الصاد.

و زوّجني، و قام، فرجع، و أّعدني في الدار.

و وقعت الصبيّه في نفسي، حتى كدت أموت عشقا لها، فافترعتهها، و أقامت معي شهورا، و هي نافرّه منّي، و أنا أوانسها، و أبكي حسرّه على يدها، و أّعتذر إليها، و هي تظهر قبول عذري، و أنّ الذي بها غمّا على يدها، و هي تزدد حنقا عليّ.

إلى أن نمت ليله، و استتقلت في نومي، فأحسست بثقل على صدري، فانتبهت جزعا، فإذا زوجتي باركه على صدري، و ركبتها على يديّ، مستوثقه منهما، و في يدها سكين، و قد أهوت لتذبحني (1)، فاضطربت.

و رمت الخلاص، فتعدّرت، و خشيت أن تبادرنني، فسكّت، و قلت لها:

كلميني، و اعملي ما شئت.

فقلت لي: قل.

فقلت: [٣١ ن] ما يدعوك إلى هذا؟

[قالت: أظننت أنّك قد قطعت يدي، و هتكنتي، و تزوّجني مثلك، و تنجو سالما؟ و الله لا كان هذا.

فقلت: أما الذبح، فقد فاتك، و لكنّك تتمكّنين من جراحات توقعينها بي، و لا تأمنين أن أفلت، فأذبحك، و أهرب، أو أكشف هذا عليك، ثم أسلمك إلى السلطان، فتكشف جنايتك الأولى، و الثانيه، و يتبرأ منك [٢٠٧ م] أبوك، و أهلك، و تقتلين.

فقلت: افعلي ما شئت لا بدّ من ذبحك، و قد استوحش الآن كلّ منّا من صاحبه.

فنظرت، فإذا الخلاص منها بعيد، و لا بدّ من أن تجرح موضعا من بدني، فيكون فيه تلفي.

ص: ٣٨٤

١- في غ: و في يدها موسى، و قد أومت لتذبحني.

فقلت: ليس إلا العمل في حيله، فقلت لها: أو غير هذا؟ (١).

قالت: قل.

قلت: أطلّقتك الساعة، و تفرجين عني، و أخرج غدا عن البلد، فلا أراك، و لا تريني أبدا، و لا يكشف لك حديث في بلدك، و لا تفتضحى، و تتزوّجين بمن شئت، فقد شاع أنّ يدك قطعت بخراج خبثها، و تربحين الستر.

قالت: لا أفعل، حتى تحلف لي أنّك لا تقيم في البلد، و لا تفضحنى أبدا، و تعجل لي الطلاق.

فطلّقتها، و حلفت لها بالأيمان المغلظه أنّي أخرج، و لا أفضحها، فقامت عن صدرى تعدو، خوفا من أن أقبض عليها، حتى رمت موسى من يدها، بحيث لا أدري أين هو، و عادت.

و أخذت تظهر أنّ الذي فعلته بي مزاحا، و أخذت تلاعبني، فقلت: إليك عني، فقد حرمت عليّ، و لا تحلّ لي ملامستك، و في غد أخرج عنك.

فقالت: الآن علمت صدقك، و والله، لئن لم تفعل، لا نجوت من يدي، و قامت فجاءتني بصرّه، و قالت: هذه مائه دينار، خذها نفقه لك، و اكتب رقعته بطلاقي، و اخرج غدا.

فأخذت الدنانير، و خرجت من سحره ذلك اليوم، بعد أن كتبت إلى أبيها، أنّي قد طلّقتها ثلاثا، و أنّي خرجت [٢٠١ ر] حياء منه.

و لم ألتق معهم إلى الآن (٢).

ص: ٣٨٥

١- لا توجد في غ.

٢- وردت القصّه في نشوار المحاضرته ١٥٢/٣.

لا جزاك الله من طارق خيرا

حدّثنا أبو الحسن محمّد بن أحمد الكاتب، المعروف والده بأبي الليث الهمداني (١)، قال: حدّثني محمّد بن بديع العقيلي (٢)، قال:

رأيت فتى من بنى عقيل، فى ظهره كلّ شرط كشرط الحجام، إلّا أنّها أكبر، فسألته عن سبب ذلك.

فقال: إنى كنت هويت ابنه عمّ لى، وخطبتها، فقالوا لى: إنّنا لا نزوّجك إيّاها، إلّا بعد أن تجعل الشبكه صداقها، وهى فرس سابقه كانت لبعض بنى بكر بن كلاب.

فتزوّجتها على ذلك، وخرجت أحتال فى أن أسلّ الفرس، لأتمكّن من الدخول بابنه عمّى.

قال: فأتيت الحىّ الذى فيه الفرس، بصوره مجتاز، فما زلت أداخلهم، و مرّه أجيء إلى الخباء الذى فيه الرجل صاحب الفرس، كأنى سائل، إلى أن عرفت مربط الفرس من الخباء، ورأيت لها مهره.

فاحتلت حتى دخلت البيت من كسره، وحصلت خلف [٢٠٨ غ] النضد (٣) تحت عهن (٤) كانوا نفسوه ليغزل، فلما جنّ الليل، وافى صاحب البيت، وقد صنعت له المرأه عشاء، فجلسا يأكلان، وقد استحكمت الظلمه، ولا

ص: ٣٨٦

١- ورد ذكره فى القصّه ١٤ من هذا الكتاب، و فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، فى القصّه ١٦٨/٣.

٢- فى ن: محمّد بن ربيع العقيلي، و فى كتاب نشوار المحاضره ١٦٨/٣: [١] حدّثني محمّد بن بديع العقيلي، أحد قوادهم و جوههم فى الحى، و كان ورد إلى معزّ الدوله، فأكرمه، و أحسن إليه.

٣- النضد: ما نضد من متاع البيت.

٤- العهن: الصوف.

مصباح لهم، و كنت ساغبا (1)، فأخرجت يدي، و أهويت إلى القصعه، و أكلت معهما.

فأحسَّ الرجل بيدي، فأنكرها، و قبض عليها، فقبضت على يد المرأة بيدي الأخرى.

فقال له المرأة: مالك و يدي؟ فظنَّ أنه قابض على يد المرأة، فخلَّى يدي، فخلَّيت يد المرأة.

و أكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي، و قبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: مالك و يدي؟ فخلَّيت عن يدي، و خلَّيت عن يده.

و انقضى الطعام، و استلقى الرجل، و نام، فلمَّا استنقل، و أنا مرصدهم، و الفرس مقيد، و مفتاح قيد الفرس تحت رأس المرأة.

فوافى عبد له أسود، فنبذ حصاه، فانتبهت المرأة، و قامت إليه، و تركت المفتاح في مكانه، و خرجت من الخباء إلى ظهر البيت [٢٠٨ م] أو رمقتها بعيني، فإذا العبد قد علاها.

فلمَّا حصل في شأنهما، دببت، فأخذت المفتاح، و فتحت القفل، و كان معي لجام مصنوع من شعر، فأوجرتة الفرس، و ركبته، و خرجت عليها من الخباء.

فقامت المرأة من تحت الأسود، و دخلت الخباء، ثم صاحت، و ذعر الحيّ، فصاحوا، و أحسَّوا بي، و ركبوا في طلبي، و أنا أكّد الفرس، و خلفي خلق منهم.

فأصبحت، و لست أرى إلا فارسا واحدا برمح، فلحقني و قد طلعت الشمس، فأخذ يطعنني، فلا تصل طعنته إلى أكثر مما رأيت من ظهري، لا فرسه تلحق بي فتتمكّن طعنته مني، و لا فرسي تبعدنني إلى حيث لا يمسنني الرمح.

حتى وافيت إلى نهر جار، فصحت بالفرس، فوثبته، و صاح الفارس

ص: ٣٨٧

١- الساغب: الجائع.

بفرسه، فلم تثب.

فلما رأيت عجزها عن العبور، نزلت عن فرسي لأستريح، وأريحها، فصاح بي الرجل.

فقلت: ما لك؟

فقال: يا هذا، أنا صاحب الفرس التي تحتك، وهذه ابنتها، فإذا أخذتها، فلا تخدعني عنها، فإنها تساوي عشر ديات، وعشر ديات، و ما طلبت عليها شيئاً قط إلا لحقته، ولا طلبني أحد - وأنا عليها - إلا أقتة، وإنما سميت الشبكه، لأنها لم ترد شيئاً قط إلا أدركته، فكانت كالشبكه في التعلق به.

فقلت له: أمياً إذ نصحتني، فوالله لأنصحنك، ولا أكذبك، إنه كان من أمرى البارحة، كيت و كيت، حتى قصصت عليه قصته، امرأته، والعبد، و حيلتي في الفرس.

[فأطرق ساعه، ثم رفع رأسه إليّ] (١)، وقال: ما لك، لا جزاك الله من طارق خيرا، أخذت قعدتي، و قتلت عبدى، و طلقت ابنه عمى (٢).

ص: ٣٨٨

١- الزيادة من غ.

٢- وردت القصة في نشوار المحاضر ١٦٨/٣ و [١] في كتاب نفعه اليمن فيما يزول بذكره الشجن ص ١٦ لأحمد الأنصارى طبع مصر سنة ١٣٢٥.

من زرع الإثم حصد الدمار

[و حدّثني عبيد الله بن محمّد بن الحفّا، قال: حدّثني] (١) رجل من أهل الجند (٢)، قال:

خرجت من بعض بلدان الشام، وأنا على دابّة لي، ومعى خرج لي، فيه ثياب و دراهم.

فلما سرت عدّه فراسخ، لحقني المساء، وإذا بدير عظيم (٣)، فيه راهب فى صومعه.

فنزّل واستقبلني، وسألني المبيت عنده، وأن يضيفني، ففعلت.

فلما دخلت الدير، لم أجد فيه غيره، فأخذ دابّتي، وطرح لها [٢٠٩ غ] شعيراً، وعزل رحلي فى بيت، وجاءني بماء حار، وكان الزمان شديد البرد، وأوقد بين يديّ ناراً، وجاءني بطعام [٢٠٢ ر] طيب من أطعمه الرهبان، فأكلت، و بنيت، فشربت.

ومضت قطعه من الليل، فأردت النوم، فقلت: أدخل المستراح (٤)، قبل أن أنام، فسألته عنه، فدلّني على طريقه، وكنا فى غرفه.

فلما صرت على باب المستراح، إذا باريه مطروحه (٥)، فلما صارت رجلاى

ص: ٣٨٩

١- الزيادة من ن.

٢- التجنّد: التجمّع، وأجناد الشام خمسة: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق، وجند حمص، وجند قنسرين، وإنّما سمّيت كلّ ناحيه بجند، لأنّهم كانوا يقبضون أعطيّاتهم فيه (معجم البلدان ١/١٣٦).

٣- فى ر، و غ: وإذا بحصن عظيم.

٤- المستراح: الكنيف.

٥- فى ر، و غ: إذا بنّ مطروح على حفيره، بشأن النّحّ راجع حاشيه القصّه ١٦٥ من هذا الكتاب.

عليها نزلت، فإذا أنا في الصحراء، وإذا الباريه قد كانت مطروحه علي [٣٣ ن] غير تسقيف.

و كان الثلج يسقط في تلك الليله سقوطا عظيما، فصحت، و قدّرت أنّ الذي استمرّ عليّ من غير علمه، فما كَلّمني.

فقمّت و قد تجرّح بدني، إلاّ أنّي سالم، فجئت، و استظللت بطاق باب الدير من الثلج.

فما وقفت حيناً حتى رأيت فيه براخ (١) من فوق رأسى، و قد جاءتنى منها حجاره لو تمكّنت من دماغى لطحتته.

فخرجت أعدو، و صحت به، فشتمني، فعلمت أنّ ذلك من حيلته، طمعا في رحلى.

فلما خرجت، وقع الثلج عليّ فعلمت أنّي تالف إن دام ذلك عليّ، فولّد لي الفكر أن طلبت حجرا فيه ثلاثون رطلا و أكثر، فوضعتّه علي عاتقي تاره، و علي قفای تاره، و أقبلت أعدو في الصحراء أشواطاً، حتى إذا تعبت، و حميت و جرى عرقى، طرحت الحجر، و جلست أستريح خلف الدير، من حيث يقع لي أنّ [٢٠٩ م] الراهب لا يرانى.

فإذا أحسست بأنّ البرد قد بدأ يأخذنى، تناولت الحجر و سعيت من الدير و لم أزل علي هذا إلى الغداه (٢).

فلما كان قبيل طلوع الشمس، و أنا خلف الدير إذ سمعت حركه بابه، فتخفّيت.

فإذا بالراهب قد خرج، و جاء إلى موضع سقوطى، فلمّا لم يرنى دار حول الدير يطلبنى، و يقول، و أنا أسمعّه: ترى ما فعل الميشوم؟ أظنّ أنّه قدّر أنّ

ص: ٣٩٠

١- البربخ: مجرى من الخزف للماء و ما شابهه.

٢- الغداه: أول النهار.

بالقرب منه قريه، فقام يمشى إليها، كيف أعمل، فاتنى سلبه، و أقبل يمشى يطلب أثرى.

قال: فخالفته إلى باب الدير، و حصلت داخله، و قد مشى هو من ذلك المكان يطلبنى حول الدير، فحصلت أنا خلف باب الدير، و قد كان فى وسطى سكين، فوقف خلف الباب، فطاف الراهب، و لم يبعد.

فلما لم يقف لى على خبر، عاد و دخل، فحين بدأ ليُرد الباب، و خفت أن يرانى، ثرت عليه، و وجأته بالسكين، فصرعته، و ذبحته.

و أغلقت باب الدير، و صعدت إلى الغرفه، فاصطليت بنار موقوده هناك، و دفئت، و خلعت عنى تلك الثياب، و فتحت خرجى، فلبست منه ثيابا جافه، و أخذت كساء الراهب، فنمت فيه، فما أفقت إلى قريب من العصر.

ثم انتبعت و أنا سالم، غير منكر شيئاً من نفسى، فطفت بالدير، حتى وقفت على طعام، فأكلت منه، و سكنت نفسى.

و وقعت مفاتيح بيوت الحصن فى يدي، فأقبلت أفتح بيتا بيتا، فإذا بمال عظيم من عين، و ورق، و ثياب، و آلات، و رحال قوم، و أخرجاهم (١).

و إذا تلك عاده الراهب كانت مع كل من يجتاز به وحيداً، و يتمكّن منه، فلم أدر كيف أعمل فى نقل المال، و ما وجدته.

فلبست ثياب الراهب، و أقمت فى موضعه أياماً، أتراءى لمن يجتاز بالموضع من بعيد، فلا يشكون أننى هو، و إذا قربوا منى لم أبرز لهم وجهى، إلى أن خفى خبرى.

ثم نزع تلك الثياب، و لبست من بعض ثيابى، و أخذت جواليق، فملأتها

ص: ٣٩١

١- الخرج، و جمعه أخراج و أخرجه: جوالق ذو أونين، أى عدلين، يضعه الراكب على ظهر دابته و يودع فيه جميع أشياءه، و ما يزال فى بغداد مثل عامى، يقوله البغدادى إذا تحمّل الأذى من أصدقائه أو أقربائه، فهو يقول: حط بالخرج، يعنى أنّ صدره يتسع لتحمل الأذى، كما يتسع الخرج لكافه ما يودعه صاحبه فيه.

مالاً، و حملتها على الدابة، و مشيت، و سقتها إلى أقرب قرية، و اكرتت فيها منزلاً، و لم أزل أنقل إليها كلما وجدته، حتى [٢١٠ غ] لم أَدع شيئاً له قدر إلا حصلت في القرية.

ثم أقمت بها إلى أن اتفقت لي قافله، فحملت على دوابٍ اشتريتها، كل ما كنت قد حصلت في المنزل.

و سرت في جملة الناس بقافله عظيمه لنفسى، بغنيمه هائله، حتى قدمت بلدى، و قد حصلت لي عشرات ألوف دراهم و دنانير، و سلمت من الموت.

ص: ٣٩٢

و من يعمل مثقال ذرّه خيرا يره

حدّثني أبو القاسم عبيد الله بن محمّد بن الحسن العبقسي الشاعر (١)، قال:

كان لأبي مملوك يسمّى مقبل [٢٠٣ ر] فأبق منه (٢)، و لم يعرف له خبر سنين كثيره، و مات أبي و تغرّبت عن بلدي، و وقعت إلى نصيبين، [و أنا حدث حين اتّصلت لحيّتي، و أنا مجتاز يوما في سوق نصيبين،] (٣) و عليّ لباس فاخر، و في كمي منديل فيه دراهم كثيره، حتى رأيت غلامنا مقبلا.

فحين رأني انكبّ على يدي يقبلها، و أظهر سرورا شديدا بي، و أقبل يسألني عن أبي، و أهلنا، فأعرّفه موت من مات، و خبر من بقي.

ثم قال لي: يا سيدي متى دخلت إلى هاهنا، و في أيّ شيء؟ فعرّفته، فأخذ يعتذر من هربه منّا.

ثم قال: أنا مستوطن هاهنا، و أنت مجتاز، فلو أنعمت عليّ و جئت [٢١٠ م] في دعوتي، فأنا أحضر لك نبذا طيبا، و غناء حسنا.

فاغتررت به، بالصبا، و مضيت معه، حتى بلغ بي إلى آخر البلد، إلى دور خراب، ثم انتهى إلى دار [٢١١ غ] عامره، مغلقه الباب، فدقّ، ففتح له، فدخل و دخلته.

فحين حصلت في الدهليز، أغلق الباب بسرعه، و استوثق منه، فأنكرت

ص: ٣٩٣

١- كذا ورد في ن، و في ر، وورد ما يلي: حكى أبو القاسم عبد الله العنكبي الشاعر، و في م: قال لي العبقسي الشاعر، و في غ: حكى أبو القاسم عبيد الله العنبيسي الشاعر، راجع ترجمه أبي القاسم عبيد الله بن محمّد بن الحسن الصروي العبقسي في حاشيه القصّه ٢٤٦ من هذا الكتاب.

٢- الإباقي: هرب العبد من سيّده.

٣- ساقطه من غ.

ذلك، ودخلت الدار، فإذا بثلاثين رجلا بالسلاح، وهم جلوس على باريه، فلم أشك في أنهم لصوص، وأيقنت بالشر.

و بادرنى أحدهم، فلطمنى، وقال: انزع ثيابك، فطرحت كل ما كان على، حتى بقيت بسر اويل، فحلوا الدراهم التي كانت فى منديلى، و أعطوا مقبلا شيئا منها (١)، و قالوا: إمض فهات لنا بهذا ما نأكله و نشربه.

فتقدّم مقبل، و سارّ واحدا منهم، فقال له مجيبا: و أى شىء يفوتنا من قتله، إمض فجئنا بما نأكله، فإنّا جياع.

فلما سمعت ذلك كدت أموت جزعا، فقال لهم الغلام، مظهرا للكلام:

ما أمضى أو تقتلوه.

فقلت لهم: يا قوم، ما ذنبى حتى أقتل، قد أخذتم ما معى، و لستم ترثونى إذا قتلتمونى، و لا لى حال غير ما أخذتموه، فالله الله فى.

ثم أقبلت أستعطف مقبلا، و هو لا يجيبنى، و يقول لهم: إنكم إن لم تقتلوه، حتى يفلت، دلّ السلطان عليكم، فتقتلون كلكم.

قال: فوثب إلى أحدهم بسيف مسلول، و سحبنى من الموضوع الذى كنت فيه إلى البالوعه (٢) ليذبحنى.

و كان بقربى غلام أمرد، فتعلقت به، و قلت: يا فتى ارحمنى، و أجرنى، فإن سنك قريب من سنّى، و استدفع البلاء من الله تعالى بخلاصى.

فوثب الغلام، و طرح نفسه على، و قال: و الله لا يقتل و أنا حى، و جرد سيفه.

و قام أستاذه بقيامه، و قال: لا يقتل من أجاره غلامى.

ص: ٣٩٤

١- فى كتاب نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التنوخى، رقم القصة ١٣٢/٥ أنهم أخذوا من المنديل ثلاثين درهما و أعطوها لمقبل ليشتري لهم بها طعاما.

٢- فى غ: البلاء، و البلاء، و البالوعه بمعنى واحد، و هى حفرة فى وسط الدار ينزل إليها الماء الوسخ و الأقدار. و عامه بغداد يسمونها الآن: بلوعه، بتشديد اللام، و يجمعونها على: بلاليع.

و اختلفوا، و صار مع الغلام جماعه منهم، فانترعوني، و جعلوني فى زاويه من البيت الذى كانوا فيه، و وقفوا بينى و بين أصحابهم.

فقال لهم رئيسهم: كّفوا عن الرجل إلى أن ننظر فى أمره، و شتم مقبلا، و قال: امض، فهات ما نأكله قبل كل شىء، فإننا جياع، و ليس يفوته قتله، إن اتفقنا عليه.

فمضى مقبل، و جاءهم بمأكول كثير (١)، و جلسوا يأكلون، و ترك جماعه منهم الأكل حراسه لى، لئلا يغتالنى [٣٤ ن] أحدهم إذا تشاغلوا بالأكل.

فلما أكلوا، انفرد بعض من كان يتعصّب لى بحراستى، و أكل من لم يكن أكل منهم.

ثم أفضوا إلى الشراب، فقال لهم مقبل: الآن قد أكلتم، و ترك هذا يؤدى إلى قتلكم، فدعوا الخلاف فى أمره، و اقتلوه.

فوئب من يريد قتلى، و وئب الغلام، و من معه، للدفع عنى، و طال الكلام بينهم، و أنا فى الزاويه، و قد اجتمع على من يمنع من قتلى، فصرت بينهم و بين الحائط، إلى أن جرد بعضهم السيوف على بعض.

فقال لهم رئيسهم: هذا الذى أنتم فيه يؤدى إلى تلفكم، و قد رأيت رأيا فلا تخالفوه.

فقالوا: إنا بأمرك.

فقال: أغمدوا السلاح، و اصطلحوا، و نشرب إلى وقت [٢٠٤ ر] نريد أن نخرج من هذه الدار، ثم نكتفه، و نسدّ فاه، و ندعه فى الدار، و نصرف،

ص: ٣٩٥

١- فى القصّه ١٣٢/٥ من كتاب نشوار المحاضره: إنّ مقبل اشترى لأصحابه بالدرهم الثلاثين خمسين رأسا، و خبزا كثيرا، و جبنا، و زيتونا، و كنت علّقت على القصّه فى النشوار (ج ٥ ص ٢٥٦) [١] أنّ ما اشتراه مقبل فى تلك الأيام بثلاثين درهما، ثمّنه فى السنه ١٩٧٢ ثلثمائه درهما، أى أنّ ثمّنه زاد عشره أضعاف.

فإنه لا يتمكن من الخروج وراءنا، ولا الصباح علينا.

و إلى أن نصبح من غد، نكون قد قطعنا مفازة، و لا يجرح بعضكم بعضا، و لا تتفرق [٢١١ م] كلمتكم.

فقالوا: هذا هو الصواب، و جلسوا يشربون.

و جاء الغلام ليشرب معهم، فقلت له: الله، الله في، تمم ما عملت من الجميل، و لا- تشرب معهم، و احرسني، لئلا- يشب علي [٢١٢ غ] واحد منهم على غفله، فيضربني ضربه يكون فيها تلف نفسي، ثم لا تتمكن أنت من ردها، و لا ينفعني أن تقتل قاتلي.

فرحمني، و قال: أفعل، ثم قال لاستاذة: أحب أن تترك شربك الليله، فتفعل كما أفعل.

فجاء جميعا فجلسا قدامي، و أنا في الزاويه، أتوقع الموت ساعه بساعه، إلى أن مضى من الليل قطعه.

و قام القوم فتحزموا، و لبسوا ثيابهم (١)، و خرجوا، و بقى الغلام و أستاذة.

فقالا لي: يا فتى، قد علمت أننا قد خلصنا دمك، فلا تكافئنا بقبيح، و هو ذا نخرج، و لا نستحسن أن نكتفك، فاحذر أن تصيح.

فأخذت أقبيل أيديهما و أرجلهما، و أقول: أنتما أحييتماي بعد الله تعالى، فكيف أكافئكما بالقبيح؟

فقالا: قم معنا، فقممت، ففتشنا الدار، حتى علمنا أنه لم يختبئ فيها أحد يريد قتلي.

ثم قالا لي: قد أمنت، فإذا خرجنا فاستوثق من الباب و نم وراءه، فليس يكون إلا خيرا، و خرجا.

فاستوثقت من غلق الباب، ثم جزعت جزعا عظيما، و لم أشك أنه يخرج علي

ص: ٣٩٦

١- في غ: و لبسوا سلاحهم.

من تحت الأرض منهم من يقتلني، و زاد عليّ الفزع، فأقبلت أمشي في الدار، و أدعو، و أسبّح، إلى أن كدت أتلّف إعياء.

و أنست باستمرار الوقت على السلامه، و حملتني عيني، فنمت، فلم أحسّ إلاّ بالشمس و حرارتها، على وجهي، من باب البيت.

فقمّت، و خرجت أمشي و أنا عريان بسرّاء، إلى أن حصلت في الموضع الذي كنت أسكنه.

و ما حدّثت أحدا بهذا الحديث مدّه، لبقية الفزع الذي داخلني منهم في قلبي.

ثم بعد انقضاء سنه، أو قريب منها، كنت يوما عند صاحب الشرطه بنصيبين، لصدّاقه كانت بينه و بين أبي، فما لبث أن حضر من عزّفه عشور الطوف (1) على جماعه من اللصوص، بقريه سمّاهها، من قرى نصيبين، و قبضه على سبعة نفر منهم، و فوت الباقيين، فأمر بإحضارهم.

فوقع بصرى منهم على ذلك الغلام الذي أجارني ذلك اليوم، و على أستاذه، ثم على مقبل.

فحين رأيتهم أخذتني رعدّه تبيّنت فيّ، و أخذ مقبل -من بينهم- مثل ما أخذني.

فقال لي صاحب الشرطه: ما لك؟

فقلت: إنّ حديثي طويل، و لعلّ الله تعالى، أراد بحضوري هذا المجلس، سعادته، و شقاوته نفر.

فقال: هات.

فأقتصصت عليه قصّتي مع القوم إلى آخرها، فتعجّب، و قال: هلاّ شرحتها لي فيما قبل، حتى كنت أطلبهم، و أنتصف لك منهم.

ص: ٣٩٧

١- الطوف، و جمعه أطواف: العسس، أي الذين يطوفون بالليل يحرسون الناس.

فقلت: إنَّ الفزع الذي كان في قلبي منهم، لم يبسط لسانى به.

فقال: من الذي كان معك من هؤلاء؟

فقلت: هذا الغلام، وأستاذه، وواحد من الباقين، فأمر بحلِّ كتافهم، و تمييزهم من بين أصحابهم.

و دعا بمقبل، فقال له: ما حملك على ما فعلت بابن مولاك؟

فقال: سوء الأصل، و خبث العرق.

فقال: لا جرم تقابل بفعلك، و أمر به فضرب عنقه، و أعناق أصحابه الباقين.

و دعا بالغلام، و أستاذه، و صاحبهما، و قال لهما: لقد أحسنتما في فعلكما [٢١٢ م] و دفعكما عن هذا الفتى، فالله يجزيكما عن فعلكما الخير، فتوبا إلى الله من فعلكما، و انصرفا في صحبه الله، مع صاحبهما، و لا تعود إلى ما أنتما عليه من التلصص، فقد مننت عليكم لحسن صنيعكما بهذا الفتى، فإن ظفرت [٢١٣ غ] بكما ثانيا، ألحقتكما بأصحابكما.

فتابا و صاحبهما، و شكروا له، و دعوا، و انصرفوا.

و شكرته أنا أيضا على ما فعل، و حمدت الله على توفيقى لقضاء حق من أجارنى، و الانتقام ممن ظلمنى.

ثم صار ذلك الغلام و أستاذه من أصدقائى، و كانا يختلفان إلى، و يقولان:

قد أقبلنا على حرفنا فى السوق، و تركنا التلصص (١).

ص: ٣٩٨

١- وردت القصة فى نشوار المحاضره و أخبار المذاكره للقاضى التتوخى برقم القصة ١٣٢/٥.

و حكى أبو الحسن محمد بن [عمر بن] (١) شجاع، المتكلم البغدادي، قال:

رأيت بالهند قوما يقال لهم: الجناذية (٢)، يأكلون الميتة، يتقدّرهم جميع أهل الهند، و عندهم أنّهم إن لامسوهم تنجسوا.

قال: فهم يمشون و فى أعناقهم طبول يطبلون بها، ليسمع أصواتها الناس، فيتنحون عن طريقهم، فإن لم يتنح الرجل عند سماع الطبل، فلا شىء على الجناذى، و إن لم يضرب الجناذى الطبل، حتى يلاصق جسده جسد غيره، قتله الذى لصق جسده، فلا يعدى عليه، لأنّ هذا هو شرطهم و سنتهم.

قال: و لا يشرب أحد ماء هؤلاء الجناذية، و لا يأكلون من طعامهم، و لا يخالطهم، فهم ينزلون فى ظاهر البلد، منفردين ناحيه، و هم أرمى الناس، و معاشهم من الصيد (٣).

و هناك قوم يقال لهم: البانواتيه (٤)، يجرون مجرى المستقفيين (٥) هاهنا، و السلطان يطلبهم كما يطلب اللصوص و العيّارين (٦)، فإذا عرفهم، و ظفر بهم، قتلهم.

ص: ٣٩٩

١- الزيادة من ن.

٢- فى نشوار المحاضره و أخبار المذاكره: الجباريه، راجع القصه ٩٥/٨ من كتاب نشوار المحاضره للقاضى التنوخى.

٣- راجع كتاب نشوار المحاضره ج ٨ ص ٢١٧ [١] رقم القصه ٩٥/٨.

٤- فى كتاب نشوار المحاضره: [٢] البابوانيه راجع ج ٨ ص ٢١٨-٢٢١.

٥- المستقفي: اللص الذى يتسلل للماشى من خلفه، فيخطف عمامته، أو رداءه، أو ما يحمله فى يده، و يهرب.

٦- العيّار: الشخص الذى لا يهتم بأمور عيشه، و إنما يعيش كيفما أتفق، لا يتقيّد بدين، أو عرف، و هو أشبه بمن يسمونهم اليوم بالهيبين.

و هم يصطادون الناس، و لا يعرفون غير ذلك.

و الواحد منهم يتبع التجار الذين يطرون إليهم من المسلمين و الذمه (1)، فإذا رأى الواحد منهم، الواحد من التجار فى طريق خال، قبض عليه، فلا يمكن لأحد من الناس أن يخلصه، لعلمهم أنه إذا استغاث أو نطق، قتله الهندي، و قتل نفسه فى الحال، لا يبالي بذلك، لا اعتقادهم المشهور فى أمر القتل. و يراهم الناس قد أخذوا الرجل، فلا يتعرضون لتخليصه، لئلا يقتله.

و يقول لهم الرجل المأخوذ: الله، الله، إن عارضتموه، فلا يمكن لسلطان، و لا غيره، انتزاعه منهم فى تلك الحال، لئلا يعجل بقتله.

قال: فأخبر رجل بالهند، أن رجلا [٢٠٥ ر] من البانوانيه قبض فى طريق سفره، على رجل لقيه من التجار.

فقال له: اشتر نفسك منى، فتوافقا على أن يشتري نفسه منه بألف درهم.

فقال له التاجر: تعلم أنى خرجت و لا شىء معى، و مالى فى البلد، فتصير معى إلى دارى فإنها قريبه، لأؤدى لك ذلك.

فأجابته، و قبض عليه بيده، فلم يزل يمشى معه، فاجتازا فى طريقيهما فى سكة منها، فسلكا فيها.

فحين حصلا فيها، فكر التاجر فى حيله للخلاص، و كان قد عرف مذهب أهل الهند فى الجناديه، فلم يزل يمشى معه حتى رأى بابا مفتوحا من دور الجناديه، ف جذب يده جذبه شديده من البانوانى، و سعى، فدخل دار الجنادى.

فقال له: ما لك؟

قال: أنا مستجير بك من يد بانوانى قد صادنى فهربت منه.

ص: ٤٠٠

١- الذمه، يريد بها: أهل الذمه، و هم الكتائبون، أى النصارى و اليهود المقيمون فى دار الإسلام، سمّوه بذلك، لأن لهم الذمه، أى الأمان و العهد و الضمان بحمايه أرواحهم، و أموالهم، و أعراضهم، و حرياتهم، و معاملتهم بالعدل.

فقال: لا بأس عليك فاجلس.

فصاح البانوانى، يا جنادى، أخرج إلى، و هم لا يدخلون بيوت الجناديه أصلا، لاستقذارهم إياهم.

قال: فخرج، فوقف، و بينهما عرض الطريق [٢١٤ غ] لا يجوز أن يدنو أحد من صاحبه.

فقال البانوانى: أعطني صاحبي.

فقال له الجنادى: قد استجار بي، فتهبه لى.

قال: لا أفعل، هذا رزقى، و إن لم تعطنيه، لم ندع من الجناديه واحدا إلا قتلناه.

فقال بينهما الكلام، إلى أن قال له الجنادى: أسلمه إليك فى الصحراء، فامض و اسبقنى إلى الموضع الفلانى.

قال: فمضى البانوانى، و دخل الجنادى إلى الرجل، فقال له: أخرج معى الساعة، و لا بأس عليك، و أخذ الجنادى قوسه و خمسه سهام (١)، قال: و سهامهم من قصب.

فعلق المسلم بكمّ الجنادى، و لصق به، علما منه بأنّ البانوانى لا يدنو منه.

فلما صاروا فى الصحراء، قال له الجنادى: تهبه لى، و أجتهد به، فلم يفعل.

قال: فإننى لا أسلمه إليك، حتى لا يبقى معى شىء من السلاح [٣٥ ن].

قال: فشأنك، ففوّق نحوه سهما، فحين أطلقه، تلقّاه البانوانى بحربى كان معه، و الحربى آله من السلاح عندهم معروفه، فاعترض السهم به، فقطعه نصفين، و سلم منه.

فتحير الجنادى، فلم يزل يرميه بنشابيه بعد أخرى، إلى أن ذهب النشاب،

ص: ٤٠١

١- فى ن: و خمسين نشابه.

و لم يبق معه إلا اثنتان.

فضعفت نفس التاجر، و أيقن بالهلاك، و قال للجنادي: الله، الله، في دمي.

فقال له الجنادي: لا تخف، سأريك من رمي ما يتحدّث به، أنظر إلى هذا الطائر الذي يطير في السماء، فإنّي أرميه، فأصرعه على رأسك، [ثم أرميك فلا أخطئك] (١).

قال: فرجع البانويّ رأسه، ينظر إلى الطائر، فرماه الجنادي، فأصاب فؤاده، فخرّ صريعاً، و مات.

فقال للتاجر: ارجع الآن آمناً.

فرجع إلى داره، فأقام عنده إلى أن اجتازت بهم صحبه (٢)، فمضى التاجر معها، فوصل إلى مأمنه (٣).

ص: ٤٠٢

١- الزيادة من غ.

٢- الصحبه: الملازمه و المرافقه و المعاشره، و الصحبه هنا تعنى الجماعه المتصاحبين، و يقصد بها القافله، و الموصليون الآن يسمون القصه الموجهه: صحبه، فإذا أراد أحدهم أن يروي قصه، قال: استمعوا لي، أروي لكم صحبه.

٣- لم ترد هذه القصه في م، و وردت في نشوار المحاضره ٩٦/٨.

عصبت عيناه و مدّ عنقه

و رفع السيف على رأسه ثم نجا من القتل

حدّثني الحسن بن محمّد الح؟؟؟اي (١)، قال: حدّثني أبو القاسم نصر المعروف بالما؟؟؟لى (٢) الذي كان يتقلّد السكر (٣) ببغداد في أيام عضد الدولة و تاج الملّه رضى الله عنه (٤).

قال القاضي أبو على: و أنا أعرف هذا الرجل، و هو باق إلى الآن، و ما أتفق لى أن أسأله عن هذا الخبر.

قال: كان عضد الدولة رحمه الله، و هو صببى بالغ، صار من أصبهان إلى فارس، استدعاه عمّه عماد الدولة على بن بويه لينقل إليه ولايه عهده، و يستخلفه عليها من بعده، فسرت معه، و أنا معه إذ ذاك أحجبه.

فلما صار بسمارم (٥) -منزل من الطريق- أمرنى أن أصير إلى كركير والى سمارم من قبل أبيه ركن الدولة رحمه الله، و أطلبه بأن ينفذ إلى حضرته اثني عشر رجلا من الأكراد كانوا [٤٢ ن] محبسين فى يد كركير، و كان خبرهم قد بلغ عضد الدولة، فأرادهم.

ص: ٤٠٣

١- كذا وردت فى الأصل بلا نقط، و لعلها الجنائنى.

٢- كذا وردت فى الأصل بلا نقط، و لعلها: الماينى، نسبة إلى ماين، بلد من بلاد فارس (اللباب ٩٢/٣).

٣- السكر: و جمعه سكور، السداد التى تقام فى وجه الماء فتصدّه، و ما زالت هذه الكلمه مستعمله ببغداد و سقى دجله و الفرات، راجع الطبرى ٣٢١/٩ و ٣٢٤.

٤- ترصّى المؤلف على عضد الدولة يعنى أنه دوّن هذه القصّه بعد السنه ٣٧٢ سنه وفاه عضد الدولة، راجع تعليقنا على القصّه ٢١٦ من هذا الكتاب.

٥- سمارم، أو سميرم: بلده بين أصبهان و شيراز، فى نصف الطريق، و هى آخر حدود أصبهان (معجم البلدان ١٥١/٣).

فامتنع كركير من إنفاذهم، وقال: هؤلاء قطاع الطريق، قد قطعوا و قتلوا، ولا أسلمهم إلا بأمر يرد عليّ من ركن الدوله، فجئت إليه و عرّفته.

فقال لي: عد إليه و قل له: إذا كانوا قد قتلوا فأنا أحقّ بقتلهم، فأنفذهم إليّ لأقتلهم.

فمضيت، فأقام الرجل على الامتناع من تسليمهم، فعدت إلى عضد الدوله فأخبرته.

فاغتاظ من ذلك و أمرني أن أكسر الحبس و أجيئه بالأكراد، فامتثلت [أمره]، و أحضرتهم المضرب، و أعلمته.

فأمرني أن أمضي أنا و حاجب آخر من حجّابه-سمّاه-لنقتلهم.

فحملناهم إلى موضع، و أمرنا، فقتل منهم ثلاثة.

و قدّم الرابع فرماه ذلك الحاجب بخشت (١) كان في يده، فنبأ عنه، و لم يعمل فيه، فتقدّم بشدّ عينيه، و ضرب رقبتة بالسيف، فشدت عينيه بمنديل خاز (٢) حضرهم في الحال.

فلما رفع السيّاف يده ليحطّها على المضرب، استرخى المنديل فوق على المضرب فغطّاه.

فقال السيّاف: ارفعوا المنديل.

فأومات بطرف عصا كانت في يدي-على رسم الحجّاب-لأزيل المنديل فيتمكّن السيّاف من الضربه، فإذا رسول عضد الدوله يسعى و يقول: لا تقتلوا القوم.

فتوقّفنا، و مضيت إلى حضرته، و عرّفته صورته من قتل و من بقى، و ما اتّفق

ص: ٤٠٤

١- الخشت: النبلة التي تستعمل في الحرب (المعجم الذهبي)، راجع حكاية أبي القاسم البغدادي ص ٧٣ سطر ٢٥.

٢- خاز: نوع من القماش الكتّان، فارسيه (المعجم الذهبي).

فى أمر الرجل، فتعجب من أمره.

و أمر به، فأحضرتة إليه، وكشف عن موضع الخشت حتى رآه، وكان فى كتفه، فإذا هو قد انتفخ و اخضرّ، ولم يدخل فى لحمه، فازداد تعجبه، و أمر بإطلاقه، و أن يخلع عليه و على الجماعة، ففعل ذلك بهم (1).

ص: ٤٠٥

١- انف؟؟؟دت؟؟؟

عباد المؤنث يربح الرهان و يحيى نفسا ميته

حدّثني عثمان بن محمّد السلمي (١)، المعروف بأبي القاسم الأصغر، غلام أبي الحسن بن عبد السلام الهاشمي البصري، قال:

كان عندنا بالمرید، رجل [من خول محمّد بن سليمان الهاشمي] (٢)، يدعى بعباد، و كان مؤنثا (٣)، و كان يحمل السلاح.

فاجتمع يوما مع قوم من الخول (٤) على شراب لهم، فتجادبوا حديث الشجاعه، فعاوبه بما فيه من التأنيث، فخاطرهم (٥) في شيء يعمله، مما يفرضون عليه، يبين به عن شجاعته.

فقالوا له: تخرج الساعه، بغير سلاح، إلى صهاريج الحجّاج، فتدخل منها في الصهريج الفلاني، و تسمر في أرضه هذا الوتد، و تعود.

قال القاضي أبو علي، مؤلف هذا الكتاب: و هذه الصهاريج على أكثر من فرسخ من البصره، في البريه، و قد شاهدتها، و هي موحشه المكان، خاليه، يجتمع فيها الماء، كان الحجّاج قد عملها ماده لشرب أهل الموسم و القوافل، و من يرد من المسافرين.

نرجع إلى الخبر.

قال: فأخبرني عباد، قال: خرجت، و ليس معي إلا وتد و مطرقه، حتى بلغت الصهريج [٢٠٦ ر] الذي خاطرت عليه، و كان أعظمها، و أوحشها.

ص: ٤٠٦

١- في ن: الأسلمي.

٢- ساقطه من غ.

٣- المؤنث: يقال للرجل مؤنثا، إذا شابه المرأه في لينه و تكسر أعضائه.

٤- في غ: مع قوم من أصحابه، و الخول: المماليك و الأتباع.

٥- المخاطره: المراهنه.

فدخلته، و كان جافاً، و جلست فضربت الوتد بالمطرقه فى أرضه، فطنّ الصهرىج، و سمعت صلصلة شديده، و صوت [٢١٥ غ] سلسله. فقطعت الدقّ، فانقطع الصوت، و أعدت الدقّ، فعاد الصوت، و ظهرت حركه معه، و أنا ثابت القلب، أتأمّل، [و لا- أرى شيئاً من الظلمه.

إلى أن أحسست بالحركه و الصوت قد قرباً منّى، فتأملت، [١] فإذا بشخص لطيف، لا يشبه قدر خلقه الإنسان، فاستوحشت.

و ثبت نفسى، و أنا أدقّ، و الشخص يقرب منّى، حتى و ثبت، و ألقىت نفسى عليه، و استوثقت منه.

فإذا هو قرد فى عنقه سلسله، فظننت أنه قد أفلت من قراد، أو من قافله فسحبته [٢]، فلان فى يدي، و أنس بى، فأخذته على يدي و ساعدى، و جئت أريد باب الصهرىج.

فلما بلغته سمعت كلاماً، فخشيت أن يكون بعض من يطلبنى فى العصىه هناك، فوقفست أستمع.

فإذا كلام امرأه مع رجل، و هى تقول له: يا فلان، و يحكك، [أ تقتلنى؟ أ تذبحنى؟ أتبلغ بى الموت؟ ٦] اتق الله فى.

و هو يقول: الذنب كلّه لك، و أنت أذنت لهم فى أن يزوّجوك، و لو أبيت، ما قدر أبوك أن يزوّجك، و إنّما فعلته مللاً بى، و أنا تالف، و أنت تتعممين، و الله لأذبحنك، أستكتفى يا ابنه الفاعله الصانع [٣].

قال: فنظرت، فإذا ظهره إلى باب الصهرىج، فصحت عليه صيحه عظيمه،

ص: ٤٠٧

١- ساقطه من غ.

٢- فى غ: فمسحته و آنسته.

٣- فى غ: إستكتفى يا فاعله.

و ضربت قفاه بالقرد، ففزع القرد على نفسه، فقبض [٢١٣ م] على عنق الرجل، و تمكن من ظهره.

فورد على الرجل ما حيّره، و أفزعه، و ذهب بعقله، فخرّ مغشياً عليه، و وقع السيف من يده، فأخذته، و رأيت الجحفه مطروحه، فأخذتها.

و قصدت الرجل، فثاب إليه عقله، و رمى بالقرد عن ظهره، و سعى هاربا.

فقصدت المرأة، و حللت كتافها، و قلت لها: ما قصّتك؟

قالت: أنا بنت فلان، و ذكرت رجلا- من أهل المربد، و هذا ابن عمّى، و كان يعشقنى، فخطبنى من أبى، فامتنع من تزويجه بى، و زوّجنى من رجل غريب، و دخل بى من شهور.

فلما كان أمس، خرجت أنا و جماعه من نساء الجيران، ننظر إلى الصحراء، وقت العصر.

و بلغه خبرنا، فكبسنا بالصحراء، و معه عدّه رجال بالسلاح، فأخذ كلّ رجل امرأه، و انفرد بها، و حملنى هذا، إلى هذا الصهريج، ففجر بى طول الليل، فلما كان الآن عزم على قتلى، فأغاثنى الله بك، و ما أعرف للنسوه الباقيات خبرا.

فقلت: إمشى، لا بأس عليك.

فمشت بين يديّ إلى أن دخلت البصره، فدفقت باب والدها.

فقال: من بالباب؟

فكلّمته، ففتح لها، فدخلت الدار.

و عدت إلى أصحابى، فحدّثتهم بالحديث، [و أريتهم القرد، و خرجنا من الغد، فرأوا الوتد، و جئت بهم إلى باب دار المرأة، فأريتهم إيّاه] (١)، و أخذت خطرى.

ص: ٤٠٨

١- الزيادة من غ.

٢٥٤ ٥ ابن جامع المغنّي يأخذ صوتا بثلاثه دراهم فيفيد منه ثلاثه آلاف دينار.

٢٥٥ ١٦ ابن هرمه يتحدّث عن أفضل عبد الواحد بن سليمان عليه

٢٥٦ ١٩ القائد هرثمه بن أعين يتحدّث عمّا أمره به الهادي في ليله موته

٢٥٧ ٢٣ دهاء عبدون أخي صاعد بن مخلد

٢٥٨ ٢٨ زور مناما فجااء مطابقا للحقيقه

٢٥٩ ٣٢ شرّ السلطان يدفع بالساعات

٢٦٠ ٣٤ كيفيه إغراء العمّال بأخذ المرافق

٢٦١ ٣٦ الصوفي المتوكّل و جام فالوذج حار

٢٦٢ ٣٨ سخاء الأمير سيف الدوله

٢٦٣ ٤٣ ألمعيه المأمون و ذكاؤه

٢٦٤ ٤٨ الحسين بن الضحّاك يعيش ببقايا هبات الأمين

٢٦٥ ٥١ من مكارم البرمكه

٢٦٦ ٥٣ المأمون يهب أحد كتّابه اثني عشر ألف ألف درهم

٢٦٧ ٥٦ ما بقى له غير درهمين ثم جاءه الفرج

٢٦٨ ٥٨ سبب توبته من النبيذ

٢٦٩ ٦١ حلف بالطلاق لا يحضر دعوه و لا يشيع جنازه

٢٧٠ ٦٧ ابن قمير الموصلى وقع فى ورطه و تخلّص منها.

٢٧١ ٦٩ واسطى أتلّف ماله و افتقر ثم صح حاله بعد أهوال

٢٧٢ ٧٣ اللّجاج شؤم

٢٧٣ ٧٧ ابن الجصاص الجوهريّ يلتقط جواهره المبعثره لم يفقد منها شيئا

٢٧٤ ٧٩ الوزير ابن مقله ينكب رجلا ثم يحسن إليه

٢٧٥ ٨٢ ابن عبدون الانبارى الكاتب يكسب فى ليله واحده مائه ألف دينار

٢٧٦ ٨٧ الفضل بن سهل و مسلم بن الوليد الأنصارى

٢٧٧ ٨٩ كيف طهر عثمان بن حيان المرى المدينه من الغناء

٢٧٨ ٩٣ أضاع كيسه و استعاده بعد سنه

٢٧٩ ٩٤ عبد الله بن الزبير يطالب بنى هاشم بالبيعه أو يضرب أعناقهم

٢٨٠ ٩٦ عاقبه الظلم

٢٨١ ٩٨ دواء عجيب وصفه الطيب للكاتب زنجى

٢٨٢ ٩٩ يا غياث المستغيثين أغثنى

٢٨٣ ١٠٠ قصه سلمه الانبارى النصرانى

٢٨٤ ١١٧ ابن الطبرى الكاتب النصرانى تجلب له التوفيق رفسه حصان.

٢٨٥ ١١٩ أبو بكر محمد بن طغج ينتقل من ضعف الحال إلى ملك مصر

٢٨٦ ١٢٤ غريب الدار ليس له صديق

٢٨٧ ١٢٦ عبد الله بن مالك الخزاعى يتسلّم كتابا من الرشيد

١٢٩ ٢٨٨ نجاح بن سلمه ينصح سليمان بن وهب برغم ما بينهما من عداوه

١٣١ ٢٨٩ المعتد يأمر بقطع يد غلام من غلمانة ثم يعفو عنه

١٣٣ ٢٩٠ مروءه عدى بن الرقاع العاملى

١٣٥ ٢٩١ غده كغده البعير و موت فى بيت سلوليه

١٣٩ ٢٩٢ خرج ليغير فوقع على زيد الخيل

١٤٣ ٢٩٣ منع الله سوارا من الطعام و الشراب و جاء به حتى أقعده بين يديك

١٤٧ ٢٩٤ عروه بن أذينه يفد على هشام بن عبد الملك

١٥٠ ٢٩٥ أبو أيوب الموريانى يجيز ابن شبرمه بخمسين ألف درهم

١٥١ ٢٩٦ الواثق يطرد أحمد بن الخصيب من حضرته ثم يعفو عنه.

١٥٥ ٢٩٧ غضب الرشيد على مروان بن أبى حفصه لمدحه معن ابن زائده و ضربه مائه سوط

١٥٨ ٢٩٨ أمدح بيت قالته العرب

١٦١ ٢٩٩ بين الأصمعى و البقال الذى على باب الزقاق

١٦٦ ٣٠٠ المنذر بن المغيرة الدمشقى أحد صنائع البرامكة

١٧٨ ٣٠١ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

١٨٢ ٣٠٢ جعفر بن سليمان أمير البصره يصفح عن سرق منه جوهره

١٨٣ ٣٠٣ أخذ الصيبيته من لا يردها و رآه من لا ينم عليه

١٨٥ ٣٠٤ سفتجه بثلاث صفعات يفتديها المحال عليه بخمسائه و خمسين ديناراه

١٩٣ ٣٠٥ السبب فى خلع المقتدر الخلع الثانى و عودته إلى الحكم

١٩٨ ٣٠٦ خلع الأمين و عودته إلى الحكم

١٩٩ ٣٠٧ كيف خلع المقتدر الخلع الأول

٢٠٢ ٣٠٨ بعث الفضل بن سهل خدا بود لقتال خارجى فجاء برأسه

٢٠٦ ٣٠٩ موت زياد يفرج عن ابن أبى ليلى

٢١١ ٣١٠ خرج يريد خالدا القسرى فأعطاه الحكم فأغناه

٢١٣ ٣١١ لا بارك الله فى مال بعد عثمان

٢١٤ ٣١٢ رفع صوته بالتلبيه، فحملت إليه أربعة آلاف درهم

٢١٥ ٣١٣ يزيد بن عبد الملك بن مروان يصف عمر بن هبيرة بالرجله و يوليه العراق

٢١٦ ٣١٤ كان خالد القسرى لا يملك إلا ثوبه فجاءه الفرج بولايه العراق

٢١٧ ٣١٥ يهلك ملوكا و يستخلف آخرين

٢١٨ ٣١٦ باع من إضاقتة لجام دابته فى الصباح و حصلت له عشرون ألف دينار وقت الظهر

٢٢١ ٣١٧ سبحان خالقك يا أبا قلابه فقد تنوّق فى قبح وجهك ٢٢٣ ٣١٨ المنصور العباسى يتذكّر ما ارتكب من العظائم فيبكي

و ينتحب

٢٢٧ ٣١٩ إن قرح الفؤاد يجرح جرحا

٢٢٨ ٣٢٠ أبو عمر القاضى يصبح و ليس عنده درهم واحد فيجيئه الفرج فى وقت قريب

ص: ٤١٢

٢٣٠ ٣٢١ بين أحمد بن أبي خالد و صالح الأضجم

٢٣٣ ٣٢٢ جندى تركى تشتد إضاقتة ثم يأتيه الفرج

٢٣٤ ٣٢٣ أحمد بن مسروق عامل الأهواز يتحدث عن الفرج الذى وجدته فى قانصه البطة

٢٣٨ ٣٢٤ أصلح بين متخاصمين بدرهم فوهب له الله دره بمائه و عشرين ألفا.

٢٤١ ٣٢٥ يحيى البرمكى يتحدث عن عارفه فى عنقه ليعقوب بن داود

٢٤٣ ٣٢٦ من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

٢٥٩ ٣٢٧ قصه أبى عبيد الله وزير المهدى و كيف ارتقت به الحال حتى نال الوزارة

٢٦٢ ٣٢٨ القاضى التتوخى يتحدث عن قصته مع أبى على أحمد ابن محمد الصولى

٢٦٨ ٣٢٩ فرّ هاربا من الضائقة فوافاه الفرج فى النهروان

٢٧٣ ٣٣٠ خرج مملقا و عاد قائدا

٢٧٤ ٣٣١ عوده المرء سالما غنيمه حسنه

٢٧٥ ٣٣٢ قضى الله للهيروى رزقا على يد ابن الزيات فاستوفاه على رغم أنفه

٢٨١ ٣٣٣ تضايقى تنفرجى

٢٨٣ ٣٣٤ من مكارم سعيد بن العاص أمير الكوفة

٢٨٥ ٣٣٥ ألجأته الحاجه إلى بيع مقنعه أمه ثم ملك مصر

٢٨٧ ٣٣٦ أبى أن يعطيه دينارا ثم أعطاه ألفى دينار

٢٩٣ ٣٣٧ سافر إلى الموصل ثم إلى نصيبين في طلب التصرف حتى إذا أيس جاءه الفرج

٢٩٧ ٣٣٨ للذين أحسنوا الحسنى و زياده

٣٠٠ ٣٣٩ هاك يا هذا الذى لا أعرفه

٣٠٢ ٣٤٠ أول دخول الأصمعي على الرشيد

٣٠٦ ٣٤١ قصه حائك الكلام

٣١٤ ٣٤٢ أنا أبوك

٣٢١ ٣٤٣ سقط عليه حائط و نهض سالما

٣٢٣ ٣٤٤ نفاه الواثق و أعاده المتوكل

٣٢٤ ٣٤٥ البحترى يهنئ الفتح بن خاقان بنجاته من الغرق

الباب الثامن: فيمن أشفى على أن يقتل، فكان الخلاص من القتل إليه أعجل.

٣٢٦ ٣٤٦ بدأ الهادى خلافته بتنحيه الربيع عن الوزارة، و استيزار ابراهيم الحرانى.

٣٢٩ ٣٤٧ لما اعتقل ابراهيم بن المهدي حبسه المأمون عند أحمد ابن أبى خالد الأحول.

٣٣٣ ٣٤٨ جىء بابراهيم بن المهدي و هو مذنب، و خرج و هو مثاب

٣٣٤ ٣٥٩ قبض على ابراهيم بن المهدي و هو بزى امرأه

٣٣٩ ٣٥٠ إن من أعظم المحنه أن تسبق أميّه هاشما إلى مكرمه

٣٤٠ ٣٥١ لما قدّم للقتل تماسك، فلما عفى عنه بكى

٣٤٢ ٣٥٢ قال المأمون: لقد حبب إليّ العفو حتى خفت أن لا أوجر عليه

٣٤٥ ٣٥٣ اذا رميت أصابني سهمي

٣٤٧ ٣٥٤ ابراهيم بن المهديّ يحتجّ لنفسه أمام المأمون

٣٥١ ٣٥٥ المأمون ينصب صاحب خبر على ابراهيم بن المهدي

٣٥٥ ٣٥٦ ما بقاء جلده يتنازعها ملكان

٣٥٦ ٣٥٧ انظر كيف كانت عاقبه الظالمين

٣٥٨ ٣٥٨ أمر الرشيد بأسيرين فقطعا عضوا عضوا ثم مات

٣٦٩ ٣٥٩ من سقوط الخاتم من اليد إلى عودته إليها سبعون فرجا

٣٧١ ٣٦٠ هاجه الحسد و قتله الطمع

٣٧٤ ٣٦١ البغي مرتعه وخيم

٣٧٨ ٣٦٢ ابو المغيره الشاعر يروي خبرا ملفقا

٣٨٦ ٣٦٣ لا جزاك الله من طارق خيرا

٣٨٩ ٣٦٤ من زرع الإثم حصد الدمار

٣٩٣ ٣٦٥ و من يعمل مثقال ذره خيرا يره

٣٩٩ ٣٦٦ الجناديه و البانوائيه في الهند

٤٠٣ ٣٦٧ عصبت عيناه و مدّ عنقه و رفع السيف على رأسه ثم نجا من القتل

٤٠٦ ٣٦٨ عباد المؤمن يربح الرهان و يحيى نفسا ميتة

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

